تأويلات القرآن

١٤٢٥

لابى منصور محمد بن محمد الماتريدى السمرقندى

تحقيق
الدكتور خليل ابرهيم قجار

مراجعة
الاستاذ الدكتور بكر طوپال اوغلى

الجزء الثامن

الحجر - الاسراء

دار الميزان



ISBN 975-9048-01-9 (Tk.)
ISBN 975-9048-08-6

الكتابة والتنسيق

علي حيدر أولوصوي
عيسى يوجل

دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ

استانبول ٢٠٠٦

تأويلات القرآن

لابي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي

٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م

تحقيق
الدكتور خليل ابراهيم قوتلاي

مراجعة
الاستاذ الدكتور بكر طوپال اوغلي

الجزء الثامن
الحجر - الاسراء

استانبول ٢٠٠٦

دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ

النسخ الخطية لكتاب *تأويلات القرآن* التي التزمنا بها في التحقيق

ك: نسخة كوبريلي – مكتبة كوبريلي، تحت رقم ٤٧، ٤٨.

ن: نسخة نور عثمانية – مكتبة نور عثمانية، تحت رقم ١٢٤.

ع: نسخة عاطف أفندي – مكتبة عاطف أفندي، تحت رقم ٧٦، ٧٧.

م: نسخة مهرشاه – مكتبة سليمانية، قسم مهرشاه، تحت رقم ١٧٦.

شرح تأويلات القرآن: لأبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندي، نسخة حميدية – مكتبة سليمانية، قسم حميدية، تحت رقم ١٧٦.

الاختصارات:

صح ه: ورد التصحيح بهامش النسخة الخطية.

ك ه: هامش النسخة الخطية بمكتبة كوبريلي الخ.

و: وجه الورقة لنسخة مهرشاه التي اتخذت أصلا للتحقيق.

ظ: ظهر الورقة لها.

– : إشارة إلى الكلمة أو العبارة الناقصة في النسخة.

+ : إشارة إلى الكلمة أو العبارة الزائدة في النسخة.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحجر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾[١]

قوله عز وجل: **الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين،** قد ذكرنا فيما تقدم أنه يحتمل أن الحروف المقطعة كناية عن كتابه[2] أو آياته، أنه حملها على ما توجبه الحكمة فجعلها كتابًا أو آياتِ كتابٍ يتلى. أو تكون[3] كناية عن الإنباء والإخبار / عن الأمم السالفة التي لم يشهدها [٣٩٢ظ] رسول الله صلى الله عليه وسلم، [أي جعلنا][4] تلك الأنباء والأخبار[5] كتابًا أو آيات ليعلموا أن هذا الكتاب إنما نزل من السماء وأنه إنما عُلم بالوحي من الله. وقد ذكرنا هذا في غير موضع[6] **وقرآن مبين،** قيل:[7] بُيِّن فيه ما يُؤتَى وما يتقى. أو **مبين،** [أي] يبيِّن[8] الحق والباطل. ***والله أعلم.***

﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين،** قال عامة أهل التأويل: إنما يودون الإسلام والتوحيد بعد ما عذب في النار قوم من أهل التوحيد بذنوبهم ثم أخرجوا منها بالشفاعة أو بالرحمة، فعند ذلك يتمنى أهل الشرك ويودون الإسلام والتوحيد.[9]

---

[1] ن ع م + ذكر أنها مكية.

[2] ك + وآياته.

[3] جميع النسخ: يكون.

[4] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٢٣ظ.

[5] جميع النسخ + التي جعلناها.

[6] انظر: السور المبدوءة بالحروف المقطعة.

[7] جميع النسخ: قال، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٣ظ.

[8] جميع النسخ + بين، والتصحيح مع الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٢٣ظ.

[9] ن ع م + لو كانوا مسلمين.

لكن هذا بعيد: أن لا يتمنوا إلا في النار بعد ما أخرج أولئك، وقد أصيبوا الشدائد والبلايا من قبل أن يأتوا النار، قال الله تعالى: حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا،[1] الآية. أخبر أنه يتمنى عند حلول الموت الإسلام، حيث طلب الرجوع إلى الدنيا، دل أنهم يودون الإسلام قبل الوقت الذي ذكروا. أو يتمنون الإسلام إذا حوسبوا، أو إذا بعث أهل الجنة الى الجنة[2] وبعثوا هم إلى النار، يتمنون الإسلام قبل ذلك في مواضع. وربما يتمنى الآحاد من الكفرة ويودون[3] لو كانوا مسلمين في أحوال وأوقات يظهر لهم الحق، و قد بان لهم الحق[4] لكن الذي يمنعهم عن الإسلام فوت شيء من الدنيا وذهاب شيء قد طمعوا فيه.

وقال الحسن في قوله: **الر تلك آيات الكتاب**، قسم لما ذكر: **ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين**، يقول: أقسم بالحروف المقطعة أنهم يودون الإسلام. ***والله أعلم.***

﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **ذرهم يأكلوا ويتمتعوا**، هذا ليس على الأمر، ولكن على الوعيد والتهديد،[5] وإبلاغ في الوعيد وتأكيد، كقوله: اِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ،[6] الآية، هو[7] على الوعيد[8] حيث قال: إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ، فعلى ذلك قوله: **ذر هم يأكلوا**، وعيد بقوله: **فسوف يعلمون.** ويشبه أن يكون: ذرهم ولا تكافئهم بصنيعهم.

[٣٩٢ظ س٢٢] * وقوله: **ذر هم يأكلوا ويتمتعوا**، الآية، في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون، آيَسَ رسوله

[٣٩٢ظ س٢٣] عن إيمانهم. وهو كقوله: وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ.[9] *

---

[1] ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٩٩-١٠٠).

[2] ع م – الى الجنة.

[3] ن: يودون.

[4] ك: و قد بين لهم الحق؛ ع – و قد بان لهم الحق.

[5] ن ع: علي التوعيد والتهدد؛ ع م: علي التوعيد.

[6] ﴿اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير﴾ (سورة فصلت، ٤١/٤٠).

[7] م: وهو.

[8] ع: هو على التوعيد.

[9] ﴿ونُقلّب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أوّلَ مرة ونَذَرُهم في طغيانهم يعمهون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١١٠).

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٩٢ظ/سطر ٢٢-٢٣.

وقوله: **ويلههم الأمل**، الأمل: الطمَع، اختلف فيه. قال بعضهم:[1] منَعَهم طمَعُهم أنهم وآباءهم[2] قد أصابوا الحق،[3] ذلك منعهم عن الإجابة والنظر في الآيات والحجج. والثاني تقديرهم بامتداد حياتهم ليبقى لهم الرياسة والشرف. ذلك الذي كان يمنعهم عن الإجابة[4] والانقياد له والنظر في الآيات والحجج. والثالث يطمعون هلاك النبي صلى الله عليه وسلم ويتمنون ذلك وانقطاعَ ملكه وأمره والعودَ إليهم، فذلك الذي كان منعهم. وفي حرف حفصة:[5] ذرهم يخوضوا ويلعبوا ويلههم الأمل.

* وقوله عز وجل: **فسوف يعلمون**، المحق من المبطل،[6] وأن المحق والمبطل مَن: أنت أو هم؟[7] [٣٩٢ظ س١٦] أو سوف يعلمون نصحك إياهم وشَفَقَتك لهم أنك نصحت لهم وأشفقت عليهم،[8] لا أن خُنْتَهم. أو يعلمون بما سخروا بكم وهَزَءوا.[9] * [٣٩٢ظ س١٨]

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾[٤]

وقوله: **وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم**، قال الحسن: وما أهلكنا أهل[11] قرية إهلاك تعذيب إلا وقد أرسلنا إليهم رسلاً بكتاب معلوم يتلون[12] ذلك الكتاب المعلوم عليهم. فإذا كذّبوهم وآيسوا[13] من إيمانهم، فعند ذلك يهلكون إهلاك تعذيب. وهو ما قال: وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ[14] الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا،[15] فعلى ذلك الأولُ.

---

[1] ن ع م + أي.
[2] ع م: وآباؤهم
[3] أي منع الذين كفروا طمعهم وظنهم بأنهم و وآباءهم على طريق الحق.
[4] ك + لهم له.
[5] ن: وفي حرف ابن مسعود و حفصة.
[6] ك ع م – من.
[7] ع – وأن المحق والمبطل من أنت أو هم.
[8] م – عليهم.
[9] حتى وافوا جزاء ذلك.
* وقع ما بين النجمتين متقدما على موضعه، فأخرناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٩٢ظ/سطر ١٦-١٨.
[11] ك + من أهل.
[12] ك: يتلو؛ ن ع م: تتلوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٣ظ. ويتلون: أي الرسل.
[13] ع م: وآيس.
[14] جميع النسخ: ليهلك؛ الا أن هذه ترد في آية أخرى: ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾ (هود، ١١/١١٧).
[15] ﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾ (القصص، ٢٨/٥٩).

وقال بعضهم: **وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم**، يقول: كتاب فيه أجل معلوم مؤقت لها؛ على هذا التأويل كأنه قد خرج جوابًا لقول[1] كان من أولئك الكفرة[2] [في] استعجالهم الإهلاك.[3]

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون**، أي ما تسبق أمة أجلها[4] الذي جعل الله لها بالإهلاك وما تستأخر عنه. وهو ما قال: لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ،[5] أى ما يستأخرون ساعة عن الوقت الذى جعل لهم ولا يتقدمونه.[6] فهذا ينقض على المعتزلة قولهم حيث قالوا: إن الله يجعل لخلقه آجالاً ثم يجيء آخرُ فيقتله قبل الأجل الذي جعله الله له،[7] والله يقول: لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ؛ وقال: وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ،[8] يخبر أنه لجاءهم العذاب لولا ما جعل من أجل مسمى، قد وعد جل وعلا أنه يفي بما وعد من البلوغ إلى الأجل الذي سمي. وعلى قول المعتزلة لا يملك إنجاز ما وعد، لأنه يجيئ إنسان فيقتله فيمنع اللهَ عن وفاء ما وعد، فذلك عجز وخُلف في الوعد. فنعوذ بالله من السرف في القول والزيغ عن الحق.

﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر**، يعني القرآن، **إنك لمجنون**، قال الحسن: قوله: **يا أيها الذي** تدعي أنه **نزل عليه الذكر إنك لمجنون** فيما تدعي من نزول الذكر. هو على الإضمار الذي قال الحسن، وإلا في الظاهر متناقض. لأنهم كانوا لا يقرون بنزول الذكر عليه، لأنهم لو أقرّوا بنزول[9] الذكر عليه لكان قولهم متناقضا فاسدًا: **إنك لمجنون**، سموه مجنونًا.

---

[1] ن ع: بالقول.
[2] جميع النسخ + من.
[3] «جوابا لقول من كان من الكفرة يستعجلون الهلاك.» شرح *التأويلات*، ورقة ٤٢٣ظ.
[4] ك ن: من أجلها.
[5] ﴿ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ (سورة الأعراف، ٣٤/٧).
[6] ع م – أى ما يستأخرون ساعة عن الوقت الذى جعل لهم ولايستقدمونه.
[7] ك: الذى جعل له.
[8] سورة العنكبوت، ٥٣/٢٩.
[9] ن م: نزول.

والذي حملهم على تسميتهم إياه مجنونًا وجوه. أحدها أنهم[١] لما رأوه أنه قد أظهر الخلاف لذوي العقول منهم والأفهام والدعاءَ إلى غير ما هم فيه،[٢] فرأوا أنه ليس يخالف[٣] أهل العقول والفهم إلا لجنون[٤] به، فسموه مجنونًا.

والثاني رأوه / قد أظهر الخلاف للفراعنة والجبابرة الذين كانت عادتهم القتل والإهلاك [٣٩٣و] لمن[٥] أظهر الخلاف لهم في أمر من أمورهم الدنيوية، فكيف من أظهر الخلاف لهم[٦] في الدين؟ فظنوا أنه ليس يخالفهم ولا يخاطر بنفسه[٧] وروحه إلا لجنون فيه.

والثالث، قالوا ذلك لما رأوه كان يتغير لونه عند نزول الوحي عليه فظنوا أن ذلك لآفة فيه. ومن تأمل حقيقة ذلك علم أن من قَرَفه بالجنون به[٨] هو المجنون، لا هو، حيث قال: أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِنْ جِنَّةٍ،[٩] الآية. وقال: مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ،[١٠] أخبر أنهم لو تفكروا عرفوا أنه ليس به جنة، ولكن عن معاندة ومكابرة وجهل يقولون.[١١] ثم سموه[١٢] ساحرًا، فذلك تناقض في القول، لأنه لا يسمى ساحرًا إلا لفضل بصر وعلم، فذلك تناقض[١٣]

﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين**، تأويله -والله أعلم- يقولون له:[١٤] إنك تزعم أن الملائكة يأتونك بالوحي، فهلا أظهرتهم[١٥] لنا إذا أتوك فننظر إليهم،

---

[١] ك ن - أنهم.
[٢] ع م - فيه.
[٣] ك م: مخالف.
[٤] ك ع م: بجنون.
[٥] جميع النسخ: والهلاك من، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٤و.
[٦] ك - لهم.
[٧] خاطَرَ بنفسه يُخاطِرُ: أَشْفَى بها على خَطَرِ هُلْكٍ أَو نَيْلِ مُلْكٍ. (*لسان العرب*، «خطر»).
[٨] ك: فيه.
[٩] سورة الأعراف، ١٨٤/٧.
[١٠] سورة القلم، ٢/٦٨.
[١١] جميع النسخ: يقولون وجهل.
[١٢] جميع النسخ: وسموه.
[١٣] «ثم سموه ساحرا كما سموه مجنونا، والساحر عندهم يسمى من له فضل بصر وعلم وزيادة حذاقة فيكون ذلك تناقضا منهم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٢٤و).
[١٤] ن - له.
[١٥] جميع النسخ: فهلا أظهرت

أملائكة هم، على ما تزعم، أم شياطين؟ وقال بعضهم: لو ما تأتينا بالملائكة فيشهدون أنك رسول[1] وأنك أُرسلت على ما تدعي من الرسالة فقال:

﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ﴾[٨]

ما ننزل الملائكة إلا بالحق،[2] **وما كانوا إذًا منظرين.** قال بعضهم: إنه ليس[3] في وسع البشر رؤية الملائكة على صورتهم؛ فقال: **ما ننزل الملائكة إلا بالحق،** إلا بالموت، لو رأوهم[4] لماتوا، لما لم يجعل في وسعهم رؤية الملائكة. وهو كقوله: وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ،[5] الآية. أخبر أنه لو أنزل عليهم الملك لماتوا؛ إذ ليس في وسعهم رؤية الملك على صورته.[6] ثم أخبر أيضًا أنه لو جعله ملكًا لجعله رجلًا،[7] ويكون في ذلك لبس على أولئك. وقال بعضهم: **ما ننزل الملائكة إلا بالحق،** أي إلا بالحجج والآيات والبراهين على الرسل وعلى من هو أهل لذلك، ليس على كل أحد. وقال بعضهم: **إلا بالحق،** أي بالعذاب الذي يكون فيه هلاكهم. وهكذا أن الملائكة لا تنزل إلا بالعذاب الذي فيه هلاكهم أو بالحجج والبراهين. *والله أعلم.*

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **إنا نحن نزلنا الذكر،** يعني القرآن، **وإنا له لحافظون،** حتى لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ.[8] وفيما وَكَّلَ الحفظ إلى نفسه لم يقدر أحد من الطاغين مع كثرتهم منذ نزل موضع الطعن فيه. وذلك يدل أنه سماوي وأنه محفوظ. وقال بعضهم: **وإنا له لحافظون،** أي محمدًا عليه أفضل الصلوات، أي نحفظه بالذكر الذي أنزل عليه، كقوله: وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ،[9] وكقوله: قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي،[10] الآية.

---

[1] ع م: رسول الله.
[2] ع م + إلا بالموت.
[3] جميع النسخ: ان ليس.
[4] جميع النسخ: رأوا.
[5] ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقُضِي الأمر ثم لا يُنظَرون﴾ (سورة الأنعام، ٨/٦).
[6] ك: صورتهم.
[7] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ولَلَبَسْنا عليهم ما يَلْبِسون﴾ (سورة الأنعام، ٩/٦).
[8] سورة فصلت، ٤٢/٤١.
[9] سورة المائدة، ٦٧/٥.
[10] ﴿قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يُوحِي إليّ ربي إنه سميع قريب﴾ (سورة سبأ، ٥٠/٣٤).

أخبر أنه إنما يهتدي بما يوحي إليه ربه، فعلى ذلك يحفظه بالقرآن الذي أنزل عليه. ويحتمل[١] **الذكر** النبوة، أي **إنا نحن نزلنا** النبوة، **وإنا له**، أي لرسوله **لحافظون**[٢] على النبوة[٣] والرسالة.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾[١٠] ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين**، قيل في مِلَل[٤] الأولين، وقيل في فِرَق[٥] الأولين، وقيل في جماعات[الأولين]، وهو واحد.

وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون. يصبّر رسوله على استهزاء قومه إياه وأذاهم له.[٦] يقول -والله أعلم- لست أنت المخصوصَ بهذا ولكن لك شركاء وأصحاب في ذلك، ليَخِفَّ ذلك عليه ويهون. لأن العرف في الخلق أن من كان له شركاء وأصحاب في شدة أصابته أو بلاءٍ يصيبه[٧] كان ذلك أيسر عليه وأهون من أن يكون مخصوصًا به من بين سائر الخلائق. *والله أعلم*.

كأن هذه الآية صلة قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ،[٨] فكأنه لما سمع هذا اشتد عليه وضاق صدره بذلك، فعند ذلك قال: **ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين**، إلى آخره، يصبّره على أذاهم وهُزْئهم به. فإنما يشتد عليه ذلك على قدر شفقته ونصيحته لهم. وكان بلغ نصيحته وشفقته لهم ما ذكر: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ،[٩] وقوله: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ،[١٠] كادت نفسه تَهْلك. أو ذكر هذا له لما أن هؤلاء، أعني قومه، إنما استهزءوا به تقليدا لآبائهم واقتداءً بهم[١١] وتلقّنًا[١٢] منهم، لا أنهم أنشأوا ذلك من أنفسهم. وأولئك، أعني الأوائل،

---

[١] ك ع م + أن يكون.
[٢] ك: لحافظون له.
[٣] جميع النسخ: بالنبوة. وهو مستفاد من *الشرح*، ورقة ٤٢٤و.
[٤] ن ع م:في ملك.
[٥] ن: فريق.
[٦] ع م - له.
[٧] ك ن: أو بلاء ومصيبة؛ ع: أو بلاء مصيبة.
[٨] سورة الحجر، ٦/١٥.
[٩] ﴿لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين﴾ (الشعراء، ٣/٢٦).
[١٠] سورة فاطر، ٨/٣٥.
[١١] ك: واستهزاء بهم.
[١٢] جميع النسخ: وتلقنوا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٤و.

إنما استهزءوا برسلهم لا تقليدًا بأحد ولكن إنشاء من ذات أنفسهم. فمن استهزأ بآخر وشتمه[1] تقليدًا وإقتداء وتلقنا كان ذلك أيسر عليه وأخف ممن[2] فعل به من ذاته؛ لأنه انما يلقَّن المجانين والصبيان ومن به آفة بمثل ذلك، فهم الذين يعملون بالتلقين. وأما العقلاء والسالمون عن الآفات فلا. فذلك أهون عليه من استهزاء أولئك برسلهم. *والله أعلم*.

﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾[١٢] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **كذلك نسلكه في قلوب المجرمين**، اختلف فيه. قال بعضهم: كذلك نسلك التكذيب والاستهزاء **في قلوب المجرمين. لا يؤمنون به**، يقول: مِن حكم الله أن يَسلك التكذيب في قلب من اختار التكذيب وكذّبه، ومِن حكمه، أن يسلك التصديق في قلب من صدقه واختاره، كقوله: فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ،[3] وكقوله: وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ.[4] وقال بعضهم: قوله: **كذلك**... نجعل الكفر والتكذيب في قلوب المجرمين بكفرهم، كقوله: / وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ،[5] الآية، وقوله: وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً،[6] ونحوه. ويحتمل قوله: **نسلكه في قلوب المجرمين**، الحجج والآيات ليكون تكذيبهم وردهم الحجج والآيات[7] تكذيبَ عناد ومكابرة فلا يؤمنون به. [٣٩٣ظ]

وقوله: **كذلك نسلكه في قلوب المجرمين**، أي مثل الذي سلكنا في قلوب المؤمنين من قبول الآيات والحجج والتصديق لها،[8] لما علمنا[9] أنهم يختارون ذلك، نسلك في قلوب المجرمين من تكذيب الآيات والحجج وردها، لما علمنا[10] منهم الرد والتكذيب لها. هذا يحتمل،[11] ويحتمل غير هذا، على ما ذكرنا،[12] *والله أعلم*.

---

[1] ع م: فشتمه.
[2] جميع النسخ: من؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٤و.
[3] سورة الصف، ٦١/٥.
[4] سورة البقرة، ٢/٢٦.
[5] سورة الأنعام، ٦/٢٥.
[6] ﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرّفون الكَلِم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به﴾ (المائدة، ٥/١٣.)
[7] ن ع م: الآيات والحجج؛ جميع النسخ + وتكذيبهم.
[8] ن: بها.
[9] جميع النسخ: علم.
[10] جميع النسخ: علم.
[11] ن ع م: محتمل.
[12] ن ع م: ما ذكرنا.

وقوله عز وجل: **وقد خلت سنة الأولين**، يحتمل قوله: **وقد خلت سنة الأولين**، بالتكذيب والرد والمعاندة والمكابرة بعد قيام الحجج والآيات. ويحتمل **وقد خلت سنة الأولين**، الإهلاك[١] والاستيصال عند مكابرة حجج الله ومعاندتهم إياها.

وقال بعض أهل التأويل: **كذلك نسلكه**، أي نجعل،[٢] على ما ذكرنا،الكفرَ بالعذاب في قلوب المجرمين. **لا يؤمنون به**، أي لا يصدقون بالعذاب، **وقد خلت سنة الأولين**، بالتكذيب لرسلهم [و] بالعذاب [لهم]. فهؤلاء يستنّون بسنتهم.

وقال أبو عَوْسَجة: **كذلك نسلكه**، أي نُدخله. يقال: السالك: الداخل، والسلوك: الدخول، وسلكت: أدخلت. وتصديقه قوله: كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ،[٣] وقال: اُسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ،[٤] أي أدخِل.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ [١٤] ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء فظلوا فيه يعرجون**، يخبر جل وعلا عن سفههم وعنادهم في سؤالهم الآيات وطلبهم[٥] نزول الملائكة، بقوله: لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ.[٦] يقول: إنهم في سؤالهم[٧] الآيات وما سألوا متعنتون مكابرون[٨] ليسوا هم بمسترشدين، لكن أهل الإسلام لا يعرفون تعنتهم بالذكر حيث قال:[٩] وَأَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ، الآية، ثم قال: وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ.[١٠] وذلك[١١] أن المؤمنين كانوا يشفعون لهم بسؤالهم الآيات لعلهم يؤمنون فأخبر: وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ.

---

[١] جميع النسخ: والهلاك، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٤ظ.

[٢] ن ع م: نجعله.

[٣] ﴿كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٢٠٠-٢٠١).

[٤] سورة القصص، ٣٢/٢٨.

[٥] جميع النسخ: وطلب.

[٦] سورة الحجر ٧/١٥.

[٧] جميع النسخ: إن سؤالهم، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٤ظ.

[٨] جميع النسخ: متعنتين مكابرين، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٤ظ.

[٩] «لما أخبر عنهم الله بقوله» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٢٤ظ).

[١٠] ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يُشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ (سورة الأنعام، ١٠٩/٦)

[١١] ع: ذلك.

فعلى ذلك قوله: **ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء فظلوا فيه يعرجون**، يخبر أنهم بسؤالهم نزول الملائكة معاندون مكابرون[1] ليسوا بمسترشدين.

ثم اختلف فيه، قال بعضهم: قوله:[2] **ولو فتحنا عليهم**، يعني على الملائكة بابًا حتى رأوا وعاينوا الملائكة ينزلون من السماء ويصعدون فلا يؤمنون، **ولقالوا إنما سُكِّرت أبصارنا**، قيل: حُيِّرت وسُدَّت؛ **بل نحن قوم مسحورون**، أي سحرت أعيننا فلا نرى ذلك. وقال بعضهم: قوله: **ولو فتحنا عليهم**، أي لهم **بابًا من السماء**، كقوله: وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ،[3] أي للنُّصب.

وقوله عز وجل: **فظلوا فيه** حتى[4] **يعرجون** فيه ويعاينون نزول الآيات ويشاهدون كل شيء. **لقالوا إنما سكرت أبصارنا**، يُؤيِس رسوله وأصحابه عن إيمانهم. وقوله: **لقالوا**[5] **إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون**، يقولون ذلك لشدة تعنتهم وسفههم وينكرون معاينة ذلك.

[٣٩٤و س ٢١] *قال أبو عَوْسَجة: **فظلوا فيه**، أي صاروا يومهم يعرجون يرتفعون ويصعدون. وقال غيره: **فظلوا**، أي مالوا، كقوله: فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ،[6] أي مالت. وقال: قوله: **سُكِّرت أبصارنا**، أي حُيِّرت. يقال: تَسكَّر بصره، إذا تحيّر. وقال: يقال[7] أيضًا: تحيّرت. يقال: سكَّر الله بصره، أي حيّره؛ و سكَرت الريح تسكُر سَكرًا إذا سكنت. ويقال: ليل ساكر، أي ساكن؛ وسكَرتُ الماء أسكُره سَكْرا، أي حبسته. والسِّكر، السدّ، والسُّكور جمع. والسُّكر مصدر[8] سكِر يسكَر سُكْرا فهو سكران، وقوم سَكرى وسُكارى؛ والسَّكرة الغمرة، والغمرة الشدة. وقال عز وجل: وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ،[9] أي شدته وعَلَزه.[10] وقال القُتبي: سُكِرت، غُشيت.

---

[1] جميع النسخ: معاندين مكابرين.

[2] ع – قوله.

[3] ﴿حُرِمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردّية والنطيحة وما أكل السَّبُعُ إلا ما ذَكَّيتم وما ذُبح على النُصُب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق﴾ (المائدة، ٣/٥).

[4] ع – حتى.

[5] ع م – وقوله لقالوا.

[6] ﴿إن نشأ نُنَزّل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾ (سورة الشعراء، ٤/٢٦).

[7] ن: إذا تحير يقال.

[8] ك + والسُّكر مصدر.

[9] ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تَحيد﴾ (سورة ق، ١٩/٥٠)

[10] العلز: القلق والضجر (*لسان العرب*، «علز»).

ومنه يقال: سُكِر النهر إذا سُدّ؛ فالسِّكر اسم ما سكّرت، وسَكْر الشراب منه، إنما هو الغطاء على العقل والعين.[١] وقال الحسن: سُكرت بالتخفيف سحِرت.[٢]* [٣٩٤و س٢٨]

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾[١٦] ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾[١٧] ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **ولقد جعلنا في السماء بروجًا**، قيل: نجومًا. ويحتمل البروجُ المنازل التي ينزل فيها الشمس والقمر والنجوم. جعل لكل واحد من ذلك منزلاً ينزل في كل ليلة في منزل على حدة. ويحتمل ما ذكر من البروج هي مطالع[٤] من الشمس والقمر والنجوم [ومغاربها].[٥]

وقوله عز وجل: **وزيناها للناظرين**، يعني السماء للناظرين.

وفي قوله: **زيناها للناظرين**، دلالة [على] نقض قول من ينهى عن النظر إلى السماء من القُرّاء؛[٦] لأنه أخبر أنه زينها للناظرين؛ ولا يحتمل أن يزينها للناظرين[٧] ثم ينهى عن النظر إليها. دل أنه لا بأس للناظرين. وقال في آية أخرى: وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا،[٨] الآية، وقال في موضع آخر: وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ.[٩] وجعل الله في الشمس والقمر والنجوم منافع يهتدون بها الطرق في ظلمات الليل وجعلها مصابيح في الظلمات.[١٠] وأخبر أنه زينها للناظرين؛ لأن ما يقبح في العين من المنظر لا يتفكر الناظر فيه ولا ينظر إليه، فزينها لهم ليحملهم ذلك على التفكر فيها[١١] والنظر إليها، ليعلموا أنه تدبير واحدٍ،

---

[١] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٣٥.

[٢] جميع النسخ: وسحرت، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٤ظ؛ وإلى قول الحسن انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٣٥.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٩، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٩٤و/سطر ٢١-٢٨.

[٤] ن + ما ذكر.

[٥] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٢٤ظ.

[٦] يقال: قرأت أي صرت قارئا ناسكا، وتَقَرّأتُ تقرّؤًا في هذا المعنى.. والقارئ والمتقرئ والقُرّاء كله: الناسك (*لسان العرب*، «قرأ»).

[٧] ع م – للناظرين.

[٨] ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون﴾ (سورة الأنعام، ٩٧/٦).

[٩] ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير﴾ (سورة الملك، ٥/٦٧).

[١٠] م: في ظلمات.

[١١] جميع النسخ: فيه.

حيث جعل منافع السماء متصلة بمنافع الأرض مع بعد ما بينهما وجعل أشياء هي في الظاهر أشباهًا وهي في الحقيقة كالأضداد لها. ومنها ما هي في الظاهر أضدادًا وهي كالأشكال، نحو النور والظلمة، هي في الظاهر أضداد صارت كالأشكال حيث يضيء النجوم في ظلمات الليل حتى ينتفع بذلك أهل الأرض. وهما في الظاهر أضداد فصارت بما يظهر من منافعها كالأشكال. فإنه[1] لا ينتفع بضوء النجوم مع نور القمر ولا ينتفع بنور القمر مع ضوء الشمس، وهن أشكال بما يذهب كل واحد منهما بسلطان الآخر، كالأضداد، ليعلم أنه تدبير واحد حيث صارت الأضداد كالأشكال والأشكال كالأضداد في حق المنفعة.

وقوله عز وجل: **وحفظناها**، يعني السماء، **من كل شيطان رجيم**. ذكر أن الشياطين كانوا يصعدون السماء فيستمعون من أخبار السماء من الملائكة مما يكون في الأرض من غيث وغيره. ثم زادوا فيها ما شاءوا فيُلْقون ذلك إلى الكَهَنة، فيخبر الكهنة الناس فيقولون: ألم نخبركم بالمطر في يوم كذا وكذا، وكان حقًا؟ ثم مُنعوا[2] عن صعودهم الى السماء وأمر بحفظ السماء عنهم.[3] فجعلوا يسترقون السمع فسلط الله الشُّهُب عليهم حتى يُقذَفون. وهو قوله: وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا، / وقوله: فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ.[4] [٣٩٤و]

ويحتمل **وحفظناها**، أي أهلها من الشيطان الرجيم، لما ذكرنا من ذكر أشياء من القرية والمصر والعير وغيره، والمراد منه، أهله.[5] فعلى ذلك هذا. إلا أن أهل السماء بأجمعهم أهل ولاية الله وأهل طاعته. وأما أهل الأرض ففيهم من الغاوين الضالين، فهم أولياء أهل الشيطان،[6] كقوله: إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ،[7] الآية.

[٣٩٤و س٢٨] * وقوله عز وجل: **بروجا**، قال: إثني عشر برجا.[8] وأصل البرج[9] الحصن والقصر.

---

[1] جميع النسخ: وجعل، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٤ظ.
[2] ك ن + عن ذلك.
[3] جميع النسخ: الى السماء وحفظوا عنهم، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٤ظ.
[4] ﴿لا يسمّعون إلى الملإ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٨-١٠)
[5] يشير إلى قوله تعالى: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون﴾ (سورة يوسف، ١٢/٨٢).
[6] ن: أهل أولياء الشيطان؛ ع: أهل أهل أولياء الشيطان.
[7] ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾ (سورة النحل، ١٦/٩٩-١٠٠).
[8] ن ع م: بروجا.
[9] ع م: البروج.

وقوله: **وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع**، يقول: حفظناها من أن يصل إليها شيطان أو يعلم من أمرها شيئًا إلا استراقا ثم يتبعه شهاب مبين، أي كوكب مضيء. وقال أبو عَوْسَجة: **إلا من استرق السمع**، يقال: استرقتُ السمع، أي تغفلت[١] قومًا حتى سمعت حديثهم وهم لا يعلمون. وهكذا لو علم الملائكة أن الشياطين يسترقون السمع ويختطفون لَمَنَعوا من[٢] ذلك وامتنعوا عن التكلم به حتى لا يستمعون كلامهم وحديثهم. **وشهاب**: كوكب. وقيل: الشهاب[٣] خشبة في طرفها نار. والشُّهْبان جماعة. وقال بعضهم: **شهاب مبين**، لرسول الله كان له خاصة لم يكن قبل.[٤] *والله أعلم*. * [٣٩٤و س ٣٤]

ويحتمل حفظ السماء نفسها بالملائكة، وهو ما ذكر: وَيُقْذَفُونَ،[٦] الآية. ويحتمل الشُّهُبَ[٧] التي في غير آي من القرآن.[٨]

وقال بعضهم: الرجيم، اللعين. وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود: من كل[٩] شيطان لعين. واللعين في اللغة هو المطرود المُبْعَد وهو على ما ذكر: دُحُورًا.[١٠]

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي**، وقال في آية أخرى: وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ،[١١] يعني الجبال. في ظاهر هذا أن الأرض كأنها تضطرب وتنكفئ[١٢] بأهلها فأثبتها بالجبال وإلا من طبعها التسفل والانحدار. وكذلك الجبال من طبعها التسفل والانحدار،

---

[١] يقال: تغفّلته واستغفلته،أي تحينتُ غفلته (*لسان العرب*، «غفل»).
[٢] ن ع: عن.
[٣] ن – الشهاب.
[٤] ع م + قبل.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٩٤و/سطر ٢٨-٣٤.
[٦] ﴿لا يَسَّمَّعون إلى الملإ الأعلى ويُقذَفون من كل جانب دُحورا ولهم عذاب واصب﴾ (سورة الصافات، ٨/٣٧-٩)
[٧] ن ع: بالشهب.
[٨] يشير إلى آيات وردت في هذا السياق، مثل: ﴿إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب﴾ (سورة الصافات، ١٠/٣٧)، ﴿فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا﴾ (سورة الجن، ٩/٧٢).
[٩] ك ع م + من كل.
[١٠] ﴿لا يَسَّمَّعون إلى الملإ الأعلى ويُقذَفون من كل جانب دُحورا ولهم عذاب واصب﴾ (سورة الصافات، ٨/٣٧-٩).
[١١] سورة الأنبياء، ٣١/٢١.
[١٢] انكفأ: مال (*لسان العرب*، «كفأ»).

فكيف كان ثباتها بشيء طبعه التسفل والتسرب[1] إلا أن يقال: إن طبعها كان الاضطراب والانكفاء فأثبتها بالجبال عن الاضطراب والانكفاء. أو أن يقال: من طبعهما ما ذكرنا[2] [من] التسفل والانحدار، إلا أن الله بلطفه أثبت ما هو طبعه التسفل بما[3] هو طبعه كذلك ليعلم لطف الله وقدرته. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[4]

وقوله عز وجل: **وأنبتنا فيها من كل شيء موزون**، قال بعضهم: **فيها**، يعني في[5] الجبال، **من كل شيء موزون**، أي ما يوزن من نحو الذهب والفضة والحديد والرصاص ونحوه مما يستخرج منها. وهذا كأنه ليس بصحيح؛ لأنه لا يقال في الذهب والفضة والحديد إنه أُنبت في الأرض كما يقال ذلك لنبات وما ينبت فيها. وإنما يقال للذهب والفضة والحديد: جعلنا[6] فيها أو خلقنا[7] فيها. وقال بعضهم: **وأنبتنا فيها**، يعني في الأرض من كل ألوان النبات، **موزون**، أي معلوم مقدّر بقدر، كقوله: وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ،[8] *ليس على الجزاف على ما يكون من فعل جاهل على غير تدبير ولا تقدير. *والله أعلم*. ويحتمل **وأنبتنا** في الأرض ما يصير موزونا في الآخرة من الحبوب التي تخرج من الزروع. *والله أعلم*.*

ويحتمل قوله: **من كل شيء موزون**، ما لو اجتمع الخلائق لم يعرفوا قدر ما يزداد وينمو من النبات في لحظة واحدة وطرفة عين في أول ما يخرج ويبدو من الأرض، وذلك موزون عنده معلوم قَدرُه، ليعلم لطفه وتدبيره وقدرته وعلمه وأنه تدبير واحدٍ حيث لم يختلف ذلك و لم يتفاوت. *والله أعلم*.[10]

---

[1] ن + ما ذكرنا التسفل.

[2] ع: ما ذكر.

[3] ع م: ما.

[4] انظر: سورة الرعد، الآية ٢.

[5] ك – في.

[6] ن: وجعلنا.

[7] ع: أي خلقنا.

[8] سورة الحجر، ٢١/١٥.

* ما بين النجمتين مأخوذ من *الشرح* ورقة ٤٢٥و، ومن نسخة مدينة ٤٧٩ظ. وفي عبارة جميع النسخ تقديم وتأخير مخل بالمعنى، وهي هكذا: «وأنبتنا فيها بمعنى في الأرض من كل ألوان النبات موزون أي معلوم مقدر بعدد كقوله وما ننزله إلا بقدر معلوم ليس على الجراف على ما يكون من فعل جاهل على غير تدبر ولا تقدير».

[10] وقع هنا مقطعان من تفسير الآيات السابقة برقم ١٤–١٥، وبرقم ١٦–١٨ فقدمناهما إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٩٤و/سطر ٢١–٢٨، و ٢٨–٣٤.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾[٢٠]

وقوله: **وجعلنا لكم فيها معايش**، أي في الأرض والجبال. وقوله عز وجل: **ومن لستم له برازقين**، قال الحسن: أي جعلنا لكم[١] في الأرض معايش: ما تعيشون به ولمن حولكم أيضًا، جَعل فيها معايش لا ترزقونه أنتم، إنما ذلك على الله هو يرزقهم وإياكم. وقال بعضهم: **ومن لستم له برازقين**، الوحوش والطيور.[٢] وأما الأنعام فإنها تَشْرَكُ[٣] البشرَ في المعايش. و[لكن] كان غير هذا أقرب وأوفق، وهو أن أهل مكة كانوا[٤] يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون: نحن ربّيناه وغَذّيناه وأنفقنا عليه ورزقناه ثم فعل بنا كذا، فخرج هذا جوابًا لهم: **وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين**، / أي محمدًا. [٣٩٤ظ]

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **وإن من شيء إلا عندنا خزائنه**، يحتمل هذا -والله أعلم- **وإن من شيء** يُخزَن في الخلق **إلا عندنا خزائنه**،[٥] أي إلا عندنا تلك الخزائن، أي ما تخزنون من الأشياء فتلك عندنا وفي خزائننا.

وما ننزله إلا بقدر معلوم، على هذا [التأويل] **وما ننزله**، أي ما نعطيه **إلا بقدر معلوم**، أي وإن كان عندكم مخزونًا محبوسًا فإن ذلك كله في[٦] خزائنه، أعطى من شاء وحرَم من شاء.

ويحتمل قوله: **وإن من شيء إلا عندنا خزائنه**، الخزائن هي الأمكنة الخفية التي تُخزن فيها الأموال، والبواطن[٧] من الأرض؛ يقول -والله أعلم- وإن من شيء كان في بواطن الأرض وأمكنة خفية إلا عندنا تدبير ذلك وعلمه. يخبر أن تدبيره وعلمه في الخفيّة من الأمكنة كهو في الظاهر؛ لا يخرج شيء عن تدبيره وعلمه، بل كل ذلك في تدبيره وعلمه.

وقال الحسن: **وإن من شيء إلا عندنا خزائنه**، أي الماء الذي به جعل[٨] حياة كل شيء

---

[١] ك – لكم.
[٢] ع م: الوحش؛ جميع النسخ: والطير، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٥و.
[٣] جميع النسخ: فإنه قد أشركهم، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٥و.
[٤] ن ع م: كأنهم.
[٥] ع – يحتمل هذا والله أعلم وإن من شيء يخزن في الخلق إلا عندنا خزائنه.
[٦] ع م – في.
[٧] جميع النسخ: وبواطن.
[٨] ك: جعل به.

ولا يخرج شيء عن منافعه، فهو خزائن الأشياء كلها، وبه قوام كل شيء.[1] وقال:[2] ألا ترى أنه قال: **وما ننزله إلا بقدر معلوم**، وذكر الإنزال وهو الذي ينزل من السماء طاهرًا.

هذا الذي قاله محتمل، لكن تمامه أن يقال: إن الماء خِزانة، والخزانة هي الموضع الذي يخزن فيه. وفي الماء قوة ومعنى يكون فيه حياة الخلق ومنافعُهم فيما جُعل فيه لا في نفس الماء. ألا ترى أنه يصيب عروق الشجر فيظهر منافعه في غصونها في أعلاها. فثبت أن فيه قوة سِرِّية ومعنًى يكون المنافع بها لا بنفس الماء. ***والله أعلم بذلك.***

ثم ما ذكر من الخزائن والرياح والماء والمطر وغير ذلك من النعم يذكر على الاحتجاج عليهم؛ لأنه إنما أنشأ هذه الأشياء وخلقها لهؤلاء، لا أنه أنشأها لنفسها. فإذا كان أنشأها لهم فلا يحتمل أن يتركهم سدى:[3] لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يمتحنهم ولا يجعل لهم عاقبة يثابون ويعاقبون[4] [عليها]. ولذلك قال في آخره: وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ.[5]

وقوله عز وجل: **إلا بقدر معلوم**، على التأويل الأول ما ذكرنا، أي ما نعطيه إلا بقدر معلوم وإنْ خَزَنه وحبسه. ويحتمل: **إلا بقدر معلوم**، أي بقدر[6] سابق معلوم ذلك.[7] إن[8] كان على هذا فإنه يدل على أن ما[9] يكون ويحدث إنما يكون لقدر سابق لا يكون غيرُ ما سبق تقديره. أو **بقدر معلوم**، محدود؛ أي ليس ينزل جُزافا ولكن معلوما محدودا. ***والله أعلم.***

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **وأرسلنا الرياح لواقح**، قال بعضهم: **لواقح**، حوامل. [و]قال بعضهم: هذا لا يصح؛ لو كان على هذا لكان مَلاقِح ومُلقِحات.

قال أبو عَوْسَجة: **لواقح** تُلقح الشجر، أي تُنبت ورقها وهي مُلقِحة. وقال: يقال ناقة لاقح، أي حامل قد حملت؛ ونُوق لواقح. ويقال: وحرب لاقح، أي شديدة. وسحاب لاقح،

---

[1] *تفسير القرطبي*، ١٠/١٤.
[2] ن – وقال، صح هـ.
[3] ع م – سُدًى.
[4] ك ع م: ويعاتبون.
[5] سورة الحجر، ١٥/٢٥.
[6] ع م – معلوم أي بقدر.
[7] ع م + أي.
[8] ك: و إن؛ م: إذا.
[9] م – ما.

الذي فيه ماء أي مطر. وريح لاقح، أي مُلقِح تُلقِح[١] الشجر أي تُنبت ورقه وحمْلَه. ويقال: [ريح] يُلقِح.[٢] ويقال: ألقَح الرجل، إذا لقحتْ إبِلُه، أي حملت، ورجل مُلْقَح.[٣] واللَّقوح، الناقة التي معها ولد صغير، والجمع لِقاح، وجمع الجمع لقائِح. واللُّقَح اللواقح وهي الحوامل من الإابل.

قال القُتبي: قال أبو عبيدة: لواقح إنما هي مَلاقح، جمع مُلقِحة.[٤] يريد أنها[٥] تُلقِح الشجر وتلقح السحاب كأنها تنتجه.[٦] واللواقح المنتجة الثمارِ من الأشجار والسحاب وغيره. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين**، هو ما ذكرنا على التأويل الأول[٧] في قوله:[٨] وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ.[٩] **وما أنتم له بخازنين**. وعلى تأويل الحسن هو ما ذكر من الماء والمطر، **وما أنتم له بخازنين**، أي حابسين لِما جرى به الذكر من المطر والماء الذي ذكر أنه أنزل من السماء. ويحتمل **وما أنتم له**، أي لله **بخازنين**، أي ليست خزائنه في أيديكم ولا بيد أحد، ولكن بيد الله عز وجل. وعلى تأويل الآخر: **وما أنتم له بخازنين**، بمدبرين ما خُزن في الأرض ودُفن.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون**، أي الباقون. يفني الخلق كله فيبقى هو. ولذلك سُمِّي مَن خلف الميت وارثا، لأنه يموت ويبقى الوارث وهو باق. وكذلك يخرج قوله:[١٠] إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا،[١١] *والله أعلم*.

---

[١] ن ع م: يلقح.
[٢] ك: تلقح.
[٣] ك م: تلقح.
[٤] ن: ملحقة.
[٥] م – أنها.
[٦] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٣٦.
[٧] ك ع م – الأول.
[٨] ك + في قوله.
[٩] الآية السابقة.
[١٠] ك – قوله.
[١١] ﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يُرجعون﴾ (سورة مريم ٤٠/١٩).

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾[٢٤] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين**، قال بعضهم: **ولقد علمنا المستقدمين**، من المكذبين منكم ما حل بهم بالتكذيب، وقد علمنا المستأخرين من المكذبين منكم. وقال بعضهم: ولقد علمنا من كان منهم[1] ومات، وعلمنا المستأخرين من يكون منهم ويولد. ولذلك قال: **وإن ربك هو يحشرهم**، من مضى ومن بقي ولم[2] يكن بعد إلى يوم القيمة. وقال الحسن: **ولقد علمنا المستقدمين منكم**، في الخير والمستأخرين في الشر. وقال بعضهم: في الصف الأول والآخر، لكنه بعيد.

وقوله عز وجل: **إنه حكيم عليم**، الحكيم هو الذي يضع الأشياء مواضعها؛ والثاني هو الذي يجعل الأشياء[3] مواضعها.[4] فالأول قد يعرف الخلق وضعَ الأشياء مواضعها. وأما الثاني فلا يكون ذلك إلا بالله. وقوله: **عليم**، [أي] عليم بمصالح الخلق وما لهم وما عليهم، أو عليم بوضع الأشياء مواضعها.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون**، وقال في آية أخرى: خَلَقَكُم مِّن طِينٍ،[5] وقال:[6] مِّن طِينٍ لَّازِبٍ،[7] وقال / في آية أخرى: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ،[8] وقال: خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ.[9] ذكر مرة الحمأ المسنون -وقيل: هو الطين الأسود المتغير- وذكر مرةً التراب، ومرة الطين اللازب -وهو الملتزق- ومرة من سلالة الطين. فيشبه أن يكون على الأحوال واختلاف الأوقات؛ كان في حال الأول ترابًا، وفي حال طينا لازبًا، [٣٩٥و]

[1] ع: منكم.
[2] جميع النسخ: لم، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٥ظ.
[3] ك ع م: للأشياء.
[4] ع م: موضعها.
[5] ﴿هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون﴾ (سورة الأنعام، ٢/٦).
[6] ن + في آية.
[7] ﴿فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب﴾ (سورة الصافات، ١١/٣٧).
[8] سورة المؤمنون، ١٢/٢٣.
[9] ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم﴾ (سورة الحج، ٥/٢٢).

وفي حال حمأ مسنونا، وهو الذي اسوَدّ وتغير لطول مكثه، وصلصالًا وفَخّارا.[١] فقبل أن يكون خلقا مركَّبًا الجوارحُ فيه والعظام كان عليه هذه الأحوال الثلاثة على ما أخبر من تغير أحوال أولاده حيث قال: ﴿خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ﴾،[٢] ذكر فيه أحوالا ثلاثة قبل أن يخلق لحمًا وعَظما، في حال كان نطفة ثم صار علقة ثم صار مضغة. فعلى ذلك يحتمل ما ذكر في آدم من تراب وطين وحمأ ونحوه أن كان على اختلاف الأحوال على ما ذكرنا، أو أن يكون على التشبيه والتمثيل. ووجه التمثيل بالطين الذي ذكر، وهو أن الطين الذي يكون كالصلصال والفَخّار واللازب ونحوه هو الطين الطيب الذي يكون منه البنيان والأواني والقدور وجميع أنواع المنافع. وأما الطين الذي يَخبُث فإنه لا يُتخذ منه شيء مما ذكرنا،[٣] ولا يتهيأ اتخاذ شيء من ذلك. فشبه خلق آدم بالطين الذي يجتمع فيه جميع أنواع المنافع. فعلى ذلك جُمع في آدم جميع أنواع المنافع والخير كالطين الطيب. ثم فيه دلالة قدرته وسلطانه وذكرُ نعمه، حيث أخبر أنه خلق آدم من تراب وطين وما ذَكر؛ وليس في التراب ولا في الطين من أثر البشرية شيء؛ وكذلك ليس في النطفة التي خُلق البشر منها [مِن] أثر البشرية[٤] شيء، ليعلم أنه قادر على إنشاء الأشياء من شيء ومن لا شيء. إذ ليس فيما ذكر من الطين والتراب الذي خَلق منه أبا البشر، من أثر البشرية[٥] شيء؛[٦] ولا في النطفة التي خلق منها أولاده من أثر البشرية والإنسانية: من اللحم والعظم والشعر وغيره وما ركب فيهم من العقل والعلم والتدبير والجوارح وغير ذلك شيء؛ ليُعلم قدرته وسلطانه على خلق الأشياء لا من شيء وليَعرفوا نعمه التي أنعمها عليهم، حيث أخبر أنه خلق آدم من طين لازب وصلصال وما ذكر. وذلك[٧] وصف الطين الطيب، لأن ما خبث من الطين لا يبلغ المبلغ الذي وصفه[٨] ولا يصير إلى تلك الحال، وإن طال مكثه، لأنه لا يُنتفع به لا من اتخاذ البنيان والأواني والقدور ولا يُنبت الزروع أيضًا. فيحتمل على التمثيل الذي ذكرنا،

---

[١] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾ (سورة الرحمن، ١٤/٥٥).

[٢] ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين﴾ (سورة الحج، ٥/٢٢).

[٣] ع م + ولا يتخذ.

[٤] ن + فيه.

[٥] جميع النسخ + فيه.

[٦] ك – شيء؛ ن – ليعلم أنه قادر على إنشاء الأشياء من شيء ومن لاشيء. إذ ليس فيما ذكر من الطين والتراب الذي تخلق منه أبا البشر من أثر البشرية شيء.

[٧] ن: ولذلك.

[٨] ك ن: وصف.

لا على التحقيق أو على التحقيق على الأحوال المختلفة. فدل أنه إنما خلقه من طين طاب أصله، فعلى ذلك يحتمل النطفة التي يخلق منها البشر تكون طاهرة وهي لا تصيب شيئًا وهي على غير الوصف الذي[1] يخرج، لأنه قال: مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ،[2] وقال: مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ.[3]

والصلصال، قال بعضهم: هو التراب اليابس. والحمأ الطين الأسود. والمسنون المُنتِن المتغير.[4] وقال بعضهم: الصلصال هو الذي إذا ضربته تَصَوَّت، ومنه يقال: صلصلة اللجام والفرس، إذا كان يصلصل. وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.

وقال القُتبي: الصلصال الطين اليابس الذي لا يصيبه النار فإذا نقرته صوّت، فإذا مَسّتْه النار فهو فَخّار. والمسنون، المتغير الرائحةِ، والمسنون أيضًا المصبوب. وسنَنَت الشيءَ، إذا صببته صبا سهلا. وسُنّ الماءُ على وجهك، وهو قول القُتبي.[5]

وقال أبو عَوْسَجة: **من حمأ مسنون**، الحمأ التراب الأسود يكون في أسفل البئر، ومن هذا سمي الحمأَ،[6] لأنه يحمي [من] أن يرعي، ويقال: حَمِيت الحربُ والشمس، والتنّور يحمَى إذا أشتد حرُّه. **ومسنون**، أي مخلوق. وقال الحسن: المسنون، الذي سُنّ عليه خِلقة الخَلق، يعني [سن] أولاده على خِلقته،[7] أي على خلقته خلق الخلق، وأمثال هذا. ***والله أعلم بذلك.***

﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **والجان خلقناه من قبل من نار السموم**، قال بعضهم: **الجان** هو إبليس. وقال[8] بعضهم: **الجان** هو أبو الجن، وإبليس هو أبو الشياطين. سُمُّوا شياطينَ لتمردهم في فعلهم، وذلك[9] مقتدر من فعلهم. ألا ترى أنه ذكر من الإنس والجن شياطين، وهو قوله: شَيَاطِينَ الْإِنْسِ والْجِنِّ،[10] وذلك لتمردهم. والجان مقتدر من[11] الجن. ***والله أعلم بذلك.***

---

[1] ع م – الذي.

[2] ﴿فلينظر الإنسان مم خُلق. خلق من ماء دافق﴾ (سورة الطارق، ٨٦/٥-٦).

[3] ﴿ ثم جَعَل نسله من سلالة من ماء مَهين﴾ (سورة السجدة، ٣٢/٨).

[4] ك: المتغير المتن.

[5] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٣٧-٢٣٨.

[6] ك: الحمى.

[7] ك م: خلقة. «فهو سنة للخلق من بعده من ذريته» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٢٦و).

[8] ع م: قال.

[9] ك – ذلك؛ ن ع م: ذلك؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٦و.

[10] ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾ (سورة الأنعام، ٦/١١٢).

[11] جميع النسخ: عن، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٦و.

والسموم، قال بعضهم: السموم[1] لهب النار[2] وليس له دخان، وهو المارج من نار. والمارج هو المنقطع منها. وقال بعضهم: هو[3] من جنس النار، كأنه أراد لهبها. وقال [بعضهم]:[4] **نارِ السموم،** الحارة التي تقتل. فإن كان السموم -والمارج ما ذكر بعضهم أنه لهب النار- فمِن طبعه الارتفاع والعلوّ. فعلى ذلك ما خلق منه طبعه الارتفاع والعلو، وهو الجان الذي ذكر. والطين طبعه التسفل[5] والانحدار إلى الأرض. فعلى ذلك ما خلق منه طبعه الهُوِيّ إلى الأرض والميل إليها.

والجانّ، قال[6] أبو عَوْسَجة: الجن واحد الجان، والجمع جان؛ سمي بذلك[7] لاستجنانه. وقال غيره: الجن الجماعة والجان الواحد.

* وقال الحسن:[8] في قوله: **من صلصال من حمأ مسنون،** قال: الصلصال هو الطين الحار[9] [٣٩٥ظ س١٦ الذي يتصلصل من صلابته ويبوسته. والحمأ الطين. والمسنون، قال: مسنون خِلْقتُه فهو سنّة للخلق بعده من ذريته أن يُخلقوا على خلقته. وقال في قوله:[10] وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ،[11] يقول: استلّها من بين ظَهْراني الطين، لا من كل طين خلقه. وكذلك قال في تناسل ذريته، وهو قوله: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ،[12] ليس من كل ما خلقه، ولكن استلها من بين ظهراني الماء. وقال: الجان إبليس هو أبو الجن. **خلقناه من قبل،** أي من قبل آدم، **من نار السموم.** يقول: السموم،[13] هو اسم من أسماء جهنم، ولها أسماء كثيرة. أخبر أنه خلقه من نار السموم، أي جهنم. ***والله أعلم.*** * ٣٩٥ظ س٢٢]

---

[1] ك ع م - هو.
[2] ك م + كأنه.
[3] ن + هو.
[4] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٢٦و.
[5] م: السفل.
[6] ع: وقال.
[7] جميع النسخ: ذلك
[8] ع - وقال الحسن.
[9] جميع النسخ: الحر.
[10] جميع النسخ: وكقوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٦و.
[11] سورة المؤمنون، ١٢/٢٣.
[12] سورة المؤمنون، ١٢/٢٣.
[13] ن - يقول السموم.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فنقلناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٩٥ظ/سطر ١٦-٢٢.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[٢٨] ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرًا من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته**، أي أتممته **ونفخت فيه / من روحي**، وقال في آية أخرى: فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا؛[١] لم يشتبه [٣٩٥ظ] هذا على الناس ولم يفهموا من قوله: **ونفخت فيه من روحي**، ونَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا،[٢] ما فهموا من نفخ الخلق. فما بالهم فهموا من قوله: ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ،[٣] واسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ،[٤] ونحوه استواءَ الخلق، بل فَهْم نفخه[٥] من فهم نفخ الخلق أقرب[٦] من استوائه،[٧] لأنه أمكن صرف الاستواء إلى وجوه ولا يمكن صرف النفخ[٨] [إلا إلى وجه واحد]. لكنه اشتبه عليهم لأنهم اقتدروا[٩] فعل الله بفعل الخلق، ولا يجب أن يقتدروا بالخلق على ما لم يقتدروا في قوله: حدود الله،[١٠] وحكم الله،[١١] وعباد الله،[١٢] وخلق الله،[١٣] وأمثاله. وقد أخبر أنه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.[١٤] أو [هو] تلقين من الشيطان.

وقوله: **من روحي**، ورُوحِنَا،[١٥] أي الروح الذي به حياة الخلق، أي [من] خلقي[١٦] الذي يكون به حياة الخلق على ما ذكرنا.[١٧]

---

[١] ﴿ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾ (سورة التحريم، ١٢/٦٦).

[٢] ﴿والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾ (سورة الأنبياء، ٩١/٢١).

[٣] ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ (سورة الأعراف، ٥٤/٧).

[٤] ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها﴾ (سورة فصلت، ١١/٤١).

[٥] ن: نفخته.

[٦] جميع النسخ: أكثر، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٦و.

[٧] أي فهم نفخ الله تعالى على نحو نفخ المخلوق أقرب وأسهل من فهم استوائه تعالى على نحو استواء المخلوق.

[٨] جميع النسخ + فيه. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٢٦و.

[٩] قدر الشيء بالشيء: قاسه. واقتدر أيضا بمعنى قدر (*لسان العرب*، «قدر»).

[١٠] ﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها﴾ (سورة البقرة، ٢٢٩/٢).

[١١] ﴿ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم﴾ (سورة الممتحنة، ١٠/٦٠).

[١٢] ﴿عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا﴾ (سورة الإنسان، ٦/٧٦).

[١٣] ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾ (سورة الروم، ٣٠/٣٠).

[١٤] سورة الشورى، ١١/٤٢.

[١٥] سورة الأنبياء، ٩٢/٢١.

[١٦] ع م: خلق.

[١٧] «لكن أضافه إلى نفسه لأنه خلقه كسائر الخلائق فأضافه إلى نفسه من باب الكرامة، كقوله: ﴿ناقة الله﴾ [سورة الأعراف، ٧٣/٧] وقوله: ﴿أن طهرا بيتي﴾ [سورة البقرة، ١٢٥/٢] ونحو ذلك» ما (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٢٦و).

وقوله عز وجل: **فَقَعُوا له ساجدين،** يحتمل أن يكون [صلة] قوله: **[إني] خالق بشرًا،** مما ذكر أخبر [لهم][1] أنه سيفعل وأمرهم[2] بالسجود؛ فيكون الأمر بالسجود بعد[3] خلقه إياه. فهذا يدل أنه قد يجوز تقدم الأمر على[4] وقت الفعل. *والله أعلم.*

﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾[٣٠] ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين،** ظاهر الأمر بالسجود، والاستثناء الذي ذكر يدل أن إبليس من الملائكة، لأن فيهم كان الأمر بالسجود ومنهم وقع الثُّنيا. وقد ذكرنا اختلافهم وأقاويلهم فيما تقدم مقدار ما حفظناه.[5] والأصل بأن كل ما خرج مخرج الاستثناء يجب[6] أن يُسقط[7] اسم ما أجمل، نحو قول الرجل لآخر:[8] "لك عليّ عشرة إلا درهما"[9] يُسقط الاستثناءُ اسم[10] ما أجمل من الاسم حتى صار[11] تسعة. وكذلك إذا قال: "ألفٌ إلا خمسين." وإذا لم يسقط ذلك الاسم فلا بد أن يكون الكل فيه مضمرًا، نحو قول الرجل: "رأيت[12] علماء بلدة كذا إلا فلانًا"، يجب أن يضمر فيه حرف الكل حتى يقع على كل، نحو أن يقول: "رأيت كل علماء بلدة كذا إلا فلانًا"، فعلى ذلك تخصيص العموم.

﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾[٣٢] ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين. قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون،** وقال في موضع آخر: إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ.[13]

---

[1] جميع النسخ: خبر. والتصحيح والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٢٦و.
[2] جميع النسخ: وأمر لهم.
[3] جميع النسخ: بعد ما.
[4] جميع النسخ: عن.
[5] جميع النسخ: +قال. انظر: سورة البقرة، ٣٤/٢، وسورة الأعراف، ١١/٧.
[6] جميع النسخ: فيجب.
[7] ن ع م: أن تسقط.
[8] ن – لآخر.
[9] جميع النسخ: درهم.
[10] ن ع م – إسم.
[11] ك – صار.
[12] ن: ما رأيت.
[13] ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾ (سورة البقرة، ٣٤/٢).

وقال له: يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ،[١] وقال في موضع آخر: مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ،[٢] وقال في موضع آخر: مَا مَنَعَكَ أَنْ[٣] تَسْجُدَ،[٤] وقال في موضع آخر: خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ،[٥] ذكر مثل هذا على اختلاف الألفاظ. ومعلوم أن هذه المخاطبات معه لم تكن[٦] مرارًا ولكن بمرة واحدة.

وقال أبو بكر الأصم: ذكر الله قصة إبليس وقصة الأنبياء جميعًا في مواضع على اختلاف الألفاظ، لأنها كذلك كانت في كتبهم، فذكرها على ما في كتبهم، ليعلموا أن نبي الله إنما عرف ذلك بالله ليدلهم على صدقه. وفيه دلالة أن اختلاف الألفاظ وتغيرها[٧] لا يوجب اختلاف الحكم بعد أن لا يُغيَّر المعنى. فهذا يدل أن الخبر إذا أدي معناه على اختلاف لفظه فإنه يجوز. وكذلك إذا قَرأه[٨] بغير اللسان الذي أنزل فإنه يجوز إذا أتي بمعناه. *والله أعلم*.

﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **قال فاخرج منها فإنك رجيم**، قوله: **فاخرج منها**، قال بعضهم: اخرج من السماء إلى الأرض؛ وقال بعضهم: اخرج من الأرض إلى جزائر البحر وقال بعضهم: اخرج من الجنة وأمثاله؛ أو اخرج من صورة الملائكة إلى صورة الأبَالِسة. وجائز أن يقال: اخرج من كذا، أي تحول من مكان كذا إلى مكان كذا، على غير حقيقة الخروج. ولسنا ندري كيف كان ذلك.[٩]

وقوله **رجيم**، قيل: الرجيم: الملعون، وقيل: الرجيم ما يرجم بالكواكب.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين**، اللعنة هي الطرد في اللغة، والخذلان. طرد عن رحمة الله إلى يوم الدين حتى لا يهتدي إلى دين الله وهداه. ثم يومَ الدين له العذاب الدائم واللعنة القائمة.

---

[١] سورة الحجر، ٣٢/١٥.
[٢] ع م – وقال في موضع آخر ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك. سورة الأعراف، ١٢/٧.
[٣] ن: ألا.
[٤] ﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين﴾ (سورة ص، ٧٥/٣٨).
[٥] ﴿قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ (سورة الأعراف ١٢/٧؛ وسورة ص، ٧٦/٣٨).
[٦] جميع النسخ + معه.
[٧] جميع النسخ: وتغييرها، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٦ظ.
[٨] ك م: إذا قرأ؛ ع: إذا قرء.
[٩] ن ع م: كذلك.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **قال رب فانظرني إلي يوم يبعثون**،[١] لعن اللعين وطرد عن رحمة الله إلى يوم الدين، أي لا تدركه[٢] الهداية، لأن الهداية في الدنيا إنما تدركه[٣] برحمته، والرحمة في الآخرة هي العفو عما لزمه ووجب عليه.

مسألة تكلموا فيها. ما الحكمة في خلق الله تعالى إبليس مع علمه ما يكون من إفساد[٤] خلقه والدعاء إلى المعاصي، وإنظارِه إلى يوم الوقت المعلوم وقد علم أنه إنما ينظره ليفسد عباده، فمع ما علم ما يكون منه فما الحكمة في خلقه؟

قال بعضهم: خَلق إبليس وأهل المعاصي مع علمه ذلك ليُعلم أنه لم يَخلق لمنافع نفسه ولا لحاجة نفسه وأن معاصيه / لا تضره ولا تدخل نقصانًا في ملكه؛ فخلقه مع علمه بما يكون [٣٩٦و] منه ليعلم أنه لم يَخلق الخلق لمنافع[٥] نفسه ولا لحاجته ولكن لمنافع أنفسهم ولحاجاتهم. وقال بعضهم: خلق الأعداء والأولياء نظرا للأولياء، ليعلم أولياؤه الاختصاص الذي اختصهم به، ولو كانوا جميعًا أولياءه لم يعرفوا[٦] فضيلة الله واختصاصه إياهم. وهكذا النعم وإحسان الله لا تعرف[٧] بنفس النعم ونفس الإحسان، وإنما تعرف[٨] بالبلايا والشدائد التي تحل. فعلى ذلك الأولياء، لو لم يكن الأعداء لم يعرفوا اختصاص الله لهم وفضائله التي أكرمهم بها.[٩]

وأصله أن الله عز وجل جائز أن ينشئ أشياء فيها حكمة وسرّيّة لا يبلغها علم الخلق ولا يدركها حكمة البشر، على ما جعل النعم الظاهرة فيها حكمة ومعنى[١٠] لا يبلغها[١١] علم الخلق ولا حكمة البشر. وكذلك البلايا والشدائد، فيها حكمة لا يبلغها علم الخلق.

---

[١] جميع النسخ + قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، وهي الآية التالية.
[٢] ن ع: لا يدركه.
[٣] ن ع م: يدركه.
[٤] ك ن ع: منه من إفساد.
[٥] م – لمنافع.
[٦] ك: لم يعلموا.
[٧] ن ع م: لا يعرف.
[٨] جميع النسخ: وإنما يعرف.
[٩] في نسخة ك وَ ن بياض قدر ربع سطر. جميع النسخ + وقال بعضهم خلق الأعداء نظرا للأولياء على ما ذكرنا، لكن من وجه آخر. لعل هذه العبارة زائدة، ولا توجد في *الشرح*. انظر: ورقة ٤٢٦ظ، ونسخة مدينة ٤١٨ظ.
[١٠] جميع النسخ: معنى.
[١١] جميع النسخ: لا يبلغه.

فعلى ذلك جائز أنه خلق إبليس والعصاة والغواة لحكمة[1] [له] في ذلك[2] لا يبلغها علم الخلق ولا يدركها حكمة البشر على ما ذكرنا من النعمة الظاهرة والشدائد الظاهرة. والأصل[3] أن الله تعالى خلق الخلق على علم منه أنهم يعصون ويعادون، لكن كان لهم من الاختيار والإيثار ما به نجاتهم وهلاكهم إذا اختاروا ذلك. فإذا اختاروا ما به نجاتهم نجوا، وإذا اختاروا ما به هلاكهم هلكوا. فيكون هلاكهم باختيارهم ونجاتُهم باختيارهم.[4] وأصله ما ذكرنا في غير موضع أنه أنشأهم في هذه الدنيا ليمتحنهم فيها، فخلق[5] ما ذكر من إبليس وغيره من الأعداء ليتم لهم المحنة، وفي ترك خلق ذلك ذهاب المحنة، وهي دار الامتحان.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾[٣٧] ﴿إِلَى يَومِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم**، قال بعض أهل التأويل: إلى النفخة الأولى، وقيل: إلى النفخة الثانية ونحوه، لكنا لا نعلم ذلك. وكأنه تعالى أنظره إلى الوقت المعلوم ولم يبين له ذلك الوقت ولم يُطلعه عليه، حيث قال: وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ، الآية،[6] أخبر أنه يرى ما لا يرون هم وأنه يخاف الله. ولو كان بين له الوقت المعلوم لكان لا يخاف هلاكه قبل ذلك الوقت. فهذا يدل على[7] ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٣٩]

وقوله عز وجل: **قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض**، قال الحسن: قوله: **بما أغويتني**، أي لعنتَني. وهذا منه احتيال وفرار عن مذهب الاعتزال. وما يلزمهم في قوله: **أغويتني**، يلزم في قوله: لعنتني، لأن اللعن هو الطرد فإذا طرده عن رحمته فقد خذله في الطرد. والإغواء والاضلال سواء فيلزم في اللعن ما يلزمهم في الإغواء. وقال أبو بكر الأصم: الإغواء واللعن من الله شَتم. لكن هذا بعيد، [إذ] لا يجوز أن يضاف إلى الله الشتم [وأن يقال]: إنه يشتم؛[8]

---

[1] جميع النسخ + جعل.
[2] جميع النسخ + حكمة.
[3] جميع النسخ: وأصله، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٦ظ.
[4] ع – ونجاتُهم باختيارهم.
[5] جميع النسخ: وفي خلق، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٦ظ.
[6] ﴿وإذ زَيَّن لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب﴾ (سورة الأنفال، ٨/ ٤٨).
[7] ك ن – علي.
[8] م: شتم.

لأن الشاتم والسابّ لآخر في الشاهد[1] مذموم عند الخلق. فلا يجوز أن يضاف إلى الله ما به يُذم. وأصله أن قوله: **ربّ بما أغويتني**، يحتمل أنه خلق فعل الغواية منه، أو أغواه لما علم أنه يختار الغواية والضلال.

وقوله: **رب بما أغويتني لأزين لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين**، كأنه يقول: رب بما أغويتني لأزيدنّ لهم في الغواية بما يغويهم.[2] وقد ذكرنا هذا وأمثاله فيما تقدم.[3]

فإن قيل: قوله: **أغويتني**، قول إبليس وهو كاذب بالإضافة إليه.

قيل: لو كان فيما أضاف إليه الإغواء كاذبًا لكذّبه فيه وورد عليه قوله، كما كذبه في قوله وردّ عليه: أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن كذا وَخَلَقْتَهُ مِن كذا،[4] حيث قال:[5] قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا،[6] فلما لم يردّ عليه ولم يكذبه فيما أضاف إليه حرف الإغواء، دل أن إضافة الإغواء إليه[7] والإضلال حقيقة. أو أن يكون قوله: خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ، إنما ذلك منه ذكْرُ فضلِه وإحسانه، حيث أخبر أنه خلقه مما هو أفضل وأعظم مما خلق آدم فيخرج ذلك منه[8] مخرج الشكر. وأما قوله: [**بما**] **أغويتني**، ليس على ذلك، فلا يحتمل أن لا يكذبه ولا يرد عليه قوله إذا كان كاذبًا فيه، لأنه فِعلُ شرٍ أضافه إليه إذا لم يكن منه الإغواء، لذلك اختلفا. أو لو كان قول إبليس -لعنه الله- كذبًا فما تصنعون بقول نوح عليه السلام حيث قال:[9] إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ،[10] وقال موسى: فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ.[11]

---

[1] جميع النسخ: بما يشتمه.
[2] جميع النسخ: بما أغويهم.
[3] انظر: سورة الأعراف، ٧/١٦.
[4] ﴿قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ (سورة، ص ٣٨/٧٦).
[5] ع م - قال.
[6] ﴿قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين﴾ (سورة الأعراف، ٧/ ١٣).
[7] ن ع م: الإضافة إليه الإغواء.
[8] ع م - منه.
[9] ن - حيث قال.
[10] ﴿ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون﴾ (سورة يونس، ١٠/٣٤).
[11] ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ (سورة الصف، ٦١/٥).

ثم قوله: **رب بما أغويتني لأُزَيِّنَنَّ لهم في الأرض ولأُغوينهم أجمعين،**[1] يحتمل أن يكون منه عزم على ما ذكر دون أن تَفَوّه بذلك، فأخبر عز وجل عنه ما كان عَزَمَ من الإغواء وغيره بالقول، وذلك جائز [أن] يخبر عن العزم والقصد، كقوله: إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا،[2] لا يحتمل أن يكون هذا القول الذي أخبر عنهم قولا منهم، لأنه لا أحد من المتصدقين يقول بمثل ذلك عند التصدق، لكنه إخبار عما قصدوا وعزموا[3] بالتصدق. فعلى ذلك يشبه أن يكون هذا من الله إخبارًا عما عزم إبليس وقصد على غير التفوه به. و"القول"[4] وهو كما[5] ذكر: وَأَعْلَمُ[6] مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ،[7] أخبر أنهم[8] كتموا فيه وأضمروا. ويحتمل أن يكون على التفوّه بما ذكر؛ قال ذلك لما قال عز وجل: وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ،[9] لما شهد الله عليه باللعن إلى يوم الدين أيِس[10] -لعنه الله- عن الهدى، فقال: **رب بما أغويتني،** أي لعنتني وشهدت عليّ بذلك، **لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين.**

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[٤٠]

[٣٩٦ظ] / **إلا عبادك منهم المخلصين،** المخلِص، بخفض اللام، هو الذي أخلص له الاعتقاد والعمل والوفاء، والمخلَص، بنصب اللام، هو الذي أخلصه الله وحفظه وعصمه واختصه بذلك. والمخلَص لا يقال إلا بعد أن يكون لله فيهم[11] صنع ولهم اختصاص وفضائل اختصهم بذلك برحمة الله وفضله. والمعتزلة يقولون: لا يستوجب أحد الاختصاص والفضيلة إلا بفعل يكون منه، لا يستوجب بالله.

---

[1] جميع النسخ + إلا عبادك منهم المخلصين.
[2] سورة الإنسان، ٩/٧٦.
[3] ك: عزموا و قصدوا.
[4] أي مادة القول في صدر الآية، وهي: ﴿قال رب بما أغويتني﴾.
[5] جميع النسخ: ما.
[6] جميع النسخ: والله يعلم ما تبدون وما تكتمون.
[7] ﴿قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ (سورة البقرة، ٣٣/٢).
[8] أي الملائكة.
[9] سورة الحجر، ٣٥/١٥.
[10] ن: آيس.
[11] م: فهم.

ويقولون:[1] [إن] الله لا يغوى أحدًا إلا إبليس ولا أحدًا[2] من أتباعه. فإبليس أعرف بالله من المعتزلة حيث رأوا أن الله لا يغوى أحدًا ولا يختص أحدًا إلا بصنع يكون منه.

﴿قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **هذا صراط على مستقيم**، قال بعضهم: قوله: **عَلَيَّ**، بمعنى إليَّ، أي إليَّ صراط مستقيم، يقول: هو بيدي ليس بيد أحد. وقال بعضهم: [**هذا صراط على مستقيم**، [أي]][3] الحق يرجع إلى الله وعليه طريقه لا يُعْوَج عليه شيء.[4] ويحتمل قوله. **عَلَيَّ مستقيم**، أي **عَلَيَّ** بيانه وهو مستقيم، كقوله: وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ،[5] أي بيان قصد السبيل. وقال بعضهم: لما قال إبليس: لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ،[6] قال الله تعالى: **هذا صراط على مستقيم**. يقول: عَلَيَّ[7] مَمَرّ من أغويتَه و[مَن] تابَعَك، كقولك[8] لآخر إذا أوعدته: إن طريقك عَلَيَّ. *والله أعلم*.

إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ[٤٢]

وقوله عز وجل: **إن عبادي ليس لك عليهم سلطان**، يحتمل قوله: **ليس لك عليهم سلطان**، أي ليس لك عليهم حجة، **إلا من اتبعك من الغاوين**، فإنهم يتبعونك بلا حجة ولا برهان. ويحتمل قوله: **ليس لك عليهم سلطان**، تقهرهم وتضطرهم على ذلك، **إلا من اتبعك من الغاوين**، فإنهم يتبعونك على غير قهر واضطرار، أي من كان في علم الله أن يتبعك ويختار الغواية، وإن لم يكن إغواؤك[9] إياه، فإن لك عليه سلطانا.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٤٣]

وقوله: **وإن جهنم لموعدهم أجمعين**، أي لموعد إبليس وأتباعه.

---

[1] ن ع م: يقولون.
[2] ع م: ولا واحدًا.
[3] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٢٧و.
[4] جميع النسخ: على شيء، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٧و.
[5] ﴿وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين﴾ (سورة النحل، ٩/١٦).
[6] سورة الحجر، ٣٩/١٥.
[7] م- على.
[8] ع م: كقوله.
[9] جميع النسخ. إغواك.

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **لها سبعة أبواب**، يحتمل الأبواب المعروفة، ويحتمل الأبوابُ الموارِدَ والجهات التي تكون لها. ألا ترى أنه قال: **لكل باب منهم جزء مقسوم**، فهذا يدل أن المراد بالأبواب الموارد[١] والدركات لا نفس الأبواب، إذ **جزء مقسوم** إنما يكون للدركات، لا يكون للأبواب نفسها.

قال الحسن والأصم: **لها سبعة أبواب**، يعنون بالأبواب الطبقات والدركات. **لكل باب منهم جزء مقسوم**، لليهود باب وللنصارى باب وللمجوس باب وللذين أشركوا باب وللمنافقين[٢] باب ولأهل الكبائر باب. وذكرا[٣] أيضًا بابًا لفريق أدخلا[٤] أهل الكبائر فيه[٥] والصابئين والدهرية.

وعندنا أن ظاهر الآية في الكافرين، لأنه قال: لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ،[٦] والغاوون هم الكافرون، وكذلك قوله: وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ.[٧] فإذا كان كذلك فالأبواب السبعة[١٢] التي ذكر كلها لأهل الكفر لا يدخل أهل الكبائر فيها.[٨] ويحتمل باب للمتجاهلة وهم الذين ينكرون العالم: الشاهد والغائب لا يقرون بشيء، وباب للدهرية وهم الذين[٩] ينكرون الصانع، وباب للثنوية وهم الذين يقولون بالاثنين، وباب للذين أشركوا وهم يقولون بالواحد؛ لكنهم يشركون فيه غيره [و]يعبدون الأصنام والأوثان، وباب لليهود، وباب للنصارى، وباب للمنافقين. فذلك سبعة أبواب وليس لأهل الكبائر باب مسمي معلوم إنما ذلك كله لأهل الكفر.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[٤٥]

وقوله عز وجل: **إن المتقين في جنات وعيون**، إن دخل[١٠] أهل الكبائر في قوله: لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ،[١١] فيكون قوله: **إن المتقين**، [هم] الذين اتقوا الكبائر، وإن كان أصحاب الكبائر لم يدخلوا في قوله: لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، فيكون قوله: **إن المتقين**، [هم] الذين اتقوا الشرك.

---

[١] م: الوارد.
[٢] م: وللمنافق.
[٣] ن ع م: وذكر، والتصحيح من *الشرح* ورقة ٤٢٧و.
[٤] جميع النسخ: أدخلوا، والتصحيح من *الشرح*.
[٥] جميع النسخ: فيها، والتصحيح من *الشرح*.
[٦] سورة الحجر، ٤٢/١٥.
[٧] سورة الحجر، ٣٩/١٥.
[٨] جميع النسخ: فيه.
[٩] ن – الذين.
[١٠] جميع النسخ: إن كان؛ والتصحيح من *الشرح* ورقة ٤٢٧و.
[١١] الآية السابقة. [١٢] جميع النسخ: فالسبعة الأبواب.

وقوله عز وجل: **في جنات**، أي في بساتين.[١] والبساتين هي التي التفت بالأشجار والنخيل والعيون، قد تكون جارية في الدنيا وقد تكون غير[٢] جارية. فأخبر في آية أخرى أن عيون الآخرة تكون جارية بقوله: فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ.[٣] **وعيونٍ**، قال بعضهم: ذكر العيون ليعلم أن مياه الجنة ليست تكون من الثلوج والأنهار العظام على ما تكون[٤] في الدنيا ولكن تنبع فيها. وقال بعضهم: ذكر العيون لأنه ينبع في بستان كل أحد عين[٥] على حدة، لا يأتي بستانه من ملك آخر ومن بستان آخر على ما يكون في الدنيا، ولكن تنبع في جنة كل أحد عين على حِدَة، على ما أراد الله. ليس إنها تتصل بالأرض كما ذكر في قصة بني إسرائل: فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا؛[٦] إن شاء الله[٧] في ذلك الحجر ماء يخرج لهم على غير اتصاله بالأرض، ولكن بلطفه ينشئ فيه ماء، فعلى ذلك في الجنان التي وعد.

ويشبه أن يكون ذِكْر هذا لما يختلف رغائب الناس في الدنيا، منهم من يرغب في العين[٨] ويتلذذ بالنظر إليها، ومنهم من يرغب في النهر الجاري. فذكر مرة العيون ومرة الأنهار، كقوله: تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ.[٩] على ما ذكر مرة الخيام والقِباب [ومرة] الغُرَف وأنواع الفُرُش والبُسُط والكِيزان والأكواب والجواري والغلمان وغيرَ ذلك على ما يرغب الناس في الدنيا؛ منهم من يرغب في نوع [و]لا يرغب في نوع[١٠] آخر فذكر فيها كل ما[١١] يرغبون في الدنيا ليبعثهم ذلك على العمل الذي به[١٢] يوصل إلى ذلك. ***والله أعلم***.

﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **أدخلوها بسلام آمنين**، قال بعضهم: قوله: **أدخلوها بسلام**، أي اجعلوا دخولكم فيها بسلام، على ما أمرهم في الدنيا أن يجعلوا الدخول في المنازل بالسلام،[١٣]

---

[١] ع م: أي بساتين.
[٢] ع: – غير.
[٣] سورة الرحمن، ٥٥/٥٠.
[٤] ك ن ع: يكون.
[٥] ك ن ع+عين.
[٦] ﴿وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا﴾ (سورة البقرة، ٢/٦٠).
[٧] ع م: ان الله.
[٨] ن ع م: في الدين.
[٩] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢/٢٥.
[١٠] ع م – لا يرغب في نوع.
[١١] ن ع م – ما.
[١٢] م – به.
[١٣] ع م – بالسلام.

كقوله: فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً،[1] الآية، وعلى ما أخبر أن الملائكة يسلمون عليهم كقوله: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ / طِبْتُمْ،[2] وكقوله: وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا.[3] وقال بعضهم قوله: **أدخلوها بسلام آمنين،** أي أدخلوها بسلام لا يصيبكم مكروه، **آمنين،** لا ينغّصكم[4] خوف ولأحزن على ما أخبر: لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.[5] [٣٩٧و]

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **ونزعنا ما في صدورهم من غل،** قال بعضهم: هو صلة قوله: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ،[6] أي نزعنا ما في صدورهم من الغل[7] الذي كان في الدنيا بالكفر، فصاروا إخوانًا بالإسلام الذي هداهم الله إليه فكانوا إخوانًا. ثم قيل لهم: أدخلوا الجنة بلا غل، وهو ما قال: فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا،[8] قد نزع من قلوبهم الغل في الدنيا فصاروا إخوانا فدخلوا الجنة. وقال بعضهم: قوله: **ونزعنا ما في صدورهم من غل،** في الآخرة إذا دخلوا الجنة وتقابلوا واتّكئوا على سرر، فعند ذلك ينزع الغل من قلوبهم والمظالم التي كانت بينهم. فإن كان هذا فهو بين أهل الإسلام. وعلى ذلك يحتمل أن يكون كل[9] من جفا آخر في الدنيا أن يُنسي الله ذلك منهم في الجنة، لأن ذكر الجفاء ينغّص النعم التي فيها. وكذلك ما يكون بين الرجل وولده من الجفاء والعقوق يجوز أن ينسي [الله] ذلك عليهم. وعلى ذلك ما روي عن علي رضي الله عنه قال: إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من الذين[10] قال الله [فيهم]: **ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين.**[11]

---

[1] ﴿فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾ (سورة النور، ٦١/٢٤).

[2] ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ (سورة الزمر، ٧٣/٣٩).

[3] سورة الحجر، ٥٢/١٥.

[4] جميع النسخ: ينغصهم.

[5] ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (سورة يونس، ٦٢/١٠)؛ ك ع م + وقال بعضهم.

[6] سورة الحجر، ٤٥/١٥.

[7] جميع النسخ: غل، والتصحيح من *الشرح* ورقة ٤٢٧ظ.

[8] ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾ (سورة آل عمران، ١٠٣/٣).

[9] ع م – كل.

[10] ع م – من الذين.

[11] انظر: *تفسير الطبري*، ٣٧/١٤؛ و*تفسير القرطبي*، ٢٠٨/٧.

وقوله: **متقابلين،**[١] قال بعضهم: يجعل الله منازلهم بعضها مقابل بعض فينظر بعضهم إلى بعض[٢] ويزور بعضهم بعضا.وقال بعضهم: يأمر الله السرر التي هم عليها جُلوس ليكون بعضها مقابل بعض إذا اشتهى بعضهم زيارة بعض، ولا يكونون مدبرين ولا معرضين بل مقبلين. يخبر عن اجتماعهم في الآخرة في الشراب وأنواع المطاعم على ما يستحسن في الدنيا الإخوان بينهم الاجتماعَ على الشراب والطعام والتلذذ والنظرَ بعضهم إلى بعض، فعلى ذلك أخبر أن لهم في الآخرة كذلك اجتماع في الشراب والنظر[٣] وأنواع التلذذ. ***والله أعلم.***

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **لا يمسهم فيها نصب،** أي عناء ومشقة، أخبر أنه لا عَناء يمسهم كما يكون في الدنيا، لأن في الدنيا[٤] من أطال المُقام في موضع يَمَلّ عن ذلك ويسأم. وكذلك إذا[٥] أكثر من نوع[٦] الطعام أو الشراب أو الفاكهة يمل عن ذلك ويسأم ويؤذيه ولا يوافقه. فأخبر أن أهل الجنة لا يملون ولا يؤذيهم طعامها[٧] وإن أكثروا.

وقوله عز وجل: **وما هم منها بمخرجين،** أخبر أنهم لا يُخرَجون منها ولا هم يطلبون الخروج منها، كقوله: لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا،[٨] لأن خوف زوال النعم ينغّص على صاحبها تلك النعمة وطعمها، فأخبر أنهم فيها أبدًا وتلك النعمة لهم دائمة غير زائلة عنهم. ***والله أعلم.***

﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٤٩] ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾[٥٠]

وقوله عز وجل: **نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم،** قال بعضهم: **نبئ عبادي،** أي أخبرهم، **أني أنا الغفور الرحيم،** لمن استغفرني وتاب عما ارتكب من معاصيه. **وأن عذابي هو العذاب الأليم،**

---

[١] ع م – وقوله متقابلين.
[٢] ع – فينظر بعضهم إلى بعض.
[٣] م – وأنواع المطاعم على ما يستحسن في الدنيا الإخوان بينهم الاجتماع على الشراب والطعام والتلذذ والنظر بعضهم إلى بعض فعلى ذلك أخبر أن لهم في الآخرة كذلك اجتماع في الشراب والنظر.
[٤] ع – لأن في الدنيا.
[٥] ع م – إذ.
[٦] ن ع م + من.
[٧] م: طعامهم.
[٨] ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا. خالدين فيها لا يبغون عنها حولا﴾ (سورة الكهف، ١٨/١٠٧-١٠٨).

لمن عصاني ولم يستغفر ولم يتب إليّ.[1] ويحتمل غير هذا وهو أن يقول: نبئ **عبادي أني أنا الغفور الرحيم**، لئلا ييأسوا من[2] رحمتي ولا يقنطوا[3] مني؛ ولكن يرجون رحمته وعفوه ويخافون عذابه ونقمته. ونبئهم أيضًا أن عذابي هو العذاب الأليم لئلا يكونوا[4] آمنين أبدًا، فيكون فيه أمرٌ بأن يبشِّر وينذر.[5] كأنه قال: بشر أوليائي أني أنا الغفور الرحيم لأوليائي وأن عذابي شديد أليم لأعدائي. وفي قوله: **نبئ عبادي،**[6] بشارة ونذارة. أما البشارة فهو قوله: **أني أنا الغفور الرحيم،** وأما النذارة فهو قوله:[7] **وأن عذابي هو العذاب الأليم.**

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **ونبئهم عن ضيف إبراهيم،** أي نبئ قومك عن ضيف إبراهيم، أي نبئهم بتمام ما فيه من الزجر والموعظة، لأن في ذلك إخبار ما نزل بالمكذبين بتكذيبهم الرسلَ، وهو الإهلاك، ونجاة من صدّق الرسل، ففيه تمام ما يزجرهم ويعظهم من الترهيب والترغيب. فإن فيه[8] آيةً لرسالتك ونبوتك، لأنه يخبرهم على ما في كتبهم [التي] لم يشهدها هو، فيَدُلّهم أنه إنما عرف ذلك بالله. أو **نبئهم** فإن [في] ذلك ما يزجرهم عن مثل صنيعهم، وفيه ذكر نعم الله، لأنهم جاءوا بالبشارة: بشارة الولد، وجاءوا بإهلاك قوم مجرمين، فذلك بالذي يزجرهم عن مثله. والبشارة ترغِّبهم في مثل صنيع إبراهيم، فنبئهم فإن فيه ما ذكرنا. ودل قوله: **عن ضيفِ إبراهيم،** أن الضيف اسم كل نازل[9] على آخر طعم عنده أو لم يطعم، وكان نزوله للطعام أو لا.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ [٥٢]

وقوله عز وجل: **إذ دخلوا عليه فقالوا سلامًا،** أي سلّموا على إبراهيم فرد إبراهيم السلام عليهم. وقال أبو بكر الأصم: السلام[10] جعله الله أمانًا بين الخلق وعطفا فيما بنيهم

---

[1] جميع النسخ: إليه، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٧ظ.
[2] ن ع م: عن.
[3] ك: يقنطون.
[4] ع م: يكون.
[5] جميع النسخ: وأن ينذر، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٧ظ.
[6] جميع النسخ + فيه.
[7] ك ن ع: ونذارة قوله.
[8] جميع النسخ:فيهم.
[9] ع م: نازلة.
[10] ك – السلام.

وسببًا لإخراج الضغائن من قلوبهم. وقال بعضهم: جعل الله السلام تحية على كل داخل على آخر وهو ما ذكرناه.[١] وقال[٢] بعضهم: السلام هو اسم كل خير وبِرّ وبركة، كقوله: لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا.[٣] *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **قال إنا منكم وَجِلون**، أي خائفون. قال بعض أهل التأويل: إنما خاف لأنه ظن أنهم لصوص وأهل رِيبَة. لكن هذا لا يحتمل أن يخاف منهم ويظن أنهم لصوص وأهل ريبة وقد سلّموا عليه وقت ما دخلوا عليه، واللصوص وأهل الريبة[٤] إذا دخلوا بيتا آخر لا يسلمون عليه. لكنه إنما خافهم إذ[٥] رأى أيديهم لا تصل إليه، كما قال: فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً،[٦] عند ذلك / خافهم. فلما رأى ذلك ظن إبراهيم [٣٩٧ظ] أنهم ملائكة إنما جاءوا لأمر عظيم حيث لم يتناولوا مما قرّب إليهم، وبين إبراهيم[٧] وبين المكان الذي يُرتَحل منه مكان يقع لهم الحاجة إلى الطعام.[٨]

﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾[٥٣]

وقوله عز وجل: **لا توجل**، أي لا تخف، **إنا نبشرك بغلام عليم**، وقال في آية أخرى: فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ[٩] -والحلم هو الذي ينفي عن صاحبه كل أخلاق دنيئة، والعلم هو الذي يدعو[١٠] صاحبه إلى كل خلق رفيع- ليعلم أنه اجتمع فيه جميع[١١] الخصال الرفيعة ونفى عنه كل خلق دنئ.

---

[١] ك ن: ذكرنا.

[٢] ع م: قال.

[٣] سورة مريم، ٦٢/١٩.

[٤] ع م: ريبة؛ ن - لكن هذا لا يحتمل أن يخاف منهم ويظن أنهم لصوص وأهل ريبة وقد سلموا عليه وقت ما دخلوا عليه واللصوص وأهل الريبة.

[٥] ن ع م: إذا.

[٦] سورة هود، ٧٠/١١.

[٧] ك: وبين أيديهم.

[٨] يقول الإمام رحمه الله في تأويل الآية من سورة هود (٧٠/١١): «أي أضمر وحشة حيث لم يتناولوا شيئا مما قرّب إليهم، فحينئذ علم أنهم ليسوا من البشر، لأن منزل إبراهيم كان بِتَأي من البلد ولم ينزله أحد من البشر إلا وقد احتاج إلى الطعام. فلما لم يتناولوا علم أنهم ليسوا من البشر، فما جاءوا إلا لأمر عظيم، لتعذيب قوم وهلاكهم فخاف لذلك».

[٩] سورة الصافات، ١٠١/٣٧.

[١٠] م: يدعوا.

[١١] ك - جميع.

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [٥٤]

وقوله عز وجل: **قال أبشرتموني على أن مسني الكبر**، أي **أبشرتموني** أن يولَد لي وأنا على الحال التي أنا عليها أو يُرَدّ إليّ شبابي وشبابُ امرأتي، **فبم تبشرون**، على الحال التي أنا عليها وامرأتي، أو يُردّ الشباب إلينا، وإلا لا يحتمل أن يخفى عليه قدرة الله [على] هبة الولد في حال الكبر. لكنه لم ير الوالد[1] يولِد في تلك الحال. فاستخبرهم أيولد[2] [له] في تلك الحال أو يُرَدّ إلى حالة أخرى حالة[3] الشباب. *والله أعلم*.

﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾[٥٥]

وقوله عز وجل: **قالوا بشرناك بالحق**، أي بما هو كائن لا محالة، أي وعدٌ كائن لا محالة. والواجب على كل من أُنعم عليه بنعمة أن يشتغل بالشكر للمنعِم لا يستكشف عن الوجوه التي أُنعم [بها] والأحوال التي يكون عليها. ثم في البشارة بالولد[4] بشارتان. أحدهما بشارة بالغلام، والثاني بالبقاء والبلوغ إلى وقت العلم، حيث[5] قالوا: إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ،[6] وهو ما قال في آية[7] أخرى: وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا،[8] ففي قوله: وَكَهْلًا، دلالة وبشارة إلى أنه[9] يبقى إلى أن يصير كهلا.[10]

وقوله عز وجل: **فلا تكن من القانطين**، قد ذكرنا فيما تقدم أن الأنبياء قد نهوا عن أشياء[11] عُصموا عنها ما لا يحتمل أن يكون منهم ما نُهوا عنه، نحو قوله:[12] فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ،[13]

[1] ك ن: الولد.
[2] جميع النسخ: أنه، والتصحيح من *الشرح* ورقة ٤٢٨و.
[3] ن ع م: حال.
[4] ك ن: في بشارة الولد.
[5] ن – حيث.
[6] سورة الحجر، ٥٣/١٥.
[7] ن – آية.
[8] ﴿ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين﴾ (سورة آل عمران، ٤٦/٣).
[9] ن ع م: وبشارة أنه.
[10] جميع النسخ + وإلا الكهل يضعف. «فيكون بشارة الولد والبقاء، فعلى ذلك هذا» (شرح *التأويلات* ورقة ٤٢٨و).
[11] ن ع م + قد.
[12] ك: كقوله.
[13] ﴿أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصّلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزّل من ربك بالحق فلا تكونَنَّ من الممترين﴾ (سورة الأنعام، ١١٤/٦).

وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ[١] وَمِنَ الظَّالِمِينَ،[٢] الكَافِرِينَ[٣] وأمثاله. وذلك[٤] مما لا يتوهم كونه[٥] منهم. وذلك لما ذكرنا أن العصمة لا ترفع المحنة، لأنها لو رفعت لذهبت فائدة العصمة، لأنه[٦] إنما يُحتاج إليها عند المحنة، فأما[٧] إذا لم تكن[٨] محنة فلا[٩] تقع إليها. فعلى ذلك إبراهيم لم يكن قنط من رحمة ربه بأنه لا يهب له الولد في حال[١٠] كبره، ولكن لما[١١] ذكرنا.

﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾[٥٦]

ثم بين أنه لا يقنط من رحمة ربه إلا الضالون، أخبر أن القنوط من رحمة الله هو ضلال، والإياسَ من رحمته كُفر، فعندهم[١٢] تضيق[١٣] رحمته حتى لا يسع فيها الكبائر، والمعتزلة يقنطون من رحمة ربهم لقولهم في أصحاب الكبائر ما يقولون.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [٥٧]﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾[٥٨]

وقوله عز وجل: **قال فما خطبكم أيها المرسلون**، قيل: فما خبركم وما قصتكم وما شأنكم؟ والخطب الشان، أيْ على أيّ أمر وشان أُرسلتم؟

قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين، ثم يحتمل[١٤] أن يكون أولَ ما أخبروا إبراهيم وقالو له[١٥] هذا [القول]. ولكن كان فيه ما ذكر في آية أخرى: إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ،[١٦]

---

[١] ﴿وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونَنَّ من المشركين﴾ (سورة يونس ١٠/١٠٥).
[٢] ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين﴾ (سورة يونس، ١٠/١٠٦).
[٣] ﴿فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٥٢).
[٤] ن: - وذلك.
[٥] ك - أمثاله.
[٦] ك: لأنها.
[٧] ك: وأما.
[٨] جميع النسخ: يكن.
[٩] ن: فلا حاجة.
[١٠] ن + في حال.
[١١] جميع النسخ: ما.
[١٢] أي عند المعتزلة.
[١٣] ن: تضييق.
[١٤] جميع النسخ: لم يحتمل؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٨و.
[١٥] جميع النسخ: وقالوه.
[١٦] سورة العنكبوت، ٢٩/٣١.

و[قولهم]: إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ.[1] فقال إبراهيم: إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا. يذكر [القصة] هاهنا على الاختصار، فذلك يدل أن الخبر إذا أدّى معناه يجوز وإن لم يؤت بلفظه على ما كان.

وقوله عز وجل: **قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين. إلا آل لوط**، كأن الثُّنْيا هنهنا تكون عن الأشخاص وأنفس أهل القرية [لا][2] عن قوله: **مجرمين**، لأن آل لوط لم يكونوا مجرمين، فلا يحتمل الاستثناء من ذلك؛ أو لا يكون على حقيقة الثُّنْيا وإن كان في الخبر استثناء.

﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٥٩] ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾[٦٠]

وقوله عز وجل: **إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين إلا امرأته**، أخبر أنهم يُهلِكون قومه، ثم استثنى آله منهم ثم امرأته من آله. ففيه دلالة أن الثُّنيا ليس برجوع، لأنه لو كان رجوعا لكان[3] يوجب الكذب في الخبر، ولكن في الثُّنيا بيان تحصيل المراد مما أجمل في اللفظ.

وفيه دلالة أيضًا أنه يجوز أن يُستثنَى من الاستثناء، لأنه استثنى امرأته من آله بقوله: **إلا آل لوط إلا امرأته**، فحصلت[4] المرأة من قومه حيث استثناها من آله. وفيه أنه قد يجوز أن يستثنى من خلاف نوعه، لأنه استثنى آل لوط من قومه، والمجرم ليس من نوع الصالح. ثم استثنى امرأته من آله[5] وهي ليست منهم.

وفيه أيضًا أن آل الرجل يطلق[6] على أتباعه حيث استثنى آله منهم. ثم يدخل فيه [أي في الآل][7] من تبعه، ألا ترى أنه قال: آلِ فِرْعَوْنَ،[8] وإنما هم أتباعه، وآل موسى وآل هارون وآل عمران كل يرجع إلى أتباعهم فيدخل في قولهم: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كل من تبعه. *والله أعلم*.

---

[1] سورة العنكبوت، ٣٤/٢٩.
[2] والزيادة من *الشرح* ورقة ٤٢٨و.
[3] ن – لكان.
[4] ن م: فجعلت.
[5] ن – من آله.
[6] جميع النسخ: يكون؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٨و.
[7] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٢٨و.
[8] ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقولَ رَبِّيَ الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم﴾ (سورة المؤمن، ٢٨/٤٠)

وقوله: **إلا امرأته قدّرنا إنها لمن الغابرين**، قال أبو بكر الأصم: **قدرنا إنها**، أي أخبرنا، لكن هذا منه احتيال على تقوية مذهب الاعتزال، لأنهم ينكرون أن يكون أفعال العبيد مقدَّرة لله مخلوقة، وفي الآية[1] دلالة أن أفعالهم مخلوقة لله، مقدرة له. وأصله أي قدّرنا بقاءها من الأصل.[2] وقوله عز وجل: **لمن الغابرين**، أي الباقين. قال أبو عَوْسَجة: الغابرون الباقون، والغابرون الماضون أيضًا، يقال: غبَر يغبُر غَبْرا، إذا بقي[3] وإذا مضى أيضا.[4]

﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾[٦١] ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾[٦٢]

وقوله عز وجل: **فلما جاء آل لوط المرسلون، قال إنكم قوم منكرون**، أي إنكم قوم منكرون لا تُعرَفون بأهل هذه البلدة، وإنما قال لهم هذا لأن قومه إنما يعملون ما يعملون/ بالغرباء، لا يعملون بأهل البلدة، ألا ترى أنهم قالوا له: أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ،[5] [عن] أن تضيف أحدًا منهم. ***والله أعلم***. [٣٩٨و]

﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾[٦٣]

وقوله عز وجل: **قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون**، هذا ليس بجواب لما سبق[6] من قوله: **إنكم قوم منكرون**، ولكن قالوا ذلك له[7] -والله أعلم- بعد ما كان بين لوط وبين قومه[8] [من] مجادلات ومخاصمات؛ من ذلك قوله:[9] قَالَ إِنَّ هٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ وَاتَّقُوا اللهَ وَلَا تُخْزُونِ،[10] وغير ذلك من المخاصمات. وقد كان لوط يَعِدهم العذاب على صنيعهم[11] الذي كانوا يصنعون، ولذلك قالوا له: قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ،[12]

---

[1] جميع النسخ: ففي ذلك؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٨و.
[2] لعل المؤلف رحمه الله يقصد: قدرنا في الأزل كونها من المهلَكين.
[3] ن: أبقي.
[4] غَبَر الشيءُ يَغْبُر غُبُورًا: مكث وذهب. وغبر الشيءُ يَغْبُر أي بقي. والغابر الباقي، والغابر الماضي، وهو من الأضداد (*لسان العرب*، «غبر»).
[5] سورة الحجر، ٧٠/١٥.
[6] ع م + من قومه.
[7] ك: قالوا له ذلك.
[8] ع: قوله.
[9] ع م: وقوله.
[10] سورة الحجر، ٦٨/١٥-٦٩.
[11] جميع النسخ: بصنيعهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٨و.
[12] ﴿أإنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٢٩).

فعند ذلك قالوا: **بل جئناك بما كانوا فيه يمترون**، قال بعضهم: بما كانوا فيه يشكّون بما كان يعدهم من العذاب. وقال بعضهم: **بما كانوا فيه يمترون**،[1] أي بما كانوا يجادلون وينازعون؛ أو يقول: بل جئناك بجزاء ما كانوا يمترون. ثم امتراءهم يحتمل مجادلتهم إياه، ويحتمل[2] ما كانوا عليه من الرِّيبة.

﴿وَأَتَيْنَاكَ بَالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾[٦٤]

وقوله عز وجل: **وأتيناك بالحق وإنا لصادقون**، قال بعضهم: **وأتيناك بالحق**، أي بنجاتك ونجاة أهلك وإهلاك قومك. وقال بعضهم: **وأتيناك بالحق**،[3] أي بالعذاب الذي كنت تعدهم. **وإنا لصادقون**، بما نقول. يحتمل هذا إن لم يكن هذا منهم قولاً قالوه، لأن لوطا يعلم أنهم صادقون[4] بما يقولون حيث علم أنهم ملائكة الله، لكن أخبر عنهم على ما كانوا عليه على غير قول كان منهم. ***والله أعلم***.

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾[٦٥]

وقوله عز وجل: **فاسر بأهلك بقطع من الليل**، أي ببعض من الليل. وقال بعضهم: بسَحَر، على ما قال: نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ،[5] وهو بعض [الليل][6] سحرا[7] كان أو غيرَه. **واتبع أدبارهم**، أي سِر من ورائهم. وهكذا الواجب على كل مولى أمرٍ[8] حيث أن يتبع أثرهم أو يأمر من يتبع أثرهم ليُلحق بهم مَن تَخَلّف منهم -ويحتمل[9] المنقطع منهم- وليكون ذلك أحفظَ لهم.

وقوله عز وجل: **ولا يلتفت منكم أحد**، قال بعضهم: **لا يلتفت**، أي لا يتخلف منكم أحد، **وامضوا حيث تؤمرون**. وقال في آية أخرى.[10] وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ،[11]

---

[1] ك – قال بعضهم بما كانوا فيه يشكون بما كان يعدهم من العذاب وقال بعضهم بما كانوا فيه يمترون؛ ك ن + أي بما كانوا.

[2] ع م + إياه و.

[3] ن – وإنا لصادقون قال بعضهم وأتيناك بالحق أي بنجاتك ونجاة أهلك وإهلاك قومك وقال بعضهم وأتيناك بالحق.

[4] م: لصادقون.

[5] ﴿إنا أرسلنا عليهم حاصبا إلا آل لوط نجيناهم بسحر﴾ (سورة القمر، ٥٤/٣٤).

[6] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٢٨ظ.

[7] ن م: سحر.

[8] ك: أمير.

[9] ك: ويحمل.

[10] ع م – ولا يلتفت منكم أحد قال بعضهم لا يلتفت أي لا يتخلف منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون وقال في آية أخرى.

[11] ﴿قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك﴾ (سورة هود، ١١/٨١).

فإنها تَخلّفُ[١] عنكم[٢] فيصيبها ما أصاب أولئك. هذا يدل أن ليس في تقديم الكلام وتأخيره منع ولا في تغيير اللسان ولفظه بعد أن يؤدي المعنى نظما، لأن قصة لوط وغيرها من القصص ذكرت وكررت على الزيادة والنقصان وعلى اختلاف الألفاظ واللسان، فدل أن اختلاف ذلك لا يوجب تغييرًا في المعنى ولا بأس بذلك.

وقال بعضهم في قوله: **لا يلتفت منكم أحد**، أي لا ينظر أحد وراءه فهو -والله أعلم- لما لعلهم[٣] إذا نظروا وراءهم فرأوا ما حل بهم من تقليب الأرض وإرسالها عليهم لا يحتمل بِنيَتُهم وقلوبهم فيَهلِكون أو يَصعَقون، ألا ترى أن موسى مع قوته لم يحتمل اندكاك الجبل ولكن صَعِق فصار مدهوشًا في ذلك الوقت،[٤] فهؤلاء أضعف وما حلّ بقومهم أشدّ، فبنيتهم أحرى أن لا تحتمل[٥] ذلك. *والله أعلم*.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾[٦٦]

وقوله عز وجل: **وقضينا إليه ذلك الأمر**،[٦] قوله: **قضينا**، قيل: أوحينا إليه، كقوله: وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ،[٧] أي أوحينا إليهم. وقال بعضهم: قوله:[٨] **وقضينا إليه**، أي أنهينا إليه وأعلمناه، وهو قول الكسائي والقُتبي.[٩] وقوله عز وجل: **ذلك الأمرَ**، يحتمل قوله: **ذلك الأمر**، هو ما ذكر [على أثره]:[١٠] **أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين**، هذا الذي أُوحى إليه وأعلمه. ويحتمل قوله: **وقضينا إليه ذلك الأمر**، أي أوحينا إلى محمد صلى الله عليه وسلم أن ذلك الأمر الذي بلغك مقطوع مصبحين. ويحتمل الوحي إلى لوط على البِشارة، **أن دابر** قومه **مقطوع مصبحين**، أي مقطوع نسلُهم؛ فيه إخبار عن قطع نسلهم، وفي الخبر عن قطع نسلهم إخبار عن هلاكهم.

---

[١] ن: تخلفت.
[٢] ع م: عنهم.
[٣] ك: لعله.
[٤] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فلما تجلّى ربُّه للجبل جعله دكًا وخر موسى صَعِقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين﴾ (سورة الأعراف، ١٤٣/٧).
[٥] ن ع م: يحتمل.
[٦] ع م + من.
[٧] ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدُنَّ في الأرض مرتين ولتعلُنَّ علوا كبيرا﴾ (سورة الإسراء،٤/١٧).
[٨] ك ن – قوله.
[٩] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٣٨.
[١٠] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٢٨و.

وقوله عز وجل: **أن دابر هؤلاء**، قال بعضهم: أصل هؤلاء، وقال بعضهم: دابر هؤلاء، **مقطوع**، أي مستأصلون. **مصبحين**، ليس يريد به حين أصبحوا أي حين بدا طلوع الفجر، ولكن أراد طلوع الشمس. ألا ترى أنه قال: فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ،[1] وإشراق الشمس هو ارتفاعها وبسطها في الأرض، دل أنه ما ذكرنا. *والله أعلم*. والصيحة يحتمل وجوها. أحدها ذكر الصيحة لسرعة هلاكهم، أي[2] قدْرَ صيحة. والثاني أُهلكوا بالصيحة أو صاح أولئك لما أهلكوا. والصيحة اسم لكل[3] عذاب.

﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[٦٧]

وقوله عز وجل: **وجاء أهل المدينة يستبشرون**، يحتمل يُسَرُّون بنزول أضيافه، أو يبشر بعضهم بعضا لِما رأوا بهم من حسن الهيئة والمنظر ورفعة اللباس.

﴿قَالَ إِنَّ هٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾[٦٨] ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ [٦٩]

وقوله: **إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون**، يحتمل هذا وجهين: فلا تفضحونِ في ضيفي فإنهم إنما نزلوا بنا على أَمْنٍ منّا فلا تفضحون عندهم، وهو ما قال في آية أخرى: وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي.[4] ويحتمل، لا تفضحونِ في الخلق يقولون: إن في أهل بيت لوط يفعل بالأضياف كذا، وإنما عرف أهل بيتي عند الخلق بالصلاح والأمن،[5] فلا تفضحون في الخلق واتقوا الله في صنيعكم بالرجال ولا تخزون عند الخلق. قيل: هو من الهوان. ويشبه أن يكون قوله: **واتقوا الله ولا تخزون**، أن يكون الإخزاء هو الفضيحة، دليله ما ذكر: **إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون**، فيكون هذا تفسير ذلك، ويحتمل الهوان. وكذلك قيل في قوله: إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ،[6] أي الهوانَ اليومَ.

﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[٧٠]

[٣٩٨ظ] وقوله عز وجل: **قالوا أولم ننهك عن العالمين**، هذا يدل على أنه / قد كان سبق[7] النهي [إياه][8] عن إنزال الأضياف[9] لذلك قالوا: **أولم ننهك عن العالمين**. قال أبو بكر الأصم: يخرج قولهم:

---

[1] سورة الحجر ٧٣/١٥.
[2] ك ع م: أو.
[3] ك ن ع: كل.
[4] ﴿قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد﴾ (سورة هود، ٧٨/١١).
[5] ع م: وإلا.
[6] ﴿قال الذين أوتوا العلم إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين﴾ (سورة النحل، ٢٧/١٦).
[7] م: قد سبق.
[8] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٢٨ظ.
[9] ك ن +كأنهم قد نهوه عن إنزال الأضياف.

أولم ننهك عن العالمين[١] مخرج الاعتذار له، لأنهم كانوا يعظمون الرسل أعني أقوام الرسل جميعا إذا لم يكن من الرسل[٢] إليهم سوى الخلاف في الدين والدعاء إلى دين الله، فهم وإن كذبوا الحجج التي أتت بها[٣] الرسل فقد كانوا يعظمونهم. ألا ترى أنه قال لرسولنا صلوات الله عليه: قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ،[٤] الآية. والأول أشبه. ***والله أعلم.***

﴿قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾[٧١]

وقوله عز وجل: **قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين**، وفي موضع آخر: هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ،[٥] وقد ذكرنا ذلك في السورة التي فيها ذكر هود. قال بعضهم: إنما عرض عليهم نساء قومه[٦] لأنه كالأب لهم،[٧] على ما ذكر أن نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهاتهم.[٨] وقال بعضهم: في [ذكر] البنات إخبار منه لهم بنهاية فحش صنيعهم، لأنه يجوز[٩] ورود [حلّ][١٠] الشرع على بناته لهم ولا يجوز حِلّ ذلك بحال.

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٧٢]

وقوله عز وجل: **لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون**، قال الحسن: يقسم الله بما شاء من خلقه وليس لأحد أن يقسم إلا بالله، وإنما أقسم بحياة محمد صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم: أقسم بحياة محمد صلى الله عليه وسلم[١١] ولم يقسم بحياة غيره وبغيره [لفضيلته].[١٢]

---

[١] ع – هذا يدل على أنه كان قد سبق النهي عن إنزال الأضياف لذلك قالوا أو لم ننهك عن العالمين قال أبو بكر الأصم يخرج قولهم أو لم ننهك عن العالمين.

[٢] ع م – أعني أقوام الرسل جميعا إذا لم يكن من الرسل.

[٣] ن ع م: بهم

[٤] ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٣٣).

[٥] سورة هود، ١١/٧٨.

[٦] جميع النسخ: قومهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٨ظ.

[٧] «قال بعضهم: إنما عرض عليهم نساء قومه لا بناته بطريق النكاح إلا أنه أضافها إلى نفسه بالبنتية لأنه كالأب لهم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٢٨ظ).

[٨] ع م: أمهاتي. لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/٦).

[٩] ع – يجوز.

[١٠] والزيادتان من *الشرح*، ورقة ٤٢٨ظ.

[١١] م ع – وقال بعضهم أقسم بحياة محمد صلى الله عليه وسلم.

[١٢] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٢٨ظ.

وقال بعضهم: قوله: **لعمرك**، كلمة تستعملها العرب في أقسامهم على غير إرادة القسم بحياة أحد. ومنهم من قال: إنما ذلك على التعريض. وأصله أن الله قد أقسم بأشياء: أقسم بالشمس والقمر والليل والنهار، وأقسم بالجبال والسماء وغيرها من الأشياء التي تَعْظُم عند الخلق، فرسول الله[1] صلى الله عليه وسلم قد أخبر[2] أنه أرسله رحمة للخلق وهدى أولى أن يُعَظَّم بالقسم به. ألا ترى أنه قال: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.[3] فمن كان رحمة للعالم كله أولى أن يَعظم من غيره إذ منافعه أعمّ وأكثر. وقال بعضهم: **لعمرك**، القسم ليس بحياة الرسول ولكن بدينه، وهو قول الضحاك.

وقوله عز وجل: إنهم لفي سكرتهم يعمهون، قال بعضهم: السكرة الشدة التي تحل بهم عند الموت. شبههم بحيرتهم التي فيهم بسكرة الموت. **يعمهون**،[4] يترددون. وقال بعضهم: في ضلالهم[5] وكفرهم **يعمهون**، يتحيرون.

﴿**فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ**﴾[٧٣]

وقوله عز وجل: **فأخذتهم الصيحة**، قد ذكرنا في غير موضع اختلافهم في الصيحة.[6] قال بعضهم: الصيحة هي العذاب نفسه؛ أي أخذهم العذاب. وقال بعضهم: سمي [العذاب] صيحة لسرعة نزوله بهم وأخذه إياهم. وقوله عز وجل: **مشرقين**، قال بعضهم: أَشرقَت الشمس إذا ارتفعت وأنارت، وشَرَقت إذا بَزَغت،[7] وهو قول الكسائي. وقال أبو عَوْسَجة: **مشرقين**، أي إذا أشرقوا، أي[8] إذا طلعت الشمس عليهم، وقد ذكرنا هذا.

﴿**فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ**﴾[٧٤]

وقوله عز وجل: **فجعلنا عاليها سافلها**، قد ذكرنا في السورة التي فيها ذكر هود.[9]

---

[1] جميع النسخ: كرسول الله، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٨ظ.
[2] جميع النسخ: قد أخبره، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٨ظ.
[3] سورة الأنبياء، ١٠٧/٢١.
[4] ن + أي.
[5] ن: ضلالتهم.
[6] انظر: سورة هود، ٦٧/١١، ٩٤.
[7] بزغت الشمس: بدا منها طلوع، ابتدأت في الطلوع (*لسان العرب*، «بزغ»).
[8] ن ع م – أي.
[9] انظرمثلا سورة هود، ٨٢/١١.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[٧٥]

وقوله عز وجل: **إن في ذلك لآيات للمتوسمين**، قال بعضهم: **للمتوسمين** للمتفرسين، من الفِراسة. وروى في ذلك خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرويه أبو سعيد الخدري[١] قال: «اتقوا فِراسةَ المؤمن فإنه ينظر بنور الله» قال: ثم[٢] قرأ **إن في ذلك لآيات للمتوسمين.**[٣] فإن ثبت الخبر وثبت تلاوة هذه الآية على أثر ما ذكر فهو هو. وقال بعضهم: **للمتوسمين**، للمعتبرين، وقيل المتفكرين، وقيل الناظرين. ذكروا أنه آية للمعتبرين ولكن لم يبينوا من أيّ وجه يكون آية لمن ذكر،[٤] فيحتمل وجوها أحدها. **لآيات**[٥] **للمتوسمين**، المعتبرين لرسالته، لأنه ذكر قصة إبراهيمَ ولوطٍ على ما كان وهو لم يشهدها، فذلك يدل على صدقه وآية رسالته.[٦]

والثاني آية[٧] لصدق خبر[٨] إبراهيم وصدق لوط، لأنهم[٩] كانوا يخبرون قومهم أن العذاب ينزل بهم وغير ذلك من الوعيد، فيدل ذلك على صدق خبر[١٠] الأنبياء عليهم السلام في كل ما يخبرون.

والثالث، في هلاك من أهلك منهم ونجاة من أنجي منهم آية لمن ذكر، [أن] من هلك منهم[١١] هلك بالتكذيب ومن نجا منهم نجا بالتصديق، فيكون لهم آية.

والرابع، قد بقي من آثار من هلك منهم آية فيكون هلاكهم آية لمن ذكر.

وأصل هذا أن الله ذكر: **إن في ذلك لآيات للمتوسمين**، أي المؤمنين المتقين. والاعتبار والتفكر للمؤمنين لأنهم هم المنتفعون.[١٢] والمتوسم هو الذي يعلم[١٣] بعلامة،[١٤] وكذلك المتفرس

---

[١] ن – الخدري.

[٢] ن ع + قال.

[٣] *سنن الترمذي*، التفسير ١٦؛ و*تفسير القرطبي*، ٤٣/١٠.

[٤] *تفسير القرطبي*، ١٨٩/١.

[٥] جميع النسخ: آية.

[٦] ن ع م: لرسالته.

[٧] ن: أنه.

[٨] ن ع م: أخبر.

[٩] أي لأن إبراهيم ولوطًا وغيرهما من الأنبياء، كما يدل عليه آخر كلام المؤلف.

[١٠] ن – خبر إبراهيم وصدق لوط لأنهم كانوا يخبرون قومهم أن العذاب ينزل بهم وغير ذلك من الوعيد فيدل ذلك على صدق خبر.

[١١] ع – منهم.

[١٢] جميع النسخ + قال.

[١٣] جميع النسخ: يعمل.

[١٤] م: بعلامته.

هو الذي يعلم[1] بعلامة في غيره، ينظر في غيره بأن هلاكه بم كان، فينزجر عن صنيعه ويتعظ به، وهو كالمتفقه الذي يعلم بالمعنى. *والله أعلم*.

﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ﴾[٧٦]

وقوله عز وجل: **وإنها لبسبيل مقيم**، أي طريق دائم لا يزال مَعْلَمًا.[2]

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٧٧]

إن في ذلك لآية للمؤمنين، وهو ما ذكرنا أن الآية تكون للمؤمن. والله أعلم. ذكر في الآية الأولى: **لآيات**، [لأن فيها][3] أنباء إبراهيم وقصته وقصةَ قوم لوط، ففي ذلك آيات لمن ذكر. وذكر في هذه الآية، **لآية للمؤمنين**، لأنه ذكر شيئًا واحدًا وهو السبيل.

﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ﴾[٧٨]

وقوله عز وجل: **وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين**، أي وقد كان أصحاب الأيكة لظالمين. والأيكة ذكر أنها الغَيْضَة[4] من الشجر وهي ذات آجام وشجر كانوا فيها، فبعث إليهم شعيب وهم في الغَيْضَة. وذكر بعض أهل التأويل أن شعيبا بعث إلى قومين، إلى أهل غيضة مرة، وإلى أهل مَدينَ مرة على ما ذكر: وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا،[5] وقال في آية أخرى:[6] كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ.[7]

وقوله: **وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين**، سمى الله تعالى الكفرة بأسماء مختلفة؛ سماهم مرة ظالمين، / [٣٩٩و] ومرة فاسقين[8] ومشركين. واسم الظلم قد يقع فيما دون الكفر والشرك، وكذلك اسم الفسق يقع فيما دون الكفر والشرك. ثم الكفر[9] لم يَقبَح لاسم الكفر، وكذلك الإيمان لم يَحسُن لاسم الإيمان؛ إذ ما من مؤمن إلا وهو يكفر بأشياء ويؤمن بأشياء.

---

[1] جميع النسخ: يعمل، والتصحيحان من *الشرح*، ورقة ٤٢٩و.

[2] جميع النسخ: لا يزول معلم. المَعْلَمُ: ما جُعِلَ عَلامةً للشيء (*لسان العرب*، «علم»).

[3] والزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٤٢٩و.

[4] الغَيْضَة: الموضع يكثر فيه الشجر ويلتفّ (*لسان العرب*، « غاض»).

[5] سورة الأعراف، ٨٥/٧.

[6] ن – أخرى

[7] سورة الشعراء، ١٧٦/٢٦–١٧٧.

[8] ع + وكافرين.

[9] ن – والشرك ثم الكفر.

قال الله تعالى: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ.[١] المؤمن يكفر بالطاغوت وبالأصنام[٢] التي كان[٣] أهل الكفر عبدوها. وكذلك الكافر يؤمن بأشياء ويكفر بأشياء، يؤمن بالأصنام ويكفر بالله. فثبت أن الكفر لاسم الكفر ليس بقبيح، وكذلك الإيمان لاسم الإيمان ليس بحسن، ولكن إنما حسن لأنه إيمان بالله، والكفر إنما قبح لأنه كفر بالله. وأما الظلم فهو لاسم الظلم قبيح. وكذلك الفسق لاسم الفسق قبيح، فسماهم بأسماء هي لاسمها[٤] قبيح، لكن الإيمان المطلق هو الإيمان بالله، والكفر المطلق هو الكفر بالله، وإن كان يسمى[٥] بدون الله كفرًا وإيمانًا، كما قلنا: [إن] الكتاب المطلق كتاب الله والدين المطلق دين الله، وإن كان اسم الكتاب والدين يقع على ما دونه.

﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾[٧٩]

وقوله عز وجل: **فانتقمنا منهم**، ذكر الانتقام منهم ولم يذكر ههنا بم[٦] كان[٧] الانتقام. وقال في آية أخرى: فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ،[٨] وقال في آية أخرى: فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ،[٩] وقال في آية أخرى: فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ.[١٠] فيحتمل أن تكون[١١] الرجفة لقوم، والصيحة لقوم، وعذاب[١٢] يوم الظلة لقوم منهم، أو كان كله واحدا[١٣] فسماها باسماء مختلفة. وليس لنا إلى معرفة ذلك[١٤] حاجة سوى ما نعرف[١٥] أنهم إنما أهلكوا أو عذبوا بالتكذيب ليكون ذلك آية لمن بعدهم [و]ليحذروا مثل صنيعهم. *والله أعلم*.

---

[١] ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٦٥).

[٢] ع م: بالأصنام.

[٣] ك: كانوا.

[٤] جميع النسخ: باسمها، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٩و.

[٥] ن: مسمى.

[٦] م: لمَ.

[٧] م+كان.

[٨] ﴿فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ (سورة الأعراف، ٧/٩١).

[٩] ﴿فأخذتهم الصيحة مصبحين﴾ (سورة الحجر، ١٥/٨٣).

[١٠] ﴿فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/١٨).

[١١] ن ع م: يكون.

[١٢] ن ع م – عذاب.

[١٣] جميع النسخ: واحد.

[١٤] ك + الكتاب؛ ن ع م + العذاب.

[١٥] جميع النسخ: عرف؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٩و.

وقوله عز وجل: **فانتقمنا منهم**، للرسل كما انتقمنا من قوم لوط للوط بسوء صنيعهم وسوء[1] معاملتهم إياه، فعلى ذلك ننتقم من أهل مكة لمحمد صلى الله عليه وسلم بسوء صنيعهم ومعاملتهم إياه، وقد كان ما نزل بأصحاب الأيكة كفاية زجر[2] لهم وعظة لا يحتاج إلى ذكر[3] ما نزل بقوم لوط.

وقوله عز وجل: **وإنهما لَبِإمام مبين**، قال بعضهم: يعني قوم لوط وقوم شعيب،[4] **لبإمام مبين**، أي طريق مستبين، أي بيّن هلاكُهم. وقوله عز وجل: وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ،[5] **وإنهما لبإمام مبين**، واحد، أي بيّن واضح آثارهم، مَن سَلك ذلك الطريق أو دخلَ قراهم ومكانهم لاستبان لهم آثار هلاكهم وما حل بهم. وقوله: **لبإمام مبين**، أي طريق يُؤَمّ[6] ويُقصَد،[7] بيّن واضح.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾[٨٠]

وقوله عز وجل: **ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين**، قال أهل التأويل: أصحاب الحجر هم قوم صالح وثمود، وقالوا: الحجر هو اسم وادٍ، وقيل هو اسم القرية على شطّ الوادي نسبوا إليه. وقوله: **ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين**، قال أهل التأويل: يعني بالمرسلين صالحًا وحدَه، لكن ذكر المرسلين لأن صالحا كان يدعوهم إلى ما كان دعا سائر الرسل، فإذا كذبوه فكان قد كذبوا الرسل جميعًا؛ إذ كل رسول كان يدعو إلى الإيمان بالرسل جميعًا، فإذا كذب واحد منهم فقد كذب الكل. *والله أعلم*.

﴿وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [٨١]

وقوله: **وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين**، يحتمل الآيات آيات وحدانية الله وحججه، ويحتمل جميع الآيات، آيات الوحدانية وحججه وآياتِ رسالتهم. **معرضين**، أي لم يقبلوها، فإذا لم يقبلوها فقد أعرضوا عنها. أو أعرضوا عنها، أي كذبوها.

---

[1] ع – وسوء.
[2] ع م: مزجر.
[3] جميع النسخ+ إلى ما ذكر.
[4] جميع النسخ + وقوله؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٩و.
[5] سورة الحجر، ٧٦/١٥.
[6] جميع النسخ: يوم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٩و؛ ونسخة مدينة، ورقة ٤٨٤ظ.
[7] م: ويقصدون.

﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾[٨٢]

وقوله عز وجل: **وكانوا ينحتون من الجبال بيوتًا آمنين،** يحتمل آمنين[١] عما وعدهم صالحٌ من عذاب الله حيث قالوا: يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ،[٢] كانوا آمنين عن ذلك. وقال بعضهم: كانوا آمنين عن أن يقع عليهم ما نحتوا لحذاقتهم، وهو ما قال: وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ،[٣] على تأويل بعضهم: حاذقين.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾[٨٣]

وقوله عز وجل: **فأخذتهم الصيحة مصبحين،** يحتمل أخذتهم ظاهرة بالنهار.

﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٨٤]

وقوله عز وجل: **فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون،** يحتمل قوله: **فما أغنى عنهم،** أي ما كانوا ينحتون لأنفسهم [لا يغنيهم][٤] من عذاب الله من شيء. ويحتمل **فما أغنى عنهم،** ما عملوا من عبادة الأصنام والأوثان، حيث[٥] قالوا: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[٦] وقولهم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[٧] أي لم يغنهم ما عبدوا من عذاب الله. أو يقول: ما أغنى عنهم ما مُتِعوا وأُنعِموا في هذه الدنيا في دفع عذاب الله عن أنفسهم، كقوله: فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ،[٨] الآية، أي وإن أُعطُوا ما ذكر من السمع والبصر والأفئدة، إذا لم ينظروا ولم يتفكروا[٩] في آيات الله وجحدوها.[١٠]

---

[١] ع م – يحتمل آمنين.
[٢] ﴿فعقروا الناقة وعَتَوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين﴾ (سورة الأعراف، ٧٧/٧).
[٣] سورة الشعراء، ١٤٩/٢٦.
[٤] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٢٩ظ.
[٥] ع م – حيث.
[٦] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[٧] سورة يونس، ١٨/١٠.
[٨] ﴿ولقد مكنّاهم فيما إن مكنّاكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون﴾ (سورة الأحقاف، ٢٦/٤٦).
[٩] ك: ويتفكروا.
[١٠] ك ن: فجحدوها.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾[٨٥]

وقوله عز وجل: **وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق**، يحتمل **بالحق**، الحق الذي جعل لنفسه[1] على أهلها، والحق الذي لبعض على بعض. والحق هو اسم كل محمود مختار من القول والفعل. والباطل اسم كل مذموم من القول والفعل. قال بعضهم: تأويله **وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا** شهودا لله **بالحق** على أهلها. وقوله عز وجل: **إلا بالحق**، أي لم يخلقهما لغير شيء ولكن خلقهما للمحنة يمتحنهم بالعبادة فيها، وإلى هذا ذهب الحسن. وقيل: خلقهما وما بينهما لأمر كائن، أي لعاقبة الثواب[2] والجزاء، لم يخلقهم للفناء خاصة ولكن للعاقبة، لأن خلق الشيء للفناء[3] خاصة عبث، وهو / ما قال: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا [٣٩٩ظ] وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ.[4] أخبر أنّ خلقهم لا للرجوع إليه ولا للعاقبة عبث،[5] وقد ذكرنا هذا[6] فيما تقدم. وجائز أن يكون قوله: **وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية**، على الاحتجاج على أولئك لإنكارهم الساعة لوجهين. أحدهما ما ذكرنا أنه لو لم تكن الساعة حصل خلقهما وما بينهما للفناء خاصة. وخلق الشيء للفناء خاصة عبثٌ باطلٌ كبناء الباني[7] للنقض خاصة لا لعاقبة تُقصَد عَبَثٌ. والثاني أنه يكون في ذلك تسوية[8] بين الأعداء والأولياء، وفي الحكمة التفريقُ بينهما، و[هو] ما قال: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا،[9] الآية. لم يكن ظنهم أنه خلقهما باطلا، ولكن لما أنكروا البعث صار في ظنهم [أنه] خلقهما باطلا.

وقوله عز وجل: **وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل**، قال بعضهم: **فاصفح الصفح الجميل**، أي أعرض عنهم[10] ولا تكافئهم بما آذوك بألسنتهم وفعلهم. **وإن الساعة لآتية**، فأنا أكافئهم عنك على أذاهم إياك وصنيعهم يومئذ. والصفح الجميل، هو مالا نقص فيه ولا مِنة في العرف،

[1] ع م: تسمية؛ ن: تقية؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٩ظ.
[2] جميع النسخ: للثواب، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٩ظ.
[3] م – للفناء.
[4] سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣.
[5] ن – ما قال أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون أخبر أن خلقهم لا للرجوع إليه ولا للعاقبة عبث.
[6] ع م: ذكرناها.
[7] ك ن: البناء.
[8] جميع النسخ: التسوية؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٩ظ.
[9] سورة ص، ٢٧/٣٨.
[10] ك – أي اعرض عنهم.

أي **فاصفح الصفح** [أي] ما يوصف فيه بتمام الأخلاق وما لا نقص[١] فيه ولا منة. يحتمل الصفح الجميل هو أن يصفح ولا يَمُنَّ عليهم، كأنه أمره أن يصفح صفحًا لا منة فيه. **وإن الساعة لآتية**، فتجزى أنت على صفحك الجميل وهم على أذاك. ***والله أعلم***.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾[٨٦]

وقوله عز وجل: **إن ربك هو الخلاق العليم**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما أنه [خَلَقَهم] على علم بما يكون منهم[٢] من المعصية والخلاف، لا خَلَقَهم عن غفلة وجهل بذلك، ليُعلَم أنه لم يخلق الخلق لحاجة نفسه ولا لمنفعة نفسه،[٣] ولكن خلقهم ليمتحنهم بما أمرهم به ونهاهم ولِمَا يرجع إلى منافعهم وحوائجهم. والثاني **إن ربك هو الخلاق**، لخلقه،[٤] **العليم**، بمصالحهم، بان الصفح الجميل لهم[٥] أصلح في دينهم من المكافأة. ***والله أعلم***.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[٨٧]

وقوله عز وجل: **ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم**، اختلف في قوله: **سبعًا من المثاني**، قال بعضهم: **سبعًا من المثاني**،[٦] المثاني هو القرآن كله،[٧] كقوله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾.[٨] وقيل سمي مثاني لترديد الأمثال فيه والعبر والأنباء. فإن كان على هذا فيكون قوله: **سبعًا من المثاني**، أي سبعًا من القرآن العظيم.[٩] ثم يحتمل السبع الطوالَ على ما ذكر بعض أهل التأويل، كأنه قال: آتيناك سبعًا من القرآن العظيم. ويحتمل **سبعًا**، يعني فاتحة الكتاب من القرآن، أي آتيناك فاتحة الكتاب من القرآن. وقال قوم: يقولون: السبع[١٠] المثاني فاتحة الكتاب. ويروون على ذلك حديثًا عن رسول الله، روى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال:

---

[١] ك ع م: لا نقض.
[٢] جميع النسخ + خلقهم.
[٣] م – ولا لمنفعة نفسه.
[٤] ك – لخلقه، صح هـ.
[٥] جميع النسخ + ذلك.
[٦] ن – المثاني.
[٧] ن – كله.
[٨] سورة الزمر، ٢٣/٣٩.
[٩] ك – العظيم.
[١٠] جميع النسخ: سبع، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٩ظ.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني.»[1] وعن أبيّ[2] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:[3] «ما أنزل الله في التوراة والإنجيل مثل أم القرآن، وهي السبع المثاني، وهي مقسومة بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل.»[4] ومنهم من يقول: المثاني القرآن كله، يذهب إلى ما ذكرنا من الآية وبما يروي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور والقرآن مثلها -يعني أم القرآن- وأنها السبع[5] من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت»[6] ذكروا أنها سبع من المثاني. فإن كان سبع المثاني فاتحة الكتاب يصير كأنه قال: ولقد آتيناك سبعًا وهي المثاني،[7] وإن كان **سبعًا من المثاني** هو[8] السبع الطوال[9] يكون هكذا: أي آتيناك سبعًا وهو المثاني. وروي أيضًا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال:[10] «آتاني السبع الطوال مكان التوراة، والمثاني مكان الإنجيل، وفضلني[11] ربي بالمفصل.»[12]

ثم إن ثبت ما روي في الخبر أن السبع[13] المثاني فاتحة الكتاب[14] [فهو كما ثبت]، وإلا الكف والإمساك عن ذلك أولى؛ لأنه لا حاجة بنا إلى معرفة ذلك، وليس يكون تسميتنا إياها سوى الشهادة،[15] وما خرج مخرج الشهادة من غير حصول النفع لنا فالكف عنه والإمساك أولى. ومنهم من يقول: هن المفصل.[16] ومن قال: المثاني فاتحة الكتاب، قال لأنها تُثَنَّى في كل ركعة،

---

[1] *سنن الترمذي*، التفسير ١٦.

[2] ع م + رفيه، وكأنها محرفة من «رضي الله عنه» المكتوبة برمز: رض.

[3] ك – الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني وعن أبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[4] *مسند أحمد بن حنبل*، ٥/١١٤؛ و*سنن الترمذي*، التفسير ١٦.

[5] جميع النسخ: سبع، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٩ظ.

[6] م – أعطيت. انظر: *صحيح البخاري*، التفسير ١/١، ٣/١٥، فضائل القرآن ٩؛ و*الموطأ* لمالك، الصلاة ٣٧؛ و*مسند أحمد بن حنبل*، ٤/٢١١، ٥/١١٤.

[7] ع: من المثاني.

[8] جميعالنسخ: هي.

[9] ك ن + مكان التوراة.

[10] م: وقال.

[11] ع م: فضلني.

[12] ع م: بالمفضل. *مسند أحمد بن حنبل*، ٤/١٠٧.

[13] ك م: سبع.

[14] ك ن + الكتاب.

[15] أي بالظن والتخمين.

[16] م: المفضل.

أو ما جعل فيها مكررة معادة، لأن كل حرف[1] منها يؤدي معنى حرف آخر فسمي مثاني بذلك. ومن قال: المثاني هو القرآن، قال لما ذكرنا، لأن أمثاله وأنباءه وعِبَره مُعادة مردودة. ومن قال: المثاني السبع الطوال، فقال لأنه يُثَنَّى فيها حدود القرآن وفرائضه وعامة أحكامه. **والله أعلم**.

وقوله عز وجل: **والقرآنَ العظيم**، سماه عظيمًا وسماه مجيدًا وحكيمًا، وهذه أسماء[2] الفاعلين ولا عمل له[3] ولا فعل في الحقيقة، لكنه يخرج -والله أعلم- على وجوه. يحتمل [أنه] سماه عظيمًا مجيدًا لما عظمه وشرفه ومجّده؛ فهو عظيم مجيد حكيم، أي محكم، فعيل بمعنى مفعول،[4] وذلك جائز في اللغة؛ أو سماه بذلك لأن من تمسك به وعمل به يصر[5] عظيمًا مجيدًا حكيما؛[6] أو سماه[7] عظيما مجيدًا حكيمًا،[8] أي جاء من عند عظيم مجيد حكيم. وأصل الحكيم[9] المصيب الواضع[10] كل شيء موضعه. **والله أعلم**.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٨٨]

وقوله عز وجل: **لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجًا منهم**، يحتمل المراد بقوله: **عينيك**، نفس العين. ثم هو[11] يحتمل وجهين. أحدهما نهي رسوله أن ينظر إلى ما متّع أولئك مثلَ نظرهم، لأنهم ظنوا أنهم إنما مُتِّعوا بهذه الأموال في الدنيا لخطرهم وقدرِهم عند الله، وعلى ذلك قالوا: وَلَئِن رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا،[12] وقال: وَلَئِن رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي،[13] الآية ونحوه.

---

[1] لعل المؤلف رحمه الله يقصد بكل حرفٍ المعاني الدقيقة والأحكام الحِكَمِية التي توجد فيها، فهي مكررة ومعادة في سور أخرى، لأن سورة الفاتحة أم القرآن.

[2] جميع النسخ: وهو اسم؛ والتصحيح مستفاد من *الشرح* ورقة ٤٣٠و.

[3] أي للقرآن.

[4] ع م: المفعول.

[5] جميع النسخ: يصير.

[6] ع م: - حكيمًا.

[7] ع م: وسماه.

[8] ع م + وسماه.

[9] ك ن + هو.

[10] ك ن ع: واضع.

[11] ع م - هو.

[12] ﴿وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا﴾ (سورة الكهف، ٣٦/١٨).

[13] ﴿وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾ (سورة فصلت، ٥٠/٤١).

[٤٠٠و] / ظنوا أنهم[1] إنما مُتِعُوا في هذه الدنيا لخطرهم وقدرهم عند الله، لذلك قالوا ما قالوا. فنهاه أن ينظر إلى ذلك بعين الذين نظروا هم[2] إليه ولكن بالاعتبار.

والثاني نهاه أن ينظر إلى ذلك نظرَ الاستكبار والتجبّر على المؤمنين والاستهزاء بهم على ما نظروا هم،[3] لأنهم بما متعوا من أنواع المال استكبروا على الناس واستهزءوا بهم؛ إذ البصر قد يقع على ما ذكر[4] من غير تكلف. فيصير كأنه نهاه عن الرغبة والاختيار فيما متعوا فيه، لأن ما متعوا به هو ما ذكر: فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،[5] وقال في آية أخرى: لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ.[6] وقوله: **لا تمدن عينيك**، فيما مُتِعوا فإنهم إنما متعوا لما ذكر.

ويحتمل النهي عن مد العين لا [بقصد] العين نفسها،[7] ولكن [عنى] نفسها.[8] كأنه قال: لا تُمَنِّيَنَّ نفسَك فيما مُتعوا هم[9] ولا[10] تُرَغِّبَنَّها في ذلك، فإنه ليس يُوَسَّع ذلك عليهم لخطرهم وقَدرِهم، ولكن ليُعلم أن ليس لذلك[11] خطر عند الله وقدر حيث أعطى من افترى على الله وجحد نعمه وفضله.

وفي الآية تفضيل[12] الفقر على الغناء، لأنه نهي رسول الله أن يمدّ عينيه إلى ما متعوا. ومعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مَدَّ إلى ذلك ليس يمد للدنيا ولا لشهواته،[13]

---

[1] ع م – أنهم.

[2] م: نظروهم.

[3] م: نظروهم.

[4] ع م – على ما ذكر.

[5] ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتَزْهَقَ أنفسهم وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ٩/٥٥).

[6] ﴿ولا تَمُدَّنَّ عينَيْك إلى ما متّعنا به أزواجا منهم زهرةَ الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ (سورة طه، ٢٠/١٣١).

[7] جميع النسخ: نفسه.

[8] أي شخص المخاطب وذاته. قال علاء الدين السمرقندي: «عنى بالعين النفس إذ الصبر قد يقع على ما ذكر من غير تكلف، فيصير كأنه نهاه عن الرغبة والاختيار فيما متّعوا به» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٣٠و).

[9] م: متعوهم.

[10] ن: لا.

[11] ك: ذلك.

[12] م: نفضل.

[13] ن: ولشهوته.

ولكن يستعين به في أمر جهاد عدوه، ويُعين به أصحابه في سبيل الخيرات، ثم نهاه مع ذلك عنه. دل أن الأخيَرَ والأفضَلَ[١] ما اختاره من الفقر وقصور ذات يده. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **أزواجًا منهم**، أي أصنافًا من الأموال وألوانا من النعم. وقال بعضهم: **أزواجًا منهم**، أي الأغنياءَ منهم وأشباهَهم. فإن كان قوله: **أزواجًا منهم**، هو أصنافَ الأموال فهو على التقديم والتأخير، كأنه قال: لا تمدن عينيك إلى ما متعنا منهم أزواجًا. وإن كان **أزواجًا منهم**، هو أصنافَ الناس فهو على النظم الذي جرى به التنزيل، أي لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به قومًا منهم.

وفي قوله: **لا تَمُدَّنَّ عينَيك إلى ما متعنا به أزواجًا منهم**، دلالة نقض قول المعتزلة، لأنهم يقولون: إن الله لا يعطي أحدا شيئًا إلا ما هو أصلح له[٢] في الدين. ولو كان ما مَتَّع هؤلاء أصلح لهم في الدين لم يَنهَ رسوله عن مد عينيه إليه، فدل[٣] أنه قد يعطي[٤] ما ليس باصلح في الدين. وكذلك قوله:[٥] وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا.[٦] أخبر أنه إنما يملي[٧] لهم ليزدادوا إثمًا وهم يقولون: يملي[٨] لهم ليزدادوا خيرًا. وكذلك قوله: وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ،[٩] الآية. هذه الآيات كلها تنقض عليهم قولهم، وقد ذكرنا هذا في غير موضع فيما تقدم.

وقوله عز وجل: **ولا تحزن عليهم**، يحتمل النهي نفسه، نهاه أن يحزن عليهم اشفاقًا عليهم، بل أمره أن يَغلُظ عليهم، كقوله: جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ،[١٠] وعلى هذا يخرج قوله: **واخفض جناحك للمؤمنين**، أي ارفُق بهم ولِيّن عليهم واشدُد على أولئك واغلُظ عليهم، وهو ما وصفهم: أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ،[١١] أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ.[١٢]

---

[١] ع: لا خير ولا فضل.
[٢] ن: له أصلح.
[٣] جميع النسخ: دل.
[٤] ع م: أعطى.
[٥] ن - قوله.
[٦] سورة آل عمران، ١٧٨/٣.
[٧] ع م: تملي.
[٨] ك ع م: تملي.
[٩] سورة آل عمران، ١٨٠/٣.
[١٠] ع م + يحتمل النهي نفسه. ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾ (سورة التوبة، ٧٣/٩).
[١١] ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ (سورة الفتح، ٢٩/٤٨).
[١٢] ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ (سورة المائدة، ٥٤/٥).

أخبر أنهم أهل شدة على الكفار وأهلُ غِلظة، رحماءُ بينهم، وأهلُ ذلة[1] على المؤمنين، وأهل شدة عليهم، أي على الكفار،[2] فعلى ذلك هذا.

ويحتمل أن ليس على النهي ولكن على التخفيف والتسلّي ورفع الحزن عن نفسه، لأنه كان يحزن لكفرهم بالله وتركهم الإيمان حتى كادت نفسُه تَتلَف لذلك، كقوله: فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ[3] الآية، وقوله: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ،[4] الآية وأمثاله. ويحتمل أيضًا وجهًا آخر وهو أنه كان يحزن عليهم ويضيق[5] صدره لما مَكَروا به وكايدوه، كقوله: وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ،[6] فإني أكافئهم. ***والله أعلم***.

﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾[٨٩]

وقوله عز وجل: **وقل إني أنا النذير المبين**، يحتمل **أنا النذير**، على معاصيه، **المبين** على طاعته، أو **النذير**،[7] على العصاة من عذاب الله، **المبين**، لأموره ونواهيه. ***والله أعلم***.

﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾[٩٠] ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾[٩١]

وقوله عز وجل: **كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين**، قال الحسن: الكتب كلها قرآن، يعني كتب الله اقتسموها وجعلوها عضين، أي فرقوها بالتحريف والتبديل، فما وافقهم أخذوه وما لم يوافقهم غيّروه وبدلوه، كقوله: يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا،[8] ونحوه. فذلك اقتسامهم وتَعَضِيهم[9] على قوله، وكقوله: تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا،[10] وقوله: فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا،[11] ونحوه.

---

[1] ن: أذلة.
[2] ع م: الكافرين.
[3] ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا﴾ (سورة الكهف، ٦/١٨).
[4] ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون﴾ (سورة الروم، ٨/٣٥).
[5] ع: تضيق.
[6] سورة النمل، ٧٠/٢٧.
[7] ع: والنذير.
[8] ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سمّاعون للكذب سمّاعون لقومٍ آخرين لم يأتوك يحرفون الكَلِمَ من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا﴾ (سورة المائدة، ٤١/٥).
[9] عَضَّيت الشيءَ تَعْضِية إذا فَرَّقته. والتَّعْضِية: التَّفْرِيقُ، وهو مأخوذٌ من الأَعْضاءِ. (*لسان العرب*، «عضا»).
[10] ﴿قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا﴾ (سورة الأنعام، ٩١/٦).
[11] ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون﴾ (سورة المؤمنون، ٥٣/٢٣).

وقال[1] بعضهم: اقتسامهم هو[2] أن نفرًا من قريش كانوا اقتسموا عَقار[3] مكة ليصدوا الناس عن رسول الله، فتقول[4] طائفة منهم إذا سئلوا عنه:[5] هو كاهن، وطائفه أخرى: هو شاعر ساحر مجنون ونحوه. **وعضين**، قولهم: هو سحر شعر كهانة،[6] أساطير الأولين، أفترى على الله كذبا، وأمثال ما قالوا. فذلك اقتسامهم وعِضيهم.[7] وقال بعضهم: هو على التقديم، أي آتيناك المثاني والقرآن العظيم، أنزلناه عليك كما أنزلنا التوراة والإنجيل على اليهود والنصارى، فهم المقتسمون كتاب الله، فآمنوا ببعض وكفروا ببعض. وقال أبو عَوْسَجة: يقال عضَيتُ الجزور، أي قسَمتها عضوا عضوا.[8] / وقال غيره:[9] هو من العِضَة، وهو السحر بلسان قريش، يقال للساحر: عاضِه.[10] وقال القُتبي: [٤٠٠ظ] المقتسمون قوم تحالفوا[11] على عِضَة النبي صلى الله عليه وسلم وأن يذيعوا ذلك بكل طريق ويخبروا به النُّزّاع[12] إليهم.[13] **وعضين**، أي فرّقوه وعَضّوه. وقيل: فرّقوا القول فيه وهو ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٩٢] ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٩٣]

وقوله عز وجل: **فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون**، قوله: **فوربك**، قيل: قسم أقسم به تعالى. **لنسألنهم أجمعين**، قال بعضهم: الخلائق كلّها، كقوله: فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ.[14] أخبر أنه[15] يسألهم جميعًا: الرسلَ عن تبليغ الرسالة، والذين أُرسل إليهم عن الإجابة لهم.

---

[1] ن: قال.

[2] جميع النسخ: وهو.

[3] جميع النسخ: عقاب؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٠و. والعقار: المنزل والأرض والضياع (*لسان العرب*، «عقر»).

[4] جميع النسخ: فيقول.

[5] أي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[6] وأما قوله تعالى: الذين جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ، فقد اختلف أهل العربية في اشتقاق أصله وتفسيره. فمنهم من قال: واحدتُها عِضَةٌ وأصلها عِضْوَةٌ من عَضَّيْتُ الشيءَ إذا فَرَّقته، جعلوا النُّقْصان الواوَ، المعنى أنهم فَرَّقُوا يعني المشركين أَقاوِيلَهم في القرآن فجعلوه كذبا وسحرا وشعرا وكهانة (*لسان العرب*، «عضه»).

[7] ع م: وعضتهم.

[8] ع م – عضوا.

[9] ن – غيره.

[10] جميع النسخ: عاضة؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٠و؛ وانظر: *لسان العرب*، «عضه».

[11] ع: تخالفوا.

[12] ونُزّاعُ القبائل: غرباؤهم الذين يجاورون قبائل ليسوا منهم، الواحد: نزيع ونازع (*لسان العرب*، «نزع»).

[13] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٣٩.

[14] سورة الأعراف،٧/٦.

[15] ن: أنهم.

وقال بعضهم قوله: **فوربك لنسألنهم أجمعين**، هؤلاء الذين[1] سبق[2] ذكرهم [من][3] المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين والذين استهزءوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، يسألهم عن حجج ما فعلوا وعن السبب[4] الذي حملهم على سوء معاملة رسوله وكتابه: لأي شيء نسبتم رسولي وكتابي إلى السحر والكذب والكهانة والافتراء على الله؟[5] لا يسألون: ما فعلتم وأيّ شيء عملتم؟ لأن ذلك يكون مكتوبًا في كتبهم يقرءونه،[6] كقوله: اِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا.[7] وهو[8] وعيد شديد في نهاية الوعيد والشدة، لأنه وعيد مقرون بالقسم، وكل وعيد قرن[9] بالقسم فهو في[10] غاية الشدة؛ إذ لو جاءنا ذلك الوعيد من ملك من ملوك البشر بحيث أن يخاف، فكيف من ربنا!

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [٩٤]

وقوله عز وجل: **فاصدع بما تؤمر**، قال[11] بعضهم: **فاصدع بما تؤمر**، أي استقم كما تؤمر، كقوله: فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ،[12] فهو في كل ما أمر به. وقال بعضهم: **فاصدع**، أي امض بما تؤمر من تبليغ الرسالة. **وأعرض عن المشركين**، أي أعرض عن مكافأتهم. ومعناه[13] -والله أعلم- امض على ما تؤمر من تبليغ الرسالة إليهم ولا تَخَفْهم ولا تَهَبْهم ولا يمنعنك[14] شيء عن تبليغ الرسالة [من] الخوف ولا القرابة ولا شيء من ذلك، ولكن امض على ما تؤمر، وهو كما قال: وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اِعْدِلُوا،[15] وقال: كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ،[16]

---

[1] م: الذي.
[2] ع م: سبقوا.
[3] والزيادة من *الشرح* ورقة ٤٣٠ظ.
[4] جميع النسخ: والمعنى؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٠ظ.
[5] ع م - في.
[6] جميع النسخ: يقرؤون.
[7] سورة الإسراء، ١٧/١٤.
[8] أي قوله تعالى: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾.
[9] ع + نفسك.
[10] ك ن + في.
[11] ك - قال.
[12] ﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير﴾ (سورة هود، ١١/١١٢).
[13] ن ع م - ومعناه.
[14] ع م: يمنعك.
[15] سورة المائدة، ٥/ ٨.
[16] ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾ (سورة النساء، ٤/ ١٣٥).

أي لا يمنعكم عن القول بالحق والعدل بغضُكم إياهم ولا قرابتكم التي فيما بينكم. فعلى ذلك قوله: **فاصدع بما تؤمر**، أي امض على ما أمرت من تبليغ الرسالة ولا يمنعك[١] عن ذلك الخوف والوعيد والقرابة التي فيما بينك وبينهم.

وقال القُتبي: **فاصدع بما تؤمر**، أي[٢] أظهِرْ ذلك. وأصله،[٣] الفَرق والفتح، يريد: اصدع الباطلَ بحقك[٤] حتى يأتيك الموقن به وهو الموت. وقال أبو عَوْسَجة: **فاصدع**، أي امض على ما تؤمر. وصدعت، أي مضيتَ، وذلك من المضيّ، وأصل هذا كله الشَقّ، ويقال: تصدّعوا، أي تفرّقوا. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وأعرض عن المشركين**، أي أعرض عن مكافأتهم، فأنا أكافئهم عنك على ما آذوك. وقال بعض أهل التأويل قوله: **وأعرض عن المشركين**، هو منسوخ بآية السيف، لكن على الوجه الذي ذكرنا ليس بمنسوخ. ويحتمل **وأعرض عن المشركين**، إن كان القتال والدعاء إلى التوحيد فهو في وقت دون وقت، أو في قوم خاص. علم الله أنهم لا يجيبونه ولا يؤمنون به فآيَسَ[٥] رسوله عن إيمانهم فقال: أعرض عن هؤلاء ولا تشتغل بهم ولا تدعُهم، فإنهم لا يؤمنون ولكن أُدعُ قومًا آخرين. ***والله أعلم***.

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[٩٥]

وقوله عز وجل: **إنا كفيناك المستهزئين**، قال بعضهم: قوله: **كفيناك المستهزئين**، الكفرةَ جميعًا فمنعناهم عن أن يَصِلوا إليك على ما قصدوك[٦] من إهلاك[٧] وغيره، كقوله: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ.[٨] وقال بعضهم: قوله: **كفيناك المستهزئين**، الذين كانوا على الطرق والمراصد ليصدوا الناس عن رسول الله[٩] صلى الله عليه وسلم، على ما ذكر في القصة العدد الذي ذكر سبعة أو خمسة، كفاه الله بأن أهلكهم بما ذكر أهل التأويل أن الذين استهزءوا به أُهلكوا جميعًا بعقوبات مختلفة.[١٠]

---

[١] ن ع م: يمنعك.
[٢] ع م + أظهر صدع.
[٣] أي الصدع.
[٤] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٤٠.
[٥] جميع النسخ: اياس.
[٦] ع م: على ما قصدوا إليك.
[٧] جميع النسخ: إهلاكك؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٠ظ.
[٨] جميع النسخ: شهرين؛ و لم يرد الحديث عليه، وإنما ورد بلفظ: « نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ» *صحيح البخاري*، التيمم ١، والجهاد ١٢٢، والصلاة ٥٦؛ و*سنن النسائي*، الغسل ٢٦.
[٩] ك: عن سبيل الله.
[١٠] *تفسير القرطبي*، ١٠/٦٢.

﴿ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[٩٦]

وقوله عز وجل: **الذين يجعلون مع الله إلهًا آخر**، قوله: **يجعلون**، ليس على الجعل، لأنهم لو جعلوا لكان لأن كل مجعول كائن موجود، ولكن قوله: **يجعلون**، أي يزعمون أن مع الله إلهًا آخر، إما في التسمية أو في العبادة. وكذلك قوله: جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ،[١] هم لا يقدرون على أن يجعلوه عضين ولكن زعموا أنه كذا، لأن الله وَكَّلَ حفظه إلى نفسه بقوله: وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ،[٢] وقال: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ.[٣] أخبر أنه يحفظه حتى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلو قدَروا على جعله عضين لكان قد أتي الباطلُ من بين يديه، دل أنه على القول الذي قالوا وهو على المجاز. وكذلك قوله: فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ،[٤] وقوله: أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا،[٥] فهو كله على المجاز على ما عندهم؛ إما بحق التسمية لها أنها آلهة، وإما بصرف العبادة إليها. ظاهر هذا أن المستهزئين الذين ذكرهم [الله] أنه كفاه عنهم هم الكَفَرَة جميعًا، لكن يحتمل في الذين ذكرهم أهل التأويل، كانوا على مراصد مكة، أضاف ذلك إليهم ونَسَب لأنهم هم الذين أمروا غيرهم أن يجعلوا دونه إلهًا، فكأنهم فعلوا ذلك [بأنفسهم][٦] وهم قالوا. وقوله: كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ،[٧] الذين فعلوا به ما فعلوا ممن تقدم ذكرهم فيكون قوله: **الذين يجعلون**، على إضمار / "كان" أي الذين كانوا يجعلون مع الله [٤٠١و] إلهًا آخر، وإن كان في الذين يكونون من بعد فهو على ظاهر ما ذكر: **يجعلون**،[٨] على المستقبل.

وقوله عز وجل: **فسوف يعلمون**، وعيد، أي سوف يعلمون ما عملوا من الاقتسام والعِضَة والاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إذا نزل العذاب بهم. ***والله أعلم***.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾[٩٧]

وقوله عز وجل: **ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون**، وما قالوا [هو ما تقدم ذكره][٩] من الاقتسام والعضة والاستهزاء به وأنوع الأذى الذي كان منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم،

---

[١] سورة الحجر، ١٥/٩١.
[٢] ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (سورة الحجر، ١٥/٩).
[٣] سورة فصلت، ٤١/ ٤٢.
[٤] ﴿فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون﴾ (سورة الصافات، ٣٧/ ٩١).
[٥] ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب﴾ (سورة ص، ٣٨/ ٥).
[٦] والزيادة من *الشرح* ورقة ٤٣٠ظ.
[٧] الآية السابقة.
[٨] م: تجعلون.
[٩] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٠ظ.

أي نعلم ذلك، وهو محفوظ عندنا نجزيهم على ذلك، فلا يضيقَنّ صدرك لذلك. فهو على التصبير على الأذى والتسلي عن ذلك وترك المكافأة لهم. *والله أعلم*. وكان يضيق صدره مرة لتركهم الإجابة له، ومرة للأذى باللسان. والثاني [أي] على علم منا بما يكون منهم [من الأذى][1] ومن ضيق صدرك بذلك، لكن أنشأناهم ومكّنّاهم على علم منا بذلك امتحانا منا إياك بذلك[2] وإياهم.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾[٩٨]

وقوله عز وجل: **فسبح بحمد ربك،** قال بعض أهل التأويل: أي صلّ بأمر ربك **وكن من الساجدين،** أي من المصلين. وقوله: **فسبح،** هو أمر، فإذا فعل ذلك كان بأمر ربه، فلا معنى لذكر الأمر من بعد[ه] بقوله: **بحمد ربك،** إن كان الحمد هو الأمرَ على ما قال بعض أهل التأويل. ويحتمل وجهًا آخر وهو أن قوله: **فسبح،** أي نزّه الله عن جميع[3] ما قالت الملحدة[4] فيه، إذ التسبيح هو التنزيه في اللغة. **بحمد ربك،** أي بثناء ربك، أي نزّه عن ذلك كله بثناء تُثنِيه عليه. **وكن من الساجدين،** أي من الخاضعين إذ السجود هو الخضوع. أو أن يكون أَمْره إياه بالتسبيح على التسلي وتوسيع صدره بالذي يكون منهم، أي فسبح ربك مكان ذلك.

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[٩٩]

وقوله عز وجل: **واعبد ربك،** يحتمل التوحيد، أي وحِّد ربك. وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنه: كل عبادة ذكرت في القرآن فهي[5] توحيد. يأمره باعتقاد الإخلاص له في كل أمر. ويحتمل العبادة نفسَها، يأمره بالعبادة له شكرًا له، على ما روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلّى حتى تَوَرَّمَتْ ساقاه فقيل له: ألم يغفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ فقال: «بلى، أفلا أكون عبدا شكورا».[6]

---

[1] والزيادتان من *الشرح*، ورقة ٤٣٠ظ.

[2] ن بذلك إياك.

[3] م + عن جميع.

[4] م: الملاحدة.

[5] جميع النسخ: فهو.

[6] ورد الحديث بألفاظ مختلفة في صحيح *البخاري*، الرقاق ٢٠، التفسير ٤٨، التهجد ٤؛ وصحيح *مسلم*، صفات المنافقين ٧٩-٨١.

وقوله عز وجل: **حتى يأتيك اليقين**، أي ما تيقّنتَ به، وهو الموقّن به. وكذلك قوله: وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ،[1] أي من يكفر بالمؤمَن به فقد حبط عمله، لأن الإيمان لا يُكفَر به. فعلى ذلك اليقينُ لا يأتيه ولكن يأتيه الموقَنُ به. وكذلك ما ذُكر: الصلاة أمر الله، أي بأمر الله وهو المأمور به، لأن الصلاة لا تكون أمر الله لكن بأمر الله. وكذلك ما يجيء من هذا النحو. ويحتمل قوله: **حتى يأتيك اليقين**، فيهم، وهو ما وعد من العذاب فيهم، أي يتيقنون بذلك. *والله أعلم*.

[1] ﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ (سورة المائدة، ٥/٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النحل[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[١]

قوله عز وجل: **أتى أمر الله فلا تستعجلوه**، في قوله: **أتى أمر الله فلا تستعجلوه**، وجهان. أحدهما أن يُعرف قولُه: **أمر الله**، ما أراد[2] به،[3] [والثاني] ما[4] الذي استعجلوه؟ وإنما [الذي] استعجلوه الساعة والقيامة، بقوله: يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا،[5] الآية، ونحوه من الآيات. وقال بعضهم: **أمر الله**، هو عذابه، وكذلك جميع[6] ما ذكر في[7] القرآن من أمر الله، المعني منه عذابه، كقوله: جَاءَ أَمْرُ اللهِ،[8] أي عذابه، ونحوه. ويحتمل قوله: **أتى أمر الله**، رسولُه الذي كان يستنصر به أهل الكتاب على المشركين، كقوله: وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا،[9] الآية. وكان يتمنى مشركوا العربِ أن يكون لهم رسول كسائر الكفَرة،

---

[1] ورد في جميع النسخ قبل البسملة: قال (ع م – قال) بعض أهل التأويل: سورة النحل كلها مكية إلا ثلاث آيات، فإنها (ن ع م: لأنها) نزلت بالمدينة. والله أعلم بالصواب.

[2] ع م: وأراد.

[3] ن ع م – به.

[4] ك: وما.

[5] ﴿وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها﴾ (سورة الشورى، ٤٢/١٧-١٨).

[6] ع م – جميع.

[7] ك ع م + جميع.

[8] انظر: سورة المؤمن، ٤٠/٧٨؛ وسورة الحديد، ٥٧/١٤. وقد ورد في آيات لفظ "أمر" بمعنى العذاب والهلاك، مثل: ﴿ولما جاء أمرنا نجينا هودا﴾ (سورة هود، ١١/٥٨) و﴿يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود﴾ (سورة هود، ١١/٧٦).

[9] ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ (سورة البقرة، ٢/ ٨٩).

كقوله: وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ،[1] الآية. **فلا تستعجلوه**، ذهاب ما كنتم تتمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم أو شيءٍ آخر.[2] ***والله أعلم.***

ثم إنه لم يُرد بقوله: **أتى أمر الله**، وقوعه ولكن قربه، أي قرب آثار أمر الله، كما يقال: أتاك الخير وأتاك أمر كذا، على إرادة القرب لا على الوقوع. وجائز أن يكون قوله: **أتى أمر الله**، أي ظهر أعلام أمر الله وآثاره، وليس[3] على إتيان أمره من مكان إلى مكان كقوله: جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ.[4] وآثاره، هي[5] رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه كان يُختَم به[6] النبوة. فهو كان أعلام الساعة، على ما روي عنه صلى الله عليه وسلم قال:[7] «بُعِثْتُ[8] أنا والساعةُ كهاتين، وأشار[9] إلى إصبعين»،[10] لقربها منه. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **فلا تستعجلوه**، لأنه لا منفعة لكم فيها فلماذا تستعجلونه كقوله: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ،[11] إذ لا منفعة لهم فيه،[12] بل فيه ضرر عليهم.

وقوله عز وجل: **سبحانه وتعالى عما يشركون**، سبحان هي[13] كلمة إجلال الله،[14] يُجرِيها على ألسن أوليائه، على تنزيه[15] ما قالت الملحدة فيه؛ و[على] تعاليه عن جميع ما نسبوا إليه من الولد والصاحبة والشريك وغيره من الأشياء والأضداد. تعالى عن ذلك.[16] سبحان الله،

---

[1] ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير لَيَكُونُنَّ أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا﴾ (سورة فاطر، ٤٢/٣٥).

[2] «فلما أن بعث رسول الله لم يصدقوه وقصدوا قتله وإهلاكه فقال: أتى أمر الله فلا تستعجلوه، أي أتى الرسول [الذي] كنتم تتمنونه فلا تستعجلوه، أي فلا تستعجلوا ذهاب ما كنتم تمنونه» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٣١و).

[3] ك: ليس.

[4] ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾ (سورة الإسراء، ٨١/١٧).

[5] جميع النسخ: هو.

[6] جميع النسخ: به يختم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣١و.

[7] جميع النسخ: فقال.

[8] ن ع م– بعثت.

[9] جميع النسخ: أشار؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣١و.

[10] صحيح *البخاري*، الرقاق ٣٩، والطلاق ٢٥، والتفسير ٧٩/١؛ وصحيح *مسلم*، الجمعة ٤٣، والفتن ١٣٢–١٣٥.

[11] سورة يونس، ٥٠/١٠.

[12] ن: فيها.

[13] جميع النسخ: هو.

[14] م – الله.

[15] ن ع م: تبرئة.

[16] ن + علوا كبيرا.

حرف يذكر على أثر شيء مستبعَد أو مستعجَب أو مستعظَم جوابًا لذلك، وهو ما ذكره على أثر وصف وقول[1] / لا يليق بالله من الولد والشريك ونحوه، فقال: **سبحانه**،[2] على التنزيه مما وصفوه. [٤٠١ظ]

﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **ينزل الملائكة بالروح من أمره**، قال بعضهم: قوله: **بالروح**، أي بالوحي الذي أنزله على رسله؛[3] أو الروح[4] الرحمة، وهو الذي به نجاة كل من رحمه الله وهداه لدينه، وهو ما ذكر حيث قال: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.[5] وقيل: الرسالة والنبوة[6] والقرآن[7] [كلها سميت] روحًا لأنه به حياة الدين، كما سمى الذي به حياة الأبدان أرواحا. وقال الحسن: قوله: **بالروح من أمره**، أي بالحياة من أمره، وهو ما ذكرنا من حياة الدين.

وقوله عز وجل: **على من يشاء من عباده**، أي على من يشاء أن يختص من عباده ويختاره، وهو مشئية الاختيار وإن كان غيره يصلح لذلك.[8] وفيه دلالة اختصاص الله بعضهم على بعض وإن كان غيره يصلح لذلك.

وقوله عز وجل: **أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون**، على هذا جاءت[9] الرسل والأنبياء عليهم السلام جميعا: بالإنذار والدعاء إلى وحدانية الله وتوجيه العبادة إليه. وقوله: **أن أنذروا**، هو[10] صلة ما تقدم من قوله: **ينزّل الملائكة... أن أنذروا**، ولا يوصل بما يتأخر؛[11] ثم يخرج على الإضمار، أي: **أنذروا** وقولوا [لهم][12] **أنه**[13] **لا إله إلا أنا فاتقون**.

---

[1] ع م: وقوله.
[2] جميع النسخ: سبحان الله.
[3] جميع النسخ + والرحمة.
[4] ع م: والروح.
[5] سورة الأنبياء، ١٠٧/٢١.
[6] ن + سمي القرآن والرسالة، جميع النسخ + وما ذكر.
[7] جميع النسخ − والقرآن.
[8] «وإن كان غير الذي يختصه يصلح لذلك، إذ هو باختياره يختصه لا لاستحقاق راجع إلى ذات المختصّ» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٣١و).
[9] ن ع م: أجاب.
[10] ك − هو.
[11] ع م: تؤخر؛ ك ن: تأخر؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣١و.
[12] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣١و.
[13] م − أنه.

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **خلق السماوات والأرض بالحق**، قد ذكرنا قوله: **بالحق** في غير موضع، أنه لم يخلقهما وما فيهما عبثًا، إنما خلقهما[١] لأمر كائن، أو للمحنة والجزاء ونحوه.[٢]

وقوله عز وجل: **تعالى عما يشركون**، مِن [الذي] لا يَخلق ولا يَنفع[٣] ولا يَضرّ ولا يَدفع والذي[٤] يُخلَق ويُنفَع ويُضر ويُدفَع [عنه]، تعالى عن ذلك وتبرّأ.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **خلق الإنسان من نطفة**، يذكّرهم عز وجل نِعمَه عليهم وقدرتَه وسلطانه وعلمه، لأنه لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يدركوا المعنى الذي به تصير النطفة نَسَمَة وإنسانًا ما قدروا عليه، حيث خلق من النطفة إنسانًا على أحسن تقويم وأحسن صورة. وفيه نقض قول الدهرية حيث أنكروا خلق الشيء من لا شيء، لأنهم لم يدركوا المعنى الذي به خلق الإنسان من النطفة، فيلزمهم أن يُقِرّوا بخلق الشيء مِن لا شيء وإن لم يشاهدوا ذلك ولم يدركوا.

وفيه دلالة [على] البعث، لأن من قدر على إنشاء الإنسان من النطفة، وليس فيها من آثار الإنسان شيءٌ، يقدر على البعث وإنشاء الأشياء لا من شيء.

وقوله عز وجل: **فإذا هو خصيم مبين**، قال بعضهم: الخصيم، هو الذي يجادل بالباطل، **مبين**، أي ظاهرٌ مجادلته بالباطل ومخاصمته. وقال بعضهم: الخصيم هو الجَدِل الذي يجادل فيم كان.[٥] قال أبو عَوْسَجة: الخصيم، هو المخاصِم والمخاصَم، كلاهما خصيم. ويقال: فلان خصيمي،[٦] أي خَصْمي؛[٧] **مبين**، ظاهر خصومته. والخصيم[٨] هو الفعيل؛ والفعيل قد يستعمل في موضع الفاعل والمفعول جميعًا، فكأنه قال: **فإذا هو خصيم مبين**، أي منقطع عن الخصومة بيّن انقطاعه،

---

[١] جميع النسخ: خلقهم.
[٢] انظر: سورة الأنعام، ٧٣/٦؛ وسورة الحجر، ٨٥/١٥.
[٣] ك: لا يَنفع ولا يَخلق.
[٤] جميع النسخ: في الذي.
[٥] ن ع م: فيما كان.
[٦] ع م: خصمي.
[٧] ع م - أي خصمي.
[٨] م - والخصم.

وهو ما ذكر من خصومته في آية أخرى وانقطاع حجته حيث قال:[١] أَوَ لَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ.[٢] فهذا الذي احتج[٣] عليه[٤] انقطعت،[٥] حجته وبُهِتَ الذي أنكر قدرته[٦] على البعث حيث لم يتهيأ له جوابُ ما احتجّ عليه.

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **والأنعام خلقها لكم**، يحتمل قوله: **خلقها لكم**، على الظاهر أنه[٧] خلق هذه الأشياء لنا وخلق لنا[٨] فيها دفء ومنافع، كقوله: هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا،[٩] وقوله: وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا[١٠] مِنْهُ.[١١] ويحتمل قوله: **والأنعام خَلَقها**،[١٢] أي هو خلقها. ثم أخبر أنه خلق[١٣] لنا فيها منافع بذكر أنواع المنافع والنعم التي أنعم علينا[١٤] مفسّرة مبيّنة، واحدة بعد واحدة في هذه السورة وفي غيرها من السور إنما ذكرها مجملة غير مشار[١٥] إلى كل واحدة منها، على ما أشار ما[١٦] في هذه السورة ليقوموا بشكرها وليعلموا قدرته على خلق الأشياء لا من الأشياء.

ثم قوله: **[لكم] فيها دِفْءٌ**، قال بعضهم: الدفء نَسْل كل دابة، وقال بعضهم: ما يُنتَج منه. وقال القُتبي: الدفء ما استدفات به.[١٧] ويشبه أن يكون تفسير الدفء والمنافع التي

---

[١] ع: يقال.
[٢] سورة يس، ٣٦/٧٧-٧٨.
[٣] ن ع م: احتجاج.
[٤] ك: على.
[٥] ك: فانقطعت؛ ن ع م: فإذا انقطعت.
[٦] أي قدرة الله تعالى.
[٧] جميع النسخ: أن؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣١ظ.
[٨] ع م – وخلق لنا.
[٩] سورة البقرة، ٢/٢٩.
[١٠] ك – وقوله: وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا.
[١١] سورة الجاثية، ٤٥/١٣.
[١٢] ك + لكم.
[١٣] ع م – أنه خلق.
[١٤] ع م: عليها.
[١٥] جميع النسخ: مشارة؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣١ظ.
[١٦] ك – ما.
[١٧] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٤١.

ذكر هو ما فسر في آية أخرى، وهو قوله: وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ،[1] الآية. جعل الله عز وجل الأنعام وما ذكر وقاية لجميع أنواع الأذى من السماوي وغيره[2] مما يهيج من الأنفس من الحرّ والبرد والجوع وغير ذلك مما يكثر عدّها[3] ويطول[4] ذكرها،[5] وجعل فيها منافع كثيرة من الركوب والشرب والأكل، كما قال: وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ،[6] وقال: وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ،[7] إلى أجل مسمى.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾[٦]

وأخبر أيضًا أن فيها جمالا وزينة بقوله: **ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون**. فإن قال قائل: أيّ جمال يكون لنا فيها حين[8] الإراحة وحين السّرح؟ قال[9] بعض أهل التأويل: وذلك أنه أعجب ما يكون إذا راحت عظامًا ضُروعها، طِوالاً أَسْنِمَتُها. **وحين تَسْرَحون**، إذا سَرَحت لرعيها. أو أن يكون الجمال عند الإراحة، والسرحُ / شربُ ألبانها وقِرَى الضيف من ألبانها في الرواح والمساء. [٤٠٢و] وقال بعضهم:[10] **ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون**، وذلك أنهم كانوا[11] يُسَرُّون عند الإراحة والتسريح، وذلك السرور يظهر في وجوههم، فإذا ظهر ازداد لهم جمالاً وحسنًا.[12] وهكذا المعروف في الناس[13] أنهم[14] إذا سُرّوا يظهر ذلك السرور في وجوههم فيزداد[15] لهم بذلك جمالا،

---

[1] سورة النحل، ١٦/٨٠.
[2] ع م: غيره.
[3] ع م: مدها.
[4] م + مدها.
[5] ع م: وذكرها.
[6] ﴿ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجةً في صدوركم وعليها وعلى الفلك تُحمَلون﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٨٠).
[7] ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرةً نُسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٢١).
[8] ع م – حين.
[9] جميع النسخ: وقال؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣١ظ.
[10] ك + قوله.
[11] ن – كانوا.
[12] ع م: حسنًا.
[13] ن: عند الناس.
[14] ن – أنهم.
[15] ع: ويزداد.

وإذا حزنوا وأصابهم[1] غمّ يُؤثر ذلك الغمّ نقصانا في خلقتهم[2] فيزداد لهم قبحًا وتشويها. وقال بعضهم: إنهم[3] إذا أراحوها أو سرحوها رأى الناس أن أربابها أهل غني وأهل ثروة وأنهم لا يحتاجون إلى غيرهم[4] ويكون[5] لغير إليهم حاجة، فيكون لهم بذلك ذكر عند الناس وشرف، وذلك جمالهم وشرفهم فيها. والجمال لهم فيها ظاهر، لأن ما يُبسَط وَيُفرَش إنما يُتَّخذ منها ومن أصوافها، وكذلك ما يُلبَس إنما يكون منها، وإنما يبسط ويفرش ويلبس للتجمل والبهاء. *والله أعلم*.

* قال أبو عبيد: **حين تريحون**، يقال منه: أَرَحْتُ الإبل أُرِيحها إراحة.[6] والإراحة عند العرب أن يُصدِر[7] الرِّعاء مواشيَها بالليل إلى مأواها،[8] ولهذا سمي[9] ذلك الموضع المُراح. وقوله: **وحين تسرحون**، هو إخراجها إلى المرعى. يقال: سرَحتها أسرَحها سَرْحًا وسُروحًا. وكذلك قال القُتبي وأبو عَوْسَجة.[10] والدفء ما ذكرنا أنه من الاستدفاء.* [٤٠٢و س ٣١ - ٤٠٢و س ٣٤]

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس**، ذكر أيضًا ما جعل لنا فيها[12] من النَّعم ما تحمل[13] من الأثقال من مكان إلى مكان ومن بلد إلى بلد ما لو[14] لم يكن أنشأهن، أعني الأنعام التي أخبر أنها تحمل أثقالنا، [لا يوصل] إلى ذلك بدونها[15] إلا بجهد وشدة.[16]

---

[1] ك: أصابهم.
[2] م: خلقهم.
[3] ن - إنهم.
[4] ك: لغيرهم؛ ع م + وأن يكون.
[5] جميع النسخ + يكون.
[6] ع: راحة.
[7] ع م: يصد.
[8] ك: مأويها.
[9] ك ن ع: يسمى.
[10] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٤١.
* وقع ما بين النجمتين متأخرًا عن موضعه آخر تفسير الآية الآتية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٠٢و/سطر ٣١-٣٤.
[12] ن ع م: فيها لنا. أي في الأرض.
[13] ع: يحمل.
[14] ع م - لو.
[15] جميع النسخ: بدونه؛ والزيادة مع التصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣١ظ.
[16] قال علاء الدين السمرقندي: «ذكر أيضًا ما جعل فيها من النعم ما تحمل من الأثقال من مكان إلى مكان ومن بلد إلى بلد ما لا يوصل إلى ذلك بدونها إلا بجهد وشدة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٣٢ظ).

وذلك –والله أعلم– أن الله جعل في هذه الأنفس حوائج وقواما ومما[1] لا قوام[2] لها إلا بذلك، فلعله لا يظفر بما به قوام النفس إلا في بلد آخر أو مكان آخر. فلو تحمّل ذلك بنفسه لكان في ذلك تَلَفُ نفسِه وذهابُ ما به قِوامُه، فذكر أنه خلق لنا ما يحمل به من بلد إلى بلد مما به قوام أنفسنا وحاجاتنا.[3] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **إن ربكم لرءوف رحيم**، أي من رحمته ورأفته ما جعل لكم من المنافع في الأنعام وما ذكر، أو ذَكَرَ[4] هذا ليرحموا على هذه الأنعام التي خلقها لهم[5] في الإنفاق عليها والإحسان إليها. وذكر فيه: وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ،[6] وذلك لا يوصل إلى أكله إلا بالذبح، ليعلم أن الذبح فيما يؤكل ليس بخارج من الرحمة والرأفة.

وذلك ينقض على الثَنَوِيّة قولَهم، حيث[7] أنكروا ذبحَ هذه الأشياء وقالوا: إنها تتألم[8] بالضرب والذبح[9] والقتل كما تتألمون أنتم، فمن قصد قصد أحدكم بالقتل فهو سفيه عندكم غير حكيم[10] ولا رحيم،[11] بل موصوف بالقساوة[12] والسفه، والله[13] سبحانه موصوف بالحكمة والرحمة والرأفة،[14] لا يجوز أن يأمر بالذبح والقتل لهذه الأشياء، إذ ذلك مما يزيل الرحمة والحكمة.

فيجاب لهم بوجوه. أحدها أن الله خلق هذا البشر في هذه الدنيا للمحنة ولعاقبة قصدها؛ إما ثوابًا وإما عقابًا، وأخبر أنه خلق هذه الأشياء لنا وجعل لنا فيها منافع تتأمل وتقصد. وقد نجد في الشاهد من هو موصوف بالرحمة والرأفة[15] على نفسه، يجرّح نفسَه الجِراحات ويحمل عليها الشدائد

---

[1] جميع النسخ: ما.
[2] ع م: بالأقوام.
[3] ك: وحاجتنا.
[4] م: ذكروا وذكر.
[5] ك: لكم.
[6] ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون﴾ (سورة النحل، ١٦/٥).
[7] ع م – حيث.
[8] جميع النسخ: ويقولون إنهم يتألمون.
[9] ك ن: بالذبح والضرب؛ ع: والذبح بالضرب.
[10] ن – غير حكيم.
[11] م: رحم.
[12] م: بالفساقة.
[13] جميع النسخ: فالله؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٢و.
[14] ك: والرأفة والرحمة.
[15] ك: وبالرأفة والرحمة.

والمكروهات لمنافع يقصدها[1] وخيرٍ يأمل[2] في العاقبة. ثم لم يوصف بالسفه ولا بالخروج عن الحكمة والرحمة من نَحَا[3] الحجامة والافتصادَ[4] وشرب الأدوية الكريهة الشديدة؛ ما لو لم يأمل[5] ما قصد من النفع في العاقبة ما تَحَمَّل تلك المكروهات والشدائد. فدل ما وصفنا أن تحمل الأذى والألم والمكروه غير خارج عن الحكمة والرحمة، ولا الفعل بما فعل سَفَهٌ إذا كان لمنافع تُقصَد في العاقبة وعاقبة تؤمَل،[6] فيبطل قول الثنوية: إن ذلك مما يزيل الرحمة. على أن هذه الأنعام والبهائم لم تخلق[7] للمحنة والجزاء[8] في العاقبة، ولكن خلقت لمنافع البشر، فلهم الانتفاع بها؛ مرة بلحومها ومرة بحمل أثقالهم[9] والانتفاع بظهورها. مع ما ذكرنا أنّ تحمل المكروهات وأنواع الشدائد[10] والآلام،[11] لا يخرج الفعل عن الحكمة ولا يزيل الرحمة والرأفة، إذا قصد به النفع في العاقبة وطمع فيه الخير. وهذا يدل أنه أبيح لنا الانتفاع بها والذبح؛ على غير جعل حقيقتها لنا حيث لم يُبَح لنا إتلافها، إذ لو كان أصول الأشياء لنا لكان لا يمنع عن الإتلاف. فدل أنه أبيح لنا الانتفاع بها، على غير جعل الحقيقة والأصول لنا. فيبطل قول من يقول: إن الأشياء في الأصل على[12] الحل والإباحة حتى يقوم ما يَحظُر.[13]

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة**، وقوله: **وزينة**،[14] يحتمل وجهين. أحدهما أن الماشي هو دون الراكب، والمشي يؤثر نقصانا في الوجه والركوب لا،

---

[1] جميع النسخ: تقصد.
[2] جميع النسخ: يتأمل؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٢و.
[3] جميع النسخ: نحو.
[4] الفصد: شَق العِرق، وافْتَصَدَ فلان إذا قطع عرقَه فَفَصَد (*لسان العرب*، «فصد»).
[5] جميع النسخ: يتأمل؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٢و.
[6] جميع النسخ: تتأمل؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٢و.
[7] ن: يخلق.
[8] ك ع م: وللجزاء.
[9] ع م: أثقالها.
[10] ك: تحمل الشدائد وأنواع المكروهات.
[11] م: والألم.
[12] ن – على.
[13] وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٦، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٠٢و/سطر ٣١-٣٤.
[14] ع – وقوله وزينة.

وذلك زينة على ما ذكرنا في قوله: **ولكم فيها جمال**. والثاني أن الراكب[1] إذا نظر إلى الماشي سُرَّ بركوبه، فالسرور يظهر في وجهه،[2] وذلك يزيد في حسنه وجماله. وأصله ما ذكر عز وجل: وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ، الآية.[3] **والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة**، بيّن أنه لماذا خلق الأنعام وما جعل فيها، وهو ما ذكر أنه جعل فيها الدِّفء والمنافع، وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وبين أنه لماذا خلق الخيل وهو ما ذكر: **لتركبوها وزينة**. وسئل ابن عباس رضي الله عنه عن لحوم الخيل / فقرأ: **والخيل والبغال والحمير لتركبوها**، ولم يقل: لتأكلوها،[4] فكره أكلها لذلك. وتمام هذا [الاستدلال][5] أن الله ذكر الأنعامَ وما ذكر من النعم والانتفاعَ بها وبالغ في ذكرها لأنه قال: وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وقال: وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ،[6] الآية، وقال: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ [فِيهِ تُسِيمُونَ] وقال: يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ،[7] وقال: وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا،[8] إلى آخر ما ذكر. ذكر جميع ما ينتفع به من أنواع المنافع ذكرا شافيا[9] مبالغا غير مكتف.[10] فدل ما ذكر في الخيل من الركوب وكذلك في البغال والحمير على أنه ليس فيها منفعة أخرى سوى ما ذكر وهو الركوب؛ إذ خرج الذكر لها على المبالغة والاستقصاء ليس على الاكتفاء، ولو كان هنالك منفعة أخرى لذكر على[11] ما ذكر في غيره. *والله أعلم*.

[٤٠٢ظ]

والثاني من الأشياء أشياءُ يعرَف خبثها بنفار الطباع [عنها]، والصبيان أولَ ما بلغوا يرغبون في ركوبها، لا أحد يرغب في أكلها إلا من غير طبعه عما كان مجبولا به، فهو يرغب في أكله. وأما من تُرك وطبعَه يستخبث وينفر طبعه عن أكله. *والله أعلم*.

---

[1] ن – والمشي يوثر نقصانا في الوجه والركوب لا وذلك زينة على ما ذكرنا في قوله ولكم فيها جمال والثاني أن الراكب.

[2] ع: على وجهه.

[3] ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دِفءٌ ومنافع ومنها تأكلون﴾ (سورة النحل، ١٦/٥).

[4] انظر: *تفسير الطبري*، ٨٢/١٤.

[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٢و.

[6] سورة النحل، ١٦/٥-٦.

[7] سورة النحل، ١٦/١٠-١١.

[8] سورة النحل، ١٦/١٤.

[9] ك ع م – شافيا.

[10] جميع النسخ: مكفي؛ والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٤٣٢و.

[11] ع – على.

وروي عن جابر قال: لما كان يوم خيبر أصاب الناس مجاعة وأخذوا الحُمُرَ[١] الأهلية فذبحوها، فحرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوم الحمر الإنسية ولحوم الخيل والبغال وكلِّ ذي ناب من السباع وكل ذي مِخْلب من الطير، وحرم الخُلْسة،[٢] والنُّهْبَة.[٣] وروي عن جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم خلاف ذلك قال: أطعمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوم الخيل ونهانا عن لحوم الحمر.[٤] وعن أسماء بنت أبي بكر قالت: نحرنا فرسًا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكلناه.[٥] وفي بعض الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم[٦] نهي[٧] عن لحوم الحمر وأذِن لنا في لحوم الخيل.[٨]

قلنا قد يجوز أن يكونوا أكلوه في الحال التي كان يؤكل فيها[٩] الحمر، لأن النبي إنما نهي عن أكل لحوم الخيل صحيحًا فقد يجوز أن يكونوا أكلوا لحم الفرس في حال الإباحة، إذ لم يذكروا الوقت.

وعن الحسن قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكلون لحوم الخيل في مغازيهم، وكان الحسن لا يرى بها[١٠] بأسًا على كل حال. وقول الحسن: إنهم كانوا يأكلون[١١] لحوم الخيل[١٢] في مغازيهم يدل على أنهم كانوا يأكلونها[١٣] في حال الضرورة. روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الخيل لثلاثة، فهي لرجل كذا ولرجل آخر كذا وعلى رجل وِزْرٌ».[١٤] يبين أنها لا تصلح لغير ذلك، ولو صلحت للأكل لقال: الخيل لأربعة، ولَقال: ولرجل طعام. ومما يبين ما ذكرنا أن البغل حرام وهو من الفَرَسَة.

---

[١] ن: الحمير.

[٢] خَلَسْتُ الشيء واخْتَلَسْته وتَخَلَّسْته إذا استَلبته. والخُلْسَة النُّهزةُ. يقال: الفُرصَةُ خُلْسَةٌ (*لسان العرب*، «خلس»).

[٣] النَّهْبُ: الغارةُ والسَّلْبُ؛ والنُّهْبَة والنُّهْبَى والنُّهَيْبَى كلُّه اسمُ الانْتِهاب (*لسان العرب*، «نهب»). انظر: *صحيح البخاري*، الجهاد ١٣٠، النكاح ٣١، الذبائح ٢٧-٣٨، الحيل ٤؛ وصحيح *مسلم*، الصيد والذبائح، ٢٣، ٣٠، ٣٦-٣٨، النكاح ٢٩-٣٢.

[٤] صحيح *مسلم*، الصيد والذبائح، ٢٣، ٣٠، ٣٦؛ وسنن *النسائي*، الصيد والذبائح، ٢٩).

[٥] جميع النسخ: فأكلنا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٢و. صحيح *البخاري*، الذبائح، ٢٧؛ وصحيح *مسلم*، الصيد والذبائح، ٣٨.

[٦] ن + لحوم الخيل.

[٧] ن: نهانا.

[٨] انظر: صحيح *البخاري*، الجهاد ١٣٠، الذبائح ٢٧-٣٨؛ وصحيح *مسلم*، الصيد والذبائح، ٢٣، ٣٠، ٣٦.

[٩] ن - فيها.

[١٠] ع م: فيها.

[١١] ك ن: يأكلونها.

[١٢] ك ن - لحوم الخيل.

[١٣] ن ع م: يأكلون.

[١٤] «الخيل لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل سِتر، وعلى رجل وِزر» (صحيح *البخاري*، الجهاد، ٤٨؛ وصحيح *مسلم* الزكاة، ٢٤).

فلو كانت[1] أمه حلالا[2] كان هو أيضًا حلالا؛ ولأن[3] حكم الولد حكم أمه لأنه منها أو هو كبعضها. فمن حرم لحم البغل لزمه أن يحرم لحم الفرسة في حكم النظر والمقاييس. ألا ترى أن حمار وحش لو نزا[4] على حمارة أهلية لم يؤكل ولدها. ولو أن حمارا أهليا[5] نزا على حمارة وحشية فولدت أكل ولدها. أفلا ترى أنه جعل حكم الولد حكم أمه [في الحل والحرمة][6] ولم يعتبر بالفحل. فلما كان لحم البغل حرامًا وجب أن يكون لحم الفرسة كذلك، إلا أن أبا حنيفة رحمه الله كان يطلق تحريم أكلها لما فيها من الشبهة ولاختلاف الأحاديث[7] المروية عن رسول الله، لكنه ذكر [عنه] الكراهة[8] للشبهة التي فيها. وكان أبو يوسف رحمه الله يبيح أكلها. وقد يجوز أن يُحتجَ لأبي يوسف في الفرق بين المولود من الفرسة وبين ولد الحمار الوحشية إذا نزا عليها حمار أهلي بأن ولد الحمار لم يتغير عن جنس[9] أمه فحكمه حكمها، والبغل ليس من جنس أمه [بل] هو من جنس ثالث، فلذلك لم يكن سبيلها بسبيله. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ويخلق ما لا تعلمون**، أخبر أنه يخلق ما لا تعلم، فليس لنا أن نتكلف في علم ذلك؛ أو يخلق[10] من النِعَم فيما خلق ما لا تعلمون أنتم أنها نِعم. أو قال [ذلك لأنه] يقول قوم أن ليس لله أن يخلق شيئًا لا يُطلع[11] الممتحَن [عليه].

﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **وعلى الله قصد السبيل**، اختلف فيه. قال بعضهم: أي على الله بيان قصد السبيل، وهو[12] يبين الهدى من الضلالة ويبين[13] السبل التي تفرقت عن سبيله، كقوله: ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ.[14]

---

[1] ن: فلو كان.
[2] م: حلا.
[3] ع م: وكذا.
[4] م: لو نرى.
[5] ع م: هليا.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٢و.
[7] جميع النسخ: والاختلاف والأحاديث؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٢ظ.
[8] ع: الكراهية.
[9] ن – جنس.
[10] ع م: نخلق.
[11] ك ن ع: لا يطلعه؛ م: لا يطعمه.
[12] م: وهدي.
[13] جميع النسخ + من.
[14] ﴿لا تُحرِّك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه﴾ (سورة القيامة، ٧٥/١٦-١٩).

وقوله عز وجل: **ومنها جائر**، أي عليه بيان ما يجور منها، قصد السبيل يُعدَل ويجار. أو يقال: وبالله يوصل إلى قصد السبيل. وقال بعضهم: **وعلى الله**، أي وبالله يوصل [إلى] **قصد**[١] **السبيل** -وهي السبيل التي ذكرنا- **ومنها جائر**، كقوله: وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ.[٢] وقال بعضهم: طريق الحق والعدل لله. وقد يستعمل حرف "على" مكان اللام،[٣] كقوله:[٤] وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ،[٥] أي للنصب، وقوله: وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ،[٦] أي لربهم، وكقوله تعالى: يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.[٧] **ومنها جائر**، وهي السبل المتفرقة عن سبيله.[٨]

وقوله عز وجل: **ولو شاء لهداكم أجمعين**، قد ذكرنا تأويله.[٩] وقوله: **ولو شاء لهداكم أجمعين**، يخرج على وجهين. أحدها، لو شاء أكرم الخلق كلهم[١٠] اللطف الذي أكرم أولياءه فاهتدوا به فيهتدون. والثاني لو شاء اعطاهم جميعًا الحال التي يكون بها الاهتداء، وهو ما قال: وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً،[١١] إلى آخر ما ذكر، لما لا يحتمل أنه إذا كان ذلك مع الكفار لكفروا جميعًا وإذا كان تلك الحال للمسلمين لا يُسلمون.

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنهُ شَرَابٌ وَمِنهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **هو الذي أنزل من السماء ماء، هو**[١٢] موصول بقوله: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ / بِالْحَقِّ،[١٣] وقوله: خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ[١٤] وقوله: وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ،[١٥] [٤٠٣ر]

---

[١] جميع النسخ: بقصد؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٢ظ.
[٢] ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ (سورة الأنعام، ١٥٣/٦).
[٣] جميع النسخ: له؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٢ظ.
[٤] ع م - كقوله.
[٥] سورة المائدة، ٣/٥.
[٦] سورة الأنعام، ٣٠/٦.
[٧] سورة المطففين، ٦/٨٣.
[٨] ك - ومنها جائر وهي السبل المتفرقة عن سبيله.
[٩] انظر: سورة الأنعام، ١٤٩/٦.
[١٠] جميع النسخ: كله.
[١١] ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفا من فضة ومعارج عليها يظهرون﴾ (سورة الزخرف، ٣٣/٤٣).
[١٢] ع م - هو.
[١٣] سورة النحل، ٣/١٦.
[١٤] سورة النحل، ٤/١٦.
[١٥] سورة النحل، ٥/١٦.

[وقوله]: وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ.[1] يقول: الذي خلق لكم ما ذكر من الأشياء **هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر**. هذا يحتمل ما ذكرنا أنه أنزل من السماء ماء لنا.[2] ثم أخبر: **لكم منه شراب ومنه شجر**.

ثم يحتمل قوله: **منه شراب**، جميعَ ما يُشرَب من الأشربة، إذ منه تكون الاشربة جميعًا وجميع الأشياء. ويحتمل **منه شراب**، الماءَ خاصة، **ومنه شجر**، الشجر المعروف.[3] [و]هو الذي يعلو ويرتفع في الأرض، لا يسمى الحشيش وما ينبسط على وجه الأرض شجرا. فظاهر هذا أن يرجع إلى ذلك المعروف إلا أنه ذكر شجرا **فيه تُسيمون**، أي تَرْعَون،[4] دل هذا أنه إنما أراد بالشجر المنبسط على وجه الأرض والمرتفع عليها.

قال[5] القُتبي: السائمة الراعية، وكذلك قال أبو عَوسَجة. وقال أبو عبيدة:[6] أَسَمْتُ سائميّ، أي رعيتها، وكذلك قوله: وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ،[7] أي الراعية.

﴿يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات**، أي ينبت[8] لكم بالماء الذي ذكر أنه أنزل من السماء الزرعَ والزيتون وجميع ما ذَكر. جعل الله بلطفه الماء لقاح كل الأشياء المختلفة والمتفقة، ليس كغيره من الدواب حيث لم يجعل لقاح شيء من جنسٍ آخر، إنما جعل لقاح كل نوع من نوعه. وجعل في الماء بلطفه سِرِّيَّةً توافق جميع الأشياء المختلفة، لو اجتمع الخلائق على إدراك ذلك -وإن اجتهدوا- لم يقدروا عليه؛

---

[1] ع م - والحمير. سورة النحل، ٨/١٦.

[2] جميع النسخ + هذا يحتمل ما ذكرنا أنه أنزل من السماء ماء لنا (ك - لنا) ثم أخبر لكم منه شراب ومنه شجر ثم أخبر أنه منه شراب ومنه شجر ويحتمل هو الذي أنزل من السماء ماء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٢ظ.

[3] جميع النسخ: معروف.

[4] جميع النسخ: تزرعون؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٢ظ.

[5] جميع النسخ: وقال.

[6] ن: أبو عوسجة.

[7] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿زُيِّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث﴾ (سورة آل عمران، ١٤/٣).

[8] ن ع م: ننبت.

يعرفون الماء ظاهرًا ولكن لا يدركون ما فيه من اللطف والسرية التي[1] بها[2] تكون[3] حياة[4] كل أحد وموافقته.

وقوله: **إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون**، ذكر أن فيه آية لقوم يتفكرون و لم يذكر أنه [آيةٌ] لماذا، لكنه ذكر أنه آية لقوم يتفكرون،[5] [أي] بالتفكر يعرفون[6] أنه آية لماذا. وهذا[7] يدل على [أن] الأشياء التي غابت عنا[8] ظواهرها بالتفكر والنظر تدرك.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[١٢]

وقوله: **وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمرَ والنجومُ**، وما ذكر. ووجه تسخير هذه الأشياء لنا هو[9] أن الله خلق هذه الأشياء وجعل فيها منافع للخلق تتصل تلك المنافع إلى الخلق شِئْنَ أو أَبَيْنَ، أحببن أو كرهن. جعل في النهار معاشًا للخلق وتقلبا فيه يتعيشون ويتقلّبون، وجعل الليل راحة لهم وسكنا ينتفعون بهما شاءا أو أبيا، وكذلك ما جعل في الشمس والقمر والنجوم من المنافع من إنضاج الفواكه والثمرات، وإدراك الزروع وبلوغها، ومعرفة الحساب والسنين والأشهر، ومعرفة الطرق والسلوك بها وغير ذلك من المنافع ما ليس في وسع الخلق إدراكها.[10] ينتفع الخلائق بما جعل فيها من المنافع شاءت هذه الأشياءُ أو أبت، فذلك وجه تسخيرها لنا.

ويحتمل ما ذكر[11] من تسخير هذه الأشياء لنا ما جعل في وسعنا استعمال هذه الأشياء والانتفاع بها والحِيَلَ التي بها نقدر على استعمالها في حوائجنا. ويحتمل تسخيرها لنا [في] ما ننتفع[12] بهن شئن أو أبين بالطباع. *والله أعلم*.

---

[1] ن: الذي.
[2] جميع النسخ: به.
[3] ك: تكون به؛ ن ع م: يكون.
[4] ع م + كل حياة.
[5] ع – ذكر أن فيه آية لقوم يتفكرون و لم يذكر أنه لماذا لكنه ذكر أنه آية لقوم يتفكرون.
[6] جميع النسخ: يعرف؛ والزيادة مع التصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٢ظ.
[7] ع م: او هذا.
[8] م: عنها.
[9] جميع النسخ: وهو.
[10] جميع النسخ: إدراكه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٢ظ.
[11] ن – ما ذكر.
[12] جميع النسخ: ينتفع؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٢ظ.

وقوله عز وجل: **مسخَّراتٌ بأمره**، يحتمل وجهين. يحتمل، أي **بأمره**، تنتفع[1] الخلائق. ويحتمل **بأمره**، أي كونها في الأصل هكذا بأن ينتفع[2] الخلق [بها]. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **إن في ذلك لآياتٍ لقوم يعقلون**، وقال[3] في الآية الأولى: لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ.[4] جعل الله عز وجل التفكر سبيلا للعقول إلى إدراك [الأشياء] المغيَّبة بالحواس الظاهرة؛ إذ لا سبيل للعقل إلى إدراك ما غاب عنه إلا بالحواس الظاهرة والتفكر فيها، لأن ما غاب عن الحواس الظاهرة،[5] لا يدركه العقل. فجعل الحواس الظاهرة سبيلا للعقول إلى درك المغيَّب عنها. ذكر عز وجل: في الآية الأولى:[6] لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ، وذكر في الآية الثانية: لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ،[7] وفي الآية الثالثة: لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ،[8] وفي الرابعة: لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ،[9] فهو -والله أعلم- كرره على مراتب، لأنه بالتفكر فيها يَعقل ويعلم، ثم بعد العلم والعقل والفهم يتذكر، وإذا تذكر عند ذلك شكر نعمه.

ثم [في] قوله: **إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون**[10] وما ذكر فيه دلالة وحدانية الله تعالى ودلالة تدبيره وعلمه وحكمته، ودلالة بعث الخلائق، ودلالة قدرته وسلطانه، لأن الليل والنهار يأتيان الجبابرة والفراعنة ويُذهبان بعمرهم ويُفنيانه، شاؤا أو أبَوْا، فذلك آية سلطانه وقدرته، لِيُعلَم أن له السلطان والقدرة،[11] لا لهم. وفيهما[12] دلالة البعث، لأنه إذا أتي هذا ذهب الآخر حتى لا يبقي له أثر، ثم ينشئ مثله بعد أن لم يبق من الأول شيء ولا أثر. فالذي قدر على إنشاء الليل والنهار[13] بعد ما ذهب أثره وتلاشى لقادرٌ على إنشاء الخلق بعد ما ذهب أثرهم. وكذلك الشمس والقمر والنجوم وما ذكر،

---

[1] جميع النسخ: تنفع؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٢ظ.
[2] جميع النسخ: تنفع؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٢ظ.
[3] ع م: قال.
[4] الآية السابقة.
[5] ع م – والتفكر فيها لأن ما غاب عن الحواس الظاهرة.
[6] ن – الأولى.
[7] وهي التي يقوم بتأويلها.
[8] الآية التالية.
[9] جميع النسخ: لقوم يشكرون. سورة النحل، ١٦/١٤.
[10] جميع النسخ + يتفكرون.
[11] ك: القدرة والسلطان.
[12] أي في الليل والنهار.
[13] جميع النسخ: النهار أو الليل؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٣و.

لما اتسق هذا كله على سَنَن واحد وتقدير واحد على غير تفاوت فيها ولا تفاضل، وعلى غير تقديم ولا تأخير، بل[١] جرى كله على سنن[٢] واحد وتقدير واحد وميزان واحد من غير تفاوت ولا تفاضل[٣] [و]لا اختلاف. دل أنه على تدبيرٍ واحد خرج ذلك، لا على الجزاف، وأن مدبر ذلك كله واحد؛ إذ لو كان تدبيرَ عددٍ لخرج[٤] مختلفا متفاوتا؛ فدل أنه تدبير واحدٍ لا عدد، وأنه على تدبير غيرٍ خرج وجرى كذلك لا بنفسه، وأنه على حكمة[٥] / وعلم جرى كذلك، فيدل على لزوم [٤٠٣ظ] الرسالة والعبادة له.[٦] فهذا[٧] -والله أعلم- تأويلُ قوله: **إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون**.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **وما ذرأ لكم في الأرض مختلفًا ألوانه**، أي مختلفًا أصنافه وجواهره. يخبر عز وجل عن قدرته وسلطانه ونعمه التي أنعمها عليهم. أما سلطانه وقدرته، ما خلق في الأرض وأنبت فيها بالماء لم يرجع إلى جوهر الأرض وجنسها ولا إلى جوهر الماء وجنسه. وهما كالوالدين: الماء كالأب والأرض كالأم، فلم يرجع ما خرج منهما[٨] من جنسهما ولا من جوهرهما؛[٩] كما كان في سائر الأشياء رَجَع التوالد منها [مَثَلا] إلى جنس الوالدين وجوهرهما. بل رجع التوالد والمنشأ من الأرض والماء إلى جنس البِذر وجوهره، لتُعلَم[١٠] قدرته وسلطانه على[١١] إنشاء الأشياء بأسباب وبغير أسباب، ومن شيء ومن لا شيء، ويذكرَ نعمه حيث أخبر أنه خلق في الأرض من الأصناف المختلفة والجواهر المتفرقة لينتفعوا بها. ويحتمل قوله: **مختلفا ألوانه**، من جنس واحد ومن[١٢] شيء واحد، لأنه يكون من جنس واحد ألوان مختلفة، ومن قدر على إنشاء ألوان مختلفة من شيء واحد لا يعجزه شيء.

---

[١] م - بل.
[٢] ن ع م - سنن.
[٣] ع م - ولا تفاضل.
[٤] ن ع م: يخرج.
[٥] جميع النسخ: حكمته؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٣و.
[٦] ن - له.
[٧] م - فهذا.
[٨] أي من الماء والأرض.
[٩] ع: جوهر.
[١٠] جميع النسخ: ليعلم.
[١١] ع م: إلى.
[١٢] ك ن م: واحد من شيء.

وقوله عز وجل: **إن في ذلك لآية لقوم يَذَّكَّرون**، وفي آية: لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ،[1] وفي آية: لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ،[2] وفي آية:[3] لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ،[4] و[وفي آية][5] لِلْمُتَوَسِّمِينَ،[6] وفي آية: لِلْمُؤْمِنِينَ.[7] فيحتمل أن يكون كله كناية عن المؤمنين. كأنه قال: إن في ذلك لآية للمؤمنين، إذ يجمع الإيمان جميع ما ذكر من التفكر والتذكر والعقل والاعتبار والصبر والشكر وغيره.

ويحتمل: **إن في ذلك لآية لقوم** يتفكرون، ويعقلون، ويَذَّكَّرون،[8] أي لقوم همتهم الفكر والنظر في الآيات، ولقوم همتهم التفهم والاعتبار فيها، لا لقوم همتهم العناد والمكابرة والإعراض عن النظر في الآيات والفكر فيها.[9] [أو] ذكر الآية للمتفكرين والعاقلين والمتذكرين، لما [كان][10] منفعة الآية تكون لهؤلاء، وإن كانت الآيات لهم ولغيرهم فمنفعتها لمن ذكر. ***والله أعلم.***

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **وهو الذي سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحمًا طريًّا**، وتسخيره إياه لنا هو ما بذل للخلق ما فيه من أنواع الأموال التي خلق الله فيه من الحُلِيّ والجوهر واللؤلؤ، وبَذَل ما فيه من الدواب، السمك وغيره. فلولا تسخير الله إياه للخلق وتعليمه إياهم الحِيَل التي بها يوصل إلى ما فيه[11] من الأموال النفيسه، وإلا ما قدروا على استخراج ما فيه والوصول إليه لشدة أهواله وأفزاعه. وقوله عز وجل: **لتأكلوا منه لحمًا طريًّا**، يحتمل السمك خاصة، ويحتمل السمك وما فيه[12] من الدواب من نوع ما لو كان بَرِّيًّا أُكِل[13] من نحو الجواميس وغيرها.

---

[1] سورة النحل، ١٢/١٦.
[2] سورة النحل، ١١/١٦.
[3] ع م + أخرى.
[4] ﴿ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ (سورة لقمان، ٣١/٣).
[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٣و.
[6] ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ (سورة الحجر، ٧٥/١٥).
[7] ﴿إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾ (سورة الحجر، ٧٧/١٥).
[8] ك: ويذكرون ويعقلون.
[9] جميع النسخ + وفي.
[10] الزيادتان من *الشرح*، ورقة ٤٣٣و.
[11] ع: في نفسه.
[12] أي في البحر.
[13] م – آكل.

وقوله عز وجل: **وتستخرجوا منه حِلْية تلبسونها**، يحتمل الحلية اللؤلؤ والمرجان الذي ذَكر[١] في آية أخرى حيث قال: يَخْرُجُ مِنهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ.[٢] ثم يحتمل قوله: **حلية**، أي[٣] ما يتخذ منه حلية، وهذا جائز أن يسمى الشيء باسم ما يتخذ منه وباسم ما يصير به في المتعقِب؛ أو يسمى حلية لأنه زينة. ولا شك أن اللؤلؤ والمرجان هما زينة، ألا ترى أنه ذكر في الأنعام زينة[٤] وجمالا[٥] وفي الخيل والبغال كذلك.[٦] فالزينة في اللؤلؤ والمرجان أكثر، والجمال فيها[٧] أظهر. أخبر أنه جعل لنا الوصول إلى ما في[٨] قعر البحر وهو ما ذكر من اللؤلؤ وأنواع الحِلْي، وما في بطن البحر وهو ما ذكر من اللحم الطَّرِيّ، وما هو على وجه الماء وهي السفن التي ذكر.

ووجه تسخيره إيانا الحِيَل والأسباب التي علَّمَنا حتى نصل إلى ما فيه، فكأنه قال: سخَّرتُ لكم البحر من أسفله إلى أعلاه. وفي ذلك دلالات. أحدها إباحة التجارة بركوب الأخطار، لأن الغائص[٩] في البحر يخاطر[١٠] بنفسه[١١] وروحه، وكذلك راكب السفن. فلولا أنه مُباح له طلبُ ذلك، وإلا ما ذكر هذا في مننه، إذ هو يخرج مخرج ذكر الامتنان. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **وترى الفلك مَواخِرَ فيه**، قال الحسن والأصم: المواخر السفن المشحونات[١٢] الوافرة أحمالها وأثقالها. يذكر مننه[١٣] التي منّ بها عليهم، حيث جعل لهم السفن والفلك التي تحمل[١٤] بها الأحمال الثقال العظام في البحار ما سبيلها التسفل والانحدار في البحر، فامسكها فيه بالسفن العظام الثقيلة. وقال بعضهم: **مَواخِرَ**، أي جارية مقبلة مدبرة بريح واحدة في البحر،

---

[١] ن - ذكر.
[٢] سورة الرحمن، ٥٥/٢٢.
[٣] ع - أي.
[٤] ع م - ألا ترى أنه ذكر في الأنعام زينة.
[٥] ع م: وجمال.
[٦] انظر: سورة النحل، ١٦/٥-٦، ٨.
[٧] جميع النسخ: فيه. وفيها: أي في الأنعام والخيل والبغال.
[٨] ع م: إلى النائي.
[٩] ع م: الغائطي.
[١٠] جميع النسخ: يخطر.
[١١] وخاطر بنفسه يُخاطر: أَشْفَى بها على خَطَرِ هُلْكٍ أو نَيْلِ مُلْكٍ. (*لسان العرب*، «خطر»).
[١٢] جميع النسخ: المحشوات؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٣و.
[١٣] ع م: منته.
[١٤] ن ع م: يحمل.

لأن ماء البحر راكد فأجرى السفن فيه بالرياح حيثما[1] أرادوا وقصدوا؛ إذ الأشياء قد تجري على جرية[2] الماء إذا كان له جرية. وأما إذا كان راكدا ساكنا فلا سبيل إلى ذلك. فيذكر عظيم منته وقدرته على إجراء السفن في الماء الراكد بالريح. وقال بعضهم: **مواخرَ**، أي جواري تشُقّ الماء شقا وتَخرُقه. يقال: مَخَرَت السفينةُ، ومنه: مَخْرُ الأرض، إنما هو شق الماء لها، وهو قول القُتبي.[3] وكذلك قال أبو عبيدة: إنه مِن شق السفنِ الماءَ.[4] وقال أبو عَوْسَجَة: المواخر المستقبِله، يقال: إستَمخَر الإنسان الريحَ إذا استقبلها. وقال أبو عبيدة: مواخر من الاستدبار،[5] يقال: إذا أراد أحدُكم البولَ فليستمخِر الريح، أي يستدبرها. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ولتبتغوا من فضله**، يحتمل بالتجارة التي جعل فيها حيث جعل فيها[6] سبيل قِطع البحار إلى بلاد نائية بعيدة بالسفن ليبتغوا[7] ما به قوام أبدانهم وأنفسهم؛ إذ جعل بِنْيتهم بنية لا تقوم إلا بالأغذية، ولعلهم لا يظفرون ما به قوام أبدانهم وبنيتهم في بلادهم فيحتاجون / إلى البلاد [٤٠٤و] النائية البعيدة عنهم؛ فمنّ عليهم بذلك كما منّ بقطع المفاوز والبرارِي بالدواب بقوله: وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ.[8] وقال:[9] **ولتبتغوا من فضله**، بما يستخرج منه.

ولعلكم تشكرون؛ جميعُ ما ذكر من أنواع[10] النِعم والمنافع من أول السورة إلى آخرها يَستَأدِى به شكره.

وفي قوله: **ولتبتغوا من فضله**،[11] دلالة إباحة التجارة وطلب الفضل بركوب الأخطار واحتمال الشدائد، حيث أخبر أنه سخر البحر حتى أمكنهم ركوبه[12] بالحيل والأسباب التي علّمها[13] لهم، لأن الغوّاص يخاطر[14] بروحه ونفسه، وكذلك راكب السفينة.

---

[1] ع م – حيث.
[2] ع م: جري.
[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٤٢.
[4] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٣٥٧/١.
[5] ع: بالاستدبار.
[6] ع م – فيها.
[7] جميع النسخ: لتبتغوا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٣و.
[8] سورة النحل، ٧/١٦.
[9] جميع النسخ + أو قال.
[10] ك ع م: ألوان.
[11] ن – من فضله.
[12] ن: ركوبهم.
[13] ن: عملها.
[14] جميع النسخ: يخطر؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٣ظ.

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[١٥]

وقوله[١] عز وجل: **وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم**، أي ألقى في الأرض الجبال[٢] لئلا تميد بكم،[٣] لأنها بُسطت على الماء فكانت تَكَفَّأُ[٤] بأهلها كما تَكَفَّأُ السفينةُ في الماء، فأثبتها بالجبال لِتَقرّ بأهلها. لكن لو كان على ما ذكروا أنها بُسطت على الماء لكانت لا تَكَفَّأُ[٥] ولا تضطرب ولكن[٦] تتسرب في الماء وتنهار فيه، لأن من طبعها التسفُّل والتسرُّب في الماء، إلا أن يقال: إن[٧] الله عز وجل جعل[٨] بلطفه طَبْعها طبعَ ما يضطرب ويتَكَفَّأ[٩] [دون التسرب والانحدار مثل الخشب]،[١٠] فعند ذلك يحتمل ما ذكروا. *والله أعلم*.

ولو قالوا: إنها بُسطت على الريح لكان يحتمل ما قالوا[١١] ويكون أشبهَ بقولهم، ألا ترى أن السراج في الآبار والسروب لا يضيئ، بل ينطفئ كلما[١٢] أُسرج، فيشبه أن يكون انطفاؤه لريح يكون في الأرض. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم،[١٣] والله أعلم بذلك. وقال بعضهم: بُسطت على ظهر[١٤] الثور فكانت تضطرب بتحركه فأرساها بما ذكر. *والله أعلم*.

ثم قوله: **وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارًا وسبلًا**، يخرج ذكر ذلك منه [مخرج][١٥] ذكر الامتنان والنعمة، لأن له أن يترك الأرض على ما خلقها، ولا يثبتها بالجبال لتميد بأهلها وتُميلها

---

[١] ن - وقوله.

[٢] ع م: رواسي.

[٣] ك ن + قال بعض أهل التأويل قوله وألقى في الأرض رواسي لئلا تميد بكم.

[٤] جميع النسخ: تكفو. وكَفَأَ الشيءَ والإناءَ يَكْفَؤُه كَفْأً وكفَّأه فتكفَّأ، وهو مكفوء، واكتفأه مثل كفأه: قَلَبه. ورجلٌ يتكفَّأ به الصراطُ، أي يتميّل ويتقلّب. والتَّكَفّي: التَّمايُلُ إلى قُدّام كما تتكفَّأ السفينة في جَرْيها. (*لسان العرب*، «كفأ»).

[٥] ك: لا تتكفو؛ م: لا تكفوا؛ ن ع: لا تكفو.

[٦] ن ع م: ولكنها.

[٧] م - إن.

[٨] ع م - جعل.

[٩] ك: تتكفو ن: وتنكفوا؛ ع م: تكفوا.

[١٠] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٣ظ.

[١١] ك ن + و يحتمل ما قالوا.

[١٢] جميع النسخ: كما.

[١٣] انظر: تأويل سورة الرعد، ٣/١٣.

[١٤] ع م: ظهور.

[١٥] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٣ظ.

فلا يقدِروا[1] على القرار عليها والانتفاع بها، لكنه بفضله ومَنِّه أثبتها بالجبال ليَقرّوا عليها ويقدروا على الانتفاع بها. وكذلك له أن لا يجعل لهم فيها أنهارًا[2] جارية، فيكون مياههم من آبارها.[3] وكذلك له أن يُحْوِجهم بأنواع الحوائج ثم لا يبين لهم الطرق والسبل التي بها[4] يصلون إلى قضاء حوائجهم ويكلّفهم طلب[5] الطرق والسبل التي[6] تُفضي إلى البلدان والأمكنة التي[7] فيها تقضى حوائجهم، وكذلك بفضله جعل لهم في الأرض أنهارا جارية وأثبت الأرض بالرواسي ليقروا عليها، وذلك كله بمنه وفضله.

وقوله عز وجل: **لعلكم تهتدون**، يحتمل **تهتدون**[8] الطرق والسبل التي تُفضيهم[9] إلى الحوائج. ويحتمل **تهتدون**، الهدى المعروف بما ذكر من نعمه ومننه. ***والله أعلم***.

﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **وعلامات وبالنجم هم يهتدون**، هذا أيضًا يخرج مخرج ذكر المنن والنعم عليهم، لأنه لو ما جعل الله أعلامًا في البحار والبراري يعرفون بها السلوك فيها، وإلا لم يقدر أحد معرفة الطرق في البحار والبراري. ثم يحتمل الأعلام [في البحار][10] مرة بطعم الماء وبالجبال التي[11] فيها وبالرياح، ومرة تكون بالنجم. يعرفون بطعم الماء أن هذا الطريق[12] يفضي[13] إلى موضع كذا.[14] وكذلك يعرفون بالجبال وبالرياح[15] السبل إلى حوائجهم ومقصودهم.

---

[1] ع: تقدروا.
[2] ن ع: أنهار.
[3] ن ع م: آثارها.
[4] م: بما.
[5] ك – ويكلفهم طلب + لكنه بفضله ومنه بين.
[6] ك م + بها؛ ع + يصلون إلى قضاء حوائجهم ويكلفهم طلب الطرق والسبل التي بها يقضي حوائجهم بأنواع الحوائج ثم لا يبين لهم الطرق والسبل لكنه بفضله ومنه يبين لهم الطرق والسبل التي بها يقضي حوائجهم؛ ن + لكنه بفضله ومنه يبين لهم الطرق والسبل التي.
[7] ك – تفضي إلى البلدان والأمكنة التي.
[8] ع م – يحتمل تهتدون.
[9] ن ع: تقضيهم.
[10] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٣ظ.
[11] جميع النسخ + جعل.
[12] ع: الطرق.
[13] ع: يقضي.
[14] ع: ذلك.
[15] ن ع م + يعرفون؛ ك – يعرفون بطعم الماء أن هذا الطريق يفضي إلى موضع كذا وكذلك يعرفون بالجبال وبالرياح يعرفون.

وكذلك بالنجم يعرفون الطرق. فالأعلام مختلفة بها يهتدون الطرق والسبل. ويحتمل **يهتدون**،[١] بما ذكر من الأعلام والنجم [أنها] سبب اهتدائهم إلى توحيد الله.

﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما على[٢] الاحتجاج عليهم، أي لا تجعلوا من لا يخلق ولا ينفع ولا يُنعم كمن هو خالق الأشياء كلها، منعم النعم عليكم. **أفلا تذكرون**،[٣] أن صرف العبادة والشكر إلى غير خالقكم وغير منعمكم جور وظلم. والثاني يخرج مخرج تسفيه أحلامهم، إنهم يعبدون من يعلمون أنه ليس بخالق، ويتركون عبادة من يعلمون أنه خالقُ الأشياءِ كلِّها، **أفلا تذكرون**. ***والله أعلم***.

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [١٨]

وقوله عز وجل: **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**، هذا يحتمل وجوها. أحدها: **وإن تعدوا** أنفُس[٤] نعم[٥] الله التي أنعمها عليكم وأَعيُنها لا تقدروا على عدّها لكثرتها. والثاني **وإن تعدّوا** [أي] وإن تكلفتم واجتهدتم كل جهدكم أن تقوموا لشكر ما أنعم الله عليكم[٦] ما قدرتم على القيام لشكر واحدة منها فضلاً [من] أن تقوموا للكل. والثالث يخرج على العتاب والتوبيخ، أي كيف فرغتم لعبادة من لا يَخلق ولا يُنعم عن عبادة مَن خلق وأنعم، وكنتم لا تقدرون على إحصاء ما أنعم عليكم، فضلا [مِن] أن تقوموا لشكره.

وقال الحسن في قوله: **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**، لا تعرفوا كل النعم، لأنه كم من النعم ما لا يعرفه الخلق، كقوله: نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً،[٧] فإذا لم يعلموا لم يقدروا إحصاءها.

وقوله عز وجل: **إن الله لغفور رحيم**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما إنكم -وإن افتريتم على الله وعاندتم بحججه وآياته وكذبتم رسله- فإذا استغفرتم وتبتم عما كان[٨] منكم يغفر لكم ذلك كله،

---

[١] ع م: مهتدون.
[٢] ن + على الامتحان.
[٣] ع م + أي.
[٤] ن: يفس.
[٥] جميع النسخ: نعمة.
[٦] ك ن ع + ومن ما.
[٧] ﴿ألم تَرَوا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ (سورة لقمان، ٣١/٢٠).
[٨] ن ع م + ذلك.

كقوله: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.[1] والثاني **لغفور**، أي يستر عليكم ما كان منكم ما لو أظهر ذلك لافتضحتم، لكنه برحمته ستر ذلك عليكم؛ **رحيم**، بالستر عليكم. أو [يحتمل أنه][2] ذكر **لغفور رحيم**، على أثر[3] ذكر النعم وأنواع المنافع ليكونوا رحماء/على ما ذكر مما سخر لنا وأذل. *والله أعلم*. [٤٠٤ظ]

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **والله يعلم ما تسرون وما تعلنون**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما ذكر هذا ليكونوا أيْقَظَ وأحذَرَ، لأن في الشاهد من يعلم أن عليه رقيبًا حافظا بما يفعل كان هو أرقَبَ وأحفَظَ لأعماله، ويكون أحذَرَ ممن يعلم أنه ليس عليه حافظ ولا رقيب. والثاني **يعلم ما تسرون** من المكر برسول الله والكيد له من القتل والإخراج وغير ذلك. أي يعلم ذلك[4] كله منكم: ما أسررتم و[ما] أعلنتم. وهو يخرج على نهاية الوعيد والتعيير.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **والذين يدعون من دون الله**، يحتمل **يدعون** الدعاء نفسه.[5] **ويدعون**[6] أي يسمونها[7] آلهة، وربما كانوا يدعونهم عند الحاجة. ويحتمل **يدعون**، يعبدون، أي الذين يعبدون من دون الله لا يخلقون شيئًا وهم يُخلقون. فهذا يرجع إلى الأول: أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ.[8]

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **أموات غير أحياء**،[9] يحتمل المراد بقوله: **أموات غير أحياء**، الذين عبدوا الأصنام والأوثان وجميع من كفر بالله، هم أموات غير أحياء، لأن الله تعالى سمّي الكافر في غير آي من القرآن ميتا، فيشبه أن يكون قوله: **أموات غير أحياء**، هم[10] أيضًا.

---

[1] ن – كله كقوله إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف. سورة الأنفال، ٣٨/٨.
[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٣ظ.
[3] ع + ذلك.
[4] ع م – أي يعلم ذلك.
[5] ع م – الدعاء نفسه.
[6] ن: وتدعون.
[7] ن: تسمونها.
[8] سورة النحل، ١٧/١٦.
[9] ع م: + الآية.
[10] ع م – هم.

وما يَشعرون أيان يُبعَثون، أي يُشعرون حين يُبعَثون، أي لو شَعَروا في هذه الدنيا[١] ما شعروا في الآخرة لم يعملوا ما [عملوا في الدنيا].[٢] ويحتمل قوله: **أموات غير أحياء**، الأصنام التي عبدوها، هن أموات غير أحياء. قال بعضهم: **أموات**، لأنها لا تتكلّم[٣] ولا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر كالميت، **غير أحياء**، أي ليس فيها أرواح يُنتفع بها كالبهائم والأنعام. ويكون قوله: وما **يشعرون أيان يبعثون**، راجعًا إلى الذين عبدوا الأصنام، لأنها لا تشعر أيان يبعثون، وهم يعلمون أنها لا تشعر ذلك، لكنهم يشعرون حين يبعثون. وقال بعضهم:[٤] **وما يشعرون أيان يبعثون**، يُبعث الآلهة والذين عبدوها جميعًا، كقوله: وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ،[٥] وقولِه: أُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ.[٦] وقال بعضهم: يُحشر أولئك الذين عبدوا الأصنام وما يشعرون هم أيان يبعثون، أي حين يبعثون، وما شَعَروا ذلك في الدنيا مما[٧] فعلوا.[٨] وإن كان قوله: وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ،[٩] راجعًا إلى الملائكة والملوك الذين عبدوا دون الله يكون تأويل قوله: **وما يشعرون أيان يبعثون**، أي لا يشعرون وقت يبعثون [وإن كانوا يشعرون بالبعث نفسِه]؛[١٠] وإن كان راجعًا إلى الأصنام، فقوله: **وما يشعرون أيان يبعثون**، أي لا يشعرون أنهم يبعثون. لا يحتمل أن يكون قوله: لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ، أن يقال[١١] في الأصنام، لأن أولئك يعلمون أنهم لا يخلقون، وإنما يقال ذلك في الأصنام [التي] لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع، فدل أن ذلك راجع إلى الملائكة والذين عبدوهم.

---

[١] جميع النسخ + لو شعروا هذا في الدنيا.
[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٤و.
[٣] ع: يتكلم، م: تكلّم.
[٤] ن ع م: + قوله.
[٥] ﴿ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون﴾ (سورة يونس، ٢٨/١٠).
[٦] سورة الصافات، ٣٧/ ٢٢-٢٣.
[٧] جميع النسخ: ما.
[٨] ك ن + ما فعلوا.
[٩] الآية السابقة.
[١٠] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٤و.
[١١] جميع النسخ + ذلك.

﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **إلهكم إله واحد**، قد ذكرنا فيما تقدم ما يبين إبطال ما كانوا يعبدون وما لا يليق بأمثالها العبادة[١] لها ونصبهم آلهة.[٢] ثم ذكر ما يبين جعل الألوهية والربوبية[٣] لواحد وأنه هو المستحق لذلك دون العدد الذي عبدوها فقال: **إلهكم إله واحد**، لا العدد الذي عَبَد أولئك.

وقوله عز وجل: **فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة**، يحتمل قوله: **قلوبهم منكرة**، أي منكرة للإيمان بالآخرة والبعث بعد الموت، أو **قلوبهم منكرة** بجعل[٤] الألوهية والربوبية لواحد وصرفِ العبادة إليه، كقولهم: أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ.[٥] ويحتمل قوله: **قلوبهم منكرة**، لما جاء به الرسول.

وهم مستكبرون، على ما جاء به من الله. وقوله عز وجل: **وهم مستكبرون**، يحتمل **مستكبرون**، على رسول الله لما[٦] لم يروه أهلا للخضوع من أمثالهم[٧] لمثله؛ أو **مستكبرون**، إلى ما دعتهم الرسل، لأن الرسل جميعًا دعَوا الخلق إلى وحدانية الله وجعلِ العبادة له.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون**، يحتمل قوله: **ما يسرون**، من المكر برسول الله والكيد له. **وما يعلنون**، من المظاهرة عليه. أو **يعلم ما يسرون**، من أعمالهم الخبيثة التي أسروها وأعلنوها.[٨] يخبر أنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم أسروا أو أعلنوا. وقوله: **لا جرم**، قال [أبو بكر] الأصم: لا جرم كلمة تستعملها العرب في إيجاب تحقيق أو نفي تحقيق، كقولهم: حَقًّا، ولَعَمْرِي، وآيْمُ اللهِ، ونحوه. وقال الحسن: هي كلمة وَعيدٍ. وقال بعضهم: لا جرم، [معناه][٩] حَقًّا وبَلَى، ولا بُدّ، وكله في الحاصل يرجع إلى واحد؛ وهو وعيد، لأن قوله: **يعلم ما يسرون وما يعلنون** وعيد. *والله أعلم*.

---

[١] ع م: لعبادة.

[٢] انظر: عند تأويل قوله تعالى من سورة البقرة ١٦٣/٢.

[٣] جميع النسخ + أنه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٤و.

[٤] ك ن: لجعل.

[٥] سورة ص، ٥/٣٨.

[٦] ع م - لما.

[٧] جميع النسخ + لأمثالهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٤و.

[٨] ن ع: وما أعلنوها.

[٩] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٤و.

وقوله عز وجل: **إنه لا يحب المستكبرين**، لأنه لا يحب[1] الاستكبار ولا يليق لأحد من الخلائق أن يتكبر على غيره من الخلق، لأن الخلق كلهم أشكال وأمثال، ولا يجوز لكل ذي مثل وشكل[2] أن يتكبر على شكله ومثله،[3] لأن تكبُّر بعضهم[4] على بعض كَذِب وزُور؛ إذ جعل كلهم أمثالا وأشكالا، لذلك كان زورًا وكذبًا، وقد حرم الله الكذب والزور وجعله قبيحًا في العقل.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين**، أي قال الأتباع للرؤساء: ماذا أنزل ربكم؟ قال الرؤساء: أنزل أساطير الأولين. يخرج على الإضمار، كأنهم قالوا لهم: ماذا أنزل ربكم عليه؟ فقالوا عند ذلك: **أساطير الأولين**، وإلا لا يحتمل أن يكون قولهم: أساطير الأولين[5] جوابَ سؤالهم **ماذا أنزل ربكم** مفردًا، لأنهم كانوا يُقرون الله بقولهم: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ / زُلْفَى،[6] و[قوله]:[7] هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[8] فلا يحتمل أن يكونوا إذا سئلوا [٤٠٥و] **ماذا أنزل ربكم** فيقولون: **أساطير الأولين**، إلا أن يكون في السؤال زيادة قول، أو في[9] الجواب إضمار، فيكون -والله أعلم- كأنه قال: وإذا قيل لهم:[10] ماذا يزعم هذا أنه أنزَل عليه ربكم، قالوا عند ذلك: إنه يقول **أساطير**[11] **الأولين**، كقوله: وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ،[12] أي قالوا يا أيها الذي تزعم أنه نزّل عليه الذكر. أو يكون قوله: **وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم**، فقالوا: لم يُنزل الله شيئًا، إنّ ما يقول [هو] أساطير الأولين. ومثل هذا [الكلام] يحتمل أن يكون[على الاستهزاء].[13]

---

[1] ع: لا يجب.
[2] ك: شكل ومثل
[3] ع م – ومثله.
[4] ك ع م: بعض.
[5] ع م – يخرج على الإضمار كأنهم قالوا لهم ماذا أنزل ربكم عليه فقالوا عند ذلك أساطير الأولين وإلا لا يحتمل أن يكون قولهم أساطير الأولين.
[6] ﴿ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (سورة الزمر، ٣/٣٩).
[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٤و.
[8] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٨/١٠).
[9] م: وفي.
[10] ن – لهم.
[11] ن ع م: بقول أساطير.
[12] ﴿وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون﴾ (سورة الحجر، ٦/١٥).
[13] الزيادتان من *الشرح*، ورقة ٤٣٤و.

وقوله: **أساطيرُ الأولين**، قال أبو عَوسَجَة: أحاديث الأولين، والواحد أُسْطُور وهي الأحاديث المختلفة، كقوله: إنْ هٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ،[1] أي لا أصل له وأصله الكذب. وهكذا عادة أولئك الكفرة يقولون للأنباء: أساطير الأولين، وكانوا ينسبون ما يقرأ عليهم إلى السحر. ولو كان في الحقيقة سحرًا أو أحاديث الأولين لكان[2] دليلاً له.[3] أو قالوا ذلك على الاستهزاء،[4] وذلك جائز أن يخرج قولهم ذلك على الاستهزاء. *والله أعلم*.

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيمة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما[5] أنهم يحملون أوزارهم كاملة، يعني الذين قالوا للرسل "أساطير الأولين"، ومن أوزار الذين يقلدون رسلهم ووفدهم الذين بعثوهم[6] للسؤال[7] عن رسول الله، فَحَمَلوا أوزار[8] أنفسهم وأوزار[9] الذين يقلدون رسلهم[10] ويقتدون بهم، بغير علم؛ لأنهم لم يعلموا أن أولئك يقتدون بالرسل، فيَضِلون وهم؛[11] وإن لم يعلموا فذلك عليهم لأنهم هم الذين سَنُّوا ذلك، وهو كما روي: «من سَنَّ سنة سيئة[12] فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة».[13]

---

[1] ﴿وقالوا ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق﴾ (سورة ص، ٣٨/٧).
[2] جميع النسخ: كان.
[3] «ولو كان هو في الحقيقة أحاديث الأولين أو سحرا لكان دليلا على رسالته، على ما عرف أنه لم يعرف بتعلم الكتب المتقدمة ولا بتعلم السحر، فكان علمها بدون التعلم من البشر من آيات الرسالة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٣٤و).
[4] ك ن: + له.
[5] ك ن + أنه يحتمل.
[6] جميع النسخ: بعثوا.
[7] جميع النسخ: عن السؤال.
[8] ع م: أوزارهم.
[9] ك ن + الرسل وأوزار.
[10] جميع النسخ: الرسل.
[11] أي يَضل الذين قالوا للرسل "أساطير الأولين" ويضل أيضا الذين يقتدون بهم، بسبب أولئك.
[12] ن ع + سيئة.
[13] «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» (صحيح *مسلم*، الزكاة، ٦٩، العلم ١٥؛ وسنن *النسائي*، الزكاة، ٦٤).

ويحتمل **ليحملوا أوزارهم** [**كاملة يوم القيمة**] **ومن أوزار الذين،** طمعوا الإسلام[إذا أخبروهم بذلك أنه حق][١] إذا أسلموا سقط تلك الأوزار عنهم. وقوله: **ليحملوا أوزارهم،** هم لم يفعلوا ما فعلوا ليحملوا أوزارهم ولكن معناه -والله أعلم- أي ليصيروا حاملين[٢] لأوزارهم والذين[٣] أضلّوهم. وقوله عز وجل: **بغير علم،** يحتمل **بغير علم،** أي بسفَهٍ.

ألا ساء ما يزرون، أي ساء ما يحملون. وقوله: **بغير علم،** أي لم يعلموا أن تصير أوزارهم عليهم، أو لم يعلموا ما يلحق بهم [من المأثم].[٤]

﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٢٦]

وقوله: **قد مكر الذين من قبلهم،** لم يزل[٥] كانت عادة الكفرة بالمكر برسل الله والكيد لهم، وكذلك مَكْرُ كفار مكة برسول الله. يذكر هذا -والله أعلم- لرسول الله ليصبّره على أذاهم إياه،[٦] كما صبر أولئك على مكر قومهم وترك مكافأتهم إياهم، كقوله: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ.[٧] ثم مكرهم الذي[٨] ذكر كان يخرج على وجهين. أحدهما فيما جاءت به الرسل، كانوا يتكلفون تلبيس ما جاءت به الرسل على قومهم. والثاني يرجع مكرهم إلى أنفُس الرسل من الهمّ بقتلهم وإخراجهم من بين أظهُرهم ونحوه. فخوّف بذلك أهلَ مكة بصنيعهم لرسول الله أن ينزل بهم كما نزل بأولئك الذين مكروا[٩] برسلهم لئلا يعاملوه بمثل معاملة أولئك رسلَهم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فأتى الله بنيانهم من القواعد،** قال الحسن: هذا على التمثيل بالبناء الذي بُني على غير أساس، ينهدم ولا يعلم من أي سبب انهدم. فعلى ذلك مكرهم يبطل ويتلاشى، كالبناء الذي بني على غير أساس. ويشبه أن يكون على التمثيل من غير هذا الوجه،

---

[١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٤ظ.
[٢] ن ع م: حاطين.
[٣] ن ع م: الذين.
[٤] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٤ظ.
[٥] ع م: تزل.
[٦] ن - إياه.
[٧] ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم﴾ (سورة الأحقاف، ٣٥/٤٦).
[٨] ع: الذين.
[٩] ن: كفروا.

وهو أنهم قد مكروا وأحكموا مكرهم، بهم فيتحصنون بذلك، كالبناء الذي يُتحصّن به، فأبطل الله مكرهم، كقوله: وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا،[1] الآية، وقوله: وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ،[2] الآية.

وقوله عز وجل: **فخرّ عليهم السقف من فوقهم**، هو ما ذكرنا من إبطال مكرهم الذي به كانوا يتحصنون، كوقوع السقف الذي به يُتحصن من أنواع الأذى والشرور. ويحتمل على التحقيق وهو ما نزل بقوم لوط من الخَسْف وتقليب البنيان وإمطار الحجر عليها. وأما ما ذكر بعض أهل التأويل من الصَّرْح الذي بنى نُمْرُود[3] وبنيانه[4] ووقوعه[5] عليهم فإنا لا نعلم ذلك.

وقوله عز وجل: **وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون**، كذلك كان يأتي العذاب الظَّلَمَةَ الكَذَبَةَ من حيث لا علم لهم بذلك، كقوله:[6] فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً،[7] الآية.

وقوله: **فأتى الله بنيانهم**، هو من[8] الإتيان، ومعلوم أنه لا يفهم من إتيانه الانتقال من مكان إلى مكان ولكن إتيان عذابه. أضيف إليه الإتيان لما بأمره[9] يأتيهم ومنه. فعلى ذلك لا يفهم من قوله: وَجَاءَ رَبُّكَ،[10] وقوله: إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ،[11] الآية، إتيانُ الانتقال ومَجيئُه من مكان إلى مكان، وقد ذكرنا هذا وأمثاله في غير موضع.[12]

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[٢٧]

وقوله: **ثم يوم القيمة يخزيهم**، أخبر أنه يخزيهم يوم القيامة بعد ما عذبهم في الدنيا، بقوله: وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ.[13] وقوله: **يخزيهم**، قال أهل التأويل: يعذبهم،

---

[1] ﴿ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون﴾ (سورة النمل، ٢٧/٥٠).
[2] ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾ (سورة آل عمران، ٣/ ٥٤).
[3] نُمْرُود ونُمْرُوذ: اسم ملك معروف. وكأن ثعلب ذهب إلى اشتقاقه من التمرد، فهو على هذا ثلاثي (لسان العرب، «نمر»).
[4] ع: بنيانه.
[5] ع: ووقو.
[6] ن - كقوله.
[7] ﴿ثم بدّلنا مكانَ السيئة الحسنةَ حتى عَفَوا وقالوا قد مسّ آباءَنا الضرّاءُ والسرّاء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون﴾ (سورة الأعراف ٧/٩٥).
[8] ع: من هو.
[9] ع: يأمره.
[10] ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ (سورة الفجر، ٨٩/٢٢).
[11] ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور﴾ (سورة البقرة، ٢/٢١٠).
[12] انظر: سورة البقرة، ٢/٢١٠.
[13] الآية السابقة.

وكأن الإخزاء هو الإذلال والإهانة والفَضْح، يُذلهم ويُهينهم ويَفْضَحهم في الآخرة مكان ما كان منهم من الاستكبار والتجبّر على النبي وأصحابه. وكذلك قوله: يَوْمَ لَا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا،[١] أي لا يُذلهم ولا يُهينهم لتواضعهم للنبي وخفض جناحهم له.[٢] ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **ويقول أين شركائيَ الذين كنتم تُشاقُّون فيهم،** أي تُعادون أوليائي فيهم أو تعادونني فيهم. وقوله: **أين شركائي،** / ليست[٣] له بشركاء، ولكن أضاف إلى نفسه شركاء على ما زعمتم [٤٠٥ظ] في الدنيا أنها[٤] شركاؤه. وكذلك قوله: فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ،[٥] أي إلى ما في زعمهم وتسميتهم إياها آلهةً.

وقوله عز وجل: **كنتم تشاقّون فيهم،** أي كنتم تخالفون فيهم وتعادون، أي تخالفون المؤمنين في عبادتهم إياها، لأنهم يقولون: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[٦] وقولهم:[٧] هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[٨] ونحوه. كانوا يخالفون المؤمنين وكانوا[٩] يُشاقون في ذلك، إلا أنه أضاف ذلك إلى نفسه لأنهم[١٠] أولياؤه وأنصار دين الله. وأضاف[١١] إليه المخالفة والمشاقة لأنهم خالفوا أمر الله.[١٢]

وقوله: **قال الذين أوتوا العلم،** قال أهل التأويل: **الذين أوتوا العلم،** الملائكة الكرام الكاتبون[١٣] لكن[١٤] هم[١٥] وغيرهم من المؤمنين محتمل. وقوله عز وجل: **إن الخزيَ اليومَ والسوءَ على الكافرين،** أي الذلّ[١٦] والهوان والافتضاح وكلّ سوء على الكافرين. هكذا يقابَل كل معاند ومكابر في حجج الله وبراهينه مكان استكبارهم وتجبّرهم في الدنيا. ***والله أعلم.***

---

[١] ﴿يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم﴾ (سورة التحريم ٦٦/٨).
[٢] جميع النسخ: لتواضعه للمؤمنين وخفض جناحه لهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٤ظ، ونسخة مدينة، ورقة ٤٩١ظ.
[٣] جميع النسخ: لسن؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٤ظ.
[٤] ن: أنهم.
[٥] ﴿فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٩١).
[٦] ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٣).
[٧] ن ع – وقولهم.
[٨] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٠/١٨).
[٩] ن – كانوا.
[١٠] أي المؤمنون.
[١١] ن: أو أضاف.
[١٢] ع + وغيرهم.
[١٣] ك + لكن.
[١٤] ت ع م: – لكن.
[١٥] ع – هم.
[١٦] ع: الذ.

﴿اَلَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٢٨]

وقوله: **الذين تتوفاهم الملائكة**، قال الحسن: تتوفاهم الملائكة من بين يدي الله يوم الحساب إلى النار. وقال بعضهم: **تتوفاهم الملائكة**،[١] وقت قبض أرواحهم، **ظالمي أنفسهم**، بالشرك والكفر بالله. وعلى تأويل[٢] الحسن يكون قوله: **ظالمي أنفسهم** في الدنيا. ويجوز أن يوصفوا بالظلم في الآخرة أيضًا بكذبهم فيها في قولهم: **ما كنا نعمل من سوء**، وقولهم: وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ،[٣] وأمثاله من الكذب حيث ينكرون الإشراك في ألوهية الله وعبادته. كان هذا الإنكار والكذب منهم في أول حالهم ظنًّا منهم أن ذلك ينفعهم، فإذا لم ينفعهم إنكارهم طلبوا الرد إلى الدنيا أو إلى حال الأمن ليعملوا[٤] غير الذي عملوا، كقولهم: أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ،[٥] فإذا لم يُردّوا وآيسوا عن ذلك فعند ذلك أنطق الله جوارحهم حتى[٦] تشهد عليهم بما كان منهم،[٧] فعند ذلك يُقرون ويعترفون[٨] بذنوبهم، كقوله: فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ.[٩]

وقوله عز وجل:[١٠] **فألقوا السَّلَم**، قال بعضهم: يُسلمون ويستسلمون لأمر الله، ولكن لو كان ما ذكروا لم يكونوا ينكرون عمل السوء، كقولهم: **ما كنا نعمل من سوء**. وقال بعضهم: **فألقوا السلم**، هو الاستخذاء[١١] والخضوع والتضرع. ويشبه أن يكون قوله: **فألقوا السلم** عند الموت، يؤمنون عند معاينة ذلك أو سلّموا عليهم في الآخرة على ما رأوا في الدنيا المؤمنين يسلّم بعضهم على بعض.

---

[١] م – قال الحسن تتوفاهم الملائكة من بين يدي الله يوم الحساب إلى النار وقال بعضهم تتوفاهم الملائكة.

[٢] ع م – على تأويل.

[٣] ﴿ثم لم تكن فتنتُهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ (سورة الأنعام، ٢٣/٦).

[٤] ع م: ليعلموا.

[٥] ﴿هل ينظرون إلا تأويلَه يوم يأتي تأويلُه يقول الذين نَسُوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نُرَدُّ فنعمل غير الذي كنا نعمل﴾ (سورة الأعراف، ٥٣/٧).

[٦] ع: على.

[٧] ﴿حتى إذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه تُرجعون﴾ (سورة فصلت، ٤١/٢٠-٢١).

[٨] ع: فيعرفون.

[٩] ﴿فاعترفوا بذنبهم فسُحْقا لأصحاب السعير﴾ (سورة الملك، ٦٧/١١).

[١٠] ع م + الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم.

[١١] خَذِئَ له وخَذَأَ له يَخْذَأُ خَذْأً وخَذَءًا وخُذُوءًا: خَضَعَ وانْقادَ له، وكذلك اسْتَخْذَأْتُ له. (*لسان العرب*، «خذأ»).

وقوله عز وجل: **ما كنا نعمل من سوء**، في الآخرة -والله أعلم بذلك- فأكذبهم الله في قولهم: **ما كنا نعمل من سوء**، فقال: **بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون**، هذا وعيد يخبر أن كذبهم لا يجوز[١] في الآخرة[٢] كما جاز[٣] في الدنيا، و لم يظهر.[٤]

﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها**، [أي يقال لهم: ادخلوا أبواب جهنم]،[٥] وقوله:[٦] **فلبئس مثوى المتكبرين**، أي بئس مُقام المتكبرين الذين تكبروا على دين الله، أو تكبروا على ما جاء به الرسل من الله وما أنزل الله عليهم.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرًا**، قال أهل التأويل: هذا قول المؤمنين مقابل قول المشركين: وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ.[٧] ثم[٨] اختلف في قوله: **قالوا خيرًا**، قال بعضهم: قوله: **قالوا خيرًا**، أي قولهم الذي[٩] قالوا "إنه أُرسل بحق وإنه كذا" خير. وقال بعضهم: قوله: **قالوا خيرًا**. حكاية عما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم. **وخيرًا**، أي أنزل عليه ربنا خيرًا أو أن يكون الناس الذين يأتون من الآفاق يسألون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا سألوا المؤمنين: **ماذا أنزل ربكم قالوا خيرًا**؛ وإذا سألوا الكفرة: قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ.[١٠] وجائز أن يكون أتباع المؤمنين سألوا كبراءهم: **ماذا أنزل ربكم قالوا خيرًا**،[١١] مقابل ما كان من كبراء الكفرة لأتباعهم [قولهم]:[١٢] أساطير الأولين.

---

[١] جميع النسخ: لا يجوز كذبهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٥و.
[٢] جميع النسخ + ولا يحتمل.
[٣] ك: جا.
[٤] أي و لم يظهر مقول الكذب و لم يتحقق.
[٥] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٥و.
[٦] ع م - وقوله.
[٧] سورة النحل، ٢٤/١٦.
[٨] ن - ثم.
[٩] ع: الذين.
[١٠] سورة النحل، ٢٤/١٦.
[١١] ن - وإذا سألوا الكفرة قالوا أساطير الأولين وجائز أن يكون أتباع المؤمنين سألوا كبراءهم ماذا أنزل ربكم قالوا خيرًا.
[١٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٥و.

وقوله عز وجل: **للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة**، من النصر لهم والظفر على عدوهم. **ولدار الآخرة خير**، لهم مما كان أعطاهم في الدنيا. وقال بعضهم: **للذين أحسنوا** العملَ في هذه الدنيا[1] حسنة في الآخرة. **ولدار الآخرة خير**،[2] أي الجنة خير وأفضل للمؤمنين مما أوتوا في الدنيا. **ولنعم دار المتقين**، قال هذا للمؤمنين مكان ما قال[3] للكافرين: فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ.[4] ثم نَعَتَ الدار التي وَعد للمتقين فقال:

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾[٣١]

جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاءون، من اللذات والشهوات.

فإن قيل: أرأيت لو شاءوا أن يكون لهم درجاتِ الأنبياء ومنازلَ الأبرار والصدّيقين، أيكون لهم ما شاءوا؟ قيل: لا يشاءون هذا، لأن مثل هذا إنما يكون في الدنيا إما حسدًا وإما تمنّيا، فلا يكون في الجنة حسد، لأن الحسد هو أن يرى[5] لأحد شيئًا ليس له فيحسد، أو يتمنى مثله، فأهل الجنة يجدون جميع ما يتمنون و[جميع ما] يخطر ببالهم، فلا معنى لسؤالهم ربهم ما لغيرهم. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **كذلك يجزي الله المتقين**، ظاهر.

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **الذين تتوفاهم الملائكة طيبين**، على تأويل الحسن:[6] تتوفاهم الملائكة[7] وهم طيبون من بين يدي الله يوم الحساب، يقولون / لهم:[8] **سلام عليكم ادخلوا الجنة**. وقد ذكرنا[9] أن السلام هو تحيّة جعل[ها] الله بين الخلق في الدنيا والآخرة، وقد ذكرنا في غير موضع.[10] [٤٠٦و]

---

[1] جميع النسخ + لهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٥و.
[2] ع – وقال بعضهم للذين أحسنوا العمل في هذه الدنيا لهم حسنة في الآخرة ولدار الآخرة خير لهم مما كان أعطاهم في الدنيا؛ م + لهم مما كان أعطاهم في الدنيا.
[3] ن + للمؤمنين.
[4] الآية السابقة.
[5] ك: أن لا يرى.
[6] ن: الحسين.
[7] ن + تقضهم الأرواح في الدنيا يقبضون أرواحهم.
[8] ن ع – لهم.
[9] ع م: ذكر.
[10] انظر: سورة الأنعام، ٥٤/٦.

وقال بعضهم: **الذين تتوفاهم الملائكة**، بقبضهم[١] الأرواح في الدنيا، يقبضون أرواحهم وهم طيبون. وقال بعضهم: [هم] طيبون أحياء وأمواتا، وهم المؤمنون الذين طابت أعمالهم في الدنيا.

يحتمل السلام وجهين. أحدهما يحييهم[٢] الملائكة بالسلام[٣] في الجنة كما يحيّي أهل الإيمان في الدنيا بعضُهم بعضًا. والثاني يكون السلام[٤] منهم [إخبارا][٥] بالأمن[٦] عن جميع الآفات والمكروهات. *والله أعلم*.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك**، هذا الحرف يخرج على الإياس[٧] من إيمانهم، أي ما ينظرون لإيمانهم إلا وقت قبض أرواحهم أو وقت نزول العذاب عليهم، أي لا يؤمنون إلا في هذين الوقتين، ولا ينفعهم إيمانهم في هذين الوقتين، لأن إيمانهم إيمان اضطرار، كقوله: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ،[٨] وكقوله: وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ،[٩] يؤمنون[١٠] عند معاينتهم بأس الله،[١١] لكن لا ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت. يخبر أنهم ينظرون ذلك الوقت ويُؤيِس رسوله عن إيمانهم لِما علم أنهم لا يؤمنون، ليرفع عنه مُؤنة الدعاء إلى الإيمان والقتال معهم. وقوله: **أو يأتي أمر ربك**، يحتمل العذاب في الدنيا، ويحتمل عند معاينتهم العذاب في الآخرة.

---

[١] ن ع: تقبضهم.
[٢] ن ع م: تحيتهم.
[٣] م: السلام.
[٤] جميع النسخ: السلام يكون؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٥و.
[٥] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٥و.
[٦] جميع النسخ: أمن؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٥و.
[٧] ك + له.
[٨] ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٨٤-٨٥).
[٩] ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا﴾ (سورة النساء، ٤/١٥٩).
[١٠] م – يؤمنون.
[١١] م – بأس الله، + العذاب.

وقوله عز وجل: **كذلك فعل الذين من قبلهم**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما كذلك فعل المعاندون[1] والمكابرون الذين[2] كانوا من قبلُ[3] برسلهم من التكذيب لهم والعناد وتركهم الإيمان إلى الوقت الذي ذكر، كما فعل قومك من التكذيب لك يا محمد والعنادِ. ويحتمل **كذلك فعل الذين من قبلهم**، أي هكذا أنزل[4] العذاب بمن كان قبل قومك بتكذيبهم الرسل والعناد معهم. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **وما ظلمهم الله**، بما عذبهم، **ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**، حيث وضعوا أنفسهم في[5] غير موضعها الذي وضعها الله، وحيث صرفوها عن عبادة من نفعهم وأنعمَ عليهم[6] واستحقّ ذلك عليهم إلى مَن لا يملك نفعًا ولا ضرًا ولا يستحق العبادة بحال، فهم ظلموا أنفسهم حيث صرَفوها عن الحكمة إلى غير الحكمة،[7] إذ[8] الله وضعها حيث تُوجب الحكمةُ ذلك. والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، والحكمة هي وضع الشيء في موضعه. فهم وضعوا أنفسهم في غير موضعها، فأما الله سبحانه وتعالى قد وضعها في المواضع التي توجب الحكمةُ وضعَها.

وقوله عز وجل: **هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك**، كأنه[9] قال: ما ينظرون[10] للإيمان بعد الحجج السمعيات وبعد الحجج العقليات والحجج الحسيات إلا نزولَ الملائكة بالعذاب من الله تعالى عليهم، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقام عليهم الحجج السمعيات والعقليات والحسيات، فلم يؤمنوا به ولم يصدّقوه. فيقول: إنهم ما ينتظرون إلا الحجج التي تقهرهم وتضطرهم، فعند ذلك يؤمنون وهو ما ذكر من نزول العذاب بهم. أو يقول: ما ينظرون بإيمانهم إلا الوقت الذي لا ينفعهم إيمانُهم، وهو الوقت الذي تخرج أنفسهم من أيديهم. فأخبر[11] أن إيمانهم لا ينفعهم في ذلك، وهو ما قال: فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ،[12] الآية.[13]

---

[1] ع: المعاندين.
[2] ع م: والذين.
[3] ع: قبلهم.
[4] ع م: إنزال.
[5] ع – في.
[6] ع + إلى من لا يملك نفعا ولا ضرا ولا يستحق العبادة بحال فهم ظلموا أنفسهم حيث صرفوها عن عبادة من نفعهم وأنعم عليهم.
[7] جميع النسخ + لا الله.
[8] ع م: ان.
[9] ع: كأن.
[10] ك ن: ينتظرون.
[11] ع م: فأخبرهم.
[12] ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لَمّا رأوا بأسنا سنةَ الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٨٥).
[13] ع – الآية.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[٣٤]

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم**، وقال في سورة الأنعام: كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وقال: قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا.[١]

وقال ههنا: **فهل على الرسل إلا البلاغ المبين. وهل**، هو حرف استفهام في الظاهر، لكن المراد منه: ما على الرسل[٢] إلا البلاغ المبين، على ما قاله أهل التأويل لِما قد كان من الله من البيان أن ليس على الرسل إلا البلاغ المبين.[٣] وكذلك قوله: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ،[٤] أي ما ينظرون إلا أن تأتيهم[٥] كذا. وكذلك قوله: أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّىٰ،[٦] "أم" هو حرف شك ومراده: ما[٧] للإنسان ما تمنى وأمثاله، لما سبق من الله ما يبين لهم أنْ ليس للإنسان ما تمنى.[٨] وقد[٩] ذكرنا[١٠] تأويل[١١] قوله: سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا، في سورة الأنعام.[١٢]

ويحتمل قوله هذا وجوها. أحدهما قالوا ذلك على الاستهزاء، كقوله: وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا.[١٣] والثاني قولهم: **لو شاء الله**، أي لو أمر الله أن نعبده ولا نعبد غيره لفعلنا،

---

[١] ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تَخرُصون﴾ (سورة الأنعام، ١٤٨/٦).

[٢] جميع النسخ: الرسول.

[٣] ك – على ما قاله أهل التأويل لما قد كان من الله من البيان أن ليس على الرسل إلا البلاغ المبين.

[٤] سورة النحل، ٣٣/١٦.

[٥] ك ن: يأتيهم.

[٦] سورة النجم، ٥٣/ ٢٤.

[٧] ع م – ما.

[٨] ك: يتمنى.

[٩] ع: قد.

[١٠] ع م: ذكر؛ ن + وأمثاله.

[١١] ع م – تأويل.

[١٢] سورة الأنعام، ١٤٨/٦.

[١٣] سورة مريم، ٦٦/١٩.

كقوله: وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا،[1] الآية. والثالث قالوا: لو لم[2] يرض الله منا ذلك ما تركنا فعلنا ذلك، ولكن أهلكنا.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **ولقد بعثنا في كل أمة رسولا**، يخبر رسوله أنك لست بأول مبعوث إلى أمتك ولكن قد بعث إلى كل أمة رسولا،[3] وهو كقوله: وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ،[4] يصبّره على ما يصيبه منهم من المكروه والأذى. أي لست أنت بأوّل مَن يصيبه ذلك، بل كان لك[5] قبلك إخوان[6] أصابهم من أمتهم ما يصيبك من أمتك. وقوله: **ولقد**[7] **بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله**، هو على الإضمار، كأنه قال: ولقد بعثنا في كل أمة رسولا وقلنا لهم: قولوا: **أن اعبدوا الله**[8] **واجتنبوا الطاغوت**. على ذلك كان بعثُ الرسل جميعًا إلى قومهم: بالدعاء إلى توحيد الله وجعلِ العبادةِ له والنهيِ عن عبادة الأوثان دونه، كقوله: يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ،[9] ويكون قوله: **اجتنبوا الطاغوت** كقوله: مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ، هما[10] واحد. **والطاغوت**، / [٤٠٦ظ] قال بعضهم: كل ما[11] عُبد[12] دون الله فهو طاغوت. وقال الحسن: الطاغوت هو الشيطان، أضيف العبادة إليه بقوله: لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ،[13] لأن من يعبد دونه يعبد بأمره فأضيف لذلك[14] إليه، وقد ذكرنا هذا أيضًا فيما تقدم.[15]

---

[1] ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ (سورة الأعراف، ٢٨/٧).

[2] ن: ولم.

[3] ع - يخبر رسوله أنك لست بأول مبعوث إلى أمتك ولكن قد بعث إلى كل أمة رسولا.

[4] ع م - نذير. ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ (سورة فاطر، ٢٤/٣٥).

[5] م: ذلك.

[6] ع م: - إخوان.

[7] م - ولقد.

[8] ك ع م + الآية أن اعبدوا الله.

[9] هذا خطاب لكل من نوح وهود وصالح وشعيب -على نبينا وعليهم الصلاة والسلام- إلى قومهم. انظر: سورة الأعراف، ٥٩/٧، ٦٥، ٧٣، ٨٥.

[10] ع + وهما.

[11] جميع النسخ: من؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٥ظ.

[12] ك + من.

[13] ﴿يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا﴾ (سورة مريم، ٤٤/١٩).

[14] ع: كذلك.

[15] انظر: سورة البقرة، ٢٥٦/٢.

وقوله عز وجل: **فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة**، هذا يدل أنه لم يُرِد بالهدى البيانَ، على ما قاله بعض الناس؛ إذ قد سبق منه البيان لكل أحد، وما ذكر أيضًا: **ومنهم من حقت عليه الضلالة**. وهذا يرد على المعتزلة قولهم حيث قالوا: الهدى البيانُ من الله. لكن الهدى منه في هذا الموضع ليس هو البيانَ، [بل] هو ما يكرم الله به عبده[١] ويوفِّقه[٢] لدينه. وقوله: **فمنهم من هدى الله**، لاختياره الهدى، **ومنهم من حقت عليه الضلالة**، أي لزمت، للزومه الضلالة واختياره إياها.[٣]

وقوله عز وجل: **فسيروا في الأرض**،[٤] قال الحسن: قوله: **فسيروا**، ليس على الأمر، ولكن كأنه قال: لو سرتم في الأرض لرأيتم كيف كان عاقبة المكذبين بالتكذيب. وقال بعضهم: **سيروا**، كأنه على الحجاج عليهم أنْ سيروا في الأرض فإنكم ترون[٥] آثار من كان[٦] قبلكم الذين أهلكوا بالتكذيب. كان النبي يخبرهم من أنباء الأمم الخالية وما نزل بهم فينكرون ذلك، فقال عند ذلك: **فسيروا في الأرض فانظروا**، إلى آثار من كان قبلكم. ويشبه أن يكون ليس على السير نفسه ولكن على التأويل والنظر في آثار[٧] أولئك وأمورهم أنه بم نزل بهم ما نزل. ***والله أعلم***.

﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **إن تحرص على هداهم**، قال أبو بكر الأصم:[٨] كان يحب ويحرص على هدى قراباته، كقوله: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ،[٩] فقال: **فإن الله لا يهدي من يضل**،[١٠] أي لا يهديهم بضلالهم وقت ضلالهم، أو لا يهدي وقت اختيارهم الضلال، أو لا يهدي من علم أنه يختار الضلال ويَهلك على الضلال،[١١] أو لا يُنجي من يَهلك على[١٢] الضلال.

---

[١] ن: عبد.
[٢] ن: وتوفيقه.
[٣] ع م: إياه.
[٤] ك + الآية.
[٥] ع – ترون.
[٦] ك – كان.
[٧] ن – آثار.
[٨] ك ن + قوله إن تحرص على هداهم.
[٩] ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين﴾ (سورة القصص، ٥٦/٢٨).
[١٠] ع م + أي لا يهدي من يضل.
[١١] ع م – ويهلك على الضلال.
[١٢] م: عن.

وفيه لغات ثلاث: **فإن الله لا يهدي**،[1] أي لا يهدي[2] من أضله الله، أي إذا أضله الله فليس أحد يهديه؛ ولا يهدي من يَضل ما ذكرنا؛ ولا يهدي من يُضل، أي لا يهتدي من أضله الله -والله أعلم بذلك- أو لا يهدي[3] في الآخرة طريقَ الجنة من أضله الله في الدنيا لاختياره الضلال، وهو كقوله: وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ،[4] وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ،[5] وقت اختيارهم الكفرَ والظلمَ، أو لا يهدي من علم منه أن يختار الضلال والظلم، أو لا يهدي من يلزم الضلال وقت لزومه. وقوله عز وجل: **وما هم من ناصرين**، ظاهر تأويله.[6]

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت.**

فإن قيل لنا: ما الحكمة والفائدة في ذكر قسمهم الذي أقسموا في القرآن وجعل ذلك آية تتلى، وذلك القسم الذي أقسموا كان بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم علموا ذلك، ليس كالأنباء والقِصص التي كانت[7] من قبل، إذ[8] كان ذلك شيء غاب عنه، لم يشهده[9] فأخبرهم[10] على ما كان. ففي ذلك إثبات رسالته ونبوته، فالحكمة والفائدة من ذكرها في القرآن وجعلها آيات تتلى، ليعلم أنه إنما عرف ذلك بالله تعالى. وأما القسم الذي أقسموا ليس فيه ما ذكرنا من إثبات الرسالة، وهم قد علموا ذلك، فما الفائدة في ذكره؟

قيل: يشبه أن يكون ذَكَره لنا عز وجل لنعلم نحن عظيم سفَهِ أولئك وقلة عقلهم[11] وحلم الرسول

---

[1] ن + من يضل أي لا يهدي من علم أنه يختار الضلال ويهلك على الضلال أو لا ينجي من يهلك على الضلال وفيه لغات ثلاث فإن الله لا يهدي؛ ع + من يضل.

[2] ك ن + من يضل أي لا يهدي.

[3] ع م: يهتدي.

[4] سورة البقرة، ٢/٢٦٤.

[5] سورة البقرة، ٢/٢٥٨.

[6] ن – تأويله.

[7] ع – كانت.

[8] ع م: إذا.

[9] جميع النسخ: يشهدها؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٥ظ.

[10] ك: فأشهدهم.

[11] ع م: عقولهم.

واحتمالَ ما احتمل منهم من الأذى والمكروه، لنعلم نحن أنْ كيف نعامل[١] السفهاء وأهل الفساد والعُصاةَ من الناس على ما عامل رسل الله أقوامهم[٢] مع عظيم سفههم وقلة عقلهم.[٣] فذلك[٤] فائدة ذكر قسمهم في القرآن. قد تكلّف أولئك الكفرة الكبراء منهم في تلبيس الآيات والحجج[٥] التي أتت بها الرسل مرة بالقَسَم الذي ذكر حيث أقسموا بالله جهد أيمانهم أنهم لا يُبعَثون، ومرة بالنسبة إلى السحر، ومرة بالافتراء، ومرة بالنسبة إلى الجنون، وفي الإنباء بأنه[٦] إنما يعلّمه بشر منا، يريدون بذلك التلبيس على الأتباع.

ثم البعث واجب بالعقل والحكمة وإخبار الرسل؛ إذ ليس خبر أصدق من أخبار الرسل وآثارهم، وهم[٧] ممن يقبلون الأخبار. فإخبار الرسل أولى بالقبول والتصديق من غيره، لأن معهم آيات صدقهم ودلالاتِ[٨] تحقيقهم. وأما العقل فهو أن يكون هذا العالم وإنشاؤه[٩] للفناء خاصةً خارجٌ عن الحكمة؛ إذ كل عمل لا يكون له عاقبة[١٠] عَبَثٌ، وهو كما[١١] قال: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا،[١٢] الآية. أخبر أنه إذا لم يكن رجوع إليه يكون خلقه إياهم عبثا. وأما الحكمة فهي أن الانتقام لأوليائه من الظَلَمة واجب لظلمهم، والإحسان لأهل الإحسان. فلو لم يكن البعث[١٣] والحياة بعد الموت لينتقم من الظالم لظلمه ويَجزي المحسن لإحسانه تذهب[١٤] فائدة الترغيب على الطاعة والإحسان ووعيد الظالم بالانتقام. فالبعث واجب للوجوه التي ذكرنا والتفريقِ بين الأولياء والأعداء، وقد جمعهم في هذه الدنيا، وفي الحكمة التفريق بينهما.

---

[١] جميع النسخ: يعامل.
[٢] ن – أقوامهم.
[٣] ع م + فهذا.
[٤] ع م: ذلك.
[٥] ك: الحجج والآيات.
[٦] ك: أنه.
[٧] أي الناس أو الكفار.
[٨] ع: ودلالا.
[٩] ك: وإنشاه؛ ن ع م: وإنشائه.
[١٠] ك + حميدة.
[١١] م: ما.
[١٢] ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/١١٥).
[١٣] جميع النسخ: بعث؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٦و.
[١٤] ن ع م: يذهب.

وقوله: **جَهْدَ أيمانهم**، ذُكر أن مشركي العرب كانوا لا يُقسمون بالله إلا ما يَعظُم من الأمر ويشتدّ[١] عليهم، تعظيمًا له وإجلالا. إنما كانوا يقسمون بالأصنام والأوثان التي عبدوها، فإذا حلفوا بالله[٢] فذلك جَهْد أيمانهم.

[٤٠٧و] وقوله عز وجل: **بلى وعدًا عليه حقًا**، / قوله: **بلى**، ردٌّ على قولهم: **لا يبعث الله من يموت**، فقال:[٣] **بلى**[٤] يَبعث. وقوله: **وعدًا عليه حقا**، يحتمل **وعدًا**، أي وعدا أنه يبعثهم، فحق عليه أن يُنجز ما وعد،[٥] أو حقا عليه أن يَعِد[٦] البعث والإنجاز له. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ولكن أكثر الناس لا يعلمون**، هذا[٧] يحتمل وجهين. أحدهما أنه نفى عنهم العلم لما لم ينتفعوا بعلمهم، فهو كما نفى عنهم السمع والبصر وغيرهما من الحواس[٨] لما لم ينتفعوا بها انتفاعَ ما لذلك كان تَخلّقها، فنفي ذلك عنهم.

والثاني نفى عنهم ذلك على حقيقة النفي، لأنهم لم ينظروا و لم يتأملوا في الآيات والأسباب التي بها جَعَل لهم الوصول إلى العلم فلم يعلموا. ثم لم يَعْذِرهم بجهلهم ذلك، لما جعل لهم سبيل الوصول إلى علم ذلك بالنظر والتأمل في الآيات والحجج، لكنهم شغلوا أنفسهم في غيرها و لم ينظروا في الأسباب التي جعلها لهم سبيل الوصول إليه. فهذا يدل أن من جهل أمر الله ونهيه يكُنْ[٩] مؤاخَذا به بعد أن جعل له سبيل الوصول إليه بالدلائل والاشارات، فلا يخرج مؤاخذته إياه وعقوبته بترك أمره عن الحكمة. وأما في الشاهد من أمر عبده[١٠] شيئًا و لم يُعلمه ما أمره ثم عاقبه بذلك فهو خارج عن الحكمة؛ إذ لا سبيل إلى الوصول بما أمر به إلا بالتصريح، و لم يكن منه تصريح إعلام، لذلك كان ما ذكر. ألا ترى أنه أوعد لهم الوعيد الشديد في آخره[١١] بقوله:

---

[١] م: ويشبه.
[٢] ع م + إلا ما يعظم من الأمر.
[٣] ك – فقال.
[٤] ن: بل.
[٥] ن – ما وعد.
[٦] ن: الا بعد.
[٧] م: وهذا.
[٨] يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ (سورة الأعراف، ٧/ ١٧٩).
[٩] ن ع م: يكون.
[١٠] ع م: وعبده.
[١١] م: في الآخرة.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾[٣٩]

ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين، يحتمل قوله: **وليعلم الذين كفروا،** أي ليعلم أتباعهم أنّ الرؤساء كانوا كاذبين، وإلا كان الرؤساء منهم[١] كاذبين عند أنفسهم؛ أو أن يكون قال ذلك لما أدعى أولئك الكفرة أن الآخرة لهم، كقوله: وَلَئِن[٢] رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي،[٣] الآية. فقال جوابًا له: **وليعلَمَ الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين،** لادعائهم الآخرة لأنفسهم.

ثم قوله: **ليبين لهم الذي يختلفون فيه،** قال بعضهم: إنما اختلفوا في البعث، منهم من صدقه ومنهم من كذبه، يقول:[٤] فيبين[٥] لهم ذلك. ويحتمل قوله: **الذي يختلفون فيه،** أي في الدين والمذهب، لأنهم اختلفوا في الدين والمذهب. وكل من أدعى دينًا ومذهبًا حتى دعا[٦] غيره إلى دينه ومذهبه يتبين له[٧] المحق منهم من غيره والصادق منهم من الكاذب.

وقوله: **وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين،** يحتمل كفرهم بالبعث وإنكارهم[٨] إياه، أو كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم أو وحدانية الله، **أنهم كانوا كاذبين،** في إنكار ما أنكروا، يتبين لهم ذلك في الآخرة.

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون،** يخبر عن سرعة نفاذ أمره وسهولة الأمر عليه أنه[٩] يكون أسرع من لحظة بَصَر أو لَمْحَة عين. وفيه دلالة أن خلق الشيء ليس هو ذلك الشيء، لأنه عبّر بكُنْ عن تكوينه، [وبقوله] فَيَكُون[١٠] عن[١١] المكوّن، وكذا كني عنه بالشيء لقوله: **إنما قولنا لشيء،** فكنى عنه بوقوع القول عليه والتكوين؛

---

[١] جميع النسخ + كانوا.
[٢] ع م - ولئن.
[٣] ك + إن لي عنده للحسنى. ﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولَنّ هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾ (سورة فصلت، ٤١/٥٠).
[٤] ع م: بقوله.
[٥] ك ن: يبين؛ ع: ليبين؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٦و.
[٦] جميع النسخ: دعى.
[٧] جميع النسخ: لهم.
[٨] ع: إنكارهم.
[٩] ع: أن.
[١٠] جميع النسخ: ويكون؛ والزيادة مع التصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٤٣٦و.
[١١] ع: من.

ثبت أن التكوين غير المكوّن. ثم لا يخلو من أن يكون التكوين بتكوينٍ آخر إلى[1] ما لا نهاية له أو لا بتكوين، وقد بينا فسادهما جميعًا وهما وجها الحديث.[2] ثبت أن الله تعالى به موصوف في الأزل. *وبالله التوفيق*.

والثاني [أن] من [كان] فعله كسبا[3] سمي كاسبًا، ومن [كان] فعله [مختصا] باسم سمي به. فلو كان كلية فعل الخلق[4] يسمى [الله] به فيسمى ميتا متحركًا ساكنًا، خبيثًا طيبًا، صغيرًا كبيرًا ونحو ذلك. فإذا كان يتعالى عن هذا،[5] وقد سُمّي فاعلاً مميتًا محييًا محرّكا مسكّنًا، جامعًا مُفرّقا ثبت أن فعله هو غيرُ مفعوله[6] وأنه بذاته يفعل الأشياء لا بغيره. وفي ذلك لزوم الوصف له به في الأزل. *والله الموفق*.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **والذين هاجروا في الله من بعد ما ظُلموا**، كان ظلمهم إياهم على وجوه. منهم من ظُلم بالإخراج من الديار والطرد من البلد، كقوله: إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ،[7] الآية. ومنهم من ظلم بالمنع من الهجرة، ومنهم من ظُلم بالمنع عن إظهار الإسلام والعمل له وأنواع ما أُوذُوا وظُلموا باظهارهم الإسلام وإجابتهم رسولَ الله واتّباعهم إياه. ثم وعد لهم في الدنيا حسنة فقال:

لنبوأنهم، قيل: لنعطينهم، وقيل: لنرزقنهم، وهو واحد. **في الدنيا حسنةً**، تحتمل[8] الحسنة في الدنيا العزّ بعد الذلّ، والسعة بعد الضِيق، والشدة والنصر والغلبة لهم بعد ما كانوا مقهورين مغلوبين في أيدي الأعداء، والذكر والشرف بعد الهوان، هذه الحسنة التي بوأهم في الدنيا. والمهاجرة المقاطعة، كأنه قال: والذين قاطعوا أرحامهم وأقاربهم[9] وأموالهم ومكاسبهم وديارهم،

---

[1] ع – إلى.

[2] أي كون التكوين بتكوين آخر أو بدون بتكوين، هذان الوجهان هما محل الاختلاف وإبداء الرأي في هذه المسألة.

[3] جميع النسخ: كسب؛ والزيادتان مع التصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٤٣٦و.

[4] جميع النسخ: فعل (م: فعلى) الله كلية الخلق.

[5] ك: ذلك.

[6] ع: مفعول.

[7] ﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تَوَلَّوهم ومن يتولّهم فأولئك هم الظالمون﴾ (سورة الممتحنة، ٩/٦٠).

[8] ن ع م: يحتمل.

[9] م: وارقابهم.

فأبدل الله لهم مكان الأرحام والأقارب[1] أخلاءَ وإخوانًا، ومكان أموالهم أموالًا أخرى، وكذلك الدُّور وكل شيء تركوا هنالك، فأبدلهم مكان ذلك كله.

وأما قوله: **ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون**، يشبه أن يكون ذِكْر[2] هذا عن حسد[3] كان من الكفرة للمهاجرين لَمّا أنزلهم في المدينة[4] وبوّأهم فيها وأعزّهم ورفَع ذكرَهم وأمرَهم ونَصَرَهم، حسَدَهم أهل الكفر بذلك، فعند ذلك قال: **ولأجر الآخرة**، لهم أكبر وأعظم في الآخرة. **لو كانوا يعلمون**، ما وعد لهم في الآخرة. ويحتمل أيضا قوله: **ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون**، هؤلاء المهاجرون[5] فيخِفّ عليهم احتمال ما أُوذُوا وظُلموا ويَهُون. ***والله أعلم***.

﴿اَلَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون**، قال الحسن: / أي على ربهم يَثِقون [٤٠٧ظ] في إنجاز ما وعد لهم في الآخرة أنه ينجز ذلك. ويحتمل قوله: **صبروا**، على أمره أو صبروا على الهجرة [و]انقطاع ما ذهب عنهم وفراق ما كان لهم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٤٣]
﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم**، هذا -والله أعلم- يكون على أثَر أمرٍ كان مِن الكفرة نحو ما قال أهل التأويل: إنهم قالوا: أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولًا،[6] وقالوا: لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ،[7] ونحوه من كلامهم، فقال: **وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم**، أي إلا بشرا، أي لم نرسل من غير البشر،فيكون قوله: **إلا رجالًا**، كناية عن البشر. أو أن يكون قوله: **إلا رجالا نوحي إليهم**، أي لم نبعث من النساء رسولا، إنما بُعِث الرسل من الرجال إلى الرجال والنساء. ***والله أعلم***.

---

[1] م: والارقاب.
[2] ن - ذكر.
[3] ع م: حد.
[4] ن: بالمدينة.
[5] ع م: المهاجرين.
[6] ﴿وما منع الناسَ أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا﴾ (سورة الإسراء، ٩٤/١٧).
[7] ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتَوا عُتُوًا كبيرا﴾ (سورة الفرقان، ٢١/٢٥).

وقوله عز وجل: **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**، قال بعضهم: ليس على الأمر بالسؤال، ولكن لو سألتم أهل الذكر لأخبروكم أنه لم يبعث الرسول من قبل إلا من البشر. وقال بعضهم: هو على الأمر بالسؤال، أي سَلُوا[1] أهل الذكر فقلدوهم، أي إن كان لا بد لكم من التقليد فاسألوا أهل الذكر فقلِّدوهم ولا تقلدوا آباءكم ومن لا يعرف الكتاب ولكن قلّدوا أهل الذكر.[2]

قال بعضهم: **فاسألوا أهل الذكر**، فقلدوهم إن كنتم لا تعلمون **بالبينات** والحجج، لأنهم كانوا أهل تقليد، لم يكونوا أهل نظر وتفكر في الحجج والبينات. ويحتمل أن يكون قوله: **إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر**[3] التي أتت بها الرسل[4] ليخبروكم[5] أن الرسل إنما بعثوا من البشر بالبينات والكتب، فيكون على التقديم[6] الذي ذكره بعض أهل التأويل: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم، بالبينات والزبر. ويحتمل قوله: **فاسألوا أهل الذكر**، أي أهل الشرف من أهل الكتاب ليبيّنوا[7] لكم البينات والزبر، لأنهم يأنفون الكِتمان والكذب. وإن كان أهل الذكر جميع أهل الكتاب فالسؤال عن الرسل أنهم كانوا من البشر والرجال لأنهم يعلمون ذلك.

وقوله: **وأنزلنا إليك الذكر**، قيل: أنزلنا[8] إليك القرآن، **لتبين للناس ما نُزِّل إليهم**، يحتمل قوله: **لتبين للناس**، من أنباء الغيب، وما غاب عنهم، وما لله عليهم، وما لبعضهم على بعض، وتبين[9] لهم جميع ما يأتون[10] وما يتقون وما يحِلّ وما يَحرُم. **ولعلهم يتفكرون**، في ذلك. ويحتمل قوله: **وأنزلنا إليك الذكر لتبين**، لهم[11] ما حرّفوا من كتبهم وبدّلوه وغيّروه، فيكون فيه آيةٌ لرسالتك، أو يكون الذي أنزل إليه كالمنزَل إليهم حيث ذكر أنه يبين لهم ما أنزل[12] إليهم.[13] *والله أعلم*.

---

[1] ع: سلموا.
[2] ك + إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر.
[3] ك ن + والزبر؛ ع م + والرسل.
[4] ك ن + فيكون تأويله أي اسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر التي أتت بها الرسل.
[5] م: ليخرجوكم.
[6] ن + والتأخير.
[7] ع م: ليبينوا.
[8] جميع النسخ: أنزل؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٦ظ.
[9] ك: ولتبين.
[10] ن: يوتون؛ ع م: تؤتون.
[11] ع م – لهم.
[12] ع م: نزل.
[13] جميع النسخ: إليه؛ والتصحيح من *الشرح*، نسخة مدينة، ورقة ٤٩٤و.

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٤٥]

وقوله عز وجل: **أفأمن الذين مكروا السيئات**، قوله: **أفأمن**، قد ذكرنا أنه حرف استفهام إلا أنه من الله غير محتمل ذلك، وهو على الإيجاب.[١] ثم هو يخرج على وجهين. أحدهما على الخبر أنهم قد أمِنوا[٢] مكرَه. والثاني[٣] على النهي، أي لا يأمَنوا،[٤] كقوله: أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ،[٥] هذا يشبه أن يكون على هذا الذي ذكرنا أنه إخبار عن أمنِهم مكرَ الله، وعلى النهي أن لا يأمنوا.[٦] ثم أخبر أنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون [أي] الْكافرون، لأنهم كذبوا الرسل فيما أوعدوا لهم من العذاب فأمِنوا لذلك، أو لما لم[٧] يعرفوا الله و لم يعرفوا حقوقه ونعمته ونقمته فأمنوا لذلك. وأما من عرف الله وعرف حقه ونعمته وعرف نقمته فإنه لا يأمن مكره. ***والله أعلم***.

ثم قوله: **مكروا السيئات**، قال بعضهم: مكرُهم السيئات هو ما مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما لو أصابهم ذلك لساءهم[٨] وما ظاهروا عليهم عدوَّهم. وقال بعضهم: مكرهم السيئات هو أعمالهم التي عملوها. وكل ذلك قد كان منهم، كانوا مكروا برسول الله وأصحابه، وكانوا ظاهروا عليهم عدوَّهم، وقد عملوا أعمالهم الخبيثة السيئة.

وقوله عز وجل: **أن يخسف الله بهم الأرض**، أي أمنوا حين مكروا السيئات **أن يَخْسِف اللهُ بهم الأرض أو يأخذهم العذاب من حيث لا يشعرون**، في الحال التي لا يكون لهم أمْنٌ ولا[٩] خوف.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾[٤٦] **﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾**[٤٧]

وقوله عز وجل: **أو يأخذهم في تقلبهم**، قيل في اسفارهم وفي تجاراتهم، لأن الناس إنما يسافرون ويتّجرون في البلدان في حال أمنهم. **أو يأخذهم على تخوف**، قال بعضهم: على تقريع،

---

[١] م: على إيجاب؛ جميع النسخ + ذلك.
[٢] ن: قد آمنوا.
[٣] ن + أنه حرف استفهام إلا أنه من الله غير محتمل ذلك وهو على الإيجاب.
[٤] جميع النسخ: لا تأمنوا.
[٥] سورة الأعراف، ٧/ ٩٩.
[٦] ك: أن لا تأمنوا.
[٧] م – لم.
[٨] م: أساءهم.
[٩] ع م: لا.

وقال بعضهم[1] على تنقيص[2] من الأموال وغيره، كقوله: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ،[3] الآية. وقال بعضهم: **أو يأخذهم على تخوف**، أن يأخذ قريةً فَقَرية وبلدة فَبَلدة حتى يأتي قريبا منهم ثم يأخذهم، كلّما أخذ قرية كان لهم من ذلك خوف، فذلك أَخْذٌ بتخوف، وهو ما قال: وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ،[4] الآية. وَعَد الله حلوله[5] قريبًا من دارهم، كان يخوفهم[6] حتى نزل بساحتهم، فذلك أَخْذٌ بالتخوّف. يخبر أن عذابه لا يؤمَن حلولُه وأخذُه إياهم في كل حال، في الحال التي ليس لهم أمْن ولا خوف، أي لم يغلب هذا على هذا، وفي الحال التي يكونون آمنين في تقلبهم وحوائجهم، وفي الحال التي يكونون متخوفين.

وقوله عز وجل: **فإن ربكم لرءوف رحيم**، حيث لم يستأصلكم ولم يأخذكم بما كان منكم من الافتراء على الله، والتكذيب لرسله، والمكابرة والمعاندة لآياته وحججه وقتئذ، ولكن أمهلكم وأخّر ذلك عنكم، أو **رءوف رحيم**، إذا تبتم ورجعتم عما كان منكم، يرحمكم ويغفر لكم ذلك، وقوله عز وجل:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾[٤٨]

[٤٠٨و] / **أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدًا لله**، قوله: **أولم يروا**، يحتمل وجهين. أحدهما أن قال ذلك لقوم قد تقرّر عندهم وثبت أن كل شيء يسجد لله ويخضع له، فقال ذلك لهم على العتاب: إنكم قد علمتم أن كل شيء لم يركّب فيه العقل ولم يجعل فيه الفهم والسمع يخضع لله ويسبح له، فأنتم لا تخضعون له مع ما[7] ركّب فيكم العقول وجعل فيكم الأفهام وغيرها. والثاني على الأمر،

---

[1] م – بعضهم.
[2] ك: تنقص.
[3] ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾ (سورة البقرة، ٢/١٥٥).
[4] ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد﴾ (سورة الرعد، ١٣/٣١).
[5] ع م: حلولا.
[6] ن ع م: تخوفهم.
[7] جميع النسخ: معما.

أي اعلموا[١] أن كل شيء من خلق الله يسجد له ويخضع. وقد أقام عليهم[٢] من الحجة على ذلك ما لو تأملوا وتفكروا لَعَلموا أن كل ذلك يخضع ويسبح؛ وإلا ظاهر قوله: **أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله**، أن يقولوا: لم نَرَ، إن كان الخطاب لأهل مكة، على ما ذكره أهل التأويل، لكن يخرج على هذين الوجهين اللذين ذكرتهما.[٣] ويشبه أن يكون ذَكَر قوله: **أولم يروا إلى ما خلق الله**، الآية، لما استوحش أهل الإسلام مما عبد أولئك الكفرة الأصنام وعظيمَ ما قالوا في الله،[٤] فقال لذلك: **أولم يروا إلى ما خلق الله**.[٥]

وقوله: **يتفيأ ظلاله**، قال بعضهم: يريد بالظلال شخص ذلك الشيء، والظلال كناية عن الشخص كما يقال: رأيت ظل فلان، أي شخصه. وقال بعضهم: أراد بالظل الظل نفسه، لكن خضوعه وسجودُه يكون للشمس والقمر.[٦] وعلى تأويل من يجعل الظل كناية عن[٧] الشخص يجعل كل نفس يتفيأ[٨] خضوعًا وسجودًا.

ثم معنى سجود هذه الأشياء الموات وخضوعُهن من نحو قوله: **يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدًا لله**، ومن نحو قوله: يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ،[٩] وقوله: يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ،[١٠] وقولِه: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ،[١١] وقوله: تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ،[١٢] وأمثاله يحتمل وجوهًا. أحدها أن يجعل الله عز وجل: بلطفه في سِرِيَّة[١٣] هذه الأشياء معنى تعلّمِ السجود لله والخضوع له، وهو كما ذكر في الريح التي تجري بأمره رُخَاءً حيث أصاب،[١٤]

---

[١] ع: علموا.
[٢] ع م: لهم.
[٣] ع م: ذكرهما.
[٤] جميع النسخ + ما قالوا؛ ن + لما استوحش أهل الإسلام مما عبد أولئك الكفرة الأصنام وعظيم ما قالوا في الله ما قالوا.
[٥] ك ع م - ما خلق الله؛ ك ع م + كذا.
[٦] أي خضوع الظل لله يكون ويحصل بسبب الشمس والقمر.
[٧] ع م: من.
[٨] ك: تفيو؛ ع م تفيؤ.
[٩] ﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق﴾ (سورة ص، ١٨/٣٨).
[١٠] ﴿ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أَوِّبي معه والطير وألَنَّا له الحديد﴾ (سورة سبأ، ١٠/٣٤).
[١١] ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ (سورة الإسراء، ٤٤/١٧).
[١٢] ﴿تكاد السماوات يتفطّرنَ منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا أن دعَوا للرحمن ولدا﴾ (سورة مريم، ٩٠/١٩-٩١).
[١٣] ع سيرته؛ م: سيرية.
[١٤] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فسخّرنا له الريح تجري بأمره رُخاء حيث أصاب﴾ (سورة ص، ٣٦/٣٨).

أخبر أنها تجري بأمره، دل أنها تعلم أمر الله. وقال:[1] شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ[2] أخبر أنها تشهد وتنطق ولولا أنها[3] تفهم وتَعلم الخطاب وإلا[4] ما خوطبت وإن كانت مواتًا، فعلى ذلك تسبيحها وخضوعها جائز أن يكون الله [قد] جعل[5] في سِرِّيَّة هذه الأشياء ما تَعرف السجود والتسبيح وتَفهمه.

والثاني يكون سجود هذه الأشياء وتسبيحها بالتسخير، [أي] جعلها مسخرات لذلك وإن لم تعلم هي ذلك و لم تعرف، لكن جعلها بالخلقة كذلك.

والثالث أنه جعل خلقة هذه الأشياء دالةً وشاهدة على وحدانية الله وألوهيته، فهن مسبحات لله[6] وساجدات وخاضعات له بالخلقة التي جعلها دالة وشاهدة على وحدانية الله وألوهيته. هذا -والله أعلم- معنى سجودهن وخضوعهن. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وهم داخرون**، قيل: صاغرون ذليلون.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[٤٩]

وقوله عز وجل: **ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون**، يذكر هذا -والله أعلم- أنه[7] يسجد له أعلى الخلائق وأعلمهم وهم الملائكة، ويسجد له أشد الخلق وأصْلَبُه وهو الجبال والسماوات والأرض، ويسجد له أيضا ويخضع أسْفَه الخلق وأجهله وهو الدواب وغيرها. وأنتم أبيتم السجودَ له[8] والخضوعَ، واستكبرتم عن عبادته، وهؤلاء[9] الذين ذكرتهم[10] [لا] يسجدون [لغير الله].[11] يخبر عن سفَهِ أولئك في إبائهم السجود له والخضوع واستكبارهم عليه.

---

[1] جميع النسخ: وقوله؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٧و.
[2] سورة فصلت، ٤١/٢٠-٢١.
[3] ن ع م: ولو أنها.
[4] أو إلا.
[5] جميع النسخ: يجعل.
[6] ن ع م - لله.
[7] ع م - أنه.
[8] ك: له السجود.
[9] جميع النسخ: فهؤلاء؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٧و.
[10] جميع النسخ: ذكرهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٧و.
[11] الزيادتان من *الشرح*، ورقة ٤٣٧و.

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٥٠]

وقوله عز وجل: **يخافون ربهم من فوقهم**، قال بعضهم: خوفُ الملائكة والرسل خوفُ هيبة الله وجلاله، لا خوف نزولِ شيءٍ من نِقْمته عليهم. وخوف غيرهم[١] من البشر خوفُ نزولِ شيء يضرّ بهم، وكذلك رجاؤهم وطمعُهم رجاءُ نفع[٢] يصل إليهم. ورجاء[٣] الملائكة والرسل وطمعهم رجاءُ رضاءِ الله عنهم، لا رجاء نفع يصل إليهم.

وقال بعضهم: **يخافون**، خوف العقوبة والانتقام، لأنهم ممتحَنون، وكل ممتحَن يخاف عذابَ الله ونقمته. ألا ترى أنه كيف أوعدهم الوعيد الشديد وقال: وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِنْ دُونِهِ،[٤] وقال إبراهيم عليه السلام: وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ،[٥] خاف عبادة غير الله، ومن خاف ذلك يخاف وعيده وعذابه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **يخافون ربهم من فوقهم**، الفوق والتحت والأسفل ونحوه في الأمكنة والمجلس ليس فيه فضلُ عزّ وشرف ومرتبة، لِما يجوز أن يكون [هذا] الذي كان فوق هذا في المكان والمجلس تحته وأسفلَ منه فلا يزداد لهذا بما صار[٦] فوقه عزّا[٧] و شرفا ومرتبة، ولا لهذا بما كان تحته ذُلّ وهوان.[٨] فدل[٩] هذا أنه[١٠] لا يفهم من "فوقه" فوقُ المكان ولا تحتُه، لأن من صعد الجبال والأمكنة المرتفعة لا يوصف بالعلوّ والعظمة. فإذا[١١] قيل:[١٢] فلان أمير على العراق، أو على خراسان، كان في ذلك تعظيم، لأنه ذكره[١٣] بالقدرة والسلطان ونفاذ أمره ومشيئته[١٤] فيهم.

---

[١] ع م: غيره.
[٢] ع: يقع.
[٣] ع م: رجاء.
[٤] ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون ... ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/٢٦-٢٩).
[٥] ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٣٥).
[٦] ع م: صاروا.
[٧] ن: عز.
[٨] ع م – وهوان، + وهو.
[٩] ك ن ع: دل؛ م: ذل؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٧و.
[١٠] م: لأنه.
[١١] جميع النسخ: وإذا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٧و.
[١٢] م + قيل.
[١٣] جميع النسخ: ذكر؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٧و.
[١٤] جميع النسخ + وقدرته وسلطانه.

[ويحتمل][1] اطّلاعه[2] على جميع ما يُسرّون ويُضمرون ويُعلنون ويُظهرون، وعلمَه على جميع أفعالهم؛ على هذا يجوز أن يُتأول الفوق. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ويفعلون ما يؤمرون**، وصفهم الله عز وجل بفضل طاعتهم له وخضوعهم إياه وهو ما قال: / لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ،[3] وقال:[4] لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ.[5] [٤٠٨ظ]

﴿وَقَالَ اللهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد**، لا نعلم [أن] الخطاب بهذا[6] لمن، إن[7] كان الخطاب بهذا لأهل[8] مكة فهم قد[9] اتخذوا آلهة، بقوله:[10] أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلٰهًا وَاحِدًا،[11] الآية، إلا أن يخاطب به الثَّنَويّة والزّنادقة، فإنهم يقولون باثنين. ويشبه أن يكونوا[12] أهل مكة، وإن اتخذوا آلهة، فإنهم في الحقيقة عُبّاد إلهين، لأنهم إنما كانوا يعبدون تلك الأصنام بأمر الشيطان وطاعتهم إياه فنَسب العبادة إليه[13] لِما بأمره يعبدون هذه الأصنام،[14] ألا ترى أن إبراهيم قال لأبيه: يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ،[15] وإن كان في الظاهر لا يعبد الشيطان، لكن لِما بأمره يعبدون هذه الأصنام[16] أضاف العبادة إليه. أو أن يكون المراد من ذكر اثنين إنما هو على الزيادة على الواحد كأنه قال: لا تتخذوا ولا تعبدوا أكثر من إله واحد.

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٧و.
[2] جميع النسخ + أو اطّلاعه.
[3] سورة الأنبياء، ٢١/١٩–٢٠. جميع النسخ + وهو ما؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٧و.
[4] جميع النسخ: وهو ما قال؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٧و.
[5] سورة التحريم، ٦٦/٦. جميع النسخ + ومثله.
[6] جميع النسخ + أنه.
[7] ع م – إن.
[8] م: لأن أهل.
[9] ك – قد.
[10] جميع النسخ: بقولهم.
[11] ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عُجاب﴾ (سورة ص، ٣٨/٥).
[12] ن ع م: يكون.
[13] ع م – إليه.
[14] ك ن + والله أعلم.
[15] ﴿يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عَصِيًا﴾ (سورة مريم، ١٩/٤٤).
[16] ع م – ألا ترى أن إبراهيم قال لأبيه يا أبت لا تعبد الشيطان وإن كان في الظاهر لا يعبد الشيطان لكن لما بأمره يعبدون هذه الأصنام.

وقوله عز وجل: **فإياي فارهبون**، [أي خافوني و][1] لا تخافوا[2] الأصنام التي تعبدونها، فإنكم إن تركتم عبادتها لا تضرّكم.

﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللهِ تَتَّقُونَ﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **وله ما في السماوات والأرض**، أي وله يخضع[3] ما في السماوات والأرض وأنتم لا تخضعون له،[4] أو ما في السماوات والأرض كلُّهم عَبيدُه وإماؤه فكيف أشركتم عبيدَه في ألوهيّة الله تعالى وربوبيّته.

وقوله: **وله الدين واصبًا**، قال بعضهم: دائمًا، لأن غيره من الأديان كلها[5] يبطُل ويضْمَحِلّ ويبقى دينه في الدارين جميعًا. وقال بعضهم: **وله الدين واصبًا**، أي مخلصًا، من الوَصَب[6] والتعب. وتأويله -والله أعلم- أي وله دين لا يوصَل إليه إلا بتعب وجهد، فاجتهدوا واتعَبوا لتُخلصوا له الدين، هذا معنى قوله: [**واصبا**، أي][7] مخلصًا.

وقوله عز وجل: **أفغيرَ الله تتقون**، أي أمخالفةَ غيرِ الله تتقون، أي لا تخافوا ولكن اتقوا مخالفة الله، [و]لا تتقوا[8] مخالفة غيره. أو يقول: لا تخافوا غير الله ولا تتقوا سواه ولكن اتقوا الله واتقوا نقمته.

﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾[٥٣] **﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾**[٥٤]

وقوله عز وجل: **وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون**، أي تتضرعون. يخبر عن سفههم وقلة عقلهم أنهم يعلمون أن له ما في السماوات والأرض، وأن كل ذلك ملكه، وأن ما لهم من النعمة منه، وأن ما يحُلّ بهم من البلاء والشدة هو الكاشف لهم والدافع عنهم.

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٧ظ.
[2] ع م: لا تخافون.
[3] ع: تخضع.
[4] جميع النسخ: تخضعونه.
[5] ن: كما.
[6] ك + والنصب؛ ع: الوصف.
[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٧ظ.
[8] ع م – مخالفة الله ولا تتقوا.

ثم يكفرونه[1] ويصرفون[2] شكر ما[3] منه إلى غيره في حال الرخاء والسعة ويؤمنون به في حال الشدة والبلاء، فيقول: أنا المنعم عليكم تلك النعم وأنا المالك[4] الكشف عنكم لا الأصنام التي عبدتموها، فكيف كفرتم بي[5] في وقت[6] الرخاء والسعة وآمنتم[7] في وقت الضيق والبلاء. كانوا يُخلصون له الدين في وقت ويشركون غيره في وقت، فيقول: أَدِيموا إليّ الدين بقوله: وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا،[8] ولا تتركوا الإيمان في وقت وتؤمنوا بي في وقت؛ وكذلك كان عادتهم، كانوا[9] يكفرون بربهم في حال الرخاء والسعة ويؤمنون به في حال[10] البلاء والشدة، كقوله: فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ،[11] الآية.

ويحتمل أن يكون فرض الجهاد على المسلمين والقتال معهم لهذا المعنى، لأن من عادتهم الإيمان في وقت البلاء والشدة والخوف، ففرض عليهم القتال معهم ليضطرّوا إلى الإيمان فيؤمنوا ويُدِيموا الإيمان. ومنذ فرض القتال معهم كثر أهل الإسلام فدخلوا فيه فوجًا فوجًا، وكان قبل ذلك يدخل فيه[12] واحدًا واحدًا. وفيه دلالة إثبات رسالة محمد عليه الصلاة والسلام حيث[13] قال: **وما بكم من نعمة فمن الله**، فإنما أخبر عما عرفوا وتقرّر عندهم أن كل ذلك من عند الله ليعلموا أنه إنما عرَف ذلك بالله تعالى.

[٤٠٨ظ س٣٠] *وفي قوله: **وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون**، أي تتضرعون، موعظة للمؤمنين أيضًا، لأن[14] [كثيرا منهم][15] يتضرعون إلى الله إذا أصابهم الضر والبلاء،

[1] أي يجحدون ما أنعم الله عليهم ويسترونه.
[2] ع م: ويعرفون.
[3] ع م: شكرها.
[4] ن ع م + عن.
[5] ع م – بي.
[6] ع م – وقت.
[7] ك ع م + بي.
[8] الآية السابقة.
[9] ن: كان.
[10] ن + ويؤمنون به في حال.
[11] ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾ (سورة العنكبوت، ٦٥/٢٩).
[12] م – فيه.
[13] ع م – حيث.
[14] جميع النسخ: لأنهم، + يجعلون.
[15] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٧ظ.

وإذا أنكشف ذلك عنهم تركوا ذلك التضرع ونسوا ربهم، فيعظهم لئلا يصنعوا مثل صنيع أولئك، يقول -والله أعلم-[1] أي تعلمون أن ما بكم من نعمة فمن الله فكيف تصرفون شكرها إلى غيره في حال.* [٤٠٨ظ س٣٣]

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[٥٥]

وقوله عز وجل: **ليكفروا بما آتيناهم**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما أن يجعلوا ما آتاهم الله وأنعم عليهم سببَ كفرهم بالله. والثاني يكفرون بنعم الله تعالى بعبادتهم الأصنام وصرفهم الشكر عنه. ويشبه أن يكون إخباره عن سفههم من وجه آخر، وهو أنهم لم يروا في البشر أحدًا يطاع ويخضع إلا أحدَ رجلين: دافعُ بلاء عنهم[3] أو جارُّ نفع إليهم،[4] فالأصنام التي عبدوها ليس منها دفعُ بلاء ولا جرُّ منفعة فلماذا يعبدونها؟ وقال أبو بكر [الأصم]: **ليكفروا بما آتيناهم**، أي بالقرآن.

وقوله عز وجل: **فتمتعوا فسوف تعلمون**، هذا وعيد من الله لهم، يقول: فسوف تعلمون ما ينزل بكم من كفران نعمه وصرف الشكر عنه. [أخبر] أنه مهلكهم ومنزلٌ بهم عذابه.[5]

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾[٥٦]

وقوله عز وجل: **ويجعلون**، أي يقولون، **لما لا يعلمون نصيبًا مما رزقناهم**،[6] من الأنعام والحرث وغيره الذي جعل الله لهم. قال بعضهم: يجعلون للأصنام والأوثان التي يعبدونها نصيبًا مما رزقناهم من الأنعام والحرث وغيره الذي جعل الله لهم[7] ولا يعلمون لهم نصيبًا في ذلك، وهو كقوله: وَجَعَلُوا لِلهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هٰذَا لِلهِ بِزَعْمِهِمْ وَهٰذَا لِشُرَكَائِنَا،[8] حرموا على أنفسهم ما جعل الله لهم وجعلوه لآلهتهم. ويحتمل قوله: **ويجعلون لما لا يعلمون نصيبًا**، وهو الشيطان، أي ما يجعلون للأوثان فذلك للشيطان في الحقيقة،

---

[1] ع م – ونسوا ربهم فيعظهم لئلا يصنعوا مثل صنيع أولئك يقول والله أعلم.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٠٨ظ/سطر ٣٠-٣٣.

[3] جميع النسخ: عنه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٧ظ.

[4] جميع النسخ: إليه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٧ظ.

[5] وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٥٣، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٠٨ظ/سطر ٣٠-٣٣.

[6] ن + قال بعضهم يجعلون للأصنام والأوثان التي يعبدونها نصيبًا مما رزقناهم.

[7] ن – قال بعضهم يجعلون للأصنام والأوثان التي يعبدونها نصيبًا مما رزقناهم من الأنعام والحرث وغيره الذي جعل الله لهم.

[8] سورة الأنعام، ١٣٦/٦.

لأنه[1] هو الذي أمرهم بذلك وهو الذي دعاهم إلى ذلك، وهو كقوله: يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ.[2] ولا أحد يقصد قصد عبادة الشيطان، لكنهم إذا عبدوا الأوثان فكأنهم[3] قد[4] عبدوا الشيطان، لأنه هو أمرهم بذلك وهو دعاهم[5] إلى ذلك. فعلى ذلك ما يجعلون للأوثان فذلك للشيطان لما ذكرنا، لكن لا يعلمون[6] أن له [في] ذلك نصيبا.[7]

[٤٠٩و] / ويحتمل قوله: **ويجعلون لما لا يعلمون نصيبًا**، أي يعلمون أنْ ليس لها نصيب في ذلك، ولكن يجعلون ذلك لها على علم منهم، أي لا نصيب للأوثان في ذلك، وهو كقوله: قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ،[8] أي أتنبئون الله بما يعلم أنه ليس ونحوه، أي يعلم غير الذي تنبئون، وقد ذكرنا [آنفا]قوله: **يجعلون**، على القول، أي يقولون، وإلا لا يملكون جعل ذلك.

وقوله عز وجل: **تالله لتُسْأَلن عما كنتم تفترون**، يحتمل قوله: **تفترون**،[9] تسميتَهم الأصنامَ آلهةً، ويحتمل افتراءَهم على الله كما[10] قالوا: وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا،[11] زعموا أن[12] ما[13] فعل آباؤهم وفعلوا هم[14] كان بأمر من الله[15] ورضاه، حيث تركهم على ذلك، فذلك افتراؤهم. وقوله: **تالله لتسألن عما كنتم تفترون**، يحتمل السؤال الجزاءَ، أي **تالله** لتجزوُنّ **عما كنتم تفترون**. ويحتمل السؤالُ سؤال حجة يسألون -على ما ادعوا على الله من الأمر- الحجةَ على ذلك. ***والله أعلم.***

---

[1] ع م - لأنه.
[2] سورة مريم، ١٩/٤٤.
[3] جميع النسخ: كان؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٧ظ.
[4] ك - عبدوا الأوثان فكان قد، صح هـ.
[5] ن + بذلك.
[6] ن ع م: لا تعلمون.
[7] جميع النسخ: ذلك له نصيب؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٧ظ.
[8] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ (سورة يونس، ١٠/١٨).
[9] ن + يحتمل قوله تفترون.
[10] جميع النسخ: ما.
[11] سورة الأعراف، ٧/٢٨.
[12] ع م: أنه.
[13] ن ع م - ما.
[14] م: وفعلوهم.
[15] ن: بأمر الله.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلّٰهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾[٥٧]

وقوله: **ويجعلون لله البنات**، أي يقولون لله البنات. يخبر عن شدة سفههم حيث يأنفون ويستحيُون عن البنات ثم ينسبون[١] ذلك إلى الله ويضيفونها إليه. يصبّر[٢] رسوله على أذى الكفرة حيث قالوا فيه ما قالوا: إنه ساحر،[٣] وإنه مفترٍ[٤] ونحوه، على علم منهم ويقين أنه ربهم وخالِقهم. فمن أنكر رسالته [فالنبي] أولى بالصبر على قولهم والحلم منهم.[٥]

سبحانه، كلمة تنزيه عما قالوا فيه، وحرف تعجيب حيث نسبوا إلى الله ما كرهوا[٦] لأنفسهم.[٧]

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[٥٨]

وقوله عز وجل: **وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودًا وهو كظيم**، قال بعضهم: قول العرب:[٨] قبّحَ الله وجهك، وسوَّدَ الله وجهك، ليس على إرادة القبح والسّواد،[٩] ولكن على إرادة ما يكرهه. وقال الحسن: قوله: **ظل وجهه مسودًا**، أي متغيّرًا من الغم، **وهو كظيم**، أي حزين، وهكذا العرف في الناس أنه إذا اشتدّ بهم الحزن والغم يظهر ذلك في وجوههم قُبحًا وسَوادًا.

﴿يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[٥٩]

يتواري من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون، يذكر فيه كيف يصنع به، **أيمسكه على هون**، أي على هوان يضربه ويُسيئ صحبتَه، **أم يدسه في التراب**، وهو حيّ فيقول: إن ربي اختار البنات فابعث بها إلى ربي فإنه أحق بها،[١٠] وهي الموءودة التي قال الله: وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ.[١١] وإنما كانوا يصنعو ذلك خشيةَ إملاق، كقوله: وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ.[١٢]

---

[١] ن ع: تنسبون.
[٢] ع + على.
[٣] انظر: سورة يونس، ١٠/٢.
[٤] م: مفتري؛ انظر: سورة الفرقان، ٢٥/٤.
[٥] جميع النسخ: على قوله والحلم منه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٨و.
[٦] ع م: يكرهون.
[٧] ك ن + ولهم ما يشتهون يجعلون لأنفسهم البنين ويجعلون لله ما يكرهون لأنفسهم.
[٨] «قال بعضهم: قال ذلك على عادة العرب، يقولون: ... » (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٣٨ظ).
[٩] ن ع م: السّواد والقبح.
[١٠] ع م + وهو.
[١١] ﴿وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قُتِلت ﴾ (سورة التكوير، ٨١/٨-٩).
[١٢] ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خِطْأً كبيرا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٣١).

وقوله عز وجل: **ألا ساء ما يحكمون**، في جعلهم لله ما كَرِهوا لأنفسهم أو في[1] قولهم: وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا،[2] أو في قولهم: هَٰذَا لِلهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا،[3] ونحوه. ***والله أعلم***.

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٦٠]

وقوله عز وجل: **للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السَّوء**، قال بعضهم: قوله: **مثل السوء**، أي لهم جزاء السوء وهو النار. وقال الحسن: **مثل السوء**، أي صفة السوء[4] التي وصفوا بها ربهم أنه اختار البنات. **ولله المثل الأعلى**، أي الصفة الأعلى التي ليس لها شِبْه، فإن تلك الصفة من صفته. ويُشبه أن يكون قوله لهم **مثل السوء** بما سماهم مرة موتى،[5] ومرة فَسَقَة، ومرة ظَلَمَة، ومرة هم في الظلمات وأمثاله؛ لهم ذلك الوصف بما أنكروا الآخرة، وذلك مما توجبه[6] الحكمة والعقل والشريعة. فلهم ذلك الوصف والمثل السوء بما أنكروا ما توجبه الحكمة والعقل والشريعة.

ويحتمل **مثل السوء**، شِبْه السَّوء، ويحتمل **مثل السوء**،[7] النعت والصفة. فإن كان هو[8] على الشبه فهو في الدنيا، لما شبههم في غير آي من القرآن[9] بالشجرة الخبيثة والكلمة الخبيثة،[10] وبالرماد،[11] وبالزَّبَد،[12]

---

[1] ن: وفي.

[2] ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ (سورة الأعراف، ٢٨/٧).

[3] ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا﴾ (سورة الأنعام، ١٣٦/٦).

[4] ن ع – صفة السوء.

[5] ع + مرة.

[6] ك ن ع: يوجبه؛ م: يوجب.

[7] ن – شبه السوء ويحتمل مثل السوء.

[8] ع م + هو.

[9] ك – من القرآن.

[10] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجْتُثَّتْ من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ (سورة إبراهيم، ٢٦/١٤).

[11] يشير إلى قوله تعالى: ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد﴾ (سورة إبراهيم، ١٨/١٤).

[12] يشير إلى قوله تعالى: ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زَبَدا رابيا ومما يُوقِدون عليه في النار ابتغاءَ حِلية أو متاعٍ زَبَد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جُفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال﴾ (سورة الرعد، ١٧/١٣).

والسراب[1] ونحوه. وإن كان على النعت والصفة فهو في الآخرة، وهو ما ذكر: ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ.[2]

وقوله عز وجل: **ولله المثل الأعلى**، أي لأولياء الله المثل الأعلى، وهم المؤمنون؛ لِما أن الله وصف المؤمنين بالحياة والنور[3] والعدل[4] وغير ذلك من الأسماء الحسنة، وذلك لله في الحقيقة لكنه بفضله ومَنّه وصفهم وسماهم بذلك، فأضيف إلى الله[5] لِما بفضله[6] استوجبوا لا باستحقاق أنفسهم. وكذلك قوله: وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا،[7] [أي لأولياء الله الأسماء الحسنى][8] أضيف ذلك إليه لما[9] بفضله يستوجبون[10] تلك الأسماء التي سماهم. فيصير[11] قوله: **ولله المثل الأعلى**، أي لأولياء الله[12] المثل الأعلى، كأنه قال: وللذين يؤمنون بالآخرة مثل الأعلى مقابِلَ ما ذكر حيث قال: **للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء.**

وهو العزيز الحكيم، قال الحسن: **العزيز** بالغلبة منه في الأشياء كلها على ما أمره، وكل شيء دونه ذليل، **الحكيم** بالعدل منه في كل قضاء قضى.[13] وقد ذكرنا في غير موضع.[14] وقوله: **العزيز الحكيم**، في هذا الموضع كأنه قال: هو[15] العزيز بنفسه لا بخلقه[16] وأوليائه؛[17]

---

[1] ع م: التراب. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿والذين كفروا أعمالُهم كسراب بقيعة يحسبه الظّمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفّاه حسابه والله سريع الحساب﴾ (سورة النور، ٣٩/٢٤).

[2] ﴿الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا﴾ (سورة الفرقان، ٣٤/٢٥).

[3] انظر: سورة فاطر، ١٩/٣٥-٢٢.

[4] انظر: سورة الأعراف، ١٨١/٧.

[5] أي في قوله: ﴿ولله المثل الأعلى﴾.

[6] ع - ومنه وصفهم وسماهم بذلك فأضيف إلى الله لما بفضله.

[7] سورة الأعراف، ١٨٠/٧.

[8] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٨و. لعل المؤلف رحمه الله يقصد به أن في ألسن أولياء الله الأسماء الحسنى بها يصفون ربهم ويدعونه ويجتهدون أن يتّسموا بها.

[9] ع م - لما.

[10] م: تستوجبون.

[11] جميع النسخ: ويحتمل؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٨و.

[12] ع - الله.

[13] ع م - قضى.

[14] انظر: سورة البقرة، ١٢٩/٢.

[15] ك: وهو.

[16] ن: يخلقه.

[17] ك: لأوليائه.

كما يكون لملوك الأرض يكون عِزّهم بخَدَمهم[١] وحَشَمهم، فإذا ذهبوا أو عصوه يصير[٢] مقهورًا مغلوبًا. فأما الله سبحانه وتعالى هو عزيز بذاته. **والحكيم**، أي إنشاؤه العصاة منهم على علم منه بذلك لم يخرج ذلك على غير الحكمة. *والله أعلم*.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٦١]

وقوله: **ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة**، دل قوله: **ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم**، أن له أن يستأصلهم ويهلكهم بما كان منهم، لكنه بفضله تركهم إلى المدة التي ضرب لهم، لأنه لو لم يكن له ذلك لم يكن للوعيد التي أوعد معنى. وقال أبو زيد البلخي: إن الله بما أوعد من الوعيد ليس يوعد لمضرة نفسه ولا لنفع يصل إليه، ولكن يوعد بما توجبه الحكمة. فدل / أن الوعيد لازم واجب. ونحن نقول: يوعد بما توجبه الحكمة وقد أمهلهم بعد الوعيد [رحمة منه وفضلا]،[٣] فعلى ذلك[٤] يجوز أن يخرجهم من النار بعد ما أدخلهم [فيها][٥] بما ارتكبوا من الكبائر. [٤٠٩ظ]

ثم في قوله: **ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم**، الآية، دلالةُ نقض قولِ المعتزلة، لأنهم يقولون: ليس لله أن يهلك قومًا قد علِم منهم الإيمانَ في وقت، أو يكون في أصلابهم من يؤمن؛ إذ قد كان ممن أوعد ذلك الوعيد من بعضهم الإيمان، أو في أصلابهم من[٦] كان يؤمن.[٧] فدل الوعيد لهم[٨] أنه قد يهلك من يعلم أنه يؤمن في آخر عمره [لو أبقاه]؛[٩] إذ لا يوعد إلا بما له أن يفعل، لكنه بفضله أخّره إلى وقت. وفيه[١٠] دلالة أن له أن يفعل [بعباده][١١] ما[١٢] ليس ذلك باصلح لهم في الدين.

---

[١] ك: خدمهم بعزهم.
[٢] ك - يصير.
[٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٨و.
[٤] ع: فذلك.
[٥] جميع النسخ + النار؛ والتصحيح من *الشرح*.
[٦] جميع النسخ + قد؛ والتصحيح من *الشرح*.
[٧] جميع النسخ: آمن؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٨و.
[٨] أي في قوله تعالى: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس...﴾
[٩] الزيادة من *الشرح*.
[١٠] م - وفيه.
[١١] الزيادة من *الشرح*.
[١٢] جميع النسخ: بما؛ والتصحيح من *الشرح*.

ثم اختلف في قوله: **بظلمهم**، قال بعضهم: هذا للكفرة خاصة. وقال بعضهم: لهم وللمؤمنين: كلِّ مرتكب زلة، إذ ما من أحد ارتكب زلة[١] إلا وقد استوجب العقوبةَ بذلك والمؤاخذةَ به، لكنه بفضله عفى [عمن شاء].[٢]

وقوله عز و جل: **ما ترك عليها من دابة**، قال بعضهم: أراد بالدابة الدابة التي خلقها لهم إذا أهلك[٣] الناس فقد أهلك الدواب، إذ خلقه إياها لهم. وقال بعضهم: قوله[٤] **ما ترك عليها من دابة**،[٥] أي على ظهر الأرض من دابة، لأن الدواب إنما تتعيش[٦] بالذي يتعيش[٧] الناس، فإذا هلكوا هم[٨] هلكت الدواب أيضًا لِما ذهب سبب عيشها. وجائز[٩] أن يكون أراد بالدابة البشر، أي ما تركهم بظلمهم ولكن يهلكهم. وسماهم دابة لأنه[١٠] ذكرهم في موضع الظلم وإن كان سماهم في غير موضع بالأسماء الحسنة، وهو كما سماهم في موضع آخر[١١] دابة حيث قال: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا،[١٢] ولا شك أن البشر دخلوا في هذه التسمية، فعلى ذلك جائز دخولهم في الأخرى. وإن كان المراد ما ذكر من الدابة البشرَ فالأنبياء والرسل إنما يكون هلاكهم بقطع[١٣] نسلهم، لأن الأنبياء أكثرهم وُلِدوا من الآباء الظلمة، فإذا أُهلك[١٤] آباؤهم لم يُولَد الرسل والأنبياء، فيكون هلاكهم لا بظلم هؤلاء ولكن بقطع[١٥] النسل. وإن كان المراد بتلك الدابة الدواب أنفسها، فلأن الدواب[١٦] إنما أنشأت للبشر ولمنافعهم، فإذا أهلكت الدواب أهلك[١٧] المُنْشَأُ لهم. *والله أعلم*.

---

[١] ن ع م: ذلة، في الموضعين.
[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٨و.
[٣] ع: هلك.
[٤] ك ن – قوله.
[٥] ك ن – من دابة.
[٦] ع م: تعيش.
[٧] ع م: يعيش.
[٨] ع: هلكوهم.
[٩] ع م: أو جائز.
[١٠] جميع النسخ + إذا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٨و.
[١١] ن – آخر.
[١٢] ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرّها ومُسْتَوْدَعَها كل في كتاب مبين﴾ (سورة هود، ٦/١١).
[١٣] ن ع: يقطع.
[١٤] ع: هلك.
[١٥] ن: يقطع.
[١٦] ن – فلأن الدواب.
[١٧] ع م – الدواب أهلك.

وفي قوله: **لا يَستأخرون ساعة ولا يستقدمون**، دلالة نقض[1] قول المعتزلة، لأنهم يقولون: يجعل الله للخلق آجالاً ثم يجيئ[2] كافر فيقتله دون بلوغ الأجل الذي جعله الله. وقد[3] أخبر أنهم لا يستأخرون ساعة بعد الأجل المضروب لهم ولا يستقدمون قبل ذلك، وهم يقولون: بل يستقدمه كافر فيقتله، فذلك سَرَف في القول. وهذا يخرج على وجهين. أحدهما لا يتأخر الأجل الذي جُعل لهم ساعةً ولا يتقدم عن ذلك. والثاني لا يُجاب في التأخير ولا في التقديم.[4]

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾[٦٢]

وقوله عز وجل: **ويجعلون لله ما يكرهون**، كانوا يجعلون لله أشياء يكرهون ذلك لأنفسهم من نحو البنات، يقولون: لله البنات ويكرهون لأنفسهم البنات، ويجعلون له الشركاء من عبيده وهم كانوا يكرهون لأنفسهم الشركاء من عبيدهم وأمثاله، كقوله: ضَرَبَ لَكُم مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ،[5] الآية. يخبر عز وجل عن سَفَههم وسَرَفهم في القول،[6] ويخبر[7] عن حلمه حيث[8] لم يستأصلهم ولم يُهلكهم مما قالوا في الله من عظيم القول من الولد والشريك، لنعلم أنه لم[9] يمهلهم لغفلة ولا سَهوٍ ولكن لحلم،[10] لِأن يَحلُم الخلقُ في ذات الله ولا يَعْجَلوا[11] بالعقوبة؛ إذ لو أراد أهلاكهم[12] لأهلكهم ساعةَ قالوا[13] ذلك ولا يُمهلهم يَعيشون، لكن أخر ذلك ليوم،[14]

---

[1] ع م - نقض.
[2] م: تجيئ.
[3] جميع النسخ: حيث؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٨ظ.
[4] أي لا يستجيب الله تعالى دعاء الذين يسألون تأخير الأجل أو تقديمه.
[5] ﴿ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاءَ في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسَكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون﴾ (سورة الروم، ٣٠/٢٨).
[6] ع - في القول؛ م: في الله.
[7] م: يخبر.
[8] ع - حيث.
[9] م - لم.
[10] ع م: يحلم.
[11] ع م: يعجل.
[12] ع م: أهلكهم.
[13] ن: قال.
[14] ع م: لذلك اليوم.

وهو ما قال: وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا،[١] الآية. وجائز أن يكون قوله: **ويجعلون لله**، أي يجعلون لأولياء الله ما[٢] يكرهون لأنفسهم، لأنهم يقولون: إن لهم الحسنى في الآخرة وهي الجنة، وإن للمؤمنين النارَ، بقوله: وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ،[٣]

وقوله عز وجل: **وتصف ألسنتُهم الكَذِب**، قال أبو بكر الأصم: يقولون: إنا على[٤] دين الله وعلى الحق،[٥] ويقولون إن لهم الحسنى، يعنُون أنهم محسِنون في أعمالهم وبما هم عليه من دين. وقال بعضهم قوله: **أن لهم الحسنى**، يعنون البنين[٦] لأنهم كانوا يضيفون البنات إلى الله وينسبون البنين[٧] إلى أنفسهم، فذلك الحسنى الذي ذكروا. وقال بعضهم: أن[٨] لهم الحسنى، أي الجنة، كقوله: وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي،[٩] الآية. ثم كذبهم في قولهم فقال:

لا جرم أن لهم النارَ، ليس لهم الحسنى على ما زعموا ولكن [لهم] النار، وقد ذكرنا قوله: **لا جرم**، فيما تقدم.[١٠] كان أهل الكفر[١١] فِرَقا، منهم من ادّعى الاشتراك في نعيم الآخرة كما كان لهم اشتراك[١٢] في نعيم الدنيا، كقوله: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ.[١٣] ومنهم من ادعى الآخرة لأنفسهم كما كانت لهم الدنيا، فجائز أن يكون قوله: **ويجعلون لله ما يكرهون**، هم الذين ادعوا الحسنى، وهي الجنة، لأنفسهم.

وقوله عز وجل: **وأنهم مُفْرَطون**، هو من الفَرَط وهو[١٤] السّبق والتقدّم. كأن الآية

---

[١] ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تَشْخَصُ فيه الأبصار﴾ (سورة إبراهيم، ٤٢/١٤).

[٢] ن ع م: مما.

[٣] ﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضَرَّاءَ مسته ليقولَنَّ هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى فلننبئنّ الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ﴾ (سورة فصلت،٤١/٥٠).

[٤] ع م – على.

[٥] جميع النسخ + لعبادتنا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٨ظ.

[٦] م: النبيين.

[٧] م: النبيين.

[٨] جميع النسخ: بأن.

[٩] سورة فصلت،٤١/٥٠.

[١٠] انظر: سورة يونس، ٢٢/١٠.

[١١] ن – الكفر.

[١٢] م – في نعيم الآخرة كما كان لهم اشتراك.

[١٣] ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾ (سورة الجاثية، ٢١/٤٥).

[١٤] ن + من.

في الرؤساء منهم،[1] أخبر أنهم سابقون أتباعهم إلى النار، وهو كقوله: وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ،[2] الأولى هم المَتبوعون، وأخراهم الأتباع. وقال بعضهم: [**مُفْرَطون**] مُعَجَّلون إليها بين يدَي أتباعهم. وقال بعضهم: **مفرطون**، أي مترَكون منسِيون في النار. وقال بعضهم: **مفرطون**، مبعَدون عن رحمة الله؛ لكن هذين ليس بتأويل الآية، إذ كل من في النار فهو[3] منسِيّ متروك فيها، مُبعَد عن رحمة الله.[4] وقال بعضهم: وإنهم مدخَلون فيها / والوجه فيه ما ذكرنا. [٤١٠و]

﴿تَاللهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٦٣]

وقوله عز وجل: **تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك،**[5] لا يحتمل أن يكون هذا[6] القسم منه ابتداء، لكن كأنه عن إنكار كان منهم للرسالة، فعند ذلك أقسم بقوله: **تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك،** وأكّد بما أنكروا الرسالة بالقسم الذي ذكر فقال: **تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك،**[7] كما أرسلناك إلى أمتك،[8] **فزيّن لهم الشيطان أعمالهم،** كما زين لأمتك، فهو كان وليّهم يومئذ كما هو وليّ لأمتك اليوم.[9]

وقوله عز وجل: **فزين لهم الشيطان أعمالهم،** يقول: ليس هؤلاء بأول مَن زيّن[10] لهم الشيطان أعمالهم، ولكن كان في الأمم الماضية من زيّن لهم الشيطان أعمالهم فيكذبون رسلهم، فلست أنت بأول مكذَّب بل كان لك[11] شركاء[12] في التكذيب.

---

[1] ع م – منهم.
[2] ﴿وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾ (سورة الأعراف، ٧/٣٩).
[3] ك – فهو.
[4] ع – الله.
[5] جميع النسخ + هذا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٨ظ.
[6] ن – هذا.
[7] ن – وأكد بما أنكروا الرسالة بالقسم الذي ذكر فقال تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك؛ جميع النسخ + يا محمد قوله تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٨ظ.
[8] ع م – أمتك.
[9] ك ن ع: يصيره؛ م: بصيره. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٨ظ.
[10] م: يزين.
[11] م: ذلك.
[12] ع م: شركا.

فهو وليهم اليوم، قال بعضهم: **فهو وليهم اليوم**،[١] في الدنيا لأن الدنيا هي دار الولاية بينهم، كقوله: بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ،[٢] وقوله: أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ.[٣] وأما في الآخرة فيصيرون أعداء كقوله: ٱلْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ،[٤] وقوله: ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ،[٥] الآية، وقولِه: قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ،[٦] ونحوه. ولا يحتمل أن يكونوا أولياء في الآخرة ثم يلعن بعضهم بعضا[٧] ويتبرأ[٨] بعضهم من بعض، فذلك علامة العداوة. وقال بعضهم: قوله: **فهو وليهم اليوم**، في الآخرة، أي أولى بهم، فيُقرَن[٩] بهم، كقوله: وَمَنْ يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ.[١٠] **فهو وليهم**، أي صاحبهم [وقرينهم]،[١١] كقوله: [فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ، وقوله:][١٢] اُحْشُرُوا [الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ]،[١٣] الآية.[١٤]

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٦٤]

وقوله عز وجل: **وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه**، قال بعضهم: قوله: **الذي اختلفوا فيه**، الكتب التي كانت من قبلهم، لأنهم اختلفوا في كتبهم، فمنهم من بدّل ومنهم غيّر وحرّف، فيقول: -والله أعلم- **وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه**، أي[١٥] في كتبهم، لأن هذا الكتاب أنزله مصدّقا لما بين يديه من الكتاب، يبين هذا الكتاب ما اختلفوا في كتبهم،[١٦]

---

[١] ع م - قال بعضهم هو وليهم اليوم.
[٢] ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾ (سورة الأنفال،٨/٧٣).
[٣] ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٥٧).
[٤] سورة الزخرف، ٤٣/٦٧.
[٥] ﴿وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودةَ بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٢٥).
[٦] ﴿قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد﴾ (سورة ق، ٥٠/٢٧).
[٧] ك - وقوله قال قرينه ربنا ما أطغيته ونحوه ولا يحتمل أن يكونوا أولياء في الآخرة ثم يلعن بعضهم بعضا.
[٨] ع م: وتبرأ.
[٩] جميع النسخ: فيقرون؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٨ظ.
[١٠] سورة الزخرف، ٤٣/٣٦.
[١١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٨ظ.
[١٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٣٨ظ.
[١٣] ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٢٢).
[١٤] جميع النسخ + وكقوله: قال قرينه ما أطغيته؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩و.
[١٥] ن ع م - فيه أي.
[١٦] جميع النسخ: كتابهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩و.

[ويميز] الحقَّ من الباطل. وقال بعضهم: **إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه**، أي[1] في الرسل والأديان وفي[2] الكتاب المنزل عليه، اختلفوا[3] في ذلك كله، فبيّن[4] لهم الحق من الباطل في جميع ما اختلفوا فيه بالكتاب الذي أنزله عليه؛ إذ فيه أنباء الأمم الماضية وهو لم يشهدها ولم يختلف إلى من يخبره عنها،[5] ثم أنبأهم على ما كانت، فدل[6] أنه إنما عرف ذلك بالله ومنه نزل ذلك.[7]

وفيه دلالة أن الحوادث التي علم الله أنهم يُبتَلون بها إلى يوم القيامة أنه جعل لهم سبيل الوصول إلى بيانها في الكتاب: إما بيان كفاية،[8] وإما بيان تصريح، حيث قال: **وما أنزلنا عليك الكتاب**، الآية، حيث لم يدَعهم في الاختلاف على غير بيان. فعلى ذلك حيث[9] علم أنهم يُبتَلون بالحوادث التي ليست بمنصوص عليها[10] في الكتاب لا يحتمل أن لا يبين لهم ذلك ويدَعهم حيارى. لكن البيان على وجهين: بيانَ تصريح يُعقَل ببديهة[11] العقل،[12] وبيان كفاية[13] يدرك[14] بالنظر والتأمل والاستدلال. وأصله في قوله: **إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه**، أي إلا لتبين لهم الحق فيما اختلفوا فيه، لأنهم اختلفوا في المُحِقّ في ذلك، لأن كل فريق منهم ادعى أنه هو المُحِقّ وأن الذي هو عليه الحقُّ وأن غيره على باطل، فأخبر أنه أنزل الكتاب عليه ليبين لهم الحق فيما اختلفوا فيه.

وقوله عز وجل: **وهدى ورحمةً لقوم يؤمنون**، جعل الله تعالى رسوله وكتابه هدى ورحمة للمؤمنين، لأنهم آمنوا بهما وصدقوهما وقبِلوهما فصار ذلك لهم هدى ورحمة ونورًا.

---

[1] ن ع م – أي.
[2] ع م: في.
[3] ك + فيه.
[4] جميع النسخ: يبين؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩و.
[5] ع م: منها.
[6] ن + أنهم علموا.
[7] ن – ذلك.
[8] ع م: كناية.
[9] ك – حيث.
[10] جميع النسخ: ليس لها منصوص؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩و.
[11] ك: ببديه؛ م: بديهة.
[12] ع – بديهة العقل.
[13] ع م: كناية.
[14] ع: يدارك.

وأما من[١] كذبهما ولم يقبلهما فهو عذاب عليهم وعمًى، وهو كقوله: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ،[٢] الآية، وهو ما ذكر: وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى.[٣]

﴿وَاللهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾[٦٥]

وقوله عز وجل: **والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها**، يذكر عز وجل قدرته وسلطانه حيث أخبر أنه ينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض وهي ميتة ويُخرج منها نباتا وزروعًا[٤] وأشجارًا. فمن قدر على هذا لقادر[٥] على إحياء الأنفس[٦] بعد موتها، إذ[٧] لا فرق بين الإحيائين،[٨] فمن[٩] قدَر على أحدهما قدر على الآخر.

إن في ذلك، فيما ذكرنا،[١٠] **لآيةً لقوم يسمعون**؛ قال بعضهم: **لآية لقوم يسمعون**، المواعظ. وقال بعضهم: **لآية لقوم يسمعون**، الآيات والحجج، وأما من لم يسمع فلا يكون له آية. وأصله **إن في ذلك لآية لقوم** ينتفعون بسماعهم،[١١] ولآية لقوم يعقلون، أي ينتفعون بعقولهم. وأصله أن هذا كله يصير آية[١٢] للمؤمنين على ما ذكر كله، لأنهم هم[١٣] [الذين] يسمعون آياته ومواعظه، وكله كناية عن المؤمنين. ***والله أعلم***.

---

[١] ع – من.
[٢] ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون. وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ٩/١٢٤-١٢٥).
[٣] ﴿ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فُصِّلت آياته أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عَمًى﴾ (سورة فصلت، ٤١/٤٤)
[٤] ع: أو زروعًا.
[٥] ع: القادر.
[٦] ع م: الأرض.
[٧] ع م: إنه.
[٨] ع م + الأنفس.
[٩] ك: إذ من.
[١٠] م: ذكر.
[١١] ع: سماعهم.
[١٢] ع: لآية.
[١٣] جميع النسخ + الغافلون عن الله، ما أمرهم به ونهاهم عنه وهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩و.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾[٦٦]

وقوله عز وجل: **وإن لكم في الأنعام لعبرة**، العبرة[١] الآية، أي أنشأ لكم أنعامًا فيه الآية. هو صلة قوله: وَاللهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا،[٢] أي أنزل من السماء ماء وأنشأ الأنعام لكم فيه الآية. أنشأ جل وعلا في الأنعام لبَنًا غِذاء[٣] لأولادها[٤] في الوقت الذي لا تحتمل[٥] الغذاء[٦] بالعلف وجعل لأربابها الانتفاع بذلك اللبن، وفي[٧] الأشياء التي لا يؤكل لحمها لم يجعل لأربابها الانتفاع بما يفضل من / اللبن و لم يجعل[٨] لها فضل لبن. [٤١٠ظ]

وقوله عز وجل: **نُسقيكم مما في بطونه**، ذكر [ههنا] بالتذكير، فظاهره أن يذكر بالتأنيث، لأنه إما أن يريد به الأمهات التي يدرّ[٩] منها اللبن أو جماعةً من الذكران منها، فكيف ما كان فهو يذكر بالتأنيث، لكن بعضهم يقولون:[١٠] ذكر باسم التذكير على إرادة الأصل الذي به كان اللبن وهو الفحل.[١١] وهذا يدل لأبي[١٢] حنيفة وأصحابه رحمهم الله لقولهم في لبن الفحل:[١٣] إنه يحرم. وقال بعضهم: ذكر باسم التذكير على إرادة[١٤] الجنس والجوهر من بين الأجناس، والجواهر دون العدد والجماعة.[١٥]

وقوله عز وجل: **مِن بين فَرْثٍ ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين**، قال ابن عباس رضي الله عنه: معنى استخراج اللبن من بين فرث ودم، وذلك أن العلف إذا وقع في الكرش طبخه الكِرْش[١٦]

---

[١] ك ن ع: والعبرة.
[٢] الآية السابقة.
[٣] ع: غداء؛ م: غذ.
[٤] جميع النسخ: الأولاد؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩و.
[٥] جميع النسخ: لا يحتمل.
[٦] م: الغداء.
[٧] ع م: في.
[٨] ن ع م: لم يجعل.
[٩] دَرَّ اللبنُ والدمع ونحوهما يَدِرُّ ويَدُرُّ دَرًّا ودُرُورًا، إذا كثر وسال (*لسان العرب*، «درر»).
[١٠] ك: يقول.
[١١] ك: النحل.
[١٢] م: إلى أبي.
[١٣] ك: النحل.
[١٤] ع – الأصل الذي به كان اللبن وهو الفحل وهذا يدل لأبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله لقولهم في لبن الفحل إنه يحرم وقال بعضهم ذكر باسم التذكير على إرادة.
[١٥] ك + والله أعلم.
[١٦] ع – طبخه الكرش.

فيجعل الفرث أسفله والدم أعلاه واللبن بين ذلك، ثم يسلِّط الكَبِد عليهم فيجلّي. الدم في العروق واللبن في الضروع[١] ويبقي الفرث في الكِرْش كما هو. وقال بعض الفلاسفة: إن العلف إذا وقع فيه[٢] يصير منه فرثا ثم يصير منه[٣] دمًا ثم يصير لبنًا خالصًا، فهو كالنطفة التي وقعت في الرَّحم تصير علقة ثم تصير مضغة مأكولة، فعلى ذلك اللبن الذي ذكر. ***والله أعلم***. ويحتمل ما قال بعض الفلاسفة: إن العلف يصير فرثا ثم دمًا ثم لبنًا. ويحتمل أن يكون مجري اللبن بين ما ذكر من الفرث والدم. فأي الوجهين كان[٤] ففيه[٥] اللطف الذي ذكرنا.

[٤١٠ظ س٢٢ * وقال القُتبي: الفرث ما في الكِرْش، لأن اللبن كان طعامًا فخلص من ذلك الطعام دم وبقي منه فرث في الكرش وخلص من الدم لبنًا سائغًا-، أي سهلا في الشرب لا يَشجى به شاربه ولا يغَصّ،[٦] وكذلك قال[٧] أبو عَوسَجَة: أسَغْتُه، أي أدخلته في حلقي سهلا.[٨]* ٤١٠ظ س٢٤]

ووجه ذكر هذا -والله أعلم- على الامتنان وكذلك[١٠] ما ذكر[١١] من الثمرات والأعناب أنه بلطفه أخرج[١٢] اللبن الصافي: أصفى الأشياء وألطفه من بين[١٣] أخبث[١٤] الأشياء وأكدرها[١٥] في رأي العين، فمن قدر على حفظ هذ[١٦] مما ذكر بلا حجاب يدرك أو حاجز يعرف لَقادرٌ[١٧] على إنشاء الأشياء مِن لا شيء، لأن الخلائق لو اجتمعوا على أن يدركوا السبب الذي به

---

[١] ك ن ع: الضرع.
[٢] ن - فيه.
[٣] م - فرثا ثم يصير منه.
[٤] ن + كان.
[٥] جميع النسخ: فيه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩و.
[٦] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٤٥.
[٧] م: وقال.
[٨] م: حملا.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤١٠ظ/سطر ٢٢-٢٤.
[١٠] ع: وذلك.
[١١] ع م - ما ذكر.
[١٢] ع: أخراج.
[١٣] ع م - بين.
[١٤] م: حيث.
[١٥] جميع النسخ: وأكدره؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩و.
[١٦] م: هذه؛ ع م + الأشياء.
[١٧] ع: القادر.

كان حفظ هذا من هذا وامتناعه[1] عن الخلط بالخبيث[2] ما أدركوا ذلك. وكذلك ما يخرج من النخيل والكروم والثمرات[3] الطيبة والأعناب الحلوة من غير أن يرى أثر ذلك فيها ومن غير أن يدركوا السبب الذي كان به الأعناب والثمرات، دل أنه قادر على إنشاء الأشياء من لا شيء إذ هي خشبة يابسة. *والله أعلم*.

﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [٦٧]

[٤١١ظ س١٦] *[قال][4] في قوله: **ومن ثمرات النخيل والأعناب**، يقول: ولكم عبرة ودليل [في] أن النخل أجذاعُ خشبٍ لا طَعْم فيها والكَرْم خشب[5] أيضًا، وما فيهما من سَعف[6] وورق لا[7] عسل فيها ولا عنب. فأخرج الله عنهما[8] ثمرات مختلفة[9] فيه عسل وفيه تمر وزبيب، وتتخذون منه ما تَلَذَّذون[10] من الشراب. وقال هذا قبل تحريم الخمر. والسَّكَر كل ما أسكرهم. وتتخذون منه أيضًا **رزقًا حسنًا**، أي طيبا، وهو ما تأكلون منها سوى ما تشربون. وتكسبون بها أموالا كثيرة منّ الله به عليهم. وقال بعضهم: السَّكَر كل شيء حرّم[11] الله [ما يُتخذ] من ثمارها من الشراب: الخمر من العنب والسكر من التمر. والرزق الحسن ما أحلّ من ثمرها: الزبيب والتمر والنبيذ. وقال: السكَر ما أسكر، والرزق الحسن الخَلّ[12] وأشباهه.

إن في ذلك لآية، ودليلا وبيانا، **لقوم يعقلون**، ما يُنَبَّهون فيعلمون أن الذي لم يَعجِز عما خلق لهم من الثمار من خشب يابس يقدر أن يحيي الموتى ويخلق ما يشاء. وما عَرَفه الخلقُ

---

[1] م: أو متاعه.
[2] ع م: بالخبث.
[3] ن: الثمرات.
[4] جميع النسخ: وقال.
[5] ع م - خشب.
[6] السَّعَفُ: أغصانُ النخلة، وأكثر ما يقال إذا يبست، وإذا كانت رَطْبة فهي الشَّطْبةُ (*لسان العرب*، «سعف»).
[7] ن: ولا.
[8] ك ن: منهما.
[9] ك ن م: مختلفات، م: مختلفا.
[10] ن: تتلذذون.
[11] جميع النسخ: حرمه.
[12] ع م - الخل.

أنه يكون من النطفة الولدُ، ومن الماء والأشجار الفواكهُ، ومن العَلَف اللبنُ وغير ذلك من الحوادث التي تَحدث من الأشياء وتلك أسبابها [هو] مما لا يُدرَك[١] كون تلك الأشياء فيها ولا يرى [و]لا يعرف ذلك إلا بتعليم من هو عالم بذاته، لأن علم ذلك لو كان لا[٢] بتعليم -لو اجتهدوا كل جهدهم-[٣] لم يدركوا حدوث تلك الأشياء مما ذكرنا ولا كونها منها. دل أن الذي علّمهم هو عالم[٤] بذاته. فإذا ثبت كونه عالما[٥] بذاته -وإن كانوا لم يشاهدوا إلا عالمًا بغير- فعلى ذلك هو قادر على إنشاء الأشياء مِن لا شيء وإن كانوا لم يعاينوا في الشاهد شيئا إلا من شيء. وفيه أن ما يحدث ويكون من اللبن بالعلف الذي يؤكل[٦] أو الطعام الذي[٧] يُتناول أو الفواكه والثمار التي[٨] تَخرج، ليس تكون[٩] بنفس الماء أو بنفس الطعام والعلف ولكن باللطف من الله تعالى، لأنه قد يَسقِي ذلك الماءُ الشجرَ والنخل في حال ثم لا يكون فيه التمر. وكذلك الدواب تُعلَف في حال فلا يكون[١٠] ذلك منه.* [٤١١ظ س ٣١]

وقوله[١٢] عز وجل: **تتخذون منه سكرًا ورزقًا حسنًا،** قال بعضهم: السكَر ما يَحرم منه، والرزق الحسن ما يحل من ثمرها. وقال بعضهم السكر ما يتخذ منه الشراب، والرزق الحسن ما[١٣] يؤكل ثمرا وزبيبا ونحوه. وقال بعضهم: السكَر خمر الأعاجم، والرزق الحسن ما يُنبِذون ويُخلّلون ويأكلون. وروي في بعض الأخبار أنه[١٤] حرم السكر ولم يفسر الآية. وفي بعض[١٥] الأخبار

---

[١] جميع النسخ: ما لم يدرك.
[٢] ع م - لا.
[٣] ع م: جهد هو.
[٤] ع: عامل.
[٥] جميع النسخ: بعالم.
[٦] جميع النسخ: يأكل.
[٧] ك - الذي.
[٨] ن: الذي.
[٩] ك: يكون.
[١٠] جميع النسخ: لا يكون.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٦٩، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤١١ظ/سطر ١٦-٣١.
[١٢] ك م - وقوله.
[١٣] ع م - ما يحل من ثمرها وقال بعضهم السكر ما يتخذ منه الشراب والرزق الحسن ما.
[١٤] أي النبي عليه السلام.
[١٥] ك ع م - بعض.

أنه بعث معاذًا إلى اليمن وأمره أن ينهاهم عن نبيذ السكَر.[1] وعن عبد الله قال: «إن أولادكم وُلدوا على الفطرة فلا تُسقوهم السكَر، فإن الله تعالى لم يجعل في حرام شفاءً».[2] وليس بين فقهاء الأمصار في تحريم السكَر وفضيخ[3] البُسْر ونقيع[4] الزبيب -إذا أسكر كثيرُها و لم يطبخ- اختلاف [في] أنها حرام، وقد ذكرنا هذا في سورة البقرة.[5] **إن في ذلك**، لما ذكر، **لآية لقوم يعقلون**.[6]

وقوله: **تتخذون منه سكرًا ورزقًا حسنًا**، أي تتخذون منه ما يحرم أكله، **ورزقًا حسنًا** ما يحل منه وهو[7] كقوله: قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ،[8] الآية. أو يخرج على تذكير النِّعم في الوقت[9] الذي كان السكر حلالاً، أي **تتخذون منه سكرًا**، ما تشربون، ورزقًا حسنًا سوى الشراب.

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[٦٨]

وقوله عز وجل: **وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتًا**، إلى آخر ما ذكر. قال بعضهم: **أوحى**، أي قذف في قلوبها أنِ افْعَلِي ما ذكر. والوحي هو القذف، سمي بذلك لسرعة وقوعه ونفاذه في القلوب من غير أن يَشعر الملقَى فيه[10] والمقذوفُ في قلبه أن أحدا فعل ذلك أو ألقاه[11] فيه. وهو ما مكّن الله للشيطان من الوسوسة في القلوب من غير أن يعلم الموسوَس إليه والمقذوف في قلبه أن أحدا دعاه إلى ذلك أو زينه[12] ذلك.[13]

---

[1] والرواية وردت في صحيح مسلم بهذا اللفظ: حدثنا أبو بردة عن أبيه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاذا إلى اليمن فقال: «ادْعُوَا الناس وبشِّرا وَلَا تُنفرا ويَسّرا وَلَا تُعسّرا». قال فقلت: يا رسول الله أَفْتِنَا في شَرَابَيْنِ كنا نصنعهما باليمن: الْبِتْعُ وهو من الْعسل يُنْبَذ حتى يشتد، والْمِزْرُ وهو من الذُّرةِ والشعير ينبذ حتى يشتد. قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أُعْطِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ بِخَوَاتِمِهِ فقال: «أنْهَى عن كل مسكر أسكرَ عن الصلاة» (*صحيح مسلم*، الأشربة، ٧١-٧٢)

[2] ورد في البخاري بهذا اللفظ: وقال ابن مسعود في السَّكَر: إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرّم عليكم، (*صحيح البخاري*، الأشربة، ١٥).

[3] الفضيخ: شراب يتخذ من البسر المفضوخ وحده من غير أن تمسه النار (*لسان العرب*، «فضخ»).

[4] النقيع: شيء يُنقع فيه الزبيب وغيره ثم يُصَفَّى ماؤه ويشرب (*لسان العرب*، «نقع»).

[5] انظر: سورة البقرة، ٢/٢١٩.

[6] وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤١٠ظ/سطر ٢٢-٢٤.

[7] ع م - وهو.

[8] ﴿قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون﴾ (سورة يونس، ١٠/٥٩).

[9] ع: وقت.

[10] ن - فيه.

[11] ع م: وألقاه.

[12] ن: زين.

[13] ن + وألقاه.

وكذلك ما يُلهم[١] الملائكةُ بني آدم من أشياء من غير أن يعلموا[٢] أن أحدا دعاه[٣] إلى ذلك أو ألقاه[٤] في قلوبهم. فهذا كله يرد على من ينكر الشيطان والملائكة. وهم طائفة من الملحدة يقولون: إن الشهوات والأمانيّ التي جعلت في أنفسهم هي التي تبعثهم وتَهيجهم على ذلك لا الشيطان. فيقال لهم: إن الإنسان قد يناله أشياء من غير أن كان منه تفكر في ذلك أو أمانيّ أو سابق تدبير. فذلك يدل أن غيرًا ألقى ذلك في قلبه وقذف، لا عمل الأماني والشهوات. وهذا أيضًا يدل على لطف الله في البشر أنه يوفقهم على الطاعات ويحثهم عليها من غير أن يعلموا[٥] أن لغير[٦] في ذلك صنعًا، وكذلك الخذلان في المعاصي وأنواع الأجرام التي يكتسبونها.

ثم يحتمل قوله: **وأوحى ربك إلى النحل**، أي النحل[٧] وغيرها من البهائم وجهين. أحدهما يحتمل أنه أنشأ هذه البهائم على[٨] طبائع تعرف بالطبع مصالحها ومهالكها ومعاشها وما به قوام أبدانها وأنفسها وما به فسادها وصلاحها من غير أن تعلم[٩] أن أحدًا يدعوها[١٠] إلى ذلك أو يشير إليها أو يأمر وينهى، لكنها[١١] بالطبع تعرف[١٢] ذلك وتعلم[١٣] أشياءَ بالطباع من غير أن تعلم[١٤] أن أحدًا علمهن[١٥] ذلك: من نحو الوزّ يَسبَح في الماء بالطبع من غير أن تعلم[١٦] أنها تسبح، / وكذلك الطير الذي يطير في الهواء من غير أن يعلم بالطيران. فعلى ذلك يحتمل فهم هذه البهائم [٤١١و] وعرفانُها ما ذكرنا من المصالح والمهالك من غير أن تعلم[١٧] أنها تعرف ذلك. ***والله أعلم.***

---

[١] ع: يهم.
[٢] ن ع م: علموا.
[٣] ك: دعا.
[٤] ك + أو زينه ذلك وألقاه.
[٥] جميع النسخ: علموا.
[٦] ع م: بغير.
[٧] م: النحل.
[٨] ن + بهائم.
[٩] جميع النسخ: يعلم.
[١٠] جميع النسخ: يدعوهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩ظ.
[١١] جميع النسخ: لكنه.
[١٢] جميع النسخ: يعرف.
[١٣] جميع النسخ: يعلم + من نحو أشياء تعلم.
[١٤] جميع النسخ: يعلم.
[١٥] جميع النسخ + علمن؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩ظ.
[١٦] جميع النسخ: يعلم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩ظ.
[١٧] جميع النسخ: يعلم.

والثاني يحتمل أن يكون الله عز وجل جعل[1] خلقة هذه الأشياء بالذي تقف[2] على المخاطبات من الأمر[3] والنهي، وتعرف[4] ما لا يعرف مثله البشر. ألا ترى أن البشر لا يعرف المهالك والمصالح إلا بالتعلم،[5] والبهائم وإن صغر [حجمها تعرف] ذلك[6] حتى تتوقى[7] المهالك وترغب في المصالح. ومما يدل أن هذه الأشياء مما يفهم الأمر والنهي والمخاطبات قوله: [حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاؤُوهَا] شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ.[8] ألا ترى أنهم فهموا الخطاب حيث ردّوا عليهم الجواب بقوله: أَنْطَقَنَا اللهُ، فذلك ما ذكرنا. **والله أعلم.**

[٤١١و س٣٥] *وقال بعضهم من أهل اللغة: إن الوحي[9] في[10] كلام العرب على وجوه. منها وحي النبوة، فهو إرسال الله الملائكة إلى أنبيائه ورسله، كقوله: وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا.[11] ومنها وحي الإشارة، كقوله: فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا.[12] ومنها وحي الإلهام وهو قوله: **وأوحى ربك إلى النحل**، وقوله: وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ،[13] وقوله: بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا،[14] ونحوه. ومنها وحي الإسرار كقوله: يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ،[15] الآية.

[٤١١ظ] وقال بعضهم: إن أصل[16] الوحي عندنا هو أن يُلقي الإنسان / إلى صاحبه شيئًا للاستتار والإخفاء،

---

[1] ع: جعله.
[2] جميع النسخ: يقفون؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩ظ.
[3] جميع النسخ: والأمر؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩ظ.
[4] جميع النسخ: ويعرفون + ذلك؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩ظ.
[5] ك: بالعلم.
[6] جميع النسخ + تعرف.
[7] ك ن: تتوقى.
[8] سورة فصلت، ٤١/٢٠-٢١.
[9] ن: الأهل.
[10] ع م + كلهم.
[11] ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحيَ بإذنه ما يشاء﴾ (سورة الشورى، ٤٢/٥١).
[12] سورة مريم، ١٩/١١.
[13] ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه﴾ (سورة القصص، ٢٨/٧).
[14] ﴿إذا زُلزلت الأرض زلزالَها وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان ما لها يومئذ تُحدّث أخبارها بأن ربك أوحى لها﴾ (سورة الزلزال، ٩٩/١-٥).
[15] ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾ (سورة الأنعام، ٦/١١٢).
[16] ع م: وصل.

وقد يكون ذلك بالإيماء[1] والخط. وأصل الوحي ما ذكرنا أنه سمي به لسرعة وقوعه وقذفه في القلب. وقال أبو بكر [الأصم]: تأويل الوحي أن يعلم الذي يوحِي إليه ويرشده. وذلك من وجهين. أحدهما أن الله أرشد كل دابة سوى الإنسان إلى مصلحتها والهَرَبِ من[2] مُهْلِكِها ومتلفها بما فطرها الله عليه كما أرشد الإنسان إلى ما يُصلحه في دينه ودنياه بالتعليم، فمثّل اللهُ تعليمَه لكلِّ[3] دابة ما فيه مصلحتها ومفسدتها بما دبّرها عليه كما علم الإنسان بالقول والبيان، فقال: **وأوحى ربك إلى النحل**، أي أرشدها ودلّها بفطرتها، **أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر**، بيوتا فيها، **ومما يَعرِشون**، يعني واتخذي مما يبني الإنسان لمسكنهم. وقال: العريش، الحيطان التي لا سَمَاء لها [فهي][4] بفطرتها[5] تتخذ[6] خلاياها. كل[7] ذلك لمنافع الخلق.* [٤١١ظ س٧]

ثم ذلك[9] الوحي والقذف لكل البهائم لا للنحل خاصة، لما ذكرنا من معرفتها المهالك والمصالح وما به معاشها وغذاءها وما[10] به[11] فسادها وهلاكها، حتى تعرف[12] ذلك من غير أن تُعَلَّم.[13] والبشر لا يعرف إلا بالتعلم، فهو -والله أعلم- لوجهين. أحدهما للمحنة، لأن البشر[14] امتُحنوا بالتعلم[15] فذلك من الله امتحان لهم، والبهائم لا محنة عليهم فعرفوا ذلك[16] على غير تعلم. أو كان ذلك[17] للبشر بالتعلم[18] لفضل بعض على بعض في العلم بالتعلم؛[19]

---

[1] ع م: بالإيمان.
[2] ع م: عن.
[3] جميع النسخ: كل.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٠و.
[5] جميع النسخ: بفطرها؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٠و.
[6] ن: يتخذ.
[7] جميع النسخ +في كل؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٠و.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤١١و/سطر ٣٥-٣٩، ٤١١ظ/سطر ١-٧.
[9] جميع النسخ: فذلك؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩ظ.
[10] جميع النسخ: مما؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩ظ.
[11] ع م – به.
[12] جميع النسخ: يعرفن؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩ظ.
[13] ن: يعلم.
[14] جميع النسخ: ان البشر.
[15] جميع النسخ: بالتعليم.
[16] ك: فذلك عرفوا.
[17] م – ذلك.
[18] ع م – بالتعلم.
[19] ك: بالتعليم.

إذ البهائم يستوي صغيرها وكبيرها في معرفة ذلك، وفي بني آدم يتفاضل ويتفاوت [الناس] بالتعلم. *والله أعلم*.

فإن قيل: فإذا كانت[1] البهائم كلها مشتركة في ذلك الإلهام والوحي، فما معنى تخصيص النحل بالذكر[2] من غيرها من البهائم؟

قيل: يحتمل تخصيص النحل بالذكر –والله أعلم– لِما أن هذه الأنعام[3] غير النحل لا تُعطِي تلك المنافع التي جعلت فيها ولا تبذل للبشر إلا بالرياضة والتعلم،[4] والنحل تعطي[5] ذلك لهم وتبذل من غير[6] تعلم ولا رياضة. *والله أعلم*.

[٤١١و س٢٨] *وقوله عز وجل: **ومما يَعرِشون**، قيل: مما[7] يَبنون، ويحتمل[8] مما[9] يتخذ من العريش

[٤١١و س٢٩] وهو الذي يتخذ من الخشب.*

﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٦٩]

ثم قوله أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا،[11] وقوله: **ثم كلي من كل الثمرات** وقوله: **فاسلكي سبل ربك ذُلُلا**، ونحوه ظاهره[12] أمر[13] لكن حقيقته[14] تمكين وتسهيل، نحو قوله: سِيرُوا فِي كذا،[15] هو[16] في الظاهر أمر، وفي[17] الحقيقة تمكين وتيسير.

---

[1] ع م: كان.
[2] ن ع م: في الذكر.
[3] جميع النسخ: الأشياء؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٣٩ظ.
[4] ع م – والتعلم.
[5] م: نعطي.
[6] ع + أن.
[7] ع: ما.
[8] ع م: ويتخذ.
[9] ك: ما.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤١١و/سطر ٢٨-٢٩.
[11] الآية السابقة.
[12] ع م: ظاهرة.
[13] ع م – أمر.
[14] ن ع: حقيقة.
[15] ﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ (سورة آل عمران، ١٣٧/٣).
[16] ع م – هو.
[17] ع م: في.

ثم في هذه الآية وفي قوله: **يخرج من بطونها شراب**، وفيما سبق من الآيات وهو قوله: وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ،[1] وفي قوله: وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا،[2] دلالةُ قدرتِه على إنشاء الأشياء من لا شيء ودلالة علمه وتدبيره، لأنه أخرج من هذه الجواهر المختلفة أشياءَ من غير جوهرها وجنسها ما لم يكن شيء مما أكل منها هذه البهائم من الجواهر التي أخرج منها، من نحو العسل الذي أخرجه[3] من الفواكه التي أكلت، واللبن من العلف الذي أكلت،[4] والعصيرِ والسكر والأعناب من الكروم؛ إذ ليس شيء خرج منها[5] من جنس ما أُكل ولا من جوهر ما سُقي. دل أنه كان بعلمٍ[6] قادرٍ على إنشاء الأشياء من لا شيء ولا سبب. وفيه دلالة علمه وتدبيره وحكمته، لأن إنشاء ذلك اللبن في البطن على غير جوهر ما تناولت ومن خلاف لونه في تلك الظلمات دل أن علمه غير مقدَّر بعلم الخلق وأن حكمته غير مقدرة بحكمة الخلق وكذلك قدرته غير مقدرة بقدرة الخلق.

ثم قوله: **فاسْلُكِي سبل ربكِ**، قيل طرق[7] ربك، **ذُلُلًا**، قيل:[8] مطيعة، وقيل: من الذل، أي الرفق واللِّين، كقوله: أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ،[9] وقوله: وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ،[10] الآية، من الذل ومن الرفق واللين. وهذا يخرج على وجهين. أحدهما [أي] ذُللت سبل ربكِ وسُهّل [لك] السلوك فيها حتى تسلكي كيف شئت.[11]

وقوله عز وجل: **مختلفا ألوانه**، قال الحسن: الشَّهد والعسل.[12] وقال[13] بعضهم: مختلف في الطعم، وقيل: في الألوان: الأبيض والأحمر والأصفر.

---

[1] سورة النحل، ٦٦/١٦.
[2] سورة النحل، ٦٧/١٦.
[3] جميع النسخ: أخرج.
[4] جميع النسخ: أكل.
[5] ع: منها خرج.
[6] ك ع م: بغير علم، ن: بغير علمهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٠و.
[7] ن: طريق.
[8] جميع النسخ: وقيل.
[9] ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ (سورة المائدة، ٥٤/٥).
[10] ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ (سورة الحجر، ٨٨/١٥).
[11] جميع النسخ: ذللت سبل ربها وسهل السلوك فيها حتى تسلك كيف شاءت؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٠و. وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤١١و/سطر ٢٨-٢٩.
[12] ع م + يحتمل.
[13] ع م: قال.

وقوله عز وجل: **فيه شفاء للناس**، قال بعضهم: **فيه شفاء**[1] من كل داء حتى القروح وكل شيء. وقال بعضهم:[2] **فيه شفاء**، من داء دون داء. وقال بعضهم: **فيه شفاء**، يعني في القرآن، فيه شفاء القلوب للدين. ويحتمل قوله: **فيه شفاء**، للأجساد.[3] فإن أراد هذا فهو ظاهر، لا[4] شك أن فيه ذلك الشفاء. ويحتمل: **فيه شفاء**، للدين، فإن كان هذا فيكون ذلك من جهة النظر فيه [به] يدرك ويوصل إلى ذلك الشفاء.[5]

وقوله: **ثم كُلي من كل الثمرات**، قال بعضهم: من نوع ما تأكل النحل. وقال بعضهم: من جميع الثمرات التي تكون[6] في[7] الجبال. عن عبد الله قال: القرآنُ والعَسَلُ هما الشِّفَاءانِ؛[8] القرآن شفاء الدين والعسل شفاء الأبدان.[9]

ثم قال: **ثم كلي من كل الثمرات**، والثمرات مختلفة الطعم والمنظر والمشمّ. **فاسلكي سبل ربك**، وهو ما سبّل[10] الله لها من الرزق والمأوى، **ذُلُلًا** {قال:}[11] يقول:[12] ذلّل لكِ كل شيء قدّره لمرزقك ومسلكك، وذلك في طلب ما سبّل لك [و]لبني آدم وجعلها سببًا لمنافعهم، وصغّر قدركِ ليريهم بذلك قدرته وسلطانه على ما شاء، ليعلموا أن خالقهم لا يعجزه شيء وأنه القدير على ما يَعِدهم من البعث والثواب والعقاب.

وقوله: **يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه**، يقول: الجنس واحد، ثم هو ضروب كألوان[13] التمر والعنب وسائر الثمار في مذاقه ومشامّه ومنظره، وكله[14] عسل فيه شفاء للناس لمنافعهم وملاذهم.

---

[1] ك ع م + للناس.
[2] ع م + قوله.
[3] ع م – للأجساد.
[4] ع م + ولا.
[5] سيأتي إيضاح هذا التأويل فيما بعد.
[6] م: يكون.
[7] ع: فيها.
[8] عن عبد الله قال قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالشِّفاءيْنِ الْعَسَلِ وَالْقُرآنِ» (*سنن ابن ماجة*، الطب، ٧).
[9] وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤١١و/سطر ٣٥-٣٩، ٤١١ظ/س ١-٧.
[10] سبّلتَ الشيء إذا أبحته كأنك جعلت إليه طريقا مطروقة (*لسان العرب*،«سبل»).
[11] ع + ما.
[12] جميع النسخ + ذلك.
[13] ع م: كالألوان.
[14] ع: كل.

وفيما أراهم[١] الله من قدرته على ما يشاء من ذلك فيه شفاء لهم[٢] في الدين والعلم، يعلمون بما يشاهدون من تدبير الله وقدرته على ما بينا.

وقوله عز وجل: **إن في ذلك لآية**، يقول: لعبرة ودليلا وبرهانا، **لقوم يتفكرون**، فيما يشاهدون من تدبير الله وتقديره وقدرته على ما شاء. *والله أعلم*.[٣]

﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[٧٠]

وقوله عز وجل: **والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئًا** فإن قيل لنا: أية[٤] منة له[٥] علينا في ذكر خلقنا ثم توفِّيه إيانا ورده لنا إلى الحال التي ذكر[٦] وهي[٧] حال الجهل حتى لا[٨] نعلم شيئًا؟

قيل: ذِكْر هذا -والله أعلم- يحتمل[٩] وجوهًا. أحدها يذكّرهم أنه هو الذي **خلقكم ثم يتوفاكم**، ثم هو يملك ردكم إلى الحال التي لا تعلمون شيئًا، وفي ملكه وسلطانه تتقلبون، فكيف عبدتم الأصنام والأوثان التي لا تملك[١٠] شيئًا من ذلك وأشركتموها في ألوهيته وعبادته. أو يذكر هذا أنه خلقكم ولم تكونوا شيئًا **ثم يتوفاكم** بعد ما أحياكم ثم يردكم إلى الحال التي لا تعقلون شيئًا بعد ما جعلكم عقلاء علماء، فمن يملك[١١] هذا ويقدر على هذا يقدر على الإحياء بعد الموت، والبعث بعد الفناء. أو يذكر هذا ليعلموا[١٢] أنه لم يكن المقصود بخلقهم الفناء خاصة، لكن لأمر آخر قصد،[١٣] وهو ما ذكر فيما تقدم من أنواع النعم وتسخير ما ذكر من الأشياء لهم ليعلموا أن المقصود في خلقهم

---

[١] ع م: أداهم.
[٢] ع م - لهم.
[٣] وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٦٧، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤١١ظ/سطر ١٦-٣١.
[٤] ك ن: أي.
[٥] ع م - له.
[٦] ع م - ذكر.
[٧] جميع النسخ: وهو؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٠و.
[٨] ع م - لا.
[٩] ع م + هذا.
[١٠] جميع النسخ: لا تملكون؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٠و.
[١١] ن: تملك.
[١٢] ع م: أو يذكر ليعلم.
[١٣] جميع النسخ+ بخلقهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٠و.

لم يكن الفناء خاصة؛ إذ لو كان للفناء[1] خاصة[2] فلا معنى لما خلق[3] لهم من الأغذية والنعم
[٤١٢و] التي أنشأ[ها] لهم والأشياء التي سخرها / لهم.

وقال أبو بكر الأصم: قوله: **والله**[4] **خلقكم**، وكنتم نُطَفًا أمواتًا فأحياكم، **ثم يتوفاكم** أطفالاً وشيوخًا، **ومنكم من يرد**[5] **إلى أرذل العمر**، يقول: يرده بعد قوة وعلم وتدبير الأمور إلى الْخَرَف[6] والجهل بعد العلم ليتبين لخلقه[7] أن العمر والرزق ليس بهما رُبّي وقوِي،[8] لأنهما ثابتان، ثم يَبلى ويفنى بهما ويرجع إلى الجهل، ولكن بلطف من الله وتدبير منه لا بالأغذية. *والله أعلم*.

إن الله عليم، بما دبر في خلقه مما يدركون به قدرة خالقهم وتصريفه الأمورَ وبما يكونون به حكماء وعلماء، إن الذي دبرها حكيم، **قدير**، على ما شاء.

والحكمة[9] فيما[10] ذكر من تفريق الآجال ليكونوا أبدًا خائفين راجين، لأنه لو كانت آجالهم واحدة يأمنون ويتعاطون المعاصي على أمن لِما يعلمون وقت نزول الموت بهم. والثاني ليعلموا أن التدبير في أنفسهم وملكهم لغيرهم لا لهم، لأن التدبير والأمر لو كان إليهم لكان كل منهم يختار من الحال ما هو أقوى وآكد.

﴿وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾[٧١]

وقوله عز وجل: **والله فضل بعضكم على بعض في الرزق**، قال بعض أهل التأويل: يذكر هذا مقابل ما أشركوا خلقه وعباده[11] في ألوهيته وعبادته.[12] يقول: **فضل**[13] **بعضكم على بعض في الرزق**

---

[1] جميع النسخ: الفناء.
[2] ن - إذ لو كان للفناء خاصة.
[3] جميع النسخ+ لم يحتج إلى ما خلق؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٠ظ.
[4] ع م + أعلم.
[5] ك ن م: يعمر.
[6] الخرف: فساد العقل من الكبر (*لسان العرب*، «خرف»).
[7] م: بخلقه.
[8] «...ليبين لخلقه أن العمر والرزق ليسا مما يثبتان القوة والعلم والتدبير، فأنهما قائمان ثابتان...» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٤٠ظ).
[9] ك ن: الحكمة.
[10] م: فيها.
[11] ن: وعبادة.
[12] ك - وعبادته، ن - في ألوهيته وعبادته.
[13] ك + الله.

والأموال حتى بلغوا السادة والموالي، فلا ترضون أن يكون[١] عبيدكم ومماليككم شركاء في ملككم وأموالكم، فكيف ترضون لله[٢] أن يكون عبيده[٣] ومماليكه شركاء؟ إلى هذا يذهب بعض أهل التأويل.

وقال أبو بكر الأصم: قوله: **فضل بعضكم على بعض في الرزق**، أغني بعضكم وأفقر بعضًا وجعل منكم أحرارًا وعبيدًا. **فما الذين فُضِّلوا**، بالغني والتمليك، **برادِّي رزقهم على ما ملكت أيمانهم**، من عبيدهم، **فهم فيه سواء**، أن يستوي المولى وعبده فيما ملكت يمينه. يقول: فليس أحد منكم يرضى أن يكون عبده بمنزلته فيما يملك سواء. فإذا رأيتم أنتم ذلك نقصًا بكم -لو فعلتم- فكيف زعمتم أن الله أشرك بينه وبين أحجار حتى أشركتم وما ملّككم الله بينه وبين الأوثان في العبادة وفيما آتاكم من رزق فقلتم: هذا لله وهذا لشركائنا.[٤]

أفبنعمة الله يجحدون، يقول: أنعم الله عليهم بأنفسهم وأرزاقهم وأموالهم وأولادهم فأشركوا غير الله فيها وجحدوا نعمة الله عليهم، بها عَصَوا[٥] وبها كفروا. ثم ألزمهم النظر في الفضل الذي ذكر أنه فضّل بعضَهم على بعض إلى عين الفضل الذي كان من الله لا إلى الأسباب التي اكتسبوها ليعلموا أنهم لم ينالوا تلك الفضائل باستحقاق منهم ولكن إنما نالوا[٦] بفضل منه ورحمة. فيكون ذلك دليلا لهم فيما[٧] أنكروا من إفضال الله واختصاصه بعضهم بالرسالة والنبوة وإن كانوا جميعًا من بشر ومن جنس واحد، على ما فضل بعضهم على بعض في الرزق والسعة والملك والحرية والسلطان وإن كانوا جميعًا في الجنس واحدا.[٨] فإذا لم تنكروا هذا النوع من الفضل والاختصاص لبعض على بعض فكيف أنكرتم ذلك الفضل والاختصاص[٩] بالرسالة من فضله ورحمته،

---

[١] ك: يكونوا.
[٢] ع: الله.
[٣] ن + لله.
[٤] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٣٦).
[٥] ك - بها عصوا.
[٦] ع م: قالوا.
[٧] ن: بما.
[٨] ع م - واحدا.
[٩] ع + على بعض فكيف أنكرتم ذلك الفضل والاختصاص.

فلذلك قال -والله أعلم- أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ،[1] أخبر أنه برحمته وفضله[2] يُنال ما ينال[3] من الرسالة وغيرها، لا بالاستحقاق والاستيجاب كان منهم. أو أن يذكر سفههم بأنهم[4] يأنفون أن يشركوا عبيدهم ومماليكهم في ملكهم[5] وأموالهم ولهم منهم منافع من الخدمة والإعانة في الأمور،[6] فما بالهم يشركون أحجارًا وخشبًا لا منفعة لأحد فيهما[7] في ألوهية الله وربوبيته وفي عبادته.

أفبنعمة الله يجحدون؛ على[8] تأويل النبوة: أبفضل الله ورحمته **يجحدون** أنه لا يفضّل بعضًا على بعض بالرسالة، أو **يجحدون**، ما آتاهم الله من النعم فيصرفون[9] نعمه[10] إلى غيره وهي الأصنام التي عبدوها فقالوا: هذا لشركائنا،[11] أو[12] يصرفون شكر نعمه إلى غيره وهي الأوثان التي عبدوها. *والله أعلم*.

﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾[٧٢]

وقوله عز وجل: **والله جعل لكم من أنفسكم أزواجًا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة**، قال الحسن وغيره: الحفدة الخَدَم والمماليك، فهو على التقديم على تأويل هؤلاء يقول: جعل لكم من أنفسكم أزواجًا وخدمًا من جنسكم، لأنه[13] ذكر فيما تقدم: وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ، الآية.[14]

[1] سورة الزخرف، ٤٣/ ٣٢.
[2] ك: بفضله ورحمته.
[3] ن – ما ينال.
[4] ن + يقولون.
[5] م – في ملكهم.
[6] ن + في الأمور.
[7] ع م: منهما.
[8] ع م: وعلى.
[9] ن ع م: فتصرفون.
[10] ك: نعمته.
[11] سبقت قريبا الإشارة إلى هذه الآية من سورة الأنعام، ١٣٦/٦.
[12] ك: أي؛ ن – أو.
[13] ن + جعل.
[14] الآية السابقة.

يذكّرهم نعمه[1] وفضله الذي ذكر أنه **جعل لكم** من جنسكم **أزواجًا** وخَدَمًا تحت أيديهم يستمتعون بالأزواج ويستخدمون الخدم والمماليك وهم من جنسهم وجوهرهم، يذكّرهم فضله ومنته عليهم.

أو يشبه أن يكون هذا صلة قوله: وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا،[2] الآية، كانوا يأنفون عن البنات ويدفنونهن أحياء إذا وُلدن أنفًا منهن. يقول: -والله أعلم- كيف تأنفون منهن وقد جعل لكم من البنات أزواجًا تستمتعون[3] بهن حتى لا تصبروا عنهن، وكذلك جعل لكم من البنات البنين الذين ترغب أنفسكم فيهم ما لولا البنات[4] لم تكن لكم الأزواج التي تستمتعون بهن و لم يكن لكم البنون الذين ترغبون فيهم والأنصار والأعوان والخدم الذين ترغبون فيهم. يبين ويذكر تناقضهم في الأَنَفَة منهن، يأنفون منهن ومن البنات يكون ما يرغبون فيهن.[5]

/ فهذا يدل [على] أن النساء يصِرن كالمُلْك للأزواج ويصرن تحت أيديهم في حق [٤١٢ظ] ملك الاستمتاع كالمماليك في حق ملك الرقاب. ثم جعل عز وجل التناسل في الخلق على التفاريق وتقلبهم من حال إلى حال وتنقلهم[6] أبدا كذلك ليكون أذكَرَ لتدبيره وأنظَرَ في آياته ودلالاته. ولو شاء لأنشأ الخلق كله بمرة واحدة وأفناهم بدفعَة واحدة. وكذلك ما جعل لهم من الأرزاق وأنواع النبات، لو شاء لأخرج لهم ذلك كله بمرة واحدة في وقت واحد، لكنه أنشأ لهم بالتفاريق ليذكّرهم[7] النظر في آياته وتدبيره، ليكون[8] ذلك لهم[9] أدعى إلى المرغوب وأحذرَ للمرهوب. وكذلك ما ردد من الأنباء والقِصص والمواعيد وذكرِ الجنة والنار في القرآن في غير موضع لِيَبعثهم ويَحُثّهم على النظر في آياته وتدبيره ويرغبّهم في كل[10] وقت في المرهوب ويحذرهم عن المحذور والمرهوب.

---

[1] ن - نعمه.
[2] سورة النحل، ٥٨/١٦.
[3] ن: تستمتعونهن.
[4] ن + أزواجا.
[5] ك: فيهم.
[6] ع م: وتتقلبهم.
[7] ن ع م: ليذكر لهم.
[8] ع + وليكون.
[9] ك: لهم ذلك.
[10] م - وقت.

ثم قوله: **[والله] جعل لكم من أنفسكم أزواجا**، وقال في آية أخرى: قُوا أَنْفُسَكُمْ،[1] [وأراد حقيقة الأنفس]،[2] وقال: وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ،[3] ونحوه، ذكر الأنفس في كله. ثم لم يفهم أهل الخطاب من هذا كله معنى واحدًا وشيئًا واحدًا، وإن كان في حق اللسان واللغة واحدا، لكنهم[4] فهموا في كلٍ غيرَ ما فهموا في آخر. فهذا يدل أنه لا يُفهَم الحكمةُ والمعنى في الخطاب بحقِ ظاهرِ اللسان واللغة، ولكن بدليل الحكمة المجعولة في الخطاب.[5] ومن اعتقد في الخطاب الظاهر حَسَمَ باب طلب الحكمة فيه والمعنى، لأنه يجعل المراد منه الظاهرَ.

وقوله عز وجل: **وجعل لكم من أزواجكم بنين وحَفَدَةً**، هو ما ذكرنا. **وحفدة**، اختلف فيه، قال بعضهم: الحفدة الخدم والمماليك.[6] وقال بعضهم: الحفدة ولد الولد. وقال ابن مسعود رضى الله عنه: الحفدة الأختان،[7] وروي عنه أنه قال: الحفدة الأصهار.[8] فالأصهار[9] والأختان عنده واحد. وقيل: الحفدة الأعوان والأنصار. يذكّرهم التناقض فيما يأنفون من البنات أن كيف يأنفون عنهن ومنهن يكون لهم[10] الأعوان والأنصار[11] والأختان في أمر الدنيا. وقال أبو عَوسَجَة: الحفدة بنو البنين. وقال أيضًا: الحفدة الأعوان، والحافد المجتهد في العبادة وفي العمل. تقول:[12] حفَد يحفِد، أي خدَم واجتهد.[13] وقوله:[14] «وإليك[15] نَسْعَى ونَحْفِد»،[16] أي نجتهد.

---

[1] ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة﴾ (سورة التحريم، ٦٦/٦).

[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤١و.

[3] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما﴾ (سورة النساء، ٤/٢٩).

[4] ع م: لكنه.

[5] «فهذا يدل أن الحكم غير متعلق بظاهر الخطاب بل بدليل الحكمة المجعولة في الخطاب.» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٤١و).

[6] م: المماليك.

[7] ع: الختان.

[8] انظر: *تفسير الطبري*، ١٤/١٤٤؛ و*تفسير القرطبي*، ١٠/١٤٣.

[9] ع م – فالأصهار.

[10] جميع النسخ: لكم.

[11] ك – يذكرهم التناقض فيما يأنفون من البنات أن كيف يأنفون عنهن ومنهن يكون لهم الأعوان والأنصار.

[12] ك ع م: يقول.

[13] ع: واجتهدوا.

[14] ع: في قوله.

[15] ع: وأولئك.

[16] انظر: *تفسير الطبري*، ١٤/١٤٧؛ و*تفسير القرطبي*، ١٠/١٤٣.

وقال القُتبي: «الحفدة، الخدم والأعوان، ويقال: هم[١] بنون وخَدَم.» وقال: «أصل الحفد[٢] مداركة الخَطْوِ والإسراع في المشي، وإنما يفعل[٣] ذلك الخدمُ، فقيل لهم حفدة، واحدها حافد[٤] [مثل كافر وكفرة]. ومنه يقال في دعاء الوتر: وإليك نسعى ونحفِد.»[٥] وقال أبو عبيد: وأصل الحفد العمل، وقال: ومنه الحرف في القنوت: نحفِد، أي نعمل.[٦] *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **ورزقكم من الطيبات**، قال بعضهم: **الطيبات**، الحلالات، وقال بعضهم: **الطيبات**، أي كل ما طاب ولان ولطُف. ورَزَق غيرَكم من الدواب والبهائم كلَّ ما خشُن وخبُث، يذكرهم مننه عليهم ونعمه[٧] ليستأدي[٨] بذلك شكره.

وقوله عز وجل: **أفبالباطل يؤمنون**، قال بعضهم: أفبالشيطان[٩] يصدّقون ويجيبونه إلى ما دعاهم من الأنَفة من البنات. **وبنعمة الله هم يكفرون**، أي هذه البناتُ لكم نعمة فكيف تكفرونها؟ وقيل:[١٠] **أفبالباطل يؤمنون**، أي أبالشيطان[١١] إلى ما دعاكم، **وبنعمة الله**، أي بمحمد يكفرون، أو بالإسلام أو بالقرآن. وقال أبو بكر الأصم: **أفبالباطل يؤمنون**، يقول: تُقِرّون بأنكم عبيد لأحجار تَذِلّون[١٢] لها وتعبدونها. **وبنعمة الله هم يكفرون**، يقول: وبما أنعم الله عليكم في أنفسكم وما خوّلكم[١٣] ورزقكم تكفرون به، وكان الشكر أولى بكم. *والله أعلم.*

---

[١] ع: لهم.
[٢] ك ع م: الحفدة؛ ع + وقال.
[٣] ع: فعل.
[٤] م: حافدة.
[٥] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٤٦-٢٤٧.
[٦] حَفَدَ يَحْفِدُ حَفْدًا وحَفَدانًا واحتفد: خفَّ في العمل وأسرع. وحَفَدَ يَحْفِدُ حَفْدًا: خَدَم. وإليك نسعى ونَحْفِدُ: أي نسرع في العمل والخدمة. قال أبو عبيد: أصل الحَفْد الخدمة والعمل. والحَفَدُ والحَفَدَة: الأعوان والخدَمة، واحدهم حافد (*لسان العرب*، «حفد»).
[٧] ع م + عليهم.
[٨] ك م: يستأدى.
[٩] ك ع م: أبالشيطان.
[١٠] ع: جميع النسخ: فقال؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤١و.
[١١] ن: بالشيطان.
[١٢] وتذلون.
[١٣] م: حولكم.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[٧٣]

وقوله: **ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السماوات والأرض شيئا**، فائدةً. ذكر هذا لنا -والله أعلم- لئلا نتبع بعض المخلوقين بأهوائنا ولا نَكِلَ[١] أمورَنا إلى من نعلم أنه لا يملك ضرًا ولا نفعًا ولا يستطيع شيئًا من الرزق، كما تبع أولئك في عبادة من يعلمون أنه لا يملك شيئًا ولا نفعًا ولا ضرًا فيُعبَد.[٢] يذكر سفهَهم في[٣] عبادتهم مَنْ يعلمون أنه لا يملك شيئًا من النفع والضر والرزق، لئلا نعمل نحن مثل صنيعهم بمن[٤] دون الله من المخلوقين.

ثم أختلف في قوله: **مالا يملك لهم رزقا من السماوات والأرض شيئًا**، قال الحسن: هو على التقديم، أي يعبدون من دون الله شيئًا لا يملك لهم ما ذكر. وقال بعضهم: يعبدون من دون الله، ما لا يملك لهم رزقا من السماوات والأرض ولا يستطيعون شيئًا. وقال بعضهم: يعبدون من دون الله، ما[٥] لا يملك لهم رزقا من السماوات والأرض ولا شيئًا.[٦]

﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٧٤]

فلا تضربوا لله الأمثال، أي لا تتخذوا لله أمثالا من الخلق وأشباها في[٧] ألوهيته وعبادته، أو لا تقولوا لله أن له أشباهًا وأمثالًا، أو يقول: فلا تجعلوا لله أمثالا في العبادة[٨] وأشباهًا في تسميتها آلهة على علم منكم أن ما يكون لكم إنما يكون[٩] بالله لا[١٠] بالأصنام التي تجعلونها أمثالا لله في العبادة والألوهية.[١١] وجائز أن يكون قوله:[١٢] **فلا تضربوا لله الأمثال**، أي فلا تضربوا لأولياء الله الأمثال، فإنه قد بين محل أوليائه ومكانهم.

---

[١] جميع النسخ + في.
[٢] جميع النسخ: فيعبدون.
[٣] ع م: من.
[٤] ك: ممن.
[٥] ن - ما.
[٦] ع + ولا يستطيعون.
[٧] ع: وفي.
[٨] ك ن + له.
[٩] ع: يكونوا.
[١٠] ع - لا.
[١١] ع: وألوهية.
[١٢] ع م - قوله.

وقوله عز وجل: **إن الله يعلم**، أن لا مثل له من الخلق ولا شِبه وأنتم لا تعلمون ذلك، أو **إن الله يعلم** بمصالحكم وأنتم لا تعلمون ما به صلاحكم وهلاككم.

﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ اَلْحَمْدُ لِلهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٧٥]

وقوله عز وجل: **ضرب الله مثلا عبدًا مملوكًا لا يقدر على شيء / ومن رزقناه منا رزقا** [٤١٣و] **حسنًا فهو ينفق منه سرا وجهرًا**، ضرب المثل بهذا من وجهين. أحدهما أن من لا يقدر ولا يملك أن ينفق في الشاهد عندكم ليس كمن يملك ويقدر أن ينفق، فهو كقوله: هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ،[١] وقوله:[٢] مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ،[٣] أي ليس يستوي البصير والأعمى ولا[٤] الأصمّ[٥] والسميع، فعلى ذلك لا يستوي من يملك الإنفاق والإنعام على الخلق وهو المعبود الحق[٦] ومن[٧] لا يملك ذلك وهو المعبود الباطل.

والثاني ضَرَب مثلَ المؤمن والكافر، إن الكافر لا ينفق ما أنعم عليه[٨] من[٩] المال في طاعة الله ولا في خيراته،[١٠] والمؤمن ينفق جميع ما أُنعِم عليه وأُعطِي[١١] في طاعة الله وخيراته. فليسا بسواء: من أنفق في طاعة الله كمن لا ينفق شيئًا. أحدهما يكون ضَرْبَ مثلِ الإله الحق والمعبود الحق[١٢] بالمعبود الباطل، والثاني [يكون ضَرْبَ] مثلِ المؤمن بالكافر.

ثم في الآية وجوه من الدلائل. أحدها أن القدرة لا تفارق الفعل[١٣] حيث قال: **عبدًا مملوكا لا يقدر على شيء**، ثم قال: **ومَنْ رَزقناه منا رزقا حسنًا فهو ينفق منه**، جعل مقابل الفعل القدرةَ؛

---

[١] ﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور﴾ (سورة الرعد، ١٦/١٣).
[٢] ن ع م: وكقوله.
[٣] ﴿مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون﴾ (سورة هود، ٢٤/١١).
[٤] ع – ولا.
[٥] ع: والأصم.
[٦] ع: الخلق.
[٧] جميع النسخ: كمن.
[٨] ك: على.
[٩] ع م: عن.
[١٠] ن – وفي خيراته.
[١١] ك – وأعطي.
[١٢] ع: الخلق.
[١٣] ك: العقل. "القدرة لا تفارق الفعل،" أي القدرة لا توجد قبل الفعل، كما تزعم المعتزلة، بل تكون مع الفعل يخلقها الله تعالى في العبد إذا أراد العبد أن ينجز الفعل.

فلو كانت تفارق الفعل[1] لكان ذكر مقابل القدرة قدرةً[2] مثلَها [و]مقابل[3] الفعل فعلا مثله، فلما ذكر[4] مقابل القدرة الفعلَ[5] دل[6] أنها لا تفارق الفعل.

و[الثاني] فيه أن[7] العبد لا يملك حقيقة[8] الملك حيث ذكر: **عبدًا مملوكا لا يقدر على شيء**، وإن قدر ما[9] يملك إنما يملك بإذن من له الملك. وكذلك الخلائق كلهم لا يملكون حقيقة الإملاك، إنما حقيقة الملك في الأشياء لله، وإن قَدْرَ ما يملكون إنما يملكون بالإذن على قدر ما أُذن لهم.

و[الثالث] فيه أن العبد لا يملك الإنفاق والتصدق حيث قال: **عبدًا مملوكا لا يقدر على شيء**، ثم قال فيمن يملك: **ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق**، دل أنه لا يملك العبد الإنفاق والهبة.

وقوله: **ومن رزقناه منا**،[10] أي مِن أوليائنا،[11] أو مِن أولياء ديننا، وذلك جائز شائع[12] في اللغة. وقوله عز وجل: **هل يستوون الحمد لله**، قال بعضهم: ذكر الحمد لله على أثر ما ذكر، لأنه عرّف رسوله النعم وأنواع المنافع ثم عرفه على أثر ذلك الحمدَ لله. وقال بعضهم: **الحمد لله** ثناء، أخبر أن أكثرهم لا يعلمون حمد الله وثناءه.

ثم قوله: **لا يعلمون**، يحتمل نفي العلم عنهم لما لم ينتفعوا بما علموا، أو على حقيقة النفي لما لم ينظروا في الآيات والحجج ولم يتأملوا فيها فلم يعلموا. *والله أعلم*.

﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٧٦]

وقوله عز وجل: **وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كَلٌّ على مولاه**،

---

[1] ن – الفعل حيث قال عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ثم قال ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه جعل مقابل الفعل القدرة فلو كانت تفارق الفعل.

[2] ع م – قدرة.

[3] ك ن ع: أو مقابل.

[4] ك ع: ذكروا.

[5] « أعني قوله: ﴿رَزَقْنَاهُ﴾» (من *الشرح*، ورقة ٤٤١ظ).

[6] ع م – دل.

[7] ن + ان.

[8] م + حقيقة.

[9] ع: مما.

[10] ك + رزقا.

[11] ن: من أولئك.

[12] ن ع م: سائغ.

إلى آخر[١] الآية، قالوا: هذا المثل كالأول يحتمل الوجهين اللذين ذكرناهما في الأول. أحدهما المؤمن والكافر، شبّه الكافر[٢] بالمملوك الأبكم الذي لا يقدر على شيء وهو كَلٌّ على مولاه لا يأتي المولى بخير ولا ينتفع به. وشبه المؤمن بالذي يأتي المولى بكل خير ونفع. يقول: هل استوى هذا مع هذا عندكم؟ لا يستوي. فعلى ذلك لا يستوي الكافر الذي لا يعمل شيئًا من طاعة الله ولا يأتي بخير المؤمنَ[٣] الذي يعمل كل طاعة الله ويأتي بكل خير ويأمر[٤] بكل عدل.[٥]

والثاني ضَرَب[٦] مثل الإله المعبود الحق بالمعبود[٧] الباطل، يقول: هل يستوي من آتاكم بكل نعمة وكل خير ويأمر بكل عدل بمن[٨] هو أبكم لا يقدر على شيء ولا يضر ولا ينفع ولا يجيب وهو عِيال على من يعبده ويخدمه، هل يستوي هذا مع ذلك؟ لا يستويان مثلا البتّة، غير أن المَثَل ههنا ضَرَب بالذي لا ينطق بالحق ولا يأمر بالعدل الذي يأمر بالعدل[٩] ذكر مقابل الأبكم الذي لا[١٠] يأمر بالعدل، وفي الأول ضَرَب المثَلَ الذي لا يملك الإنفاق بالذي يملك الإنفاق.

وقوله عز وجل: **وهو على صراط مستقيم**، أي هو على الحق المستقيم، وهو المعبود بالحق.

قال أبو عَوسَجَة: الكَلّ العيال، وكذلك قال غيره من أهل الأدب. وقال بعضهم: الكَلّ الفقير، وهو واحد. والأبكم[١١] الأخرس[١٢] وهو[١٣] الذي لا ينطق البتة. وقالوا:[١٤] **ومن يأمر بالعدل**، بالتوحيد.

---

[١] ك - إلى آخر، صح هـ.
[٢] م - الكافر.
[٣] ع م: والمؤمن.
[٤] ن: ويأمن.
[٥] ع م + ممن هو أبكم.
[٦] ع + ضرب.
[٧] ع - الحق بالمعبود.
[٨] ع م: ممن.
[٩] ك - الذي يأمر بالعدل.
[١٠] ك ن ع - لا.
[١١] ع - والأبكم.
[١٢] ع: والأخرس.
[١٣] ك - وهو.
[١٤] ك: وقال.

﴿وَلِلّٰهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللّٰهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٧٧]

وقوله عز وجل: **ولله غيب السماوات والأرض**، هذا يحتمل وجوها. أحدها ما ذكر أهل التأويل من السؤال عن الساعة وعن وقتها، كقوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[١] لخفائها على أهلها، لأن كل خفي [على المرء] ثقيل [عليه].[٢] أخبر أنه **لا يجليها لوقتها [إلا هو]**، فوقت قيامها لا يعلمه غيره.

والثاني ولله علم ما غيّب أهلُ السماوات والأرض،[٣] أي ما غيّب بعضهم من بعض، فذلك ليس بمغيَّب عن الله؛ بل ما غاب عن الخلق وما ظهر لهم فذلك لله، كلُّه ظاهر بمحل واحد، وهو كقوله: يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ.[٤]

والثالث قوله: **ولله غيب السماوات والأرض**، أي له علم ما[٥] في سِرِّيَّة هذه الأشياء الظاهرة ما لا سبيل للخلق إلى علم ذلك وإن كانوا يعلمون[٦] هذه الأجسام والأشياءَ الظاهرة وتقع[٧] حواسهم عليها، لا يعلمون ما في سريتها مِن نحو الماء الذي أخبر أنه[٨] به[٩] حياة كل شيء، لا يدركون المعنى الذي به حياة كل شيء،[١٠] ونحوِ النطفة التي يخلق[١١] منها[١٢] الإنسان، لا يعلمون المعنى الذي به يصير إنسانا، ومِن نحو السمع والبصر والعقل؛ يعلمون ويرون[١٣] ظواهر الحواس ولكن لا يدركون المعنى الذي به يَسمع وبه يُبصر وبه[١٤] يَعقل ويفهم.

---

[١] ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حَفِيٌ عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (سورة الأعراف، ١٨٧/٧).

[٢] الزيادتان من *الشرح*، ورقة ٤٤١ظ.

[٣] ع + وأهل الأرض.

[٤] ﴿سورة النحل، ١٩/١٦.

[٥] ع – ما.

[٦] ع م – يعلمون.

[٧] ن ع م: ويقع.

[٨] ع م – أخبر أنه.

[٩] ن – به.

[١٠] ع م – لا يدركون المعنى الذي به حياة كل شيء.

[١١] ع: تخلق.

[١٢] ع م: منه.

[١٣] ن ع م: ويريدون.

[١٤] ك: ويبصر به.

يقول: -والله أعلم- ولله علم ما غاب عن[1] الخلق ما في هذه الأشياء الظاهرة والأجسام المرئية.
/ أو يقول: ولله مُلكُ ما غاب عن أهل السماوات وأهل الأرض[2] ومُلكُ ما لم يغب عنهم وظهر، [٤١٣ظ] فيكون كقوله: وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[3] كأنه قال: -والله أعلم-[4] ولله العلم الذي غُيِّب عن أهل السماوات وأهل الأرض وهي الساعة، لم يُطلع عليها غيره.

وقوله: **وما أمر الساعة إلا كلمح البصر**، قال بعضهم: قوله:[5] **وما أمر الساعة**، أي أمر الساعة[6] أهون على الله وأيسر من لمح البصر؛ إذ ليس شيء أيسر وأهون على الإنسان من لمح البصر لأنه يَلمَح البصر وهو[7] لا يشعر.[8]

أو هو أقرب، أي[9] بل هو أقرب، أي أيسر من لمح البصر. وقال الحسن: إعادة الخلق على الله أيسر وأهون من لمح البصر، لأنه يَلمح بصره فيُبصر به بلحظة ما بين الأرض إلى السماء[10] وهو مسيرة خمسمائة عام يقول: من قدر أن ينشئ في خلق من خلائقه ما يبصر[11] بلمحة[12] البصر مسيرة خمسمائة عام لقادر على إعادة الخلق وبعثهم بعد الفناء. بل هو أقرب، أي إعادته[13] إياهم أسرع وأقرب من لمح البصر، إلى هذا يذهب الحسن.

وقال بعضهم: **وما أمر الساعة**، أي ما وقت قيام الساعة إلا لمح البصر؛ أي ليس بين وقت قيامها وبين كونها إلا لمح البصر، بل هو أقرب من لمح البصر. لكنه مَثَّل لمح البصر لِما ليس شيء عند الناس أسرعَ وأهونَ من لمح البصر، لِما ذكرنا أنه يلمح ولا يشعر به لسرعته ولخفته عليه. فذكر هذا على التمثيل، ليس على إرادة حقيقة الوقت بقدر لمح البصر

---

[1] ن - الحواس ولكن لا يدركون المعنى الذي به يسميع وبه يبصر وبه يعقل ويفهم يقول والله أعلم ولله علم ما غاب عن.
[2] ع م: والأرض.
[3] سورة آل عمران، ١٨٩/٣.
[4] ن - كأنه قال والله أعلم.
[5] ن - قوله.
[6] ع م - أي أمر الساعة.
[7] ك - إذ ليس شيء أيسر وأهون على الإنسان من لمح البصر لأنه يلمح البصر وهو.
[8] ك ع م - لا يشعر.
[9] ك - أي.
[10] ك: السماء إلى الأرض.
[11] ع م: يبصره.
[12] ك: بلمح.
[13] ك: إعادتهم.

ولكن على المبالغةِ في السرعة وذِكرِ أقصى ما يقع في الأوهام ويُتصوَّر، من نحو ما قال: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ،[1] وما قال: مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ،[2] وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً،[3] وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا،[4] وأمثاله، كله[5] يذكر على التمثيل ليس على التحقيق. أي ما يَعمل من قليل أو كثير يره شرا كان أو خيرا، وكذلك لا يُظلَمون فتيلاً ونقيرًا، أي لا يظلمون شيئًا، وكذا مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ، أي لا يملكون شيئًا، لأن القطمير لا يملك؛ فإنما يذكر هذا وأمثاله على التمثيل الذي ذكرنا، أو أن يكون تأويل قوله: **وما أمر الساعة إلا كلمح البصر**، أي ليس ما بين الساعة[6] وبينكم مما مضى من الوقت إلا قدر[7] لمح البصر، أي لم يبق من وقت قيامها مما مضى إلا ما ذكر[8] من لمح البصر أو أقرب مما ذكر على الاستقصار مما بقي.

إن الله على كل شيء قدير، من[9] البعث[10] والإعادة، وهو على[11] كل شيء قدير[12] لا يعجزه شيء. وظاهر الآية ينقض على المعتزلة قولهم لإنكارهم خلق أفعال العباد، لأنه أخبر أنه على كل شيء قدير، وعلى قولهم: هو غير قادر على ألف ألف شيء.

﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٧٨]

وقوله عز وجل: **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئًا**، يذكر بهذا قدرته وسلطانه على ما سبق من ذكر سرعة القيامة والعلم بها والحكمة التي جَعَل في البعث فقال:

---

[1] سورة الزلزال، ٩٩/٧-٨.

[2] ﴿ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾ (سورة فاطر، ١٣/٣٥).

[3] ﴿ألم تر إلى الذين يُزكّون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يُظْلَمون فتيلا﴾ (سورة النساء، ٤٩/٤). ع + ولا يظلمون فتيلا.

[4] ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا﴾ (سورة النساء، ١٢٤/٤).

[5] ن – كله.

[6] ن: السماء.

[7] ع م: وقد.

[8] ع م: ذكرنا.

[9] ع م: وعلى.

[10] ن + قدير.

[11] ك ع م: وعلى.

[12] ك ع م – قدير.

والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا، خلق الولد في ظلمات ثلاث،[١] وجعل غذاءه بغذاء الأمهات وبقواهن، ثم[٢] تقلُّبه في تلك الظلمات من حال إلى حال ما لو اجتهد الخلائق أن يعلموا اغتذاءه[٣] بغذاء الامهات وتقلّبه[٤] من حال إلى حال ومن جوهر إلى جوهر ما قدروا على ذلك. فيدل هذا على أن من[٥] قدر على هذا وعلم هذا في تلك الظلمات لقادر[٦] على البعث وإعادة الخلق بعد الفناء، وَعَلِم ما غاب عن الخلق. أو يذكر[٧] ابتداء أحوالنا أنه[٨] أخرجنا من بطون أمهاتنا ونحن لا نعلم شيئًا، ثم[٩] صيّرنا بحال صرنا عالمين أشياء؛ يذكرنا نعمه ومننه علينا في بلوغنا إلى الأحوال التي صرنا إليها بعد ما كنا ما ذكر. والثاني يذكرنا أنكم كنتم بالحال التي ذكر لنعلم أنه صيّرنا في البطون بلا استعانة بأحد منا ولا عون من أحد[١٠] [إليه]. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة**، فمن قدر على جعل السمع حتى يَسمع الأصواتَ ويُميّز[١١] بينها، [جعل البصر] ليبصر[١٢] ويميز[١٣] بين ألوان الأجسام، والفؤادِ لِيفهم ويعقل ما له وما عليه، مما لا[١٤] يدركون ماهية[١٥] ما به يسمعون ويبصرون ويعقلون وما به يميزون بين ما ذكرنا، فمن قدر على إنشاء هذا قدر على إنشاء[١٦] الخلق بعد الفناء والإعادة بعد الموت. ثم ذكر على أثر قوله: **لا تعلمون شيئًا**، السمع والبصر والأفئدة،

---

[١] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون﴾ (سورة الزمر، ٦/٣٩).

[٢] ع: في.

[٣] م: اغتداه.

[٤] ن ع م: وتقليبه.

[٥] ع م: ما.

[٦] جميع النسخ: لقدر؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٢و.

[٧] ك ع م: ويذكرنا.

[٨] م - أنه.

[٩] ع - ثم.

[١٠] جميع النسخ: منه إلى أحد؛ والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٤٤٢و.

[١١] ع م: وتميز.

[١٢] جميع النسخ: ويبصر.

[١٣] ع م: وتميز.

[١٤] جميع النسخ: ما لا.

[١٥] جميع النسخ: مائية؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٢و.

[١٦] ع م - هذا قدر على إنشاء.

فذلك يدل على أن هذه الأشياء من أسباب العلم بالأشياء، بها يوصل إلى العلم بالأشياء، فمن أعطى أسباب العلم بالشيء فكان قد أعطى له العلم به. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **لعلكم تشكرون**، هو[1] حرف شك في الظاهر، ذكر -والله أعلم- لأنه لا كُلُّ الناس يشكرون نعمه، أو لكي يُلزمهم الشكرَ.

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٧٩]

وقوله عز وجل: **ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله**، أي من قدر على إمساك الطير وهي أجسام كغيرها من الأجسام في الهواء[2] بلا إعانة من الأسفل[3] ولا تعلق بشيء من الأعلى لقادر على إنشاء الخلق وإعادتهم بعد الفناء. أو يقول: أو لم يروا إلى اللطف الذي جَعل في الطير والحكمة التي أنشأ فيها حتى قدرت على الاستمساك في الهواء والطيران في الجو ما لو اجتمع الخلائق جميعًا أن يدركوا[4] ذلك اللطف أو تلك الحكمة ما قدروا على إدراكه. وفي ذلك نقض قول المعتزلة لأن الطيران فعل الطير، ثم أضاف ذلك إلى الله حيث قال: **ما يمسكهن إلا الله**، دل ذلك أن لله في ذلك[5] صنعا وفعلاً.[6]

وقوله عز وجل: **إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون**، جميع ما ذَكَر يكون آية لمن آمن لأنه هو المنتفع.

[٤١٤و] قال أبو عَوسَجَة: / لمح البصر، سرعة النظر، وجو السماء، هواءها، ويقال: بطن السماء، ويقال: جوف السماء، ويقال: الجو ما اطمان من الأرض، والأول أشبه.

﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾[٨٠]

وقوله عز وجل: **والله جعل لكم من بيوتكم سكنًا**، ظاهر هذا أنه قد جعل لنا من البيوت أيضًا ما ليس بسكن لأنه قال: **جعل لكم من بيوتكم سكنا**، وهو ما ذكر في قوله:

---

[1] م – هو.
[2] ن: في الهوى.
[3] ك: من أسفل؛ ن ع م: في الأسفل.
[4] ع م: يدركوه.
[5] ك: في ذلك لله.
[6] ك: فعلا وصنعا.

لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَنْ تَدۡخُلُوا بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٍ،[١] وهو كالمساجد والرباطات وغيرها. ويشبه أن يكون ذَكَر هذا ليعرفوا عظيم منته[٢] ونعمه[٣] حيث جعل الأرض بمحل يَتقِرّون عليها ويمكن لهم المُقام بها بالرواسي التي ذكر أنه أثبت فيها بعدما كانت تميد بهم ولا تقر[٤] بها،[٥] أخبر أنه جعل[٦] فيها رواسي. أو أن يكون حرف "مِن" صلة، أي جعل لكم بيوتا تسكنون فيها.

ثم قوله: **جعل لكم من بيوتكم سكنا،** يحتمل وجهين. أحدهما أي سخر لكم الأرض حتى قدرتم على اتخاذ المساكن فيها، تسكنون فيها. أو جعل لكم بيوتا، أي علمكم[٧] ما تبنون فيها من البيوت ما لولا تعليمه إياكم ما تقدرون على بناء البيوت فيها، يذكر منته[٨] عليهم. *والله أعلم.*

وفي هذه الآيات[٩] في قوله: **جعل لكم من بيوتكم سَكَنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا،** ونحوه دلالة نقض قول المعتزلة، لأنه ذكر أنه جعل بيوتا سكنًا، والسكن فعل العباد، دل أن لله في فعلهم صنعًا،

وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا، قال أهل التأويل: **جعل لكم من جلود الأنعام،** أي من[١٠] صوفها، لكنه أضافها[١١] إلى الجلود لِما من الجلود يخرج ومنها يُجَزُّ[١٢] ويؤخذ. وهو ما ذكر: **ومن أصوافها،** وهو صوف الغنم، **وأوبارها،** وهو[١٣] صوف الإبل، **وأشعارها،** ما يخرج من المعز.

---

[١] ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ (سورة النور، ٢٤/٢٩).

[٢] ع + هو.

[٣] ع: نعمه.

[٤] ك: يقر.

[٥] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وألقى في الأرض رواسيَ أنْ تَمِيدَ بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون﴾ (سورة النحل، ١٦/١٥).

[٦] ع م – جعل.

[٧] ع م + تسكنون فيها ثم قوله جعل لكم من بيوتكم سكنا يحتمل وجهين أحدهما أي سخر لكم الأرض حتى قدر تم على اتخاذ المساكن فيها تسكنون فيها أو جعل لكم بيوتا أي علمكم.

[٨] م: منته.

[٩] ع: الآية.

[١٠] ع – من.

[١١] ك ن: أضاف.

[١٢] ع: يجر.

[١٣] ن: وهي.

[٤١٤و س٣٥ **يَوْمَ ظَعْنِكُمْ**، قيل: يوم سفركم وسيركم. *وقال أبو عوسجة: **يوم ظعنكم**،[1] يوم سيركم، [يقال]:[2] ظعَن يظعَن: سار.* **ويوم إقامتكم**، قال بعضهم: [يوم إقامتكم][4] في المصر، وقال بعضهم:[5] في السفر ٤١٤و س٣٥] حين النزول. و"الجعل" في هذا يحتمل الوجهين اللذَين ذكرنا[6] في قوله: **جعل لكم من بيوتكم سكنا**؛ أحدهما على التسخير لهم، والثاني على التعليم. ذكر عز وجل في البيوت المتخذة من المدر[7] السكنى حيث قال: **من بيوتكم سكنا**،[8] ولم يذكر في البيوت المتخذة من الجلود والأوبار والأشعار، فكأنه ترك ذكره في هذا لذكره[9] في الأول؛ أو ذَكَر في الأول[10] ذكرَ تصريح، وذكر في الثاني ذكرَ دلالة.

وقوله عز وجل: **أثاثا**، قيل الأثاث والرياش واحد وهو المال. وقيل: ما يتخذ[11] من الثياب والأمتعة. وقوله عز وجل: **ومتاعًا إلى حين**، يحتمل **إلى حين**، إلى وقت بِلى[12] ذلك الأثاث، أو **إلى**[13] **حين**، وقت فنائهم.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾[٨١]

وقوله عز وجل: **والله جعل لكم مما خلق ظلالا**، يحتمل قوله: **ظلالاً**، البيوت التي ذكر [٤١٤و س٣٥ وهي تُظلّهم، ويحتمل الأشجار. *والسرابيل، القُمُص.[14] يقول: تَقِيكم، أي تستركم. وقال ٤١٤و س٣٦] القُتبي: **ظلالا**، أي ظلال الشجر والجبال.*

وجعل لكم من الجبال أكنانا، وهي الغِيران والبيوت التي تتخذ في الجبال تَقِيهم عن الحر والبرد.

---

[1] ك ن + يقول.
[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٢ظ.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٨٣، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤١٤و/سطر ٣٥.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٢و.
[5] م – في المصر وقال بعضهم.
[6] ك: ذكرها.
[7] ك: الوبر؛ م: المدار.
[8] ن – أحدهما على التسخير لهم والثاني على التعليم ذكر عز وجل في البيوت المتخذة من المدار السكنى حيث قال من بيوتكم سكنا.
[9] ع: الذكر.
[10] ع م – أو ذكر في الأول.
[11] ع: تتخذ.
[12] ع م: بل. وبَلِيَ الثوبُ يَبْلَى بِلًى وبَلاء: رثّ وفني (*لسان العرب*، «بلا»).
[13] ع: أولى.
[14] ع م: القميص.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٨٣، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤١٤و/سطر ٣٥-٣٦.

وجعل لكم سرابيل، قيل القُمُص[١] والدروع. ثم ذكر أن ما ذكر من البيوت والأكنان والسرابيل تقيكم الحر وتقيكم بأسكم،[٢] أيضًا [أي] بأس العدو. **كذلك يُتمّ نعمته عليكم**،[٣] ما ذكر من أنواع النعم.

وقوله عز وجل: **وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر**، ذكر أنها تقي من الحر وهي تقي الحر[٤] والبرد جميعًا، فكان في ذكر أحدهما ذكرُ الآخر ذكرَ كفاية.

وقوله: **كذلك يتم نعمته عليكم**، أي كذلك يتم ذكر[٥] نعمته عليكم ليُلزمكم[٦] الإسلام[٧] أو حجته. ثم يحتمل النعمة ما تقدم ذكره، ويحتمل الرسول.

وقوله عز وجل: **لعلكم تُسلمون**؛ جميعُ ما ذكر من النعم والآيات في هذه السورة من أولها إلى آخرها إنما ذكر لهذا الحرف، وهو قوله: **لعلكم تسلمون**، وما ذكر: لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ،[٨] ولَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ،[٩] يحتمل[١٠] أن يكون هذه الأحرف كلها واحدًا، ويحتمل أن يكون لكل حرف من ذلك معنى غير الآخر. *والله أعلم.*

[٤١٤و س٣٦ * وقوله: **كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون**، هذا -والله أعلم- في قوم علم الله أنهم يؤمنون بما ذكر لهم من أنواع النعم والإفضال ليعلم أن الإسلام من أعظم نعم الله لا يناله[١١] أحد إلا بنعمته. وقال بعض أهل التأويل: سميت سورة النحل سورة النعم لِما فيها من ذكر النعم وأنواع منافع الخلق من أولها إلى آخرها.* ٤١٤و س٣٨]

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[٨٢]

وقوله عز وجل: **فإن تولوا**، عن الإجابة لك وعما تدعوهم إليه، **فإنما عليك البلاغ المبين**، أي ليس عليك إجابتهم، إنما عليك التبليغ إليهم والبيان لهم.

---

[١] ع م: القميص.
[٢] ن ع م - بأسكم.
[٣] ك + على.
[٤] م - وهي تقي الحر.
[٥] ع م - ذكر.
[٦] جميع النسخ: ليلزمهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٢ظ.
[٧] ع: الإيمان.
[٨] سورة النحل، ١٤/١٦، ٧٨.
[٩] سورة النحل، ١٥/١٦.
[١٠] ع: ويحتمل.
[١١] ن: ينال.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٨٣، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤١٤و/سطر ٣٦-٣٨.

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾[٨٣]

وقوله[١] عز وجل: **يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها**، تحتمل[٢] النعمة ههنا محمدا صلى الله عليه وسلم، كانوا يعرفونه لكنهم أنكروه، كقوله: يَعْرِفُونَهُ[٣] كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ،[٤] وما ذكر: يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ.[٥] وتحتمل[٦] **نعمة الله**،[٧] ما ذكر [من النعم][٨] عرفوا[٩] أنها من الله. **ثم ينكرونها**، بعبادتهم الأصنام وصرفهم شكرها إلى غيره، كقوله: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ،[١٠] مع ما يعرفون أن الله هو خالقهم وأنّ ما لهم كلّه من عند الله يعبدون الأصنام فتكون عبادتهم دون الله كفران نعمة الله.[١١]

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾[٨٤]

وقوله عز وجل: **ويوم نبعث من كل أمة شهيدًا**، قال بعضهم: شهيدها أن يشهد عليهم من نحو ما ذكر من شهادة / جوارحهم عليهم، وهو قوله: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم، الآية،[١٢] وقوله: شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ، الآية،[١٣] وقوله: يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا،[١٤] ونحو ذلك من الآيات التي فيها ذكرُ الشهادة عليهم عند إنكارهم أعمالَهم التي[١٥] عملوها. وقال بعضهم: شهيدها رسولها الذي بعث إليهم، يشهد[١٦] عليهم أنه قد بلّغ إليهم رسالات ربهم، [٤١٤ظ]

---

[١] ن – وقوله.
[٢] ن ع م: يحتمل.
[٣] ع م – لكنهم أنكروه كقوله يعرفونه.
[٤] ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٤٦).
[٥] ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٥٧).
[٦] جميع النسخ: ويحتمل.
[٧] جميع النسخ + يعرفون نعمة الله وهو؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٢ظ.
[٨] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٢ظ.
[٩] جميع النسخ + عرفوها؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٢ظ.
[١٠] سورة الزخرف، ٤٣/٨٧.
[١١] وقع هنا مقطع من تفسير الآيات السابقة برقم ٨٠–٨١، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤١٤و/سطر ٣٥–٣٨.
[١٢] ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ (سورة النور، ٢٤/٢٤).
[١٣] ﴿حتى إذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون﴾ (سورة فصلت، ٤١/٢٠).
[١٤] سورة الزلزال، ٩٩/٤.
[١٥] ن – فيها ذكر الشهادة عليهم عند إنكارهم أعمالهم التي.
[١٦] ن: تشهد.

وهو كقوله: وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ،[١] والنذير هو الرسول المبعوث إليهم. وهو ما ذكر أيضًا: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ،[٢] وكقوله: وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا،[٣] وقال: وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا.[٤] أخبر أنه يجيءُ[٥] بمحمد صلى الله عليه وسلم شهيدًا على أولئك أن الرسل قد بلّغوا الرسالة إليهم، وهو ما ذكر: فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ،[٦] وقوله: يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ، الآية،[٧] وقوله: وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ.[٨] يسأل الرسل عن تبليغ الرسالة إلى قومهم ويسأل قومهم عما أجابوا الرسل، إلى هذا يذهب بعض أهل التأويل. *والله أعلم*.

جميع ما ذكر في القرآن من مجيئه وإتيانه[٩] ونحوه جائز أن يكون ذلك البعث،[١٠] [و]تفسير ذلك كله قوله: [ويوم] **نبعث من كل أمة**، كذا؛ من ذلك قوله:[١١] وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ؛[١٢] هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ،[١٣] وقوله: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ،[١٤] فهو البعث. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ثم لا يؤذَن للذين كفروا**، قال[١٥] الحسن: لا يؤذن لهم بالاعتذار لأنه لا عذر لهم، وهو ما قال: هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ، وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ،[١٦] لأنه لا عذر لهم،

---

[١] ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ (سورة فاطر، ٣٥/٢٤).

[٢] فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ (سورة النساء، ٤/٤١).

[٣] سورة البقرة، ٢/١٤٣.

[٤] سورة النساء، ٤/٤١.

[٥] ع: تجيء.

[٦] سورة الأعراف، ٧/٦.

[٧] ﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أُجبتُم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب﴾ (سورة المائدة، ٥/١٠٩).

[٨] ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾ (سورة القصص، ٢٨/٦٥).

[٩] ن ع م: وإنبائه.

[١٠] أي لا يجيئ الرب ذاته ولا يأتي، بل يبعث شهيدا يشهد عليهم.

[١١] ع م: وقوله.

[١٢] ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ (سورة الفجر، ٨٩/٢٢).

[١٣] ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظُلَلٍ من الغمام والملائكة وقُضي الأمر وإلى الله تُرجَع الأمور﴾ (سورة البقرة، ٢/٢١٠).

[١٤] ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ (سورة النساء، ٤/٤١).

[١٥] جميع النسخ: وقال.

[١٦] سورة المرسلات، ٧٨/٣٥-٣٦.

واعتذارهم لا ينفع لهم شيئًا؛ إذ اعتذارهم من نحو قولهم: رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا،[١] وقولهم: لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ،[٢] ونحو هذا مما لا ينفعهم ذلك فلا يؤذن لهم لذلك. **ولا هم يُسْتَعْتبون**، قال الحسن: ولا هم يُقالون،[٣] وكذلك قال في قوله: وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ،[٤] أي من الْمُقالِين، أي لا يقالون عما كان منهم. وقال بعضهم: **لا يؤذن لهم**، ولا يمكن لهم من التوبة والرجوع عما كانوا، لأن ذلك الوقت ليس هو وقت التوبة والرجوع، كقوله: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللّٰهِ وَحْدَهُ، الآية، وقال: فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ،[٥] ونحوه. **ولا هم يستعتبون**، العتاب في الخلق هو[٦] تذكير ما كان من الفرط ليرجع عما كان منه، وذلك في الآخرة لا يُحتمَل. ويحتمل قوله: **ثم لا يؤذن للذين كفروا**، أي[٧] لا يؤذن لهم بالكلام، كقوله: [قَالَ] اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ،[٨] أو لا[٩] يؤذن للشفعاء أن يشفعوا للذين كفروا، ويؤذن للشفعاء أن يشفعوا للمؤمنين.

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾[٨٥]

وقوله عز وجل: **وإذا رأي الذين ظلموا العذاب**، أي وقعوا فيه، دليله ما ذكر: **فلا يخفف عنهم**، دل هذا أنه لم يرِد به رؤية العذاب ولكن الوقوع فيه. **فلا يخفف عنهم**، لأنه يدوم ولا تخفيف مما يدوم عن[١٠] العذاب. **ولا هم ينظرون**، أي يمهلون من العذاب. والثاني لا يخفف عنهم عما[١١] استحقوا[١٢] واستوجبوا، أو ما ذكرنا أنه لا يكون لعذابهم انقطاع.

---

[١] ﴿قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار﴾ (سورة الأعراف، ٣٨/٧).

[٢] ﴿ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يَرجع بعضهم إلى بعض القولَ يقول الذين استُضْعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾ (سورة سبأ، ٣١/٣٤).

[٣] يقال: أقال الله عَثرَته بمعنى الصفح عنه (*لسان العرب*، «قيل»).

[٤] ﴿فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين﴾ (سورة فصلت، ٢٤/٤١).

[٥] ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين. فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٨٤-٨٥).

[٦] ع م: وهو.

[٧] ع – أي.

[٨] سورة المؤمنون، ١٠٨/٢٣.

[٩] ع: ولا.

[١٠] ع م: من.

[١١] م + استخفوا.

[١٢] ع + واستحقوا.

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[٨٦]

وقوله عز وجل: **وإذا رأي الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك**، قال الحسن: قوله: **شركاءهم**،[١] أي قرناءهم وأولياءهم من الشياطين، كقوله: أُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ،[٢] الآية، وكقوله: وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ،[٣] الآية. وقوله: نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ،[٤] وقوله: وَيَوْمَ[٥] نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا،[٦] الآية، وقوله:[٧] **شركاءهم**، قرناءهم[٨] وأولياءهم[٩] الذين[١٠] كانوا لهم في الدنيا، فهم شركاؤهم الذين ذكروا.[١١]

وقوله:[١٢] **هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك**، على هذا التأويل: كنا ندعوك وإياهم من دونك. **فألقوا إليهم القول**، أي يقولون لهم: **إنكم لكاذبون**. وقال بعضهم: قولهم: **هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك**، الأصنام التي عبدوها، **فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون**، أي يكذبونهم، وهو ما ذكر: إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ،[١٣] يكذبونهم فيما قالوا ويخبرون أنهم كانوا غافلين عن عبادتهم.[١٤] وقال بعضهم: شركاؤهم الملائكة الذين عبدوهم، كقوله: وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ،[١٥] أخبروا أنهم إنما عبدوا الجن بأمرهم و لم يعبدوهم.

---

[١] ع م: شركاؤهم.

[٢] ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون﴾ (سورة الصافات، ٢٢/٣٧).

[٣] ﴿وقيضنا لهم قرناء فزيّنوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين﴾ (سورة فصلت، ٢٥/٤١).

[٤] ﴿ومَن يَعشُ عن ذِكر الرحمن نقيّض له شيطانا فهو له قرين﴾ (سورة الزخرف، ٣٦/٤٣).

[٥] ع م – ويوم.

[٦] ﴿ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون﴾ (سورة الأنعام، ٢٢/٦).

[٧] ك + قال، ن + وقال.

[٨] ع م – قرناءهم.

[٩] ع م: أولياؤهم.

[١٠] ك ع م – الذين.

[١١] جميع النسخ: الذي ذكر.

[١٢] جميع النسخ: وقولهم.

[١٣] ﴿فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين﴾ (سورة يونس، ٢٩/١٠).

[١٤] ن – عن عبادتهم.

[١٥] ﴿قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾ (سورة سبأ، ٤٠/٣٤–٤١).

أو يكون[1] شركاؤهم رؤساؤهم الذين انقادَ الاتباعُ لهم. ويحتمل[2] الأصنام وما ذكر. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون**، هو ما ذكرنا، يقولون لهم: **إنكم لكاذبون**، أو يكذبونهم فيما يزعمون ويدّعون.

﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[٨٧]

وقوله عز وجل: **وألقوا إلى الله يومئذ السلم**، أي يخضعون كلهم لله يومئذ ويخلصون له الدين ويسلّمون له الأمر والألوهية. **وضل عنهم ما كانوا يفترون**، أي بطل عنهم ما طمعوا بعبادتهم الأصنام والأوثانَ التي عبدوها من الشفاعة وغيرها، كقوله:[3] مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[4] وقولهم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[5] بطل عنهم ما طمعوا ورجَوا من عبادة أولئك من الشفاعة لهم والقربة إلى الله.

﴿اَلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾[٨٨]

وقوله عز وجل: **الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابًا فوق العذاب بما كانوا يفسدون**، قال بعضهم: هؤلاء كانوا رؤساء الكفرة وقادتهم ضلوا هم[6] بأنفسهم /وأضلوا أتباعهم، فلهم العذاب الدائم بكفرهم بأنفسهم وزيادة العذاب بإضلال غيرهم، [٤١٥و] وهو كقوله: لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ،[7] وكقوله: وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ،[8] الآية، أخبر أنهم يحملون أوزارهم وأثقالهم[9] وأوزار الذين أضلوهم ومنعوهم عن الإسلام، فعلى ذلك قوله: **زدناهم عذابًا فوق العذاب**، بما أضلوا أتباعهم وسعوا في الأرض بالإفساد، وهو قول أبي بكر الأصم.

---

[1] ن: ويكون.
[2] ك: وتحتمل.
[3] جميع النسخ: كقولهم.
[4] ﴿ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (سورة الزمر، ٣/٣٩).
[5] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٨/١٠).
[6] ع م: ضلوهم.
[7] سورة النحل، ٢٥/١٦.
[8] ﴿وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وَلَيُسْأَلُنّ يوم القيامة عما كانوا يفترون﴾ (سورة العنكبوت، ١٣/٢٩).
[9] ك – الآية أخبر أنهم يحملون أوزارهم وأثقالهم.

وقال بعضهم: إن عذابهم كلما أراد أن يفتُر بنضج الجلود زيدت لهم بتبديل الجلود نارُها، [و] كلما أرادت أن تخمد[١] زيد لهم سعيرًا، كقوله: بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا،[٢] وقوله: كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا،[٣] فذلك هو الزيادة في العذاب. ويحتمل غير هذا، وهو أن عذاب الكفر دائم أبدًا فيزداد لهم عذابًا بما كان لهم في الكفر سوى الكفر أعمالٌ ومَساوٍ، كما يُعفَى ويتجاوز عن المؤمنين بما كان منهم من المساوي، كقوله: أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ،[٤] مقابلَ ما كان يعفى عن المؤمنين من[٥] المساوي زيد لأهل الكفر على عذاب الكفر لمساويهم.

وفي حرف ابن مسعود: زدناهم عذابا ضِعْفا بما كانوا يُفسدون. وأصله أن جزاء الآخرة من الثواب والعذاب على المضاعفة، لأنه دائم لا انقطاع له، وما ذكر من الزيادة والفوق وغيره فهو على المضاعفة.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[٨٩]

وقوله عز وجل: **ويوم نبعث في كل أمة شهيدًا عليهم من أنفسهم**، يحتمل قوله: **من أنفسهم**، أي من البشر، ويحتمل ما ذكرنا من شهادة الجوارح عليهم. وقوله عز وجل: **وجئنا بك شهيدا على هؤلاء**، هو ما ذكرنا، يشهد الرسول عليهم بالتبليغ ويشهد لمن أجابه بالإجابة والطاعة[٦] وعلى من رد وكذبه[٧] بالرد والتكذيب.

وقوله عز وجل: **ونزّلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء**، يحتمل قوله: **تبيانا لكل شيء**، ما ذكر في هذه السورة، لأنه ذكر فيها جميع أصناف النعم وجواهرها ووجوهَ الأسباب التي بها يوصل إليها، وذكر فيها ما سخر لهم من أنواع الجواهر؛ وفيه ذكر ما وعد[٨] وأوعد[٩] وأمر ونهي وذكر ما حل بالأعداء

---

[١] ع: تخمده.

[٢] ﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نُصليهم نارا كلما نَضِجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما﴾ (سورة النساء، ٥٦/٤).

[٣] ﴿ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عُمْيا وبُكْما وصُمّا مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا﴾ (سورة الإسراء، ٩٧/١٧).

[٤] ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم أحسنَ ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وَعْدَ الصدق الذي كانوا يوعَدون﴾ (سورة الأحقاف، ١٦/٤٦).

[٥] ع م - من.

[٦] ع م - بالإجابة والطاعة، ع + الطاعة، م + اطاعه.

[٧] ع م: كذبه.

[٨] ع: وعدوا.

[٩] ع: وأوعدوا.

وما ظفر أولياؤه به؛[١] وفيه ذكر سلطانه وقدرته وذكر سفه الكفرة وعنادهم وذكر ما يؤتَى ويُتَّقَى،[٢] فذلك تبيان كل شيء. أو أن يكون في الكتاب تبيان كل شيء، أي في القرآن[٣] ما ذكرنا من الأمر والنهي والوعد والوعيد وأخبار الأمم الماضية وأمثالهم وجميع ما يؤتى ويُتَّقَى،[٤] ففيه تبيان كل شيء من الوجه الذي ذكرنا. أو أن يكون أُنزل عليه الكتاب تبيانا[٥] لكل ما دعا به الرسل وجاءت به الرسل والكتب جميعًا، [إذ][٦] في هذا الكتاب جميع[٧] ما أتى به الرسل والكتب من الأمر والنهي والوعد والوعيد، كقوله: وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ.[٨]

ثم اختلف في ذلك البيان. قال بعضهم: يحتمل الآية وجهين. أحدهما الخصوص على الأصول دون الفروع كذكر الكمال للدين،[٩] لكن [فيه ضعف لأن][١٠] ذلك وصف الدين، وقد يقع له الكمال بالكتاب والسنة، وهذا للكتاب،[١١] فلم يجز التقصير عن الاشتمال[١٢] عما لزمت الحاجة في أمر الديانة. وذُكِر أن الكتاب تبيان لكل ما وقعت إليه حاجة في أصول الدين من الإيمان وأنواع العبادات والأحكام مع الحدود والحقوق ومكارم الأخلاق التي[١٣] تنتظم [بها] صلة الرحم وعشرة الإخوان وصحبة الجيران ونحو ذلك، فتشتمل هذه الجملة على أصول الدين، وما وراءها[١٤] يكون موكولا إلى بيان الرسول ليفي الكتاب بما شُرط له تلاوة ودلالةً.[١٥]

---

[١] جميع النسخ: بهم.
[٢] ع: وتبقى، م: ويبقى،
[٣] جميع النسخ: وفي القرآن.
[٤] ع: وتبقى، م: ويبقى، ن – فذلك تبيان كل شيء أو أن يكون في الكتاب تبيان كل شيء أي في القرآن ما ذكرنا من الأمر والنهي والوعد والوعيد وأخبار الأمم الماضية وأمثالهم وجميع ما يؤتى ويتقى.
[٥] ع م – تبيانا.
[٦] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٣و.
[٧] ع – جميع.
[٨] ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق﴾ (سورة المائدة، ٤٨/٥).
[٩] ع: للزين. يشير المؤلف إلى قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ (سورة المائدة، ٣/٥).
[١٠] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٣و.
[١١] ع: لكتاب.
[١٢] من الاشتمال.
[١٣] ع م – التي.
[١٤] ع: وما ورعها.
[١٥] ع م + الوجه.

والوجه الثاني أن يكون **تبيانا لكل شيء**، منتظِما لما فيه [من] جُمَله ومبهمه[١] ومشكله،[٢] ولبيان الرسول جملَه، وتفسيرِه مبهمَه، وإيضاحِه ودلالتِه على مشكله. وقال:[٣] والسنن كلها بيان للكتاب[٤] لارتباط بعض ببعض.

ثم قد تحتمل[٥] الآيات التي فيها ذكر البيان والتفصيل وجوها غير الوجهين اللذين ذكرتهما. أحدهما أنه تبيان كل شيء ظهر فيه التنازع بين أهل الأديان وألزمتهم الضرورة فيه إلى البيان. فجعل الله الكتاب تبيانا ألزمهم بالتدبر[٦] [و]العلم بأنه من عند الله بخروجه عما عليه وُسْعُ القوم عن نوع ما ذكر فيه من الحجج والأدلة، وبما أعجزهم عن الطمع في تأليف مثله ونظمه، ليعرفوا أن الله قد أعانهم فيما مستهم الحاجة وألجأتهم الضرورة إلى من يُطْلعهم على الحق فيما لو أُهملوا عن ذلك لتولّد منه العداوة والعناد.[٧] فأنعم الله عليهم به وبيّن فيه جميع ما بهم[٨] إليه من الحاجة لدوام الأخوة.

والثاني أن يكون فيه تبيان كل شيء بالطلب من عنده وبالبحث[٩] فيه الظفر[١٠] بكل ما ينزل بهم من الحاجات إلى الأبد، فيكون هو أصلّ ذلك، لكن باختلاف الأسباب يوصَل إلى حقيقة العلم به،[١١] وذلك نحو ما جعل الماء حياة لكل شيئ،[١٢] ووصف أن في السماء رزقَ جميع الخلق،[١٣] وأخبر[١٤] أنه[١٥] أنزل من السماء اللباس والرياش،[١٦]

---

[١] ن ع م: جملة ومبهمة.

[٢] ع م: ومشكلة.

[٣] يبدو أن المؤلف رحمه الله ينقل آراء بعض من العلماء، وسيأتي بعد ذلك رأيه الخاص في المسألة.

[٤] ع: لكتاب.

[٥] ن ع م: يحتمل.

[٦] ع م: بالتدبير.

[٧] ك: والعتاب، ن: والعنا، ع: والعتا.

[٨] م: بين.

[٩] ع – وبالبحث.

[١٠] جميع النسخ + به.

[١١] ن – به.

[١٢] يشير إلى قوله تعالى: ﴿أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/٣٠).

[١٣] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ (سورة الذاريات، ٥١/٢٢).

[١٤] ك ن: فأخبر، ع م: فانه.

[١٥] م – أنه.

[١٦] ك + لكل شيء. لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سَوْءاتِكم وَرِيشًا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يَذَّكَّرون﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢٦).

وأخبر أنه خلقنا من تراب،[1] ثم أخبر أنه خلقنا جميعًا من نفس واحدة،[2] على رجوع كل ما ذكر باختلاف الأسباب والتوالد[3] إليه. *والله أعلم*. وذلك كما[4] قال أهل الكلام في جعل المحسوسات أدلة لكل غائب جعلها الله أدلة توصِل[5] إليه[6] بالتأمل والنظر، فيكون المحسوس مبينا عن[7] ذلك[8] دالاً على اختلاف الدرجات في حد[9] / البيان. مع ما قد جعله الله كذلك، [٤١٥ظ] حتى إن في الفلاسفة من تكلف استخراج كلية أمور العالم[10] العلوي والسفلي وما على ذلك مدار ما عليه من هذا المحسوس، فمثلُه أمرُ القرآن. *والله الموفق*.

والثالث أن يكون فيه بيان على الرمز والإشارة مرة، وعلى الكشف ثانيًا. فما كان منه على الرمز فهو مطلوب في المعاني. وطريق الوصول[11] إلى ما في تلك المعاني من الأمور مختلفة. منها ما يقع بمعونة الوحي من غير الكتاب على اختلاف وجوه الوحي: من إرسال على لسان ملك[12] أو رؤيا أو إلهام، أو التأملِ[13] في ذلك أو الاستدلال بما قد أوضحه، بعد توفيق الله للحق في ذلك وعصمته عن الزيغ، أو على ما شاء من ترتيب الحكماء في حق التفاهم لغوامض الأمور، أو غير ذلك مما يريد الله أن يُطْلع عليه نبيه، فإن لطف رب العالمين بما عامل به الأخيار يَجِلّ[14] عن احتمال العبارة عنه أو تصويرِه في الأوهام نحوَ كتابة الحفظة وقبض ملك الموت أرواح الخلق في وقت واحد في أطراف الأرض ونحو ذلك.

---

[1] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة﴾ (سورة الحج، ٢٢/٥).

[2] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾ (سورة النساء، ٤/١).

[3] ن ع: والتولد.

[4] ع: كمال.

[5] ك: يوصل.

[6] ن – إليه.

[7] ع م: من.

[8] ن + عن ذلك.

[9] ع: أحد، م: هذا.

[10] ع: عالم.

[11] ع م: الرسول.

[12] ن: الملك.

[13] ع م: والتأمل.

[14] ن: يحل.

وذلك كله حدُّ اللطف الذي يعجز البشر عن الإحاطة [به]، فعلى ذلك أمر تبيان كل شيء، مع ما يحتمل الرجوع بتأويل الآية إلى أغلب الأمور وأعمها، كقوله تعالى: وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ،[١] وغيره. *ولا قوة إلا بالله*.

والأصل عندنا أن ليس للبيان عدد يجب حفظه[٢] على ما ذكره بعضهم[٣] أنه على خمسة أوجه. إنما هو أمران، أحدهما ما يبين هو، والثاني ما يبين غيره. لكن الوجوه[٤] التي بها يقع ما[٥] غاب عن الحواس بالبيان[٦] أصله [ما هو] الواقع تحت الحواس؛ إذ [هو] البيان[٧] الذي من جحد حُرم أولَ درجات البيان ومُنع[٨] عن فهم الجحود[٩] أنه[١٠] الجحود وكُفي كُلًّا مئونَة[١١] خصومته.[١٢] ثم [ما يبين][١٣] غيره مما يصير بالتأمل على الوجوه التي جعلت للوصول إليه -وإن بعُد أو قرب- [لا يصير مقبولا إلا] بدليله كالمحسوس؛ إذ التأمل في الأسباب هو سبب الوصول إلى ما غاب كاستعمال الحواس فيما يشاهد،[١٤] فمن أراد القطع على حدّ أو شيء يَحتاج إلى دليل فيه.

وأصل البيان حقيقةً هو الظهور، وأسباب إظهار الأشياء متفاوتةٌ وعلى ذلك مقاديرها من الظهور. وجملتُه ارتفاع التواتر[١٥] عن القلوب وتجلي حقائق الأمور لها على قدر [استدلال] العقول في الإدراك وما يتجلى للقلوب على مقدار ما يحتمل من الظهور.

وقوله عز وجل: **وهدًى ورحمةً**، يجب أن يكون قوله: **تبيانًا لكل شيء** وقوله: **وهدى ورحمة**،

---

[١] سورة الأنبياء، ٢١/٣٠.
[٢] جميع النسخ: حفظ العدد.
[٣] جميع النسخ: قوم.
[٤] ع م: الوجه.
[٥] ك: مما.
[٦] أي الوجوه التي يفهم بها ما غاب عن الحواس بطريق البيان.
[٧] جميع النسخ: البين؛ والتصحيح مع الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٣ظ.
[٨] ع م - ومنع.
[٩] جميع النسخ + عنه.
[١٠] ع م: أن.
[١١] م: مؤنته.
[١٢] لعله يشير إلى السوفسطائية.
[١٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٣ظ.
[١٤] جميع النسخ: يشهد؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٣ظ.
[١٥] أي تتابع الاحتمالات والأفكار المختلفة.

كلُّه واحدا:[1] الرحمة والهدى والبيان،[2] وبرحمته[3] وبهداه يتبين لهم ويتضح. لكنهم قالوا: البيان للناس كافة يتبين [الحق لهم] ويتضح إلا من عاند وكابر، والهدى والرحمة للمؤمنين خاصة على ما ذكر: **وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين**، ذلك للمسلمين[4] خاصة. ***والله أعلم.***

﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [٩٠]

وقوله عز وجل: **إن الله يأمر بالعدل والإحسان**، إلى آخر ما ذكر. قال الحسن: قوله: **إن الله يأمر بالعدل**، فيما بينَ الناس، أي يأمر بالحكم فيما بينهم بالعدل والإحسان، هو ما كلفهم بالطاعة له.[5] أو أن يكون الأمر بالإحسان إلى أنفسهم، أو إلى الناس. وجائز أن يكون الأمر بالعدل فيما بينه وبين الله، والإحسان فيما بينه وبين الخلق، أي يعامل ربّه بالعدل، لأن العدل هو وضع الشيء موضعه، وهو لا يقدر على المجاوزة عن العدل حتى يكون في حد الإحسان فيما بينه وبين ربه، ويقدر أن يصنع[6] إلى خلقه أكثر مما يصنعون هم إليه فيكون محسنًا إليهم، وأما إلى الله فلا يكون محسنًا.

وإيتاءِ ذي القربى، أي إعطاء ذي القربى الصدقةَ من غير الزكاة المفروضة.

وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، هي المعاصي، أي نهى عن المعاصي كلها.

وقال أبو بكر الأصم: **يأمر بالعدل**، أي بالحق الذي له[7] عليهم، **والإحسان**، هو[8] ما تعبّدهم من العبادات والطاعات التي جعلت[9] سبب عطف بعضهم على بعض. **وإيتاءِ ذي القربى**، صلة القرابة والأرحام. **وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي**. وقال ابن عباس ومقاتل وقتادة وغيره:[10] قوله: **يأمر بالعدل**، بالتوحيد، **والإحسان**، أي أداء الفرائض، وهو قول ابن عباس وقتادة.

---

[1] جميع النسخ: واحد.
[2] ع: وإن البيان.
[3] ك ن ع: برحمته.
[4] ن – للمسلمين.
[5] ن – له.
[6] ع م: أن صنع.
[7] ن – له.
[8] ع – هو.
[9] جميع النسخ: جعل.
[10] جميع النسخ: وهؤلاء، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٣ظ.

وقال[1] مقاتل:[2] قوله: **والإحسان**، هو فيما بينهم، يحسن بعضهم إلى بعض، **وإيتاء ذي القربى**، صلة الأرحام، **وينهى عن الفحشاء**، أي عن الزنى، **والمنكر**، أي الشرك،[3] **والبغي**، مظالم الناس.[4] وقال بعضهم: المنكر ما لا يعرف في الشرائع والسنن. ويقال: المنكر، ما أوعد الله عليه النار، **والبغي**، قيل: الاستطالة والظلم.

ثم يجب أن يعرف[5] حقيقة العدل ما هو؟ فهو -والله أعلم- وضع كل شيء موضعه، فيدخل فيه كل شيء: التوحيد وغيره. يجعل الربوبية والألوهية لله لا يشرك[6] فيها غيره ولا يصرفها إلى غيره ولا يضيف، بل ينسب الربوبية والألوهية إلى الله[7] والعبودة[8] إلى العباد ولا[9] يضيف[10] العبودة إلى الله، ولا الربوبية والألوهية إلى العباد. فذلك العدل ووضع كل شيء موضعه: الربوبية في موضعها والعبودة في موضعها، هذا -والله أعلم- معنى العدل.

وأما الإحسان فهو ما قال النبي صلى الله عليه وسلم، إن جبريل سأله عن الإحسان حين سأله[11] عن الإيمان[12] والإسلام فقال: ما الإحسان؟ فقال: «أن تعبد الله[13] كأنك تراه، فإن لم تكن تراه[14] فإنه يراك.»[15] ومن يعمل لآخر[16] بحيث يراه وينظر إليه يكون أبدًا طالب رضاه في ذلك العمل وإخلاصه له وطالب[17] مرضاته فيه.

---

[1] ع: وقال.
[2] ع: ومقاتل.
[3] م: الشكر.
[4] انظر: تفسير *الطبري*، ١٤/١٦٣؛ وروح *المعاني* للآلوسي، ١٤/٢١٨.
[5] ع م - أن يعرف.
[6] ع م: شريك.
[7] ك: لله.
[8] أي كونه عبدا ومكلفا ومربوبا.
[9] ك ع: ولا يضاف.
[10] جميع النسخ: يضاف، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٣ظ.
[11] ع - عن الإحسان حين سأله.
[12] ك: الإحسان.
[13] ك ن ع: تعمل لله. م - الله.
[14] ع - فإن لم تكن تراه.
[15] انظر: صحيح *البخاري*، التفسير ٢/٣١، الإيمان ٣٧؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٥٧.
[16] ع: الاخر.
[17] جميع النسخ: وطلب.

فهو يحتمل وجوهًا ثلاثة، أعني الإحسان. **أحدها** ما ذكر أنه يعمل له كأنه يراه، وذلك[1] فيما بينه وبين ربه.

[٤١٦و] **والثاني** فيما بينه وبين الخلق، وهو أن يحب لهم كما يحب[2] لنفسه / فيما أُذن له في ذلك، أو تقول[3] على الإطلاق: يحب[4] لهم كما يحب[5] لنفسه. فإن عورض بالقتال والحروب[6] التي بيننا وبين أهل الحرب، وذلك بالذي[7] لا نحب[8] لأنفسنا ونحب[9] لهم. قيل: في ذلك طلب نجاتهم وتخليصهم من الهلاك والعذاب الدائم الأبدي، وذلك مما نحبه نحن لأنفسنا أن يسعى أحد في نجاة أحدنا من المهلكة. ألا ترى أنه قال: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ،[10] وليس في القتال[11] في الظاهر رحمة لكن في الحقيقة رحمة حيث يحملهم القتال على الإسلام، إذ[12] كان قبل نصب القتال والحروب معهم لم يسلم إلا قليل منهم، فلما نُصب الحروب معهم[13] والقتال دخلوا في الإسلام أفواجا أفواجًا فصار ذلك في الحقيقة رحمة وإن كان في رأي العين في الظاهر ليس برحمة.

و[**الثالث**] كذلك هذه المصائب والبلايا التي تحل بالخلق هي[14] في الحقيقة نعمة ورحمة، ولذلك[15] عدها وسماها بعض الناس نعمة[16] لما تَعقُب من الثواب والنعمة إذا[17] صبر عليها

---

[1] ع: ذلك.
[2] ع: يحب.
[3] ع م: تقول.
[4] ع: يحبب.
[5] ع: يحب.
[6] ك: بالحروب والقتال.
[7] ك: الذي.
[8] ع: نحيب.
[9] ع: بل نحب.
[10] سورة الأنبياء، ٢١/ ١٠٧.
[11] ع م – في القتال.
[12] ن ع م: إذا.
[13] ع – لم يسلم إلا قليل منهم فلما نصب الحروب معهم.
[14] ك – هي.
[15] ع: وكذلك.
[16] ع م – نعمة.
[17] م: إذ.

ورأى ذلك منه حقا وعدلا[١] ورأى حال الضراء والسراء منه،[٢] فهو يَطِيب نفسه في جميع الأحوال التي[٣] تنصرف به من الشدة والضيق، إذا[٤] رأى [ذلك] نعمة لما تَعقُب من الخير والنفع في العاقبة. فمن هذه الجهة يجوز أن يقال: ذلك نعمة ورحمة، وأما في ظاهر الحال فلا. وذلك أن كل بلاء ينزل بأحد فصبر[٥] عليه كان في ذلك خصال أربعة. أحدها تكفير ما كان ارتكب من المعاصي. والثاني معرفة العبودة وملك غيره عليه. والثالث ما يَعقُب من الثواب والنعيم[٦] الدائم. والرابع[٧] معرفة النعمة[٨] من الشدة، لأنه بالشدة[٩] يعرف النعم. وأما الإحسان إلى نفسه وهو أن يحفظها عما فيه هلاكها.

وقوله: **وينهى عن الفحشاء**، هو ما يَكبُر ويَفحُش[١٠] من الشيء، **والمنكر**، هو الشيء الغريب الذي لا يعرف، ألا ترى إلى قول إبراهيم: إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ،[١١] سماهم منكرين لما لم يعرفهم، فالمنكر [هو] ما يَفعل مَن هو معروف بالخير والصلاح من الزلات لما يكون ذلك منهم غريبًا، إذ لم يعرفوا بذلك، فذلك[١٢] منهم منكر.[١٣] والفحشاء ما يكون من[١٤] أهل الفساد والشرور، وذلك مما يكبر ويفحش ذلك منهم. والبغي هو الظلم. ويحتمل أن يكون هذا كلُّه: المنكرُ والفحشاء والبغي، كلّه واحدا:[١٥] الفحشاء هو المنكر، والفحشاء هو البغي، والمنكر هو الفحشاء والبغي. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **يعظكم**، قال بعضهم: أي ينهاكم عما ذكر كله، **لعلكم تَذَّكَّرون**، وتنتهون عنه. وقال بعضهم: والموعظة[١٦] هي التي تُلين القلوب القاسية وتَصرفها إلى طاعة الله، وقد ذكرنا.

---

[١] ك: عدلا وحقا.
[٢] م: عنه.
[٣] ع م – التي.
[٤] جميع النسخ: فإذا.
[٥] ن: فصار.
[٦] م: والنعم.
[٧] ع: والرافع.
[٨] ن ع م: النعم.
[٩] ع م – لأنه بالشدة.
[١٠] ع م: يفحش.
[١١] فلما جاء آلَ لوط المرسلون. قال إنكم قوم منكرون ﴾ (سورة الحجر، ١٥/٦١-٦٢).
[١٢] ع: لذلك.
[١٣] ع م – منكر.
[١٤] ع – من.
[١٥] ك ن م: وكله واحد؛ ع – كله المنكر والفحشاء والبغي كله واحدا.
[١٦] ع م: والموعظة.

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[٩١]

وقوله عز وجل: **وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها**، يحتمل أمره[١] بوفاء العهد[٢] العهودَ التي يعطي[٣] بعضهم لبعض، أمرهم بوفاء ذلك ونهاهم عن نقضها.[٤] ويَلزمهم وفاء عهد الله وإن لم يعاهدوا في ذلك. لكنه ذكر وفاء العهد إذا عاهدوا ونهى عن النقض، لأن ترك وفاء ما عاهدوا ونقض ما أعطوا على ذلك شرطا أقبح وأوحشُ مما[٥] لم يعاهدوا، وهو كقوله: وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا،[٦] تركُ الوفاء ونقضه بعد قولهم: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، أوحش وأفحش من نقضه إذا لم يكن منهم[٧] عهد سابق وشرط متقدم. وهذا -والله أعلم- معنى أمره بوفاء العهد إذا عاهدوا، وإن كان وفاء العهد لازمًا لهم وإن لم يعاهدوا؛ إذ جعل الله البشر بحيث يقبلون الحكمة والمحنة وجعل بنيتهم وخلقتهم بحيث يقدرون على القيام بذلك، كقوله:[٨] إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا،[٩] الآية، أي أبى خلقتهم وبنيتهم، أي لم يجعل خلقة هذه الأشياء وبنيتها بحيث[١٠] يحتمل ذلك، وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ، أي خلقته وبنيته تحتمل ذلك و[تقدر على][١١] القيام بها.

ويحتمل[١٢] أن يكون العهود التي أمر بوفائها إذا عاهدوا هي[١٣] الأيمانَ التي يُقْسِمون[١٤] بها حيث قال:

---

[١] ع م: أمرها.

[٢] ك: العهود.

[٣] ن ع: تعطى.

[٤] ن: بعضها.

[٥] ع م: ما.

[٦] سورة المائدة، ٥/٧.

[٧] ك ن: معهم، ع م: لهم، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٤و.

[٨] ع: قوله.

[٩] ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/٧٢).

[١٠] ع م – بحيث.

[١١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٤و.

[١٢] ع م: وتحتمل.

[١٣] ع م: على.

[١٤] ع م: يقيمون.

ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها، ذكر الأيمان ونهى[١] عن نقضها. ثم لا يحتمل أن يكون النهي عن النقض في الأيمان التي يأثم بها المرء إذا حلف[٢] لأنه نهى عن نقضها، ولو كان يأثم بعقدها لكان لا ينهى عن نقضها لأن الأيمان التي يأثم المرء بها[٣] إذا حلف[٤] يؤمر[٥] بنقضها، ولا[٦] يؤمر بوفاءها[٧] وحفظها. ثم ذكر فيه: **بعد توكيدها**، ولم يسغ[٨] نقض اليمين وإن لم يؤكدها إذا لم يكن[٩] في الوفاء بها إثم، لكنه ذكر التوكيد لأن النقض بعد ذلك أقبح وأفحش من النقض على غير التوكيد على ما ذكرنا[١٠] من القبح والفحش في نقض[١١] العهود بعد ما عاهدوا.

وقال بعضهم: قوله: **بعد توكيدها**، هو حَلْفُهم[١٢] بالله، لأن مشركي العرب كانوا لا يُقسمون[١٣] بالله إلا ما يعظم من الأمر ويَجِل،[١٤] وذلك آخر أقسامهم. ولذلك قال بعض أهل التأويل في قوله: وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ،[١٥] يقول: جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ، هو قَسَمُهم بالله.

وقوله عز وجل: **وقد جعلتم الله عليكم كفيلا**، قيل: كانوا يحلفون فيما بينهم على جعل الله كفيلاً عليهم. وقيل: الكفيل هو الشهيد الحافظ، وهكذا يؤخذ الكفيل فيما يؤخذ ليحفظ المال أو النفس.

وقوله عز وجل: **إن الله يعلم ما تفعلون**، / من الوفاء بما عاهدوا أو النقض.[١٦] ***والله أعلم***. [٤١٦ظ]

---

[١] ك: أو ينهى.
[٢] ع: خلف.
[٣] ع م: بها المرء.
[٤] ع: خلف.
[٥] ع م - يؤمر.
[٦] ع م: او لا.
[٧] ع م: وفاءها.
[٨] ع م: ولم يسع.
[٩] ن - إذا لم يكن.
[١٠] ع م: ذكر.
[١١] ع م: بعض.
[١٢] ع: خلفهم.
[١٣] ع م: يقيمون.
[١٤] ن ع: يحل.
[١٥] سورة الأنعام، ١٠٩/٦.
[١٦] ن: والنقض.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[٩٢]

وقوله عز وجل: **ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا تتخذون أيمانكم دَخَلًا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة.** اختلف في تأويل الآية، قال بعضهم: الآية نزلت في محالفة[١] أهل الكفر بعضهم بعضا، وهو أن يرث بعضهم بعضًا وينصر ويعين بعضهم بعضا،[٢] ويحلفون على ذلك ويُقسمون[٣] وإن[٤] هلكوا في ذلك، أي في نصر بعضهم بعضا وإعانة بعضهم بعضا.[٥] ثم إذا رأوا الكثرة والغلبة مع[٦] غير الذين حالفوهم[٧] نقضوا ذلك ورجعوا إلى الذين معهم الكثرة والغلبة، فنهوا عن ذلك. وقال بعضهم: الآية في الذين يكونون بعد رسول الله وأصحابه، لما علم أنه يكون خوارج وأهل اختلاف في الدين،[٨] فربما كانت الكثرة والغلبة لهم على أهل العدل فنَهى مَن عاهد أهل العدل وبايعهم أن يترك[٩] بكثرتهم وغلبتهم الكون مع أهل العدل وإعانتهم ونقضَ ما عاهدوا، ولذلك قال: **إنما يبلوكم الله به،**[١٠] فهذا يدل أنه في أهل الإسلام. وقال بعضهم: الآية في أهل النفاق، إنهم كانوا يقسمون بالله أنهم ينصرون رسول الله وأصحابه ويقولون: إنا معكم، كقوله: وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ،[١١] الآية، كانوا يُرُون من أنفسهم الموافقة لهم والنصر والعون لهم على أعدائهم ويحلفون على ذلك، ثم إذا رأوو[١٢] الكثرة مع الكفرة والغلبة وقلةَ المؤمنين تحولوا[١٣] إلى أولئك ونقضوا أيمانهم وكانوا معهم، كقوله: فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ، الآية.[١٤]

---

[١] ن ع م: مخالفة.
[٢] ع – وينصر ويعين بعضهم بعضا.
[٣] ع م: يقيمون.
[٤] ع م: فإن.
[٥] ع م – وإعانة بعضهم بعضا.
[٦] ك: من.
[٧] ن: خالفوهم، ع م: خالفوا.
[٨] ع: الذين.
[٩] ع م: ترك.
[١٠] جميع النسخ + وقال، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٤و.
[١١] ﴿ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يَفرَقون﴾ (سورة التوبة، ٥٦/٩).
[١٢] ع م: أراد.
[١٣] م: تحولو.
[١٤] ﴿الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين﴾ (سورة النساء، ٤/ ١٤١).

ويحتمل قوله: **ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة**، أي لا تكونوا في نقض العهود والمواثيق كالمرأة التي تنقض غزلها من بعد قوة. وجائز أن يكون غير هذا، يقول: ولا تظنوا في الله أنه يكون في إنشاء الخلق كالمرأة التي نقضت غزلها من بعد قوة، فلو لم يكن بعثٌ لكان يكون في إنشاء الخلق كالمرأة التي نقضت غزلها من بعد قوة، وقد عرفتم قبح ذلك، فعلى ذلك إنشاء الخلق إذا لم يكن بعث يكون في القبح ما ذكر.

ثم ضَرَب الله مَثَل من أعطى العهد والمواثيق ووكد[1] الأيمان في ذلك ثم نقض ذلك بامرأة تَغزِل ثم تنقض ذلك الغزل من بعد قوة أنكاثا. يقول -والله أعلم- كما لم تنتفع[2] هذه المرأة بغزلها إذا نقضت من بعد إبرامها[3] إياه، كذلك لا تنتفع[4] ولا يوثَق بمن[5] أعطى العهد ثم نقض. يقول: فلا هي تركت الغزل تنتفع[6] به ولا هي تركت القُطن والكَتّان كما هو، فكذلك الذي يعطي العهد ثم ينقضه؛ فلا هو حين أعطاه وَفَى به[7] ولا هو ترك العهد[8] فلم يعطه ونحوه.

ثم اختلف في تلك المرأة، قال بعضهم: هي امرأة من قريش حمقاء بمكة كانت إذا غزلت نقضت. وقال بعضهم: هذا على التمثيل، يقول -والله أعلم- أي لو سمعتم بامرأة نقضت غزلها من بعد إبرامه لقلتم: ما أَحْمَقَ هذه! فعلى ذلك من أعطى العهد والميثاق ثم نقض فهو كذلك.

وقوله عز وجل: **تتخذون أيمانكم دَخَلا بينكم**، قال أبو بكر الأصم: الدَّخَل الذي لا يصح ولا يستقيم، يقال: هذا مدخول، أي غير صحيح. وقال غيره: **دخلا**، أي خديعة ومكرا، يخدع بعضكم بعضًا، وهو قول أبي عَوسَجَة أيضًا. وقال القُتبي: **دخلا بينكم**، أي خيانة ودَغَلاً[9] بينكم. **أن تكون أمة**، أي فريق أربى من فريق.[10] وقال أبو عَوسَجَة: **أنكاثا**، هي جمع نِكْث، والنِكث من الحبل خيوط تنكث ثم تُطرَق وتصير صوفا ثم من[11] بعد ذلك تُفتَل.

---

[1] ن: وكذا.
[2] م: لم تنفع.
[3] ن: إمرامها.
[4] م: لا تنفع.
[5] ن: من.
[6] م: تنفع.
[7] م: وفاته.
[8] ع م – العهد.
[9] جميع النسخ: وغلا، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٤ظ. الدَّغَل: الفساد مثل الدخل (*لسان العرب*، «دغل»).
[10] انظر لقول القتبي: *لسان العرب*، «دخل».
[11] ع – من.

قال: والمِطرَق قضيب يضرب به[1] الصوف حتى يَنفُش ويلين كما يُندَف القطن، يقال: طرَقت الصوف أطرُقه طَرْقا، أي ضربته. ويقال: نَفَشتُه أنفُشه نَفْشا، أي فرّقت بينه[2] فتفرق، ومنه قوله: كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ.[3] ويقال: حبل مُثَنًّى، إذا كان ذا طاقين، ومَثلوث ومَربوع ومَخموس ومسدوس ومسبوع ومثمون ومتسوع[4] ومعشور. وقال القُتبي: "الأنكاث ما نُقض من غزل الشعر وغيره، واحدها نِكْثٌ. يقول: لا تؤكّدوا على أنفسكم الأيمان والعهود ثم تنقضوا ذلك وتَحْنَثوا فتكونوا[5] كامرأة غزلت ونسجت ثم نقضت ذلك [النسج] فجعلته أنكاثا."[6] *والله أعلم*.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلٰكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٩٣]

وقوله عز وجل: **ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة**، قال الحسن: **ولو شاء الله**، المشيئة ههنا مشيئة الجبر والقسر،[7] أي لو شاء لجبرهم وقهرهم على الإيمان فآمنوا جميعا. فهذا فاسد لأنه لا يكون بالقهر والجبر إيمان، لأنه لا صنع للعبد في حال القهر والجبر، فيبطل تأويله إذ لا يجوز أن يثبت[8] إيمان في تلك الحال. وقال أبو بكر [الأصم]: تأويله[9] لو شاء الله[10] لأنزل لهم آية حتى يؤمنوا جميعا لتلك الآية، كقوله: إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ،[11] أخبر أنه لو أنزل آية يكونون[12] لها خاضعين. لكن عندنا [معناه][13] أنهم ليسوا يؤمنون ويخضعون[14] للآية ولكن بما شاء لهم ذلك، ولا يحتمل أن تحملهم الآية على الإيمان شاءوا أو أبوا، ألا ترى أنهم يكذبون يوم الحشر عند معاينتهم الآيات

---

[1] ن: فيه.
[2] ك - بينه.
[3] ﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ (سورة القارعة، ٥/١٠١).
[4] ع م - ومتسوع.
[5] ن ع م: فتكون.
[6] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٤٨.
[7] ع م: القهر والقسر.
[8] ن ع م: ثبت.
[9] ع م + قوله.
[10] ك ن م - الله.
[11] سورة الشعراء، ٤/٢٦.
[12] ع م: يكون.
[13] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٤ظ.
[14] ن - ويخضعون.

وهو قوله: وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمْ، إلى قوله: وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ،[١] أخبر أنهم يكذِبون وقد عاينوا الآيات، وليست الآية التي تنزل / عليهم في الدنيا [٤١٧و] بأعظم من الآيات التي[٢] يعاينونها يوم القيامة، ثم لم يمنعهم ذلك عن الكذب. دل أن الآية ليست تحملهم على الإيمان ولا تضطرهم عليه ولكن لو شاء لآمنوا بالاختيار فيبطل تأويله.

ثم الآية تحتمل[٣] عندنا وجهين. أحدهما قوله: **ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة**، بظاهر السبب[٤] الذي إذا أعطاهم لآمنوا له، كقوله:[٥] وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً،[٦] الآية، أخبر أنه لولا ما[٧] يرغب الناس في الكفر فيكونون كفارا كلهم وإلا جعل سُقُف أهل الكفر ومعارجهم من فضة. فلو أنه جعل ذلك بعينه لأهل الإسلام وفي أيديهم لآمنوا أيضا كلهم؛ لأنه لا يحتمل أن يكون[٨] ذلك في أيدي الكفرة فيحمل أهلَ الإسلام على الكفر وإذا كان ذلك بعينه لأهل الإسلام[٩] [وفي أيديهم][١٠] فلا يحمل[١١] أهل الكفر على ترك الكفر والدخول في الإسلام.

والوجه الثاني، لو شاء[١٢] لجعلهم أمة واحدة بلطف منه، يشرح صدر[١٣] [كل واحد منهم] للإسلام من غير أن يُعلَم أن أحدا ألقى ذلك في قلبه، من نحو ما مكّن للشيطان عدوِ الله حتى يَقذِفَ في قلوب الخلق ويُلقِيَ وساوسَ من غير أن يعلموا أن أحدا دعا إلى ذلك أو ألقى[١٤] في قلوبهم.[١٥]

---

[١] ﴿ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تَزعُمون. ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ (سورة الأنعام، ٦/٢٢-٢٣).

[٢] م – التي.

[٣] ن: يحتمل.

[٤] ع م: السبت.

[٥] ع م – كقوله.

[٦] ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لِبيوتهم سُقُفا من فضة ومعارج عليها يَظهرون﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٣٣).

[٧] ن ع م: لوما.

[٨] م + الناس.

[٩] ن – وفي أيديهم لآمنوا أيضا كلهم لأنه لا يحتمل أن يكون الناس ذلك في أيدي الكفرة فيحمل أهل الإسلام على الكفر وإذا كان ذلك بعينه لأهل الإسلام.

[١٠] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٤ظ.

[١١] جميع النسخ: لا يحمل؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٤ظ.

[١٢] ن + الله.

[١٣] جميع النسخ: صدره.

[١٤] ن: وألقى.

[١٥] ع م: إلى قلوبهم.

ألا ترى أن إبليس لما وسوس إلى آدم عليه السلام ليتناول من الشجرة التي نهى عنها[1] ربه، لو علم أنه إبليس لما أجابه، وكذلك ما مكّن للملائكة[2] من تثبيت قلوب الذين آمنوا وإلقاء أشياء في قلوبهم ويلهمونهم، وهو قوله:[3] إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا،[4] من غير أن يعملوا أن[5] أحدا دعاهم إلى ذلك أو ألقى أحد ذلك في قلوبهم. فمن مَلَّكَ[6] تمكين عدوه وملائكته على ما ذكرنا يملك شرح الصدر للإسلام[7] والدعاءَ إلى ذلك من غير أن يعلموا أن أحدا فعل[8] ذلك.

وقوله[9] عز وجل: **ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء**، على قول الحسن على الحكم لذلك.[10] وقال أبو بكر[11] الأصم:[12] **يضل** بالنهي من نهي، **ويهدي**[13] بالأمر، لكن هذا فاسد لأنه لو كان بالنهي مضلا وبالأمر هاديًا لكان مضلا للأنبياء والرسل، لأنه قد نهاهم بمناهي فيكون مضلا لهم.

فإن قيل: لم يصر ما ذكرت، لأنهم لم يرتكبوا المناهي.

قيل: الارتكاب فعلهم، فلا يحتمل أن يكون بفعلهم ذلك، فدل أن ما ذكر[14] فاسد، وعلى قولهم يكون بالنهي عاصيا مضلا. وعندنا قوله: **يضل من يشاء**، أي يخلق فعل الضلال منهم، أو **يضل** من علم أنه يختار الضلال على الهدي ويخذهم.[15]

وقوله عز وجل: **ولتسألن عما كنتم تعملون**، هو ظاهر.

---

[1] ع م: عنه.

[2] ع: لملائكة.

[3] ك: كقوله.

[4] ﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سأُلقِي في قلوب الذين كفروا الرعبَ فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان﴾ (سورة الأنفال، ١٢/٨).

[5] ع م – أن.

[6] ن – فمن ملك.

[7] ع: للأم.

[8] ع: دل.

[9] ك – وقوله.

[10] «قال الحسن: أي يحكم بالضلال لمن يشاء ويحكم بالهدى لمن يشاء» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٤٤ ظ).

[11] ك – أبو بكر.

[12] ن ع م – الأصم.

[13] ك: هدي.

[14] ع م: ذكرنا.

[15] ع م: ويخذلهم.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٩٤]

وقوله: **ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم**، قد ذكرنا ذلك.[١] وقوله عز وجل: **فتزل قدم بعد ثبوتها**، قال أبو بكر [الأصم]: دل قوله: **فتزل قدم بعد ثبوتها**، أن الآيات[٢] التي تقدم ذكرها في أهل الإسلام، لأنه أخبر أنه تزِلّ[٣] قدم بعد ثبوتها وهو الكفر بعد الإسلام. وعندنا ما ذكرنا أن قوله: **فتزل قدم**، بالخوف **بعد ثبوتها**، أي[٤] بعد ما كانوا آمنين، لأنهم بإيمانهم كانوا يأمنون، وبنقضهم[٥] العهد والأيمان يخافون، فيكون قوله: **فتزل قدم** كنايةً عن الخوف، والثبوت كناية عن الأمن، أي صاروا خائفين بنقضهم العهود والأيمان بعد ما كانوا آمنين بها.[٦] ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وتذوق السوء بما صددتم عن سبيل الله**، على هذا التأويل يذوقون ذلك في الدنيا بالقتل والقهر، ويحتمل في الآخرة بما صدوا الناس عن دين الله واستبدلوا به الكفر بعد الإيمان، **ولكم عذاب عظيم**.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٩٥]

وقوله عز وجل: **ولا تشتروا بعهد الله ثمنًا قليلا**، قال بعضهم: عهد الله دين الله، وقال بعضهم: عهد الله الذي عهد إليهم. ويحتمل عهد الله ما أَعطَوا من العهد والأيمان، أي [لا] تنقضوها[٧] بشيء يسير.

إنما عند الله هو خير لكم، لأنه[٨] دائم باقٍ وهذا زائل فانٍ، أو ما[٩] يجزي بوفاء ما عهدتم[١٠] خير لكم من هذا، أي [ما] يجزيكم بوفاء ما ذكر من العهد خير لكم من غيره. ***والله أعلم***.

---

[١] ن ع م – ذلك. وهو في تأويل الآية السابقة.
[٢] ع: الآية.
[٣] ع: نزل.
[٤] ع م: أو.
[٥] ن ع: وتنفضهم.
[٦] ع م – بها.
[٧] ك ن م: ينقضوها.
[٨] ع م – لأنه.
[٩] ن: وما.
[١٠] جميع النسخ: عهدوا.

﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٩٦]

وقوله عز وجل: **ما عندكم ينفد وما عند الله باق**، أي ما أخذتم من الأموال واكتسبتم بنقض العهود والأيمان ينفد ويفنى، وما عند الله من الجزاء والثواب بوفاء العهد[١] باقٍ.

ولنجزين الذين صبروا أجرهم، يحتمل قوله: **صبروا**،[٢] على ما أمروا به[٣] ونهوا عنه، وصبروا على وفاء العهد، **بأحسن ما كانوا يعملون**، يحتمل قوله: **بأحسن**، أي الجزاء الذي نجزيهم[٤] على الصبر أحسن من وفاء العهد، أو نجزيهم[٥] بأحسن[٦] ما عملوا، أي نجعل سيئاتهم حسناتٍ، كقوله: فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ،[٧] وقوله: أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ.[٨] *والله أعلم*.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٩٧]

وقوله عز وجل: **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة**، اختلف أهل التأويل في قوله:[٩] **فلنحيينه حياة طيبة**، قال بعضهم: قوله: **حياة طيبة**، في الآخرة وهي الجنة، وقال بعضهم:[١٠] **حياة طيبة**، في الدنيا. فمن قال: الحياة الطيبة هي الجنة في الآخرة يكون تأويله: من يكن عمله في الدنيا صالحًا فليحيينه[١١] الله في الآخرة حياة طيبة، وإلا ظاهر قوله: **من عمل صالحا**، إنما هو [يقع][١٢] على عمل واحد. وكذلك قوله: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً،[١٣]

---

[١] ن ع م: بعهد الوفاء.
[٢] ع م – صبروا.
[٣] ك – به.
[٤] ع: يجزيهم.
[٥] ع: يجزيهم.
[٦] ن – من وفاء العهد أو نجزيهم بأحسن.
[٧] ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٧٠).
[٨] سورة الأحقاف، ١٦/٤٦.
[٩] م – في قوله.
[١٠] ع – اختلف أهل التأويل في قوله فلنحيينه حياة طيبة قال بعضهم قوله حياة طيبة في الآخرة وهي الجنة وقال بعضهم.
[١١] ع م: فلنحيينه.
[١٢] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٥و.
[١٣] ﴿ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ (سورة البقرة، ٢٠١/٢).

ظاهره[1] على حسنة واحدة. لكن الوجه فيه ما ذكرنا: من يكن عمله في الدنيا صالحًا فيفعل[2] ما ذكر. وقوله: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا / حَسَنَةً، أي ما تؤتينا في الدنيا آتنا[3] حسنة. أو أن يكون [١٧٤ظ] على الختم[4] به،[5] أي من خُتِم بالعمل الصالح فيحييه الله حياة طيبة في الجنة، كقوله: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ كذا.[6] وقال الحسن: الحياة الطيبة هي الجنة لأن في الدنيا ما ينغّص حياته. وقال بعضهم: الحياة الطيبة في الدنيا؛ فتأويله: من يكن همه وجهده في الدنيا العمل الصالح فلنحيينه حياة [طيبة]، أي نوفقه ونيسره للخيرات[7] والعمل الصالح والطاعات، وهو ما روي أنه قال: «كلٌّ مُيَسَّر لِما خُلِقَ له»،[8] وكقوله: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ،[9] وكقوله: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا،[10] ونحوه، فذلك هو الحياة الطيبة في الدنيا حيث يُيَسِّر عليه العمل الصالح ووُفِّق للطاعات والخيرات. وقال بعضهم: قوله: **من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى**، أي قنع في الدنيا بما قسم الله له[11] ورزقه ورضي به **فلنحيينه** في الدنيا،[12] **حياة طيبة** بما أزال[13] عنه همّ طلب الفضل وغمّه وذلة حرصه عليه، لأن أكثر هموم الناس في الدنيا وذلهم لما لم يرضوا بما قسم الله لهم ولم يقنعوا[14] به، فهو يحيى حيوة طيبة لما عصم عن ذلك. ***والله أعلم.***

وقوله: **ولنجزينهم**، أي في الآخرة، **بأحسن ما كانوا يعملون**، على تأويل من قال: الحياة الطيبة في الدنيا. وقال بعضهم وهو قول أبي بكر [الأصم]: **ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**،

---

[1] ك: ظاهرة.
[2] أي الله.
[3] م – آتنا. أي ربّنا ما تعطه إيانا في الدنيا من الأعمال والأموال فأعطه حسنة لا سيئة.
[4] ع: الختم.
[5] ن – به.
[6] ﴿من جاء بالحسنة فله عَشرُ أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يُجزَى إلا مثلَها وهم لا يظلمون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٦٠).
[7] ع م: الخيرات.
[8] ن ع م – له. *صحيح البخاري*، التفسير ٩٢/٣-٥، ٧، الأدب ١٢٠، القدر ٤، التوحيد ٥٤؛ و*صحيح مسلم*، القدر ٦-٨.
[9] سورة الليل، ٩٢/٥-٧.
[10] ك + الآية. سورة العنكبوت، ٢٩/٦٩.
[11] ن – له.
[12] ن – في الدنيا.
[13] م: زال.
[14] ع: يصنعوا.

في الدنيا ما ذكر هؤلاء. وقال بعضهم: **حياةً طيبة**، الرزق الحلال، وقوله: **بأحسن ما كانوا يعملون**، قد[١] ذكرنا.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[٩٨]

وقوله عز وجل: **فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم**، وقال في آية أخرى: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ،[٢] وقال في آية أخرى: وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ،[٣] الآية، فيجب أن يتعوذ[٤] من همزاته على ما أمر رسوله؛ أو عند نزغ الشيطان على ما ذكر، لكنه إذا تعوذ منه تعوذ من همزاته ونزغاته.[٥]

فإن قيل: كيف خص قراءة القرآن بالتعوذ منه دون غيره من الأذكار والعبادات والأعمال الصالحة؟[٦]

قيل: قد يتعوذ منه[٧] في غيره من العبادات والأذكار بقولهم: بسم الله؛ إذ لا يفتتح شيء إلا به، فذلك تعوذهم منه. لكن التعوذ في هذا تعوذ بكناية،[٨] والتعوذ في قراءة القرآن بالتصريح، وذلك أنه حجة وبرهان، فطعنُ الأعداء فيما هو حجة في نفسه أكثر من الأفعال التي فعلوها. ألا ترى أنه كان يلقن[٩] -أعني الشيطان- أولياءه أنه سحر، وأنه أساطير الأولين، وأنه إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ[١٠] ونحوه. وقوله: وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ،[١١] كانوا يطلبون الطعن في القرآن، لأنه حجة وبرهان ولم يشتغلوا في طعن فعل من الأفعال أو ذكر من الأذكار، فعلى ذلك يجوز أن يكون التعوذ منه فيما هو حجة بالتصريح وفي غيره بكناية.[١٢] *والله أعلم*.

---

[١] ع م: وقد.
[٢] ك ن ع + من الشيطان الرجيم. سورة فصلت، ٣٦/٤١.
[٣] سورة المؤمنون، ٩٧/٢٣.
[٤] ك: نتعوذ.
[٥] ع: ونزاعاته.
[٦] ع: صالحات.
[٧] ن + أيضًا؛ ع م + دون غيره أيضًا.
[٨] ع: بكتاية.
[٩] ك ع م: يلقنهم؛ ن: بلغتهم.
[١٠] ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر﴾ (سورة النحل، ١٠٣/١٦).
[١١] سورة الأنعام، ١٢١/٦.
[١٢] ع: بكتابة.

ثم في هذه الآية[1] وفي غيرها من قوله: إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ،[2] وقوله: **فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم**، لم يفهم أهلها منها على ظاهر المخرَج ولكن فهموا على مخرج الحكمة، لأن ظاهر المخرج أن يفهم التعوذ بعد فراغه من القراءة، وكذلك يفهم من الأمر بالقيام إلى[3] الصلاة الوضوء بعد القيام إليه، ثم لم[4] يفهموا في هذا ونحوه هذا ولكن فهموا: إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله، وكذلك فهموا من قوله: إِذَا قُمْتُمْ، أي إذا أردتم القيام إلى الصلاة فاغسلوا كذا، ولم يفهموا كل قيام، إنما فهموا قيامًا دون قيام، أي إذا[5] أردتم[6] القيام إلى الصلاة وأنتم محدثون، وفهموا من قوله: فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ،[7] وفهموا من قوله: فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا،[8] وكذلك فهموا من قوله: فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ،[9] الفراغ منها. دل أن الخطاب لا يوجب المراد [منه] والفهم على ظاهر المخرج ولكن على مخرج الحكمة والمعنى.

وأصل التعوذ هو الاعتصام بالله من وساوس عدوه وكيده.

﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٩٩]

وقوله عز وجل: **إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا**، قال بعضهم: ليس له سبيل على الذين آمنوا. وقال بعضهم: السلطان الحجة، أي ليس له حجة على الذين آمنوا. وقال بعضهم: أي ليس له مُلْكٌ على الذين آمنوا، ملك القهر والغلبة، إنما ملكه على الذين يتولَّونه. لكن ليس له ملك القهر على الذين يتولونه أيضا، إنما يتبعونه[10] ويطيعونه بإشارات منه طوعا.

---

[1] أي في قوله تعالى: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ﴾، أو في قوله: ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين﴾.

[2] ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾ (سورة المائدة، ٥/٦).

[3] ن + القيام.

[4] م – لم.

[5] م: إذ.

[6] ع م – أردتم.

[7] سورة الجمعة، ٦٢/١٠.

[8] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/٥٣).

[9] ﴿فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذِكْرا﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٠٠).

[10] م: يتبعون.

فدل أن تأويل الملك لا يصح في السلطان، ويكون تأويله السبيل أو الحجة. ثم يحتمل قوله: [إنه] **ليس له سلطان على الذين آمنوا**، بالقرآن لأنه ذكر على أثر ذكر القرآن. ويحتمل **الذين آمنوا**، بربهم فهما واحد في الحاصل.

[٤١٧ظ س٣٨] *والتوكل هو الاعتماد به وتفويض الأمر إليه في كل حال: في حال[1] السراء والضراء وفي وقت الضِّيق والسَّعة فذلك التوكل به.* [٤١٧ظ س٣٩]

﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[١٠٠]

إنما سلطانه، حجته أو سبيله، **على الذين [يتولَّونه**، أي] يتخذونه وليًا فيطيعونه في كل أمره وجميع إشاراته وما يُلقِي[3] إليهم. وأصله: [إِنَّهُ] لَيسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ،[4] في جميع أحوالهم[5] وساعاتهم، أي لا سلطان له ولا سبيل على من آمن به[6] وتوكل عليه.

وقوله عز وجل: **والذين هم به مشركون**، يحتمل قوله: **به مشركون**،[7] إبليس، يتبعونه ويعدلون بربهم. ويحتمل: **به مشركون**، بربهم.[8]

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١٠١]

وقوله عز وجل: **وإذا بدلنا آية مكان آية**، الآية[9] تحتمل[10] وجهين. أحدهما ما قاله أهل التأويل على التناسخ: أن يبدل / آية مكان آية، وهو على تبديل حكم آية بحكم آية أخرى لا على رفع عينها. [٤١٨و] والثاني قوله: **وإذا بدلنا آية مكان آية**،[11] أي بدلنا وجددنا[12] حجة بعد حجة وآية بعد آية لرسالته،

---

[1] ع م – في حال.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤١٧ظ/سطر ٣٨-٣٩.
[3] ن ع م: وما يلقون.
[4] الآية السابقة.
[5] ن: أموالهم.
[6] م – به.
[7] م – يحتمل قوله به مشركون.
[8] وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤١٩ظ/سطر ٣٨-٣٩.
[9] ن + الآية.
[10] ن ع م: يحتمل.
[11] ع م – مكان آية.
[12] ع م – وجددنا.

قالوا إنما أنت مفتر، كلما آتاهم حجة على أثر حجة وآية بعد آية يقولون:[١] **إنما أنت مفتر**، ينسبون إليه الافتراء أنه هو[٢] افترى. وكذلك كانت[٣] عادتهم المعاندة والمكابرة، كقوله: وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ،[٤] وكقوله: مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ،[٥] ونحوه من الآيات، كلما[٦] أتي بهم حجة وآية بعد آية كانوا يستقبلونه بالتكذيب لها ونسبة رسول الله إلى الافتراء من نفسه فيزداد[٧] لهم بذلك كفرا، وهو ما قال:[٨] وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ،[٩] أخبر أنه كان[١٠] يزداد لأهل الإيمان بما ينزل عليهم من سورة إيمانا ويزداد لأهل الشرك رجسًا وكفرًا إلى كفرهم مثل هذا. ***والله أعلم***.[١١]

ولو كان يحتمل أن يكون حرف "إذا" مكان "لو" لكان أقرب، ويكون تأويله: ولو أنزلنا حجة بعد حجة وآية على أثر آية جديدةً فما آمنوا، كقوله: وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا،[١٢] وكقوله: وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ،[١٣] الآية، أي لو أن هذا القرآن قرآن[١٤] سُيِّرت به الجبال أو كُلِّم به الموتى فما آمنوا به لعنادهم، فعلى ذلك الأول. ويحتمل قوله: **وإذا بدلنا آية مكان آية**، أي[١٥] إذا بدلنا آية بالسؤال مكان آية قالوا: **إنما أنت مفتر**.

---

[١] ك: ويقولون.
[٢] ع م – هو.
[٣] جميع النسخ: كان؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٥ظ.
[٤] سورة الأنعام، ٦/٤.
[٥] سورة الأنبياء، ٢١/٢.
[٦] ك: فكلما.
[٧] جميع النسخ: ويزداد؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٥ظ.
[٨] ع – وهو ما قال.
[٩] سورة التوبة، ٩/١٢٤-١٢٥.
[١٠] ن – كان.
[١١] ك – والله أعلم.
[١٢] سورة الأنعام، ٦/١١١.
[١٣] ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قُطِّعت به الأرض أو كُلِّم به الموتى بل لله الأمر جميعا﴾ (سورة الرعد، ١٣/٣١).
[١٤] م – قرآن.
[١٥] ع م – أي.

وقوله عز وجل: **والله أعلم بما ينزل**، يحتمل قوله: **والله أعلم بما يُنزَل**، ما[1] به صلاحهم وغير صلاحهم. أو أن يكون: **والله أعلم بما ينزل**،[2] من تثبيت قلوب الذين آمنوا، كقوله: لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا.[3] أو أن يكون: **والله أعلم بما ينزل**، جبريل على رسوله جوابًا لقولهم: **إنما أنت مفتر**، وكقوله: قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ،[4] أي ليس بمفتر ولكن نزله جبريل من ربه.

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[١٠٢]

وقوله عز وجل: **قل نزله روح القدس من ربك بالحق**، يحتمل قوله: **بالحق**،[5] أي بالحق الذي لله[6] عليهم، أو بالحق الذي لبعضهم على بعض. والحق في الأقوال هو الصدق، وفي الأفعال صواب ورشد، وفي الأحكام عدل وإصابة؛ والحق هو الشيء الذي يحمد عليه فاعله.

وقوله عز وجل: **ليثبت الذين آمنوا**، هذا تفسير قوله: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا،[7] الآية،[8] لأنه أخبر أنه أنزله[9] ليثبت الذين آمنوا، فما ذكر[10] من زيادة الإيمان هو التثبيت[11] الذي ذَكَر ههنا [من] قوله: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا، وذكر قوله: إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ،[12] مقابل قوله: وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ،[13] ليعلم أن الزيادة التي ذكر في سورة التوبة هي ما ذكر ههنا من التثبيت[14] والطمأنينة ونحوه.

---

[1] ع م – ما.
[2] ك – يحتمل قوله والله أعلم بما ينزل ما به صلاحهم وغير صلاحهم أو أن يكون والله أعلم بما ينزل.
[3] من الآية التالية.
[4] الآية التالية.
[5] ك ن – بالحق.
[6] ع م – لله.
[7] ﴿وإذا ما أُنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون﴾ (سورة التوبة، ١٢٤/٩).
[8] ك ن ع – الآية.
[9] ع م – أنزله.
[10] م: فاذكر.
[11] ك: لتثبيت.
[12] الآية السابقة.
[13] ﴿وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ١٢٥/٩).
[14] ك: التثبت.

وقوله عز وجل: **وهدى وبشرى للمسلمين**، أي هدى من الجهالات والشبهات التي كانت تعترض لهم، أو من الضلالة. **وبشرى للمسلمين**، وقال في آية أخرى: وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ،[1] ليعلم أن الإيمان والإسلام واحد.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[١٠٣]

وقوله عز وجل: **ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر**، هم لم يقولوا: **إنما يعلمه بشر**، ولكن كانوا يَنُصُّون واحدا فلانا، لكن الخبر من الله على ذكر البشر، ألا ترى أنه أخبر أنْ **لسانُ الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين**، دل أن البشر الذي أخبر عنهم أنهم يقولون: إنه يعلمه كان منصوصًا عليه مشارا[2] إليه حيث قال: لسانُ هذا أعجميّ ولسان النبي عربي، فكيف فهم هذا عن هذا وهذا من هذا، ولسان هذا غير لسان هذا؟ وما قاله أهل التأويل: إنه كان يجلس إلى غلام يقال له كذا وهو يهودي يقرأ التوراة فيستمع إلى قراءته وكان يعلّمه الإسلام حتى أسلم فعند ذلك قالت له قريش: **إنما يعلّمه بشر**. ولو كان ما ذكروا أنه كان يعلمه الإسلام فأسلم[3] فلقائل أن يقول: كيف فهم ذلك الرجل[4] من[5] لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولسانه غير لسانه على ما أخبر؟ لكن يحتمل أن يكون ذلك[6] في القرآن حيث قالوا: إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ،[7] ثم يقولون: **إنما يعلّمه بشر**، فيقول -والله أعلم- إنه كيف علمه هذا القرآن وهو لا يفهم من لسانه إلا يسيرًا منه، فأنتم لسانكم عربي لا تقدرون أن تأتوا بمثله ولا بسورة من مثلها ولا بآية منه،[8] فكيف قدر على مثله من لا يفهم لسانه ولا كان ذلك بلسانه؟ يخرج ذلك على الاحتجاج عليهم.

---

[1] ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾ (سورة يونس، ٥٧/١٠).

[2] ع م: مشار.

[3] ع – فأسلم.

[4] ن – الرجل.

[5] جميع النسخ: منه.

[6] ن – ذلك.

[7] ن + إنما يعلمه. سورة النحل، ١٠١/١٦.

[8] ع م – منه.

وبعدُ فإن في قولهم ظاهرَ التناقض لأنهم قالوا: إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ، ثم قالوا: **إنما يعلّمه بشر،**
[٤١٨و س٣٩] فالذي علمه غيره ليس بمفترٍ،[١] إنما يكون الافتراء من ذات نفسه، فهو ظاهر التناقض. *وقوله:[٢]
[٤١٨ظ] **يلحدون إليه،** قال بعضهم: يميلون إليه / وهو قول أبي عَوسَجة والقُتبي قالوا: الإلحاد الميل،[٣]
[٤١٨ظ س٢] ولذلك سمي اللَّحد لَحدًا لميله إلى ناحية القبر. وقال الكسائي: هو من الركون إليه، أي[٤] يركنون.*

وقوله عز وجل: **عربي مبين،** يحتمل: **مبين،**[٦] ما لهم وما عليهم، أو **مبين،** للحقوق[٧] التي لله عليهم وما لبعضهم على بعض، أو **مبين،** أي بيّن أنه من عند الله نزل ليس بمفترٍ. وهذه الآية ترد على الباطنية قولهم لأنهم يقولون: إن رسول الله هو الذي ألّف هذا القرآن بلسانه و لم ينزل[٨] الله عليه بهذا اللسان. فلو كان على ما ذكروا لكان[٩] لأولئك ادعاءُ ما ادّعَوا على رسول الله من الافتراء [أنه] ألف هذا القرآن بلسانه.[١٠]*

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١٠٤]

وقوله عز وجل: **إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله،** قال الحسن: إنه –والله [أعلم]– من كذب بآيات الله فهو ليس بمهتد عند الله. وقال أبو بكر الأصم:[١١] **لا يهديهم الله،** بتكذيبهم الآيات. فهو كله خيال على كل من يُشكل ويَخفى [عليه] أن من كذّب بآيات الله فهو غير مهتد، ومن يظن هذا؟ وقول أبي بكر أيضًا: من يتوهم أن من كذب بآيات الله أنه يهديه، هذا فاسد خيال كله. وأصله عندنا قوله: إن **الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم**[١٢] **الله،**[١٣]

---

[١] م: بمفترى.
[٢] ك ع م: قوله.
[٣] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٤٩.
[٤] ع – أي.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤١٨و /سطر ٣٩ – ٤١٨ظ/سطر ٢.
[٦] م – يحتمل مبين.
[٧] ع: لحقوق.
[٨] ع: أو ينزل.
[٩] جميع النسخ: كان؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٥ظ.
[١٠] ك ن م – ألف هذا القرآن بلسانه.
* وقع هنا مقطع متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هناك؛ انظر: ورقة ٤١٨و/سطر ٣٩ – ٤١٨ظ/سطر ٢.
[١١] ك ن ع – الأصم.
[١٢] ك – لا يهديهم.
[١٣] ك ع م – الله.

لعنادهم[١] ومكابرتهم، لأنهم كانوا يعاندون آيات[٢] الله ويكابرونها ويكذبون مع علمهم أنها آيات وأنها حق. أو قال ذلك لقوم علم أنهم لا يؤمنون ويموتون عليه، فمن علم[٣] أنه لا يؤمن لا يهديه.

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[١٠٥]

وقوله عز وجل: **إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله**، لا الذين يؤمنون بها ويصدقونها، **وأولئك**، الذين كذبوها **هم الكاذبون**.

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١٠٦]

وقوله عز وجل: **من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان**، قوله: **من كفر بالله من بعد إيمانه**، يحتمل وجهين حيث ذكر: **من كفر بالله**. أحدهما كفر بالله في زعم المكرِه لأنه أكرهه به؛ ففي زعمه [هو] كافر بالله لطلبه ذلك منه، وهو كقوله: فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ،[٤] في زعمهم، لأنهم لم يكونوا آلهة، وكقوله: وَانْظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ،[٥] سماه إلها لأنه في زعم السامري إله. والثاني **من كفر بالله**، شارحًا صدره بالكفر هو الكافر به، وأما من أظهر الكفر بلسانه بالإكراه وقلبه معتقد بالإيمان على ما كان مطمئنا به فهو ليس بكافر.

وأصله أن من اعتقد مذهبًا ودينا إنما[٦] يعتقده بخصال ثلاث. أحدها يقلّد آخر لما رآه أبصر وأحذق[٧] وأعلمَ فيه، وهو لا يبلغ ذلك فيقلده لفضل بصره وعلمه فيه ورأيه. والثاني يعتقد للشبهة لما يتراءى عنده أنه الحق فيعتقده لذلك الشبهة[٨] التي ذكرنا. والثالث يعتقد لما[٩] يتضح له الحق فيعتقده.

---

[١] ن: لعباتدهم.

[٢] ك: بآيات.

[٣] ن ع م + منه.

[٤] ﴿فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٩١).

[٥] ﴿قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مِساسَ وإن لك مَوعِدا لن تُخلَفَه وانظر إلى إلهك الذي ظَلْتَ عليه عاكفا لَنُحَرِّقَنَّه ثم لَنَنسِفَنَّه في اليمّ نَسفا﴾ (سورة طه، ٢٠/٩٧).

[٦] جميع النسخ: إنه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٦و.

[٧] ك ع م: واحد، ن: واحد واحد؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٦و.

[٨] جميع النسخ: لذلك للشبهة؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٦و.

[٩] ع م – يعتقد لما.

فلهذه الوجوه الثلاثة يعتقد من يعتقد دينًا أو مذهبًا. فأما أن يعتقد الإنسان مذهبًا مجانا على الجُزاف فلا.[1] فإذا[2] كان إظهار كفر هذا لإكراه من أكرهه لم يصر كافرا. وأصله أن الإيمان والكفر إنما يكونان بالاختيار، فالإكراه يزيل الاختيارَ[3] اختيارَ الكفر، لذلك[4] يبقى على الإيمان على ما كان لما لم يوجد منه اختيار الكفر.

فإن قيل: أليس أمرنا أن نقاتل أهل الكفر ليسلموا وذلك إسلام بإكراه[5] وعلى ذلك نطق الكتاب وهو قوله: تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ،[6] وقال رسول الله[7] صلى الله عليه وسلم: «أُمِرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله».[8] ثم إذا أسلم لخوف السيف كان إسلامه إسلامًا في الظاهر، ما منع كذلك أنه إذا[9] أُكره على الكفر فاجرى كلمة الكفر على لسانه كان كفره كفرًا في الظاهر فيُحكَم بحكمه[10] كما حكم في الإسلام على الإكراه، فما[11] الفرق فيه؟

قيل: كذلك كان يجيء، إلا أن الله تعالى عفى عباده عن ذلك فأبقاهم على الإيمان وحكمه وإن أظهروا بلسانهم كلام الكفر بعد أن تكون قلوبهم مطمئنة بذلك، فضلاً منه ونعمة، وإلا القياس أن يُحكَم بحكم الكفر إذا تكلم بكلام الكفر. وأما الطلاق والعتاق والنكاح ونحوه هو ظاهر على ما تكلم به عامل واقع، لأن[12] الطلاق والعتاق ونحوهما مما تعلَّق بالكلام نفسه لا غيره،[13] فهو[14] وإن أُكره على ذلك فهو مختار للتكلم به قاصد[15] له، لأن المكرِه لو أحب أن يستعمل لسانه بالتكلم بما ذكر ما قدر عليه، دل أنه على الاختيار يتكلم.

[1] ع م: فلانا.
[2] م: إذا.
[3] ع – فالإكراه يزيل الاختيار.
[4] ك ن + كان.
[5] ن: بإكره.
[6] ﴿قل للمخلَّفين من الأعراب ستُدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يُسلمون﴾ (سورة الفتح، ٤٨/١٦).
[7] ك – رسول الله.
[8] صحيح *البخاري*، الإيمان ١٧؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٣٢.
[9] ن: إذ.
[10] ع م: بحكم.
[11] ك ن: وما.
[12] ك ن: ولأن.
[13] ن: غير.
[14] ن – فهو.
[15] ع: قاصدا.

وأما البيع والشراء ونحوه لم[١] يتعلق بالكلام نفسه، إذ قد يكون بالأخذ والتسليم دون التكلم به، لذلك عَمِل[٢] الإكراه في إبطاله. [وأما المكرَه على الكفر] فأبقاهم على الإيمان وحكمه وإن أظهر بلسانه كلام الكفر بعد أن يكون قلبه مطمئنا بذلك. وعلى ذلك ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: «عفي[٣] عن أمتي الخطأ والنسيان وما استُكْرِهوا عليه»،[٤] وذلك في الكفر ليس في غيره، لأن الإكراه على الكفر كان ظاهرًا يومئذ و لم يكن في غيره من طلاق وغيره.

وأما قتالنا إياهم ليسلموا فهو يحتمل [على] وجهين.[٥] [الأول] على المجازاة، كقوله: وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً،[٦] فنقاتلهم[٧] ليُظهروا[٨] الإسلام، وإن لم نعرف[٩] حقيقته، على المجازاة.

والثاني قَبِلْنا منهم الإسلام على الإكراه لِنُقِرَهم[١٠] فيما بين المسلمين فيرون الإسلام ويتعلمون[١١] منهم حقيقته. ألا ترى أنه قال: إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ،[١٢] سماهن مؤمنات ثم أمرنا بامتحانهن بقوله: فَامْتَحِنُوهُنَّ، فإنما يمتحنّ[١٣] لتظهر[١٤] حقيقة إيمانهن، وإلا لم يكن[١٥] للامتحان معنى لولا ذلك. وأصله أن الله جعل حقيقة الإيمان والكفر بالقلب دون اللسان وغيره من الجوارح، لأن غيره من الجوارح يجوز استعمالها بالإكراه. وأما القلب فإنه لا يملك أحد سواه استعمالَه، وذلك لفضله، ومنه: **ولكن من شرح بالكفر صدرا**،

---

[١] ع: ما.
[٢] ن + على.
[٣] ك ن ع: عفوت.
[٤] ورد الحديث على لفظ: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه». *سنن ابن ماجة*، الطلاق ١٦؛ وانظر: *كشف الخفاء* للعجلوني، ٤٣٣-٤٣٤.
[٥] جميع النسخ: وجوها.
[٦] ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين﴾ (سورة التوبة، ٣٦/٩).
[٧] ن: فتقاتلهم.
[٨] ن ع م + على.
[٩] ع م: يعرف.
[١٠] أي لنُثبّتهم ونُسكنهم.
[١١] ن: يتعلمون.
[١٢] ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن﴾ (سورة الممتحنة، ١٠/٦٠).
[١٣] ن - يمتحن.
[١٤] جميع النسخ: ليظهر.
[١٥] ع - يكن.

ومن شرح صدره بالكفر فهو كافر به وإن[1] كان ذلك على الإكراه، لما ذكرنا أنه باختياره الكفر ينشرح له الصدر لما لا يعمل الإكراهُ على القلب.

فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم، ظاهر.

﴿ذٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[١٠٧]

وقوله عز وجل: **ذلك بأنهم**، أي ذلك الغضب والعذاب بأنهم استحبوا الحياة **الدنيا على الآخرة**. [هذا] يحتمل وجهين. أحدهما استحبوا / الحياة الدنيا على الآخرة جحودًا وإنكارًا، [٤١٩و] وإلا نفس الاستحباب قد يكون من المؤمن فلا يزول عنه اسم الإيمان، كقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ، إلى قوله تعالى: أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ،[2] فلم يُزل عنهم اسم الإيمان باختيارهم واستحبابهم الحياة الدنيا، فدل أن الأول على الجحود[3] له والإنكار، وهذا على الميل إليه[4] دون الجحود. أو أن يكون كذلك لما لم يروا الآخرة كائنة لا مَحالةَ ولكن ظنا ظنوا لعلها[5] كائنة، كقولهم: إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ.[6] وأما أهل الإسلام فإنهم[7] لم يكونوا فيها ظانين شاكين[8] ولكن متحققين مستيقنين فاستحقّوا بذلك.

وقوله عز وجل: **وأن الله لا يهدي القوم الكافرين**، وقت اختيارهم الكفر، أو أن[9] الله لا يهدي القوم المختارين الكفر على الإيمان، أو قال[10] ذلك[11] لقوم علم الله أنهم يختارون الكفر وأنهم[12] يموتون على الكفر فلا يهديهم.

---

[1] ع م: إن.

[2] ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثّاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل﴾ (سورة التوبة، ٣٨/٩).

[3] ع م: عن الجحود.

[4] ع: له.

[5] ن: لأنها.

[6] ﴿ وإذا قيل إن وعد الله حق والساعةُ لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين﴾ (سورة الجاثية، ٣٢/٤٥).

[7] ن ع م – فإنهم.

[8] ك – شاكين.

[9] ع م: وأن.

[10] ع م: وقال.

[11] م: لذلك.

[12] ك: أو أنهم.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[١٠٨]

وقوله عز وجل: **أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم**، الطبع هو[١] التغطية، تُغطِّي ظلمةُ الكفر نور القلب و[نور][٢] السمع ونور[٣] البصر؛ كأن لكل أحد نورين وبصرين: ظاهرا وباطنا[٤] يبصر بهما جميعا، فإذا ذهب أحدهما أو عَمِي صار لا يبصر كمن يبصر ببصر الظاهر؛ إنما يبصر بنور بصره ونور الهواء، فإذا دخل في أحدهما آفة ذهب الانتفاع وصار لا يبصر شيئا. فعلى ذلك القلب[٥] له[٦] بصر خفيّ وبصر ظاهر، الذي هو معروف، فإنما يبصر بهما فإذا غطّى ظلمةُ الكفر بصرَ القلب صار لا يبصر شيئا.[٧] ألا ترى أنه قال: فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ،[٨] أخبر[٩] أن الأبصار الظاهرة لم تَعمَ ولكن عمِيت القلوب التي في الصدور. هذا يدل على ما ذكرنا، هذا[١٠] -والله أعلم- معنى طبع السمع والبصر.

وقوله عز وجل: **وأولئك هم الغافلون**، يحتمل غافلون عن النظر في آياته وحججه، ويحتمل غافلون عما يحل بهم بكفرهم وتكذيبهم آيات الله وحججه. ***والله أعلم***.[١١]

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[١٠٩]

وقوله عز وجل: **لا جرم**، قد ذكرنا ما قيل في [قوله: **لا جرم**، أي][١٢] لا بد وحقا.[١٣] وقيل: هو حرف وعيدٍ، **لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون**. قال الحسن: إنهم واللهِ خسروا الجنة ورحمة الله،

---

[١] ن + التخطئة.

[٢] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٦و.

[٣] ع م: نور.

[٤] جميع النسخ: ظاهر وباطن.

[٥] ع: للقلب.

[٦] م – له.

[٧] ع – فعلى ذلك القلب له بصر خفي وبصر ظاهر الذي هو معروف فإنما يبصر بهما فإذا غطى ظلمة الكفر بصر القلب صار لا يبصر شيئا.

[٨] سورة الحج، ٢٢/٤.

[٩] ن: قد أخبر.

[١٠] ع م – هذا.

[١١] ع م – والله أعلم.

[١٢] والزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٦ظ.

[١٣] انظر: سورة هود، ١١/٢٢.

وخسروا[1] أهلهم ومنزلهم الذي كان لهم في الجنة وخسروا[2] أنفسهم حيث[3] قذفوها في النار. وقال أبوبكر الأصم: خسروا النعم الدائمة الباقية بالزائلة الفانية، وخسروا أنفسهم حيث قُتِلوا وأسروا في الدنيا. *والله أعلم*.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١١٠]

وقوله عز وجل: **ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا**، قيل: عُذِّبوا على الإيمان بمكة[4] [من جهة الكفار]،[5] ثم جاهدوا مع النبي وأصحابه عدوَّهم وصبروا على ذلك. **إن ربك من بعدها لغفور رحيم**، قيل: من بعد الفتنة، **لغفور**، لما كان منهم، **رحيم**. ذكر مرتين. أحدهما قوله: ثم **إن ربك للذين هاجروا**، ثم قال: **إن ربك من بعدها لغفور رحيم**، قيل: من بعد الفتنة؛[6] فينبغي[7] أن يكتفي[8] بمرة واحدة فيكون قوله:[9] **لغفور رحيم**، موصولا بقوله: **للذين** فعلوا ما ذكر. لكنه ذكر مرتين -والله أعلم- [لأنه طال الكلام قبل وجود الجواب].[10] [ويحتمل] إنه غفور[11] لهم يعني لهؤلاء الذين فتنوا وعُذّبوا ولغيرهم. ذكر أهل التأويل أن أناسًا من المؤمنين خرجوا إلى المدينة فأدركهم المشركون ليردوهم فقاتلوهم، فمنهم من قُتل ومنهم نجا فأنزل الله: **ثم إن ربك للذين هاجروا**، الآية.[12] ومنهم من يقول أيضًا: فيهم نزل قوله: الٓمٓ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا،[13] الآية. وأكثرهم قالوا:

---

[1] ع م: خسروا.
[2] جميع النسخ: وخسرانهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٦ظ.
[3] ع م: حين.
[4] ن - بمكة.
[5] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٦و.
[6] ك ن - لغفور رحيم قيل من بعد الفتنة.
[7] جميع النسخ: فيجيء؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٧و.
[8] ع م: تكتفي.
[9] جميع النسخ: بواحد يقول؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٧و.
[10] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٧و.
[11] ع م: لغفور، ع م + رحيم.
[12] انظر: *تفسير الطبري*، ١٨٤/١٤؛ *وتفسير القرطبي*، ٣٢٤/١٣.
[13] ﴿الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ (سورة العنكبوت، ١/٢٩-٢).

إن قوله: مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ، إنما نزل في عمار بن ياسر. وليس لنا إلى ذلك حاجة إنما الحاجة فيما ذكرنا[١] من الحكم فيه[٢] والحكمة. *والله أعلم*.

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[١١١]

وقوله عز وجل: **يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها**، قال الحسن: **تجادل**، أي تخبر عن نفسها عما عملت من خير أو شر.[٣] وقال أبو بكر الأصم: إن كل نفس رهينة بما كسبت من شر حتى يكون طائرا في عنقه.[٤] ولكن ليس فيما ذكر هؤلاء مجادلة، المجادلة المخاصمة كأنها تخاصم عن نفسها من إنكار[٥] أشياء ودعوى أشياء على ما ذكر في غير آية من قوله: ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ.[٦] وقال بعضهم: إن جهنم تزفر زَفرة حتى لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا وقد جثا بركبتيه[٧] خوفا منها،[٨] فعند ذلك تجادل وتخاصم كل نفس عن نفسها.

ويشبه أن يكون مجادلتهم على غير هذا وهو ما ذكر: شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا،[٩] فتلك مجادلتهم أنفسهم، وكقوله: ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ،[١٠] وكذلك ما ذكر في المنافقين: يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ،[١١] الآية، وذلك كله مجادلتهم أنفسهم. أو أن يقال: **تجادل**، لكن لا يفسر ما تلك المجادلة، لأن الله تعالى ذكر المجادلة و لم يذكر ما تلك المجادلة.

---

[١] ع: ذكر.
[٢] ع م: به.
[٣] كأنه يشير إلى قوله تعالى: ﴿حتى إذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون. وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون﴾ (سورة فصلت، ٤١/٢٠-٢١).
[٤] كأنه يشير إلى قوله تعالى: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ (سورة المدثر، ٧٤/٣٨)، وقوله: ﴿وكلَّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/١٣).
[٥] جميع النسخ: ارتكاب؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٧و.
[٦] ﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ (سورة الأنعام، ٦/٢٣).
[٧] ك: بركبته.
[٨] انظر: *تفسير القرطبي*، ١٠/١٩٣.
[٩] سبق قريبا.
[١٠] سبق قريبا.
[١١] ﴿يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون﴾ (سورة المجادلة، ٥٨/١٨).

وقوله عز وجل: **وَتُوَفَّى كلُّ نفس ما عملت**[1] **وهم لا يظلمون**، أي لا يُنْقَصون من حسناتهم ولا يزاد[2] على سيئاتهم. وهذه الآية ترد[3] على المعتزلة، لأنهم يقولون بالتخليد لصاحب الكبيرة وقد أخبر أنه تُوَفَّى كلُّ نفس[4] ما عملت، فما بالها توفَّر ما عملت[5] من سوء ولا توفر ما عملت من الخيرات والطاعات.

﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[١١٢]

وقوله عز وجل: **وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة**، اختلف في ضرب المثل بهذه الآية وفي نزولها. قال بعضهم: ضَرب المثل لأهل مكة وفيها نزلت [الآية، ضرب المثل لهم][6] [بأهل القاراة][7] نزل بهم العذاب بتكذيبهم رسلهم[8] في بني اسرائيل؛ يحذر / أهل مكة [٤١٩ظ] بتكذيبهم رسول الله نزولَ العذاب بهم كما نزل بأوائلهم. وقال بعضهم: ضرب المثل[9] لأهل المدينة وفيهم نزل بأهل مكة، يحذر أهل المدينة لئلا يكذبوا محمدًا كما كذب أهل مكة فيحلَّ بهم كما حل بأهل مكة من لباس الجوع والخوف بالتكذيب.

وقوله عز وجل: **قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان**، قيل هي مكة، وهكذا كانت مكة، أهلها كانوا آمنين فيها من ضرّ[10] أو شر، مطمئنين يأتيهم رزقهم من كل مكان. ويحتمل قرية أخرى غيرها كانوا على ما ذكر.

وقوله عز وجل: **فكفرت بأنعم الله**، أي كفرت بالشكر لأنعم الله، أي لم يشكروها، ليس أنهم لم يروها من الله تعالى.

---

[1] جميع النسخ + أي توفى كل نفس ما عملت.
[2] جميع النسخ: ولا يزدادون؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٧و.
[3] ك – ترد.
[4] ع – نفس.
[5] ع – بالها توفر ما عملت.
[6] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٧و.
[7] جميع النسخ: بقريات. القارية والقاراة: الحاضرة الجامعة. ويقال: أهل القارية للحاضرة، وأهل البادية لأهل البدو (*لسان العرب*، «قرى»؛ وانظر: المنجد، «قرى»).
[8] م: ورسلهم.
[9] ك + بأوائلهم.
[10] جميع النسخ: من خير.

وقوله عز وجل: **فاذاقها الله لباس الجوع والخوف**، اللباس هو ما يستر وجوه الجواهر، ألا ترى أنه سمى الليل لباسًا[١] لما ستر وجوه الأشياء. فعلى ذلك الجوع يرفع السِّتر واللباس الذي كان قبل[٢] الجوع، لأن الجوع إذا اشتد غيّر وجه صاحبه ورفع ستره. والجوع ما ذكر أنه أصابهم[٣] جوع حتى أكلوا الكلاب والجِيَف والعظام المحترقة.[٤] والخوف[٥] [ما] ذكر أنه [أراد به][٦] بعث رسول الله إليهم، ألا ترى أنه قال: «نُصرتُ بالرُّعب مسيرة شهر».[٧] وقيل: الخوف القتل.

وقوله: **رَغَدًا**، قال الكسائي: أرْغَدَ الرجلُ، إذا أصاب مالاً أو عيشًا من غير عَناء وكدّ، وقال القُتبي: **رغدًا**، أي كثيرًا واسعًا.[٨]

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾[١١٣]

وقوله عز وجل: **ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون**،[٩] قوله: **رسول منهم**، أي من أنفسهم، من نسبهم وحسبهم يعرفونه، كقوله: يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ.[١٠] **فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون**، بالتكذيب حيث وضعوا الشيء في غير موضعه، أو **ظالمون**، على أنفسهم. أخبر أنه بعث الرسول من جنسهم ومن حسبهم لأنه إذا كان من غير جوهرهم لم يظهر لهم الآية من غير الآية، ولا الحجة من الشبهة، لأنه إذا خرج على غير المعتاد والطَّوق عرفوا أنه آية وأنه حجة؛ إذ لا يعرفون من غير جوهرهم الخارج عن المعتاد والطوق، ويُعرف ذلك من جوهرهم، وكذلك يعرف صدق من نشأ بين أظهرهم مِن كذبه، ولا يعرف إذا كان من غيرهم.

---

[١] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وجعلنا الليل لباسا﴾ (سورة النبأ، ١٠/٧٨).

[٢] ك: قيل.

[٣] ك: أصاب.

[٤] جميع النسخ: المحرقة.

[٥] ن + أنه.

[٦] والزيادتان من *الشرح*، ورقة ٤٤٧و.

[٧] جميع النسخ: شهرين؛ و لم يرد الحديث عليه، وإنما ورد بلفظ: « نصرت بالرعب مسيرة شهر». صحيح *البخاري*، التيمم ١، الصلاة ٥٦، وسنن *النسائي*، الغسل ٢٦.

[٨] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٤٩.

[٩] ن + بالتكذيب.

[١٠] ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ (سورة البقرة، ١٤٦/٢).

﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[١١٤]

وقوله عز وجل: **فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيبًا**، قال بعضهم: الحلال والطيب واحد وهو الحلال، كأنه قال: كلوا مما أحل[١] لكم، كقوله: فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ،[٢] أي ما حلّ لكم.[٣] وقال بعضهم: **حلالاً طيبًا**، أي حلالاً يَطيب لكم ما تتلذذون به، لأن من الحلال ما لا[٤] تتلذذ[٥] به[٦] النفس ولا تستطيب بل تكره. و[يحتمل] قوله: [طيبا]، تستطيب له أنفسكم وتلذذ[٧] به، لا ما تستخبث،[٨] لأن الله جعل غذاء البشر ما هو أطيب وألذّ، وجعل للبهائم والأنعام ما هو أخبث وأخشن، لأن ما هو أطيب أدعى للشكر له. ويحتمل أن يكون قوله: **فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبًا**، لا تَبِعَة عليكم. وفي الآية دلالة أنه قد يَرزق ما يَخبُث ولا يحلّ على ما يختاره [المرء][٩] حيث شرط فيه الحلال.

وقوله عز وجل: **واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون**، الشكر له عليهم لازم وإن لم يعبدوا،[١٠] وهو كقوله: وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ،[١١] طاعتُه وطاعة رسوله واجبة وإن لم يكونوا مؤمنين. أو يقول: وجهوا شكر نعمه إليه إن كنتم عابدون له[١٢] بجهة، أي افعلوا العبادة له والشكر في الأحوال كلها.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١١٥]

وقوله عز وجل: **إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير**، أي حرم أكل الميتة وما ذكر.

---

[١] ك ع: حل.
[٢] ﴿وإن خفتم ألّا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾ (سورة النساء، ٣/٤).
[٣] ع: لهم.
[٤] ك – لا.
[٥] ن م: يتلذذ.
[٦] ع – لأن من الحلال ما لا تتلذذ به.
[٧] ك ن: وتلذ.
[٨] ك + به.
[٩] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٧و.
[١٠] ع: تعبدوا.
[١١] ﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين﴾ (سورة الأنفال، ١/٨).
[١٢] ع + عابدون له.

كأنه قال هذا وذَكَره[١] على أثر تحريمهم أشياء أُحل لهم، نحو ما حرموا على أنفسهم أشياء أحل لهم من الزرع والأنعام والبَحِيرة والسائبة[٢] وما ذكر فقال: لم يحرم ذاك ولكن إنما حرم ما ذكر من الميتة والدم ولحم الخنزير ونحوه، على هذا[٣] يجوز أن يخرج تأويله، وأما على الابتداء فإنه يبعد. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فمن اضطُرَّ**، إلى ما ذكر من المحرمات، **غيرَ باغٍ**، على ما نهى عنه وهو الشِّبَع، كقوله: فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ،[٤] **ولا عادٍ**،[٥] عليه.[٦] وقال بعضهم: **غير باغ**، يستحله في دينه، **ولا**[٧] **عاد** [أي] ولا متعدّ في أكله. وقال بعضهم:[٨] **غير باغ**، على المسلمين مفارقٍ لجماعتهم[٩] مشاقٍّ لهم، **ولا عاد**، عليهم يشقّهم.[١٠] وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وأقاويلهم.[١١]

وأما تأويله عندنا، **غيرَ باغٍ**،[١٢] سوى دفع الهلاك[١٣] عن نفسه، **ولا عاد**، متعدٍّ ومتجاوزٍ اضطرارَه. ولا يحتمل ما قاله بعض الناس: **غير باغ**، على الناس ولا متعد عليهم لوجهين. أحدهما أنه لا يحتمل البغي على الناس في حال الاضطرار، لأنه لا يقدر عليه والحال ما ذكر. والثاني أنه وإن كان باغيًا على ما ذكروا[١٤] [و]لم يُبَح له التناول من الميتة يكون باغيًا على نفسه، لأنه إن لم يتناول هلكت نفسه فيصير باغيًا على نفسه، فدل أنه على ما ذكرنا.

---

[١] جميع النسخ: وذكر.
[٢] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾ (سورة المائدة، ١٠٣/٥).
[٣] ك – على هذا.
[٤] سورة المائدة، ٥/٥.
[٥] ن + عليهم.
[٦] جميع النسخ: إليه.
[٧] جميع النسخ: فلا.
[٨] ع – غير باغ يستحله في دينه ولا عاد ولا متعد في أكله وقال بعضهم.
[٩] جميع النسخ: بجماعتهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٧ظ.
[١٠] ن: يستفهم.
[١١] انظر: سورة البقرة، ١٧٣/٢.
[١٢] ع م + على المسلمين.
[١٣] جميع النسخ: الإهلاك؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٧ظ.
[١٤] م: ذكر.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾[١١٦]

وقوله عز وجل: **ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام**،[١] أي لا تعودوا إلى ما وصفت[٢] ألسنتكم من الكذب: **هذا حلال وهذا حرام**، ولا تقولوا[٣] الكذب[٤] الذي تصف[٥] ألسنتكم: **هذا حلال وهذا حرام**. وعن ابن عباس رضى الله عنه قال: لا تقولوا لما أحللتموه: **هذا حلال**، ولما حرمتموه: **هذا حرام**، وهو كقوله: قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ،[٦] الآية. وفي هذه الآية دلالة أن لا يسعُ لأحد أن يقول: هذا مما أحله الله وهذا مما حرمه الله، إلا بأذن من الله. ومن يقُلْ[٧] بأن الأشياء في الأصل على الإباحة أو على الحَظْر[٨] فهو مفترٍ بذلك على الله الكذب، لأن الله لم يأذن له أن يقول ذلك، بل نهاه عن ذلك بما[٩] ذكرنا. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **لتفتروا على الله الكذب**، أي تكونون[١٠] مفترين على الله الكذب إذا قلتم ذا.

[٤٢٠و] / فإن قيل: كيف سماهم مفترين على الله بتسميتهم الحرام حلالا والحلال حرامًا؟

قيل: لأن التحليل والتحريم والأمر والنهي ربوبية، فإذا حرموا شيئًا أحله الله أو أحلوا شيئًا حرمه الله فكأنهم على الله افترَوا أنه حرم أو أحل، أو حرموا هم[١١] أو أحلوا فأضافوا ذلك إلى الله تعالى أنه هو الذي حرم أو أحل فقد افتروا على الله، لأن من أحل شيئًا حرمه الله أو حرم شيئًا أحله الله فقد كفر، وليس من انتفع بالمحرم أو ترك الانتفاع بالمحلل كافرا،[١٢] إنما يصير آثما مجرمًا، وكذلك تارك الأمر ومرتكب النهي.

---

[١] ك ن + يحتمل.
[٢] ن: وصف.
[٣] ع م: وأن لا تقولوا؛ ك ن: أو أن لا تقولوا.
[٤] ك ن: للكذب.
[٥] ك: التي؛ ك ع م - تصف.
[٦] ﴿قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون﴾ (سورة يونس، ٥٩/١٠).
[٧] جميع النسخ: يقول.
[٨] ع: الحضر.
[٩] ع م: مما.
[١٠] م: تكونوا.
[١١] ن: حرموا لهم، ع م: حرموهم.
[١٢] جميع النسخ: كفر.

وقوله عز وجل: **إن الذين يفترون على الله الكذب**، في تحليل ما حرم عليهم وفي تحريم ما أحله، وقولهم: وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا.[1]

وقوله عز وجل: **لا يفلحون**، أي لا يفلحون وهم مفترون على الله. وأما إذا انتزعوا من الافتراء وتابوا أفلحوا، أو **لا يفلحون**، في الآخرة إذا كانوا مفترين على الله في الدنيا.

﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١١٧]

ثم قوله: **متاع قليل**، على الابتداء، وإنما سُمّي قليلا -والله أعلم- لوجوه. أحدها أن متاع الدنيا على الزوال والانقطاع.[2] فكل ما كان على شرف الزوال والانقطاع فهو قليل، كما قيل: كل[3] آت قريب، لما يأتي لا محالة، فعلى ذلك كل زائل منقطع قليل. والثاني سمي قليلا لما هو مشوب بالآفات والأحزان وأنواع البلايا والشدائد فهو قليل في الحقيقة. أو إنه[4] سماه قليلاً لما أن متاع الدنيا قليل عما وعد في الآخرة، فمتاعها من متاع الآخرة قليل لما ليس فيها الوجوه التي ذكرنا. *والله أعلم*.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[١١٨]

وقوله عز وجل: **وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل**، وهو ما قص في سورة الأنعام وهو قوله: حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا، إلى قوله: ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ،[5] وقوله: فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا،[6] الآية.

وقوله عز وجل: **وما ظلمناهم**، بتحريم ما حرمنا عليهم، لأنا إنما حرمنا عليهم تلك الطيبات عقوبة لهم وجزاء لبغيهم، وهو ما قال في سورة النساء:[7] فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا،

---

[1] ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ (سورة الأعراف، ٢٨/٧).

[2] ن + فهو قليل.

[3] جميع النسخ: لكل.

[4] ك ن ع: ان.

[5] ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظُفُر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعَظْم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون﴾ (سورة الأنعام، ١٤٦/٦).

[6] ﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا﴾ (سورة النساء، ٤/ ١٦٠).

[7] ن ع م + وهو قوله.

وهو ما قال: ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ، أخبر أنه إنما حرم[1] عليهم ذلك بظلم كان[2] منهم عقوبة وجزاء لبغيهم، لكن هم[3] ظلموا أنفسهم في ذلك. أو أن يكون قوله: **وما ظلمناهم**، لأنهم عبيده وإماؤه، ولله أن يمتحن عباده وإماءه بتحريمٍ مرة وبتحليلٍ ثانيًا، ولكن ظلموا أنفسهم حيث وجّهوها إلى غير مالكها وصَرَفُوا[4] شكر ما أنعم عليهم إلى غيره.[5]

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١١٩]

وقوله[6] عز وجل: **ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة**،[7] عمل السوء بجهالة يحتمل[8] وجهين. أحدهما أن الفعل فعل جاهل وسفيهٍ وإن لم يجهل، يقال لمن عمل السوء: يا جاهل، يا سفيه! والثاني جَهِل ما يَحِلّ به بعمله[9] السوء. ثم قوله:[10] **ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة**، إلى آخره، يجيء أن يكون في الآية إضمار لم يذكر لأنه قال: ثم **إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا**، ثم كرر ذلك[11] الحرف على الابتداء من غير أنْ ذَكَر له جوابا،[12] وهو قوله: **إن ربك**[13] **من بعدها لغفور رحيم**، فظاهر الجواب أن يقول: ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة[14] ثم تابوا من بعد ذلك [وأصلحوا] لغفور رحيم، على ما ذكرنا في قوله: ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا،[15] الآية. لكن يخرج على الإضمار أو على التكرار على إرادة التأكيد،

---

[1] ع م – حرم.
[2] ك – كان.
[3] ع م: لكنهم.
[4] ع م: أو صرفوا.
[5] ك – غيره.
[6] ك: قوله.
[7] جميع النسخ: + أي.
[8] ن ع م + يحتمل.
[9] ن: بعلمه.
[10] ن ع م – ثم قوله.
[11] ن + للذين عملوا السوء بجهالة.
[12] جميع النسخ: جواب.
[13] ع م + للذين عملوا السوء بجهالة.
[14] ك – بجهالة.
[15] سورة النحل، ١٦/١١٠.

أو على الابتداء والاكتفاء بجواب ذكره في[1] موضع آخر حيث[2] قال: إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ،[3] هذا -والله أعلم- جوابه. أي[4] إن ربك من بعد التوبة، **لغفور رحيم**، كهو[5] قبل أن يعمل عمل السوء، والعرب قد تكرر أشياء على إرادة التأكيد. ***والله أعلم.***

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[١٢٠]

وقوله عز وجل: **إن إبراهيم كان أمة قانتًا**، قال عبد الله بن مسعود: الأمة الذي يُعلِم الناس الخير، والقانت المطيع لله.[6] وقال بعضهم:[7] **أمة قانتا**، أي مؤمنًا وحده والناس كلهم كفار. وقال بعضهم: **كان أمة**، أي إمامًا يقتدى به في كل خير، كقوله: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا.[8] وقال الحسن: **كان أمة**،[9] أي سنة يقتدى به. ويحتمل أن يكون سماه أمة[10] لما كان كالأمة والجماعة من القيام مع الأعداء، لأنه وإن كان منفردا وحده فكان قيامه مع[11] الأعداء والأكابر منهم كالجماعة والأمة والممتنع عنهم، لا[12] كالمنفرد. وأصل الأمة قيل الجماعة والعدد. ويحتمل قوله: **كان أمة**، أي مَجمَع كل خير وكل طاعة، لما عمل هو من الخير عمل الجماعة واجتمع فيه كل خير[13] فسمي أمة لهذا الذي ذكرنا. أو أن يكون تفسير الأمة[14] ما ذكر على أثره: **قانتا لله حنيفا**، والقانت قيل: المطيع، والقنوت هو القيام،[15]

---

[1] ن – في.

[2] ع م: ثم.

[3] سورة آل عمران، ٣/٨٩.

[4] ن – أي.

[5] ك ن ع: فكهو؛ م: فهو.

[6] انظر: *تفسير الطبري*، ١٤/١٩١؛ و*تفسير القرطبي*، ١٠/١٩٨.

[7] م + أمة.

[8] ﴿وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾ (سورة البقرة، ٢/ ١٢٤).

[9] ك – أي إماما يقتدى به في كل خير كقوله إني جاعلك للناس إماما وقال الحسن كان أمة.

[10] ن – يقتدى به في كل خير كقوله إني جاعلك للناس إمامًا وقال الحسن كان أمة أي سنة يقتدى به ويحتمل أن يكون سماه أمة.

[11] ع م – مع.

[12] ع م – لا.

[13] ن – وكل طاعة لما عمل هو من الخير عمل الجماعة واجتمع فيه كل خير.

[14] ع: لأمة.

[15] ع م – هو القيام.

كما ذكر أنه سئل عن أفضل الصلاة فقال:[1] «طول القنوت»،[2] أي طول القيام، فعلى هذا المعنى هو القائم لله في كل ما تعبّده[3] وأمره[4] به. وقيل: **أمة**، أي دينا، كقوله:[5] إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً،[6] أي دينكم دينًا واحدًا.

وقوله عز وجل: **حنيفًا**، قيل: [الحنيف] الحاج، وقيل: الحنيف المسلم، وقيل: المخلص؛ وفيه كل ذلك كان حاجًا مسلمًا مخلصًا لله. وأصل الحنيف الميل، أي كان مائلا إلى أمر الله وما تعبّده[7] به. ***والله أعلم.***

وقوله: **ولم يك من المشركين**، لا شك أنه لم يكن من المشركين، لكنه ذكر هذا لوجهين.[8] أحدهما لِما ادّعى كل أهل الأديان أنهم على دينه وانتسب كل فرقة إليه، فبرّأه الله من[9] ذلك وأخبر أنه ليس على ما هم عليه من الدين، وهو ما قال: مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا،[10] الآية. [٤٢٠ظ] / والثاني ذكر هذا أنه لم يكن[11] من المشركين بقوله: هٰذَا رَبِّي،[12] لأنه[13] كان ذلك منه[14] على ظاهر ما نطق كان ذلك في الظاهر إشراكًا، ففيه[15] تشبيه[16] في ظاهره. فبرّأه الله عن ذلك وأخبر أن ذلك منه لم يكن إشراكًا ولكن على المحاجة خرج ذلك منه [لما] حاجّه[17] قومه، كقوله: وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ.[18] ***والله أعلم.***

---

[1] ك: قال.

[2] انظر: صحيح *مسلم*، صلاة المسافرين ٢٢؛ وسنن *الترمذي*، الصلاة ١٠؛ وسنن *النسائي*، الزكاة ٤٩؛ وسنن *ابن ماجة*، الإقامة ٢٠٠.

[3] ع م: يعبده.

[4] ع: وأمر.

[5] ع م: لقوله.

[6] ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/٩٢).

[7] م: نعبده.

[8] ع م: هذين الوجهين.

[9] ك ن: عن.

[10] ﴿ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين﴾ (سورة آل عمران، ٣/٦٧).

[11] ك: يك، م - يكن.

[12] يشير المؤلف رحمه الله إلى آيات تخبر محاجة إبراهيم عليه السلام واستدلاله في وجود الباري تعالى، في سورة الأنعام، ٦/٧٥-٧٩.

[13] جميع النسخ + هو.

[14] ع م: عنه.

[15] ك ن: فيه.

[16] جميع النسخ: شبه؛ والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٤٤٨و.

[17] جميع النسخ: محاجة؛ والتصحيح مع الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٨و.

[18] ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم﴾ (سورة الأنعام، ٦/ ٨٣).

﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[١٢١]

وقوله عز وجل: **شاكرًا لأنعمه**، أي لم يصرف شكر نعمه إلى غير المنعم بل صرف شكرها إلى[١] منعمها. والشكر في الشاهد هو المكافأة، ولا يبلغ أحد من الخلائق في المرتبة التي يكافئ الله في أصغر نعمة أنعمها عليه ولا يتفرغ أحد عن أداء ما عليه من إحسان[٢] الله عليه،[٣] فضلا أن يتفرغ لمكافأته. لكن الله عز وجل بفضله ومنه سمى ذلك شكرًا، وإن لم يكن في الحقيقة شكرًا، كما ذكَر الصدقةَ التي يتصدّق[٤] بها العبد إقراضًا[٥] وكما[٦] سمّى تسليمه نفسه وبذله[٧] لأمر الله شراءً،[٨] وإن كانت أنفسهم وأموالهم في الحقيقة له. ولا يطلب المرء في العرف القرض من عبده وكذلك الشراء، لكنه بلطفه وفضله[٩] عامل عباده معاملةَ مَن لا مِلك له في أنفسهم وأموالهم، فعلى ذلك في تسمية الشكر. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **اجتباه**، قال بعضهم: لرسالته ونبوته، أو **اجتباه**، من بين ذلك القوم وجعله[١٠] إمامًا يقتدى به. وقوله عز وجل: **وهداه إلى صراط مستقيم**، وهو دين الإسلام وهو ما ذكر: قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا،[١١] الآية.

﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[١٢٢]

وقوله عز وجل: **وآتيناه في الدنيا حسنة**، قال بعضهم: الثناء الحسَن، وقال بعضهم: الحسنةَ في الدنيا، لأن جميع أهل الأديان يتولّونه ويرضَونه. ويحتمل أن يكون قوله: **وآتيناه في الدنيا حسنة**،

---

[١] ع + ما.
[٢] م: حسان.
[٣] ك: إليه.
[٤] ع م: تصدق.
[٥] يشير إلى قوله تعالى: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٤٥).
[٦] ع م: كما.
[٧] ن: وبذلك له.
[٨] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون﴾ (سورة التوبة، ٩/١١١).
[٩] ع م − وفضله.
[١٠] ع: واجعله.
[١١] ك + ملة إبراهيم. ﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٦١).

أي ما آتاه الله لم يؤته إلا حسنة على ما ذكر في قوله: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً،[1] أي ما آتيتنا[2] في الدنيا آتِنا كلها حسنة، لأن قوله: حَسَنَةً، إنما هي اسم حسنة واحدة. أو أن يكون قوله:[3] **وآتيناه في الدنيا حسنة**، عند قبض روحه، أي على الحسنة قبض روحه.

وقوله عز وجل: **وإنه في الآخرة لمن الصالحين**، أي لم يَنقص ما آتاه في الدنيا عما يؤتيه في الآخرة. وقال بعضهم: في قوله: **وآتيناه في الدنيا حسنة**، النبوة والرسالة. أو أن يقال: إنه لم يبين الحسنة التي أخبر أنه آتاها إياه، لكنه خص به كما[4] خص في قوله: اللهم صلّ على محمد كما صليت على إبراهيم، قد كان من إبراهيم معنى حتى[5] خص الله إبراهيم به من بين غيره، فكذلك[6] الأول. *والله أعلم*.

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[١٢٣]

وقوله عز وجل: **ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا**، أي دين إبراهيم وسبيله. وذكر في بعض الأخبار عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «جاء جبريل إلى إبراهيم صلوات الله عليه يوم التروية فراح به إلى مِنى فعلّمه المناسك كلها وأراها[7] إياه». فأوحى الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم **أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين**، فنحن أمرنا أن نتبع ملته في الحج وفي غيره. وأصل الملة الدين -والله أعلم- كقوله: «لا يتوارث أهل ملتين»،[8] أي أهل دينين.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[١٢٤]

وقوله عز وجل: **إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه**، قال بعضهم: اختلافهم[9] أن موسى أمر بني إسرائيل أن يتفرغوا في كل سبعة أيام يومًا للعبادة وهو يوم الجمعة وينزعوا فيه عمل دنياهم،

[1] ﴿ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٠١).
[2] ن: آتينا، ع م: آتيناه.
[3] ع م – قوله.
[4] ع م + هو.
[5] ع – حتى.
[6] م: فذلك.
[7] ع: ورآه، م: وأراه.
[8] *سنن ابن ماجة*، الفرائض ٦؛ و*سنن أبي داود*، الفرائض ١٠؛ و*سنن الترمذي*، الفرائض ١٦.
[9] جميع النسخ + وذلك؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٨و.

فقالوا: نتفرغ يوم السبت فإن الله لم يخلق يوم السبت شيئًا. فقال فريق منهم: انظروا إلى ما يأمركم نبيكم فخذوا به، فذلك اختلافهم. فجعل لهم يوم السبت على ما سألوا فاستحلوا فيه المعاصي فحرم الله[١] عليهم العمل فيه عقوبة لهم. وقال الحسن وقتادة: **إنما جعل السبت**، أي إنما لعنوا[٢] في السبت فمُسخوا قردةً [أي] الذين اختلفوا فيه، وكان اختلافهم أنه حرمه بعضهم واستحله بعض. وقال أبو بكر [الأصم]: اختلافهم كان في تكذيب الرسل والأنبياء، فمنهم من صدّق ومنهم من كذّب، فحرم عليهم يوم السبت عقوبة لهم.[٣] أو أن يكون اختلافهم ما سألوا موسى من الآيات العجيبة والأسئلة الوَحِشَة،[٤] كقولهم: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً،[٥] وكقولهم:[٦] اِجْعَلْ لَنَا إِلٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ،[٧] ونحوه بعد ما أقام عليهم من آيات[٨] كانت لهم فيها كفايةٌ، فيُشبه أن يكون اختلافهم الذي ذكر ذلك.

وقوله: إنما **جعل السبت على الذين اختلفوا فيه**، يخرج على وجهين.[٩] أحدهما إنما جعل محنة السبت **على الذين اختلفوا فيه**،[١٠] أي على الذين فسقوا فيه، حيث قال: بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ.[١١] والثاني إنما جعل عقوبة السبت على الذين اعتدَوا فيه دون الذين اختلفوا فيه، لأن فريقا منهم قد نهَوهم عن ذلك وفريقا قد اعتدوا، فأهلك الذين اعتدوا دون الذين نهوهم. وقوله: **اختلفوا فيه**، يحتمل **فيه**، أي في[١٢] موسى أو في يوم السبت الذي اختلفوا فيه وعوقبوا فيه. ***والله أعلم***.[١٣]

---

[١] م – الله.
[٢] جميع النسخ: لعن؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٨و.
[٣] ع م – لهم.
[٤] م: الوحشية.
[٥] ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون﴾ (سورة البقرة، ٢/٥٥).
[٦] ك ع م: وكقوله.
[٧] ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فَأَتَوا على قوم يَعكُفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾ (سورة الأعراف، ٧/ ١٣٨).
[٨] ع م: من الآيات.
[٩] ن: وجوه.
[١٠] ن + لأن فريقا منهم قد نهوهم عن ذلك وفريقا قد اعتدوا.
[١١] ﴿واسألهم عن القرية التي كانت حاضرةَ البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حِيتانهم يوم سبتهم شُرَّعا ويوم لا يَسبِتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون﴾ (سورة الأعراف، ٧/ ١٦٣).
[١٢] ك – في.
[١٣] ن – والله أعلم.

وقوله عز وجل: **وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون**، يحكم بينهم بالجزاء، أو يحكم[1] بما بيّن لهم المحق من المبطل. لكن لو قيل: قد بيّن في الدنيا بين المحق والمبطل[2] حيث[3] أهلك[4] فريقًا وأنجى[5] فريقا، فكيف قال: **ليحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون**،[6] لكن يشبه أن يكون ذلك بالجزاء على ما ذكرنا.

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[١٢٥]

وقوله: **ادع إلى سبيل ربك**، قيل: دين ربك، **بالحكمة**، قال الحسن: الحكمة القرآن، أي ادعهم إلى دين الله بالقرآن. وقال بعضهم: **بالحكمة**، بالحجة والبرهان، أي ادعهم إلى دين الله بالحجج والبراهين، أي ألزمهم دين الله بالحجج والبراهين حتى يقرّوا به.

وقوله عز وجل: **والموعظة الحسنة**، قال الحسن: أي عظهم بالمواعظ التي وعظهم الله[7] تعالى في الكتاب. وقال أبو بكر [الأصم]، أي ذكّرهم / النعم التي أنعم عليهم. [٤٢١و] **وجادلهم بالتي هي أحسن**، أي جادلهم أحسن[8] المجادلة بليّن القول وخفض الجانب والجناح لعلهم يقبلون دينه[9] ويخضعون لربهم.

وكذلك اختلفوا في قوله: وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ،[10] وقوله: لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ؛[11] قال الحسن: الكتاب والحكمة واحد، اسمٌ مثنًّى وهو القرآن. وقال بعضهم: الكتاب هو القرآن وهو سماع الوحي، والحكمة وحي الإلهام وهو السنة. وقال بعضهم: الكتاب هو التنزيل،

---

[1] ع م: ويحكم.
[2] ك: من المبطل؛ ع م – لكن لو قيل قد بين في الدنيا بين المحق والمبطل.
[3] م: حيب.
[4] ع م – أهلك.
[5] ع: وان جاء.
[6] ن – يحكم بينهم بالجزاء أو يحكم بما بين لهم المحق من المبطل لكن لو قيل قد بين في الدنيا بين المحق والمبطل حيث أهلك فريقا وأنجى فريقا فكيف قال يحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون.
[7] ك ن – الله.
[8] ع – أي جادلهم أحسن.
[9] جميع النسخ: دينهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٨ظ.
[10] ﴿إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل﴾ (سورة المائدة، ١١٠/٥).
[11] ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمننّ به ولتنصرُنّه﴾ (سورة آل عمران، ٨١/٣).

والحكمة هي[1] المعنى المودَع فيه. فمن يقول: إن الكتاب والحكمة واحد وهو[2] القرآن، يقول في قوله: **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة**، القرآن؛ ومن يقول عنه: إنهما غير [واحد] يقول ههنا: إن الحكمة الحجة والبرهان؛ إما من جهة الإلهام أو من جهة الانتزاع من الكتاب.

ويحتمل أن يكون قوله: **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة**، التي ذكر في هذه السورة.[3] من ذلك قوله: يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ،[4] يعني من بطون النحل، وقوله: وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ،[5] وما ذكر أنه يُخرج من الخشب اليابسة الأعناب وأنواع الثمرات ونحوَه، فذلك كله بحكمته. أي ادعهم إلى دينه وذكّرهم بهذا وهم يقرون به ليقبلوا دينه ويخضعوا لأمره.

والموعظة الحسنة، ما ذكر في قوله: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ،[6] الآية، وذلك كله مستحسن في العقل توجبه[7] الحكمة. لأن العدل والإحسان وما ذكر من إيتاء ذي القربى الصدقة مستحسن في عقل كل أحد، والانتهاء أيضًا عن الفحشاء والمنكر مستحسن، مستقبح ارتكابه وإتيانه. كأن الحكمة هي التي تشتمل على العلم والعمل جميعًا كأنه قال: ادعهم إلى دين الله بالعلم والعمل جميعًا حتى ينجع ذلك فيهم، أو ادعهم باللين وخفض الجناح مرة، وبالعنف[8] والخشونة ثانيًا، فيكون وضع الشيء موضعه. ثم قال: يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.[9]

وقوله عز وجل: **وجادلهم بالتي هي أحسن**، يحتمل -والله أعلم- أي جادلهم بالذي يقرون على ما ينكرون، وهو كما ذكر:[10] أَفَمَنْ يَخْلُقُ،[11] الآية، وقوله: وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا،[12]

---

[1] ك: هو.
[2] ك ن: وهي.
[3] ن + التي.
[4] ﴿ثم كُلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربكِ ذُللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ (سورة النحل، ٦٩/١٦).
[5] سورة النحل، ٦٦/١٦.
[6] ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾ (سورة النحل، ٩٠/١٦).
[7] ك ع م: وتوجبه.
[8] ع م: بالعنف.
[9] سورة النحل، ٩٠/١٦.
[10] جميع النسخ: ما ذكر؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٨ظ.
[11] ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تَذَكّرون﴾ (سورة النحل، ١٧/١٦).
[12] سورة النحل، ٧٣/١٦.

وقوله: ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْدًا مَمْلُوكًا،[1] الآية، وقوله: وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ،[2] الآية، وقوله: وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ،[3] الآية، ونحو هذا. [أمر بأن][4] يجادلهم بأحسن المجادلة بالذي يقرون أنه كذلك على الذي[5] ينكرون ليُلزمهم القبول والخضوع له.

ثم في الآية دلالة تعليم المناظرة في الدين وكيفية المعاملة بعضهم بعضا[6] فيها حيث قال: **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة**، التي عنده: بالقرآن أو غيره من الحجج والبينات، **والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**. هكذا يجب أن يناظر بعضهم بعضًا بالوجه الذي وصف الله. وعلى ذلك ما ذكر الله في كتابه مناظرة الأنبياء والرسل مع الفراعنة والأكابر وهو ما قال: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ،[7] إلى آخر ما ذكر،[8] وقوله: وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ،[9] الآية، ومناظرة فرعون مع موسى صلوات الله عليه حيث قال: قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[10] الآية، وما قال: قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ،[11] وقوله: قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَى عَصَاهُ،[12] وما قال: قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى،[13] وأمثاله مما يكثر.[14]

---

[1] سورة النحل، ١٦/٧٥.

[2] سورة النحل، ١٦/٧٦.

[3] سورة النحل، ١٦/٧١.

[4] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٨ظ.

[5] ك ن م: على الذين.

[6] جميع النسخ: لبعض؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٨ظ.

[7] ﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربيَ الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبُهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٥٨).

[8] ن + الله في كتابه.

[9] ﴿وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدانِ ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٨٠).

[10] ﴿قال فرعون وما رب العالمين قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٢٣-٢٤).

[11] سورة الشعراء، ٢٦/٢٨.

[12] ﴿فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٣١-٣٢).

[13] سورة طه، ٢٠/٥٠-٥١.

[14] م – مما يكثر.

فهذه مناظرة الرسل والأنبياء مع الفراعنة والأعداء، فكيف المناظرة بين الأولياء. فهذا كله يردّ على من يأبى المناظرة في الدين ويمتنع عن التكلم فيه والاحتجاج.

وقوله عز وجل: **إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله**، في الآية نسبتُهم إلى الضلال إشارةً وكنايةً لا تصريحا، لأنه[1] لم يقل لهم مصرحًا: إنكم قد ضللتم عن سبيله، لحسن معاملته التي علّم رسوله وأمره أن يعاملهم، لأن ذلك أقرب إلى القبول وأميَل إلى القلوب وآخذ،[2] ألا ترى أنه قال لموسى وهارون حين أرسلهما إلى فرعون: فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى.[3]

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾[١٢٦]

وقوله[4] عز وجل: **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به**، اختلف في سبب نزول ذلك، قال بعضهم: نزل[5] في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أن[6] نفرا منهم قد مُثِّلوا يوم أُحُد مُثلة سيئة من قطع الآذان وتجديع الأنوف وبَقرِ البطون ونحوه فقال أصحابهم: لئن أَدَالَنَا[7] الله منهم لنفعلنّ ولنفعلنّ كذا وكذا، فأرادوا أن يُجازوا ذلك فأنزل الله: **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به**، الآية. وفيه البِشارة لهم بالنصر والظفر على أعدائهم، لأنه لو[8] لم يكن لهم الظفر بهم كيف يَقدِرون على معاقبة مثلِ ما عوقبوا،[9] دل أنه على البشارة لهم بالنصر والظفر بهم. وفيه دلالة جواز أخذ[10] من لم يتولَّ القتل والأخذ والضرب لِما لعلهم لا يظفرون بأولئك الذين تَوَلّوا ذلك، لكن يؤخذ إخوانهم بهم لما[11] بمعونة بعضهم بعضًا فعلوا. ويكون فيه دليل أخذ قطاع الطريق بالقتل والقطع وإن كان الذي[12] تولى ذلك بعضا منهم لِما أن من تولى ذلك إنما تولى بمعونة من لم يتول.

---

[1] م + لأنه.
[2] ن ع: واحد.
[3] سورة طه، ٤٤/٢٠).
[4] ك – وقوله.
[5] ع م – نزل.
[6] ع – أن.
[7] الإدالة الغلبة، يقال: أُدِيل لنا على أعدائنا، أي نُصِرنا عليهم وكانت الدولة لنا (*لسان العرب*، «دول»).
[8] م – لو.
[9] ع م: عاقبوا.
[10] ك – أخذ.
[11] ن – لما.
[12] ع: بالذي.

وقال بعضهم: إنما نزلت الآية في ابتداء الأمر الذي كان القتل مع الكفرة قتلَ مجازاة مثل قوله: وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً،[1] وكقوله: فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ،[2] ومثله. فإذا كان على المجازاة أمرَ أن[3] لا يتجاوزوا عقوبتهم ولكن مثله. وأما إذا كان القتال معهم لا قتالَ مجازاة فإنهم يُقتَلون جميعًا إذا أبَوا الإسلام / بقوله: قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ،[4] الآية، [٤٢١ظ] وقوله عليه الصلاة والسلام: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»،[5] وقولِه تعالى: تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ.[6] وقال بعضهم: لا ولكن الآية نزلت في أهل الإسلام، وحكمه في القصاص والقطع فيما دون النفس والجِراحات، أَمَر أن لا يتجاوزوا حقوقهم، كقوله: وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا،[7] وقوله: فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ،[8] الآية، وقوله: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى،[9] الآية.

وقوله عز وجل: **ولئن صبرتم**، على ما ذكر، **لهو خير**، أي الصبر خير **للصابرين**. ودل قوله: **ولئن صبرتم لهو خير للصابرين**،[10] على أن الآية في القصاص لا في الحرب، لأنه في الحرب[11] لا يقال: اصبِر، ولا يكون الصبر خيرا، دل أنه في غير المحاربة. ***والله أعلم***.

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾[١٢٧]

وقوله عز وجل: **واصبر**، يا محمد، **وما صبرك إلا بالله**، أي ما توفيقك على الصبر إلا بالله،

---

[1] ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين﴾ (سورة التوبة، ٣٦/٩).

[2] سورة البقرة، ١٩١/٢.

[3] ن: من أن.

[4] ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ (سورة التوبة، ٢٩/٩).

[5] انظر: *صحيح البخاري*، الصلاة ٢٨، الزكاة ١، الجهاد ١٠٢؛ و*صحيح مسلم*، الإيمان ١٠.

[6] ﴿قل للمخلَّفين من الأعراب ستُدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون﴾ (سورة الفتح، ١٦/٤٨).

[7] ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين﴾ (سورة الشورى، ٤٠/٤٢).

[8] ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾ (سورة البقرة، ١٩٤/٢).

[9] ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عُفي له من أخيه شيء فاتباعٌ بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم﴾ (سورة البقرة، ١٧٨/٢).

[10] ع – ودل قوله ولئن صبرتم لهو خير للصابرين.

[11] ع – لأنه في الحرب.

كقول[1] شعيبٍ: وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ.[2] الآية. والثاني: **واصبر وما صبرك إلا بالله**، أي تَركُك القصاصَ لأمر الله حيث أمرك به لا لضعف أو عجز فيك.

وقوله: **ولا تحزن عليهم**، قال بعضهم: إنه كان يحزن ويضيق صدره لمكان كفرهم بالله وتركهم الإيمان بالله،[3] كقوله: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ،[4] وقوله: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ،[5] فقال: **ولا تحزن عليهم**، لذلك، على التسلي والتخفيف لا على النهي عن ذلك. ويحتمل أن يكون قوله: **لا تحزن**، على المؤمنين الذين قُتلوا واستُشهدوا،[6] لأنهم مستبشرون فرحون عند ربهم بما آتاهم الله، كقوله: بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ[7] مِنْ فَضْلِهِ،[8] أي لا تحزن عليهم وهم فيما ذكر. أو **لا تحزن**، على المؤمنين ولا يَضِيقَنّ[9] صدرك[10] بما[11] يمكر بك أولئك الكفرة؛ إذ كانوا يمكرون برسول الله وبأصحابه[12] ويؤذونهم، أمر[13] أن لا يضيقنّ[14] صدرك لذلك.[15] وقال بعضهم: نزلت في أمر حمزة سيد الشهداء، إنه مُثِّل وجُرِح جِراحات عظيمة فاشتد على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لئن ظفرنا بأولئك لنفعلنّ كذا ولنفعلنّ كذا،[16]

---

[1] ع: كقوله.

[2] ﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنتُ على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ (سورة هود، ٨٨/١١).

[3] ن + وتركهم الإيمان بالله.

[4] سورة الشعراء، ٣/٢٦.

[5] ﴿أفمن زُيّن له سوءُ عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون﴾ (سورة فاطر، ٨/٣٥).

[6] ع: أو استشهدوا.

[7] ع م – بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله.

[8] ﴿ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يُرزقون. فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون. يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾ (سورة آل عمران، ١٦٩/٣-١٧١).

[9] ع: يضيق.

[10] ن + لذلك وقال بعضهم.

[11] ن ع: مما.

[12] ع: وأصحابه.

[13] جميع النسخ: أخير؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٩و.

[14] ع: يضيق.

[15] ع: كذلك.

[16] انظر: *تفسير الطبري*، ١٩٥/١٤.

فنزلت الآية: وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ.[1] لكن إن ثبت هذا فإنه يكون في الوقت الذي كان يؤخذ غير[2] القاتل والجارح بالقتل[3] وذلك قد كان في الابتداء، ألا ترى أنه قال: ٱلْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ،[4] كانوا همّوا أن يأخذوا الحرّ بالعبد والذكر بالأنثى حتى نزل هذا فصار منسوخًا به وبقوله: وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ،[5] ولو كان يؤخذ غير القاتل بالقصاص لم يكن فيه حياة. وإن[6] قالوا في الحرب مع الكفرة فذلك لا يحتمل، لأنه في الحرب لهم أن يقتلوا الكل وأن لا يتركوا واحدًا منهم. دل أنه يخرج على أحد وجهين: على النسخ الذي ذكرنا، أو على النهي عن أخذ أكثر من حقه، كقوله:[7] فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ،[8] الآية.

﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[١٢٨]

وقوله عز وجل: **إن الله مع الذين اتقوا**، يحتمل **اتقوا**، مخالفة الله ورسوله بالنصر لهم والعون فإن الله ناصركم ومعينكم عليهم.[9] وقوله عز وجل: **والذين هم محسنون**، في العمل والتوحيد. أو يقول:[10] **إن الله مع الذين اتقوا**، محارم الله وارتكاب مناهيه بالنصر لهم والمعونة، **والذين هم محسنون**، إلى نعم الله بالقيامِ بالشكرِ[11] لها. ***والله أعلم***.[12]

---

[1] الآية السابقة.
[2] ن ع م: غيره.
[3] ع: بالقتيل.
[4] سورة البقرة، ١٧٨/٢.
[5] سورة البقرة، ٢/ ١٧٩.
[6] ك ن ع: أو.
[7] ن: كقولك.
[8] ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾ (سورة البقرة، ١٩٤/٢).
[9] ع: والله أعلم.
[10] ن: ويقول.
[11] ع: وبالشكر.
[12] ن + بالصواب، ع + وبه ثقتي.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الإسراء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[١]

قوله عز وجل: **سبحان الذي أسرى بعبده ليلا، سبحان**، كلمة إجلال الله عن الأكْفاء وتنزيهه عن الشركاء وتبرئته عما قالت المعطّلة فيه وظنت الملحدة[١] به من الولد والحاجات والآفات وجميع معاني الخلق. وروى في بعض الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن تفسير سبحان الله قال: «هو تنزيه الله عن كل سوء».[٢] ومعنى قوله: **سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى**[٣] هو -والله أعلم- كأنه ذكر أن من قدر أن يُسريَ بعبده ليلا مسيرةَ شهر يقدر على إحياء الموتى بعد الموت ويملك حفظ رسوله والنصر له وإظهارَ آيات نبوته ورسالته وقطع جميع حِيَل المكذبين له والمخالفين.

وقوله: **من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى**،[٤] سماه أقصى وهو الأبعَد من قَصِيَ يَقْصَى قَصًا[٥] فهو قاصٍ،[٦] كأنه لم يكن يومئذ إلا المسجد الحرام[٧] ومسجد بيت المقدس فسماه لذلك -والله أعلم- المسجد الأقصى.

---

[١] م: الملاحدة.

[٢] انظر: *تفسير الطبري*، ١١/٩٠؛ و*تفسير القرطبي*، ١٥/١٤٠.

[٣] م + الذي.

[٤] ع - إلى المسجد الأقصى.

[٥] جميع النسخ: قصى.

[٦] قَصِيَ يَقْصَى قَصًا المكان: بعد. قصى الرجل عن القوم: تباعد (*المنجد ولسان العرب*، «قصا»).

[٧] جميع النسخ + ومسجده بالمدينة؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٩و. ومسجد النبي عليه الصلاة والسلام بالمدينة قد بني بعد الهجرة، وسورة الإسراء مكية.

وقوله عز وجل: **الذي باركنا حوله**، قيل: سمي [به] لكثرة أنزاله وخيراته وسعته. وقيل سمي مباركا[1] لأنه مكان الأنبياء[2] ومقامهم فبورك فيه ببركتهم ويمنهم. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **لنريه من آياتنا**، أي لنريه من آياتنا الحسيّة بعد ما أريناه[3] الآيات العقلية، لأن الآيات الحسية أكبر في قطع الشبهة ودفع الوساوس، إذ لا يشك أحد فيما كان سبيل معرفته الحس والعيان، وقد يعترض ربما الشبه والوسواس[4] في العقلية،[5] لأنه[6] لا يشك أحد في نفسه أنه هو. فأحب عز وجل أن يُري رسوله آيات حسية تضطر المنصفين على قبولها والإيمان بها والإقرار له أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، لِما يعلمون أن ما[7] كان يخبرهم من أخبار -حيث قال: إنه رأى غير فلان[8] وأمورا- يعلمون أنه لا يقول إلا عن مشاهدة وعيان، لأنه كان ما أتى من الآيات العقليات قالوا: إنه سحر، وما ذكر من الأنباء [التي] كانت في كتبهم المتقدمة قالوا: أساطير / الأولين، وإنما يعلّمه بشر. ليس ذلك[9] عمل سحر[10] [٤٢٢و] ولا إفك ولا افتراء ولا أساطير الأولين على ما نسبوه إلى السحر مرة وإلى الإفك والافتراء ثانيا ونحوه.

وقوله عز وجل: **إنه هو السميع البصير**، أي من قدر على ما ذكر لا يحتمل أن يخفى عليه شيء من قول أو عمل.

ثم ما رويت من الأخبار أنه عُرِج به إلى السماء حتى رأى إخوانه الأنبياء الماضين قبله وما ذكر فيها فنحن نقول ما قال الصديق: لقد صدق[11] إن كان قال ذلك فأنا أشهد على ذلك.[12] وإلا نقول بمقدار[13] ما في الآية أنه أسرِي به إلى بيت المقدس، المسجد الأقصى، ولا نزيد عليه لأنه من أخبار الآحاد فلا تسع[14] الشهادة له.

---

[1] ع م - لكثرة أنزاله وخيراته وسعته وقيل سمي مباركا.
[2] ك: للأنبياء.
[3] جميع النسخ: أراه؛ والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٤٤٩و.
[4] ن م - إذ لا يشك أحد فيما كان سبيل معرفته الحس والعيان وقد يعترض ربما الشبه والوسواس.
[5] م: من العقليات.
[6] ن: إذ.
[7] جميع النسخ: انما؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٩و.
[8] لعله يقصد بغير فلان غير إنسان -وهو الذي يعرف الكل وجوده وماهيته- مثل الملك وغيره.
[9] أي الآيات الحسية التي شاهدها في الإسراء.
[10] ك: السحر.
[11] ع م - لقد صدق.
[12] انظر: *تفسير الطبري*، ١٥/٤٦؛ و*تفسير القرطبي*، ١٠/٢٨٣.
[13] ع م: على مقدار.
[14] ن ع م: يسع.

﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾[٢]

وقوله عز وجل: **وآتينا موسى الكتاب**، يعني التوراة، **وجعلناه هدى لبني إسرائيل**، كلُّ كتب[١] الله هدى لمن استهدى ورشدا لمن استرشد وبيانا لمن استوضح، لأنها دعت إلى ثلاث خصال:[٢] دعت إلى معالي الأمور، ومكارم الأخلاق، ومصالح الأعمال؛ ونهت عن ثلاث: عن مساوي الأعمال، وعن سفاسف الأمور، ودناءة الأخلاق ورداءتها.[٣] ذكر أنه جَعَل الكتاب هدى لبني إسرائيل لأن منفعة الكتاب حصلت لهم، لأنهم هم الذين استهدَوا به فعلى ذلك هو هدى لمن استهدى. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ألا تتخذوا من دوني وكيلا**، أي معتمَدا، أي قلنا لهم فيه أو ذكرنا لهم فيه أو أمرناهم فيه **ألا تتخذوا من دوني وكيلا**، أي معتمدا موكولا. الوكيل هو موكول الأمر إليه، معتمد في الأحوال عليه، قائم[٤] في جميع ما وُكِل إليه بالتبرع والتفضل. **ألَّا تتخذوا من دوني وكيلا**، قيل: ربا وإلها، وقيل: شريكا، وأصله ما ذكرنا أن الوكيل هو المعتمد.[٥]

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾[٣]

وقوله عز وجل: **ذرية من حملنا مع نوح**، قال بعضهم: يعني بالذرية الأنبياء الذين كانوا من قبل، أي كانوا مِن ذرية نوح ومَن حُمل معه وهم بشر. قال: ذكر هذا لإنكارهم بعث الرسل من البشر حيث قالوا: أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولًا.[٦] والثاني يحتمل غيره،[٧] **ذرية مَن حملنا مع نوح**، أي هؤلاء [الكفرة][٨] من ذرية من حملنا مع نوح فكيف خالفوا آباءهم الذين كانوا على الهدى وتابعوا غيرهم. أو يذكر أن هؤلاء الرسل من ذرية من حملنا مع نوح وهم بشر فكيف أنكروا الرسل من بشر. ثم قال بعضهم: هو على النداء والدعاء، [أي يا] **ذرية من حملنا مع نوح**[٩] في السفينة في أصلاب الرجال وأرحام النساء زمان الطوفان.[١٠]

---

[١] جميع النسخ: كتاب؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٩ظ.
[٢] ك: خصال ثلاث.
[٣] ن: ورداءته.
[٤] ن ع: فاتم.
[٥] وقع ما بين النجمتين أثناء تفسير الآية الآتية، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٤٢٢و/سطر ١٨-١٩.
[٦] ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا﴾ (سورة الإسراء، ٩٤/١٧).
[٧] ك م + أي من؛ ن ع + أي من يا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٩ظ.
[٨] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٩ظ.
[٩] ك – وهم بشر فكيف أنكروا الرسل من بشر ثم قال بعضهم هو على النداء والدعاء ذرية من حملنا مع نوح.
[١٠] وقع هنا مقطع من تفسير الآيات السابقة فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٢٢و/سطر ١٨-١٩.

إنه كان عبدا شكورا، يعني نوحا. قال بعضهم: سماه شكورا لأنه كان يذكر ربه في كل أحواله. وقال بعضهم: الشكور هو الذي يبتغي مرضاة مُنعِمه ويجتنب مساخطه، وقال بعضهم: الشكور هو[1] المطيع لله. وقد ذكرنا معنى الشكر أنه اسم المكافأة. أو يقال: كانت عبادته لله عبادةَ[2] شكرٍ لا عبادة استغفار، أي كان شكورا في عبادته لا مستغفرا.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[٤]

وقوله عز وجل: **وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين**، اختلف في قوله: **وقضينا**. قال الحسن وغيره: أوحينا إليهم وأخبرناهم وأعلمناهم في الكتاب، **لتفسدن في الأرض مرتين**. وقال بعضهم: قضينا عليهم، وقال بعضهم:[3] كتبنا عليهم. فكيف ما كان ففيه نقض قول المعتزلة، لأنه أخبر أنه أخبرهم وأعلمهم على تأويل من زعم أن القضاء ههنا هو الإعلام والإخبار[4] لهم. فيقال لهم: كان أخبرهم وأعلمهم ليَصدُق في خبره أولا؟ فإن كان أخبرهم ليصدق في خبره فذلك منه حكم أنهم لَيُفسدنّ في الأرض مرتين. فإن كان تأويل القضاء الكتاب والحكم فهو ظاهر وهو ما نقول:[5] إن كل فاعل فعلا طاعة كانت أو معصيةً كان[6] بحكمه. ثم من سأل آخر عن المعصية أنها كانت بقضاء الله؟ فلا يجب أن يجيب[7] له على الإطلاق بنعم أو بلا[8] إلا أن يبين[9] أنه ما يريد بالقضاء وما يفهم منه، لأن القضاء يتوجه إلى وجوه. يرجع إلى الخلق، كقوله: فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ،[10] أي خلقهن؛ والقضاء الأمر بقوله: وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ،[11] أي[12] أمر ربك؛ والقضاء الحكم، كقوله: فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ،[13]

---

[1] ك – هو.
[2] ن – لله عبادة.
[3] م – قضينا عليهم وقال بعضهم.
[4] ك: الإخبار والإعلام.
[5] ع: تقول.
[6] ك: كانت.
[7] جميع النسخ: أن يجاب؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٩ظ.
[8] ن: بلى، ع: بلاء.
[9] ن: بين.
[10] ﴿فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها﴾ (سورة فصلت، ١٢/٤١).
[11] ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا﴾ (سورة الإسراء، ٢٣/١٧).
[12] ع م – أي.
[13] سورة طه، ٧٢/٢٠.

أي احكُم ما أنت حاكم. ولم يعرف القضاءُ الحَملَ والدفعَ على ما يقوله المعتزلة ونحوه فلا يجاب على الإطلاق إلا أن يبين أنه ما أراد بالقضاء؛ فإن أراد بالقضاء الحكم فعند ذلك يقال: نعم كان بقضائه[١] وحكمه وليس فيما قضى وحكم دفعُه في المعصية [وحمله على ذلك].[٢]

ثم اختلف في قوله: **مرتين**، قال بعضهم من أهل التأويل: إن بني إسرائيل عتَوا ربهم فسلط الله عليهم جالوت فقتلهم[٣] وسبَى ذَراريهم وأموالهم، فكانوا كذلك زمانا ثم تابوا ورجعوا عن ذلك، ثم بعث الله داود فقتل جالوت واستنقذهم من بين[٤] يديه وردهم إلى مكانهم. ثم عادوا إلى ما كانوا من قبل، ثم سلط عليهم بختُنَصَّر ففعل بهم ما فعل جالوتُ ثم تابوا، فبعث الله[٥] محمدا صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم: بعث أولا بختُنَصَّر ثم[٦] فلانا وفلانا وهو ما قال: فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا، إلى قوله: وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا،[٧] أي عدتم إلى العصيان **عدنا** إلى العقوبة.

ولكن ليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة سوى ما فيه من وجوه الحكمة والدلالة. أحدها فيه دلالة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه أخبر عما كان في كتبهم من غير أن علم ما في كتبهم ولا اختلف إلى أحد منهم فكان على ما أخبر، دل أنه إنما عرف ذلك / بالله بما أخبره في كتابه. [٤٢٢ظ]

و[الثاني] في أنه لم يُهلَك قوم بنفس الكفر إهلاك استئصال حتى كان منهم مع الكفر السعي في الأرض بالفساد والعنادُ للآيات. و[الثالث] فيه أن ليس على الله حفظ الأصلح لهم وإعطاؤه في الدين، حيث لم يُمِتهم على الإيمان ولكن تركهم حتى عَصَوا ربهم، ثم سلط عليهم من قتلهم على تلك الحال ودعاهم إلى دينه وهو كفر، فلو كان عليه إعطاء الأصلح لأماتهم على الإسلام فذلك أصلح لهم في الدين.

---

[١] ع: بقضاء.
[٢] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٤٩ظ.
[٣] ن: وقتلهم.
[٤] ك ع م - بين.
[٥] ع م - الله.
[٦] ع - ثم.
[٧] ع م - عدنا. سورة الإسراء من الآية ٥ إلى الآية ٨.

وقوله عز وجل: **ولَتَعْلُنَّ عُلُوّا كبيرا**، قيل: لتجترءون[1] جُرْأَةً[2] عظيمة، وقيل: لَتَقهَرُنّ ولَتَغلِبُنّ[3] غلبة كقوله: إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ، أي قهر وغلب، ألا ترى أنه قال: وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ،[4] ثبت أنه على الغلبة والقهر. وقيل: العلوّ هو القوة والجرأة والتكبر، وهو ما ذكرنا.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾[٥]

وقوله عز وجل: **فإذا جاء وعد أولاهما**، أي جاء وعدُ هلاك من عصى منهم أوّلا وخالف أمر الله وكفر به. **بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد**، قال[5] الحسن: قوله: **بعثنا عليكم**، ليس على بعث الوحي إليهم ولكن على التخلية، أي خلينا بينهم وبين عباد أولي بأس شديد، أي أولي[6] بطش شديد وقوة، كقوله: أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ،[7] أي خلّينا بينهم وبين الشياطين. وقال بعضهم: **بعثنا عليكم**،[8] أي سلطنا عليكم.

وقوله: **بعثنا عليكم عبادا لنا أولي باس شديد**، ترد[9] على المعتزلة، لأنه ذكر أنه[10] بعث عليهم[11] عبادا أولي بأس شديد، وإنما بعثهم[12] لجزاء إساءتهم ولسوء صنيعهم، وذلك شر يُفعَل بهم. دل أن لله[13] صنعا في جميع أفعال العباد.[14]

---

[1] ك ن: لتجترون.

[2] ن ع: والجراءة.

[3] م: ولتعلن.

[4] سورة القصص، ٢٨/٤.

[5] ع: وقال.

[6] ع + باس.

[7] ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تَؤُزُّهم أَزًّا﴾ (سورة مريم، ١٩/٨٣).

[8] ع م – أي خلينا بينهم وبين الشياطين وقال بعضهم بعثنا عليكم.

[9] ك ع م – ترد.

[10] ع م – أنه.

[11] ع: إليهم.

[12] ع: بعثكم.

[13] ع: أن الله.

[14] م: أن لله في جميع أفعال العباد صنعا.

وقوله عز وجل: **فجاسوا خلال الديار**، قال[١] بعضهم: **فجاسوا**، من التجسس،[٢] أي يتجسسون أخبارهم ويسمعون أحاديثهم وهم جنود جاءوا من فارس قتلوا الناس في الأزِقّة، وقيل: في الطرق.

*وقال أبو عبيدة: **فجاسوا خلال الديار**، معناه أي فَقَتلوا في ديارهم.* [٤٢٢ظ س٢٧]

وقوله عز وجل: **وكان وعدا مفعولا**، أي للذين[٤] قال [لهم]: لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ،[٥] وعدا كائنا مفعولا، أي كان وعدا موعودا مفعولا[٦] كائنا، وإلا الوعد لا يأتي. وكذلك قوله: إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا،[٧] أي موعودا مأتيا، وكذلك ما أشبه هذا.

*ثم[٨] قوله: **فإذا جاء وعد أولاهما**، إلى قوله: **فجاسوا خلال الديار**، معلوم أنه لم يكن [٤٢٢ظ س٢٩ في كتابهم بهذا[٩] اللفظ: **بعثنا عليكم... فجاسوا**، على الابتداء ولكن كان–والله أعلم– **إذا جاء وعد أولاهما**، لَنَبعثَنّ[١٠] **عبادا لنا**[١١] **أولي بأس شديد**، يتجسسون أو يُجاسّون. لكنه خاطب بهذا –والله أعلم– الذين[١٢] كانوا بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم –وإن كانوا هم لم[١٣] يفعلوا ما ذُكر– لكن لما فعل أوائلهم[١٤] خاطب هؤلاء لما كانوا يفتخرون بأوائلهم ويقولون: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ،[١٥] فيذكِّر هؤلاء نعمه[١٦] التي أنعم على أولئك ويحذّرهم صنيعهم، وهو ما خاطبهم بقوله: وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ،[١٧] الآية،

---

[١] ك: وقال.
[٢] ك ن – من التجسس.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٢٢ظ/سطر ٢٧.
[٤] جميع النسخ: الذين.
[٥] الآية السابقة.
[٦] ن – مفعولا.
[٧] جميع النسخ: وكان وعدا مأتيا، ولم ترد الآية بهذا اللفظ، حيث قال تعالى: ﴿جنات عَدْنٍ التي وعد الرحمنُ عبادَه بالغيب إنه كان وعده مأتيا﴾ (سورة مريم، ٦١/١٩).
[٨] ع م + جاء.
[٩] ع م: هذا.
[١٠] م: لتبعثن.
[١١] ع م – لنا.
[١٢] ع م – الذين.
[١٣] ع – لم.
[١٤] ك ن ع + لكنه.
[١٥] ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ (سورة المائدة، ١٨/٥).
[١٦] ع – نعمه.
[١٧] ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون﴾ (سورة البقرة، ٥٥/٢).

وقوله: وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ[1] ونحوه. خاطب هؤلاء الذين كانوا بحضرة رسول الله وعاتبهم[2] على صنيع أولئك وفعلهم، وإن كان هؤلاء لم يقولوا ذلك لما رضُوا بصنيع أولئك وفعلهم، استيداءً منهم الشكر لما أنعم على أولئك وتحذيرا لهم عن[3] مثل صنيعهم. *والله أعلم*.* ‏[٤٢٢ظ س٣٦]

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾[٦]

وقوله عز وجل: **ثم رددنا لكم الكرة عليهم**، أي الغلبة والهلاك عليهم. **وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا**، أي أكثر رجالا منهم[5] قبل ذلك وعددا.[6] ثم إذا عصوا ثانيا وكفروا بربهم سلط الله عليهم قوما آخرين فدمروا عليهم، فذلك قوله: فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ، بالهلاك[7] والتدمير، أي موعود الآخرة، لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ.[8] ثم وعد لهم الرحمة إن تابوا ورجعوا عن ذلك بقوله: عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ. ثم أوعدهم[9] العَود إليهم بالعقوبة بقوله: وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا،[10] أي وإن عدتم إلى المعاصي عدنا عليكم[11] بالعقوبة.

ثم قول أهل التأويل: إنه سلط عليهم بُخْتُنُصَّر وجالوت ثم فلانا وفلانا، فذلك لا يعلم إلا بالخبر عن رسول الله، وليس في الآية سوى أنه بعث عليهم[12] عبادا[13] أولي بأس شديد، فلا يزاد[14] على ذلك إلا بالخبر سوى أنه ذكر هذا لنا وفيه وجوه من الحكمة. أحدها ما ذكرنا من إثبات نبوة محمد ومِن صدق رسولهم حيث حذَّرهم العقوبة بعصيانهم فكان كما قال.

---

[1] ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تُنبت الأرض من بَقلها وقِثّائها وفُومها وعَدَسها وبَصَلها﴾ (سورة البقرة، ٦١/٢).

[2] ع: وعاسبهم.

[3] ع: على.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٢٢ظ/سطر ٢٩-٣٦.

[5] جميع النسخ: منكم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٠و.

[6] ع: وعدا.

[7] ك ن: للهلاك؛ ع م: الهلاك.

[8] الآية الآتية.

[9] ع: أوعدكم.

[10] سورة الإسراء، ٨/١٧.

[11] ك: إليكم.

[12] ع: عليكم.

[13] ن ع م + لنا.

[14] ن: نزاد.

وفيه تحذيرنا عن مثل صنيعهم لأنهم ليسوا بذلك أولَى من غيرهم. وقال القُتَبِي: **فجاسوا خلال الديار**، أي عاشوا بين الديار وأفسدوا، ويقال: جاسوا وحاسُوا.[١] **ثم رددنا لكم الكرة**، أي الدولة.

وقوله عز وجل: **أكثرَ نفيرا**، أي عددا. وقال أبو عَوْسَجَة: **أكثر نفيرا**، هو من الخروج والنفر[٢] ومعناه أكثر عددا.[٣] وقال قتادة: النفير المقاتِلة الذين يُستَنفَرون للقتال، أي لو استنفرتم أنتم واستنفر أولئك كنتم[٤] أكثر منهم.[٥]

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾[٧]

وقوله عز وجل: **إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم**، لا لله، إذ إليكم يرجع منفعة ذلك وأنتم تُجزَون على ذلك.[٦] **وإن أسأتم فلها**، أي فعليها، كقوله: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ،[٧] الآية، أي عليها ضرر ذلك. وعلى ذلك جميع ما أمر الله عباده من الأعمال ونهاهم[٨] عنها، إنما أمر ونهى لمنفعة أنفسهم ولحاجتهم لا لمنفعة له أو لحاجة له. وقال بعضهم: **وإن أسأتم فلها**، أي إليها، أي إلى أنفسكم تُسيئون.

[٤٢٣و] وقوله عز وجل: **فإذا جاء / وعد الآخرة**، أي إذا جاء وعد موعود الآخرة وهو العقوبة بعصيانهم وتكذيبهم رسل الله. وقوله: **فإذا جاء وعد الآخرة**، بالتغيير وتبديل[٩] الدين، **لِيَسُوءوا وجوهكم**، بواوين على الجماعة، وبواو واحد على الواحد: ليسوءَ وجوهكم. ولم يبين من يسوء وجوههم، فيشبه أن يكون يبعث قوما يسوءون وجوههم كما ذُكر في الوعد الأول:

---

[١] م: جاسوا. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٥١. حاسَه يحوس حَوْسًا: والحَوْسُ انتشار الغارة والقتلُ والتحرك في ذلك، وقيل: هو الضربُ في الحرب، والمعاني مُقْتَرِبَةٌ. وحاس القومَ حَوْسا: طلبهم وداسَهُم (*لسان العرب*، «حوس»).

[٢] ن: والنفير.

[٣] وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٢٢ظ/سطر ٢٧.

[٤] ع + أولئك.

[٥] وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٢٢ظ/سطر ٢٩-٣٦.

[٦] م: وعلى ذلك.

[٧] ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلّام للعبيد﴾ (سورة فصلت، ٤١/٤٦).

[٨] ع م: أو نهاهم.

[٩] ع: والتبديل.

فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ،[1] فهم يسوءون[2] وجوهكم. ومن قرأ بالنون: لِنَسُوءَ **وجوهكم**، أضاف إلى نفسه لما بأمره[3] كان يُفعَل [ما كان][4] وبتسليطه إياهم عليهم. وقال بعضهم: ذِكر الوجه ههنا كناية عن الحزن والهمّ والإهانة لهم، كما يقال في السرور: أَكْرِم وجهَه، أي أدخل فيه سرورا. أو ذكر الوجه لما بالوجه يظهر[5] ذلك التغيير والقبح. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ولِيدخلوا المسجدَ كما دخلوه أولَ مرةٍ**، في ظاهر الآية أن يدخل الأولون المسجد في المرة الثانية كما دخلوا في المرة الأولى لأنه قال: **كما دخلوه أول مرة**، لكن يحتمل ليدخل عباد آخرون المسجد في المرة الثانية كما دخل الأولون في المرة الأولى. وقال بعضهم: المسجد ههنا الكنيسة والبِيعَة.

وقوله: **وليتَبِّروا ما عَلَوا تتبيرا**، أي ليُهلكوا ما علوا به، أي ما غلبوا به وقهروا، أي الأسباب التي بها عصوا. وقال أبو عَوْسَجَة: **ما علوا**، أي ليفسدوا ما هلكوا. والتَّبار الفساد، يقال: علوت الشيء، أي ملكت.

﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾[٨]

وقوله عز وجل: **عسى ربكم أن يرحمكم**، يحتمل[6] أن يكون ذلك لأولئك الذين تقدم ذكرهم، وفيهم نزل ما نزل، يرحمهم إن تابوا. ويشبه أن يكون على الابتداء، عسى ربكم أن يرحمكم بمحمد. **وإن عدتم عدنا**، أي وإن عدتم[7] إلى التكذيب[8] والعصيان عُدنا إلى العقوبة والقتال إلى يوم القيامة.

وقوله عز وجل: **وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا**، قيل: سِجْنا[9] لا يخرجون منها، وقيل: مَحْبَسا وحصيرا يحصرون فيها. ***والله أعلم***.

---

[1] سورة الإسراء، ١٧/٥.
[2] ك ن – وجوههم كما ذكر في الوعد الأول فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فهم يسوءون.
[3] ع: يأمره. جميع النسخ + ما.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٥٠و.
[5] ك – يظهر.
[6] ع – يحتمل.
[7] ك: إن عدتم.
[8] م: بالتكذيب.
[9] ن ع م: سجينا.

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[٩]

وقوله عز وجل: **إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم**، معنى التأنيث في قوله: **للتي هي أقوم**، قيل [فيه] بوجوه. قيل: **إن هذا القرآن يهدي** للملة التي هي أقوم الملل وأعدلها.[١] والملة هي الدين، دين الله. وقال بعضهم: يهدي إلى الأمور التي هي أعدل الأمور وأصوبها. وقيل: يهدي إلى السبيل التي هي أقوم السبل وأعدلها. يحتمل هذه الوجوه الثلاثة التي ذكرناها.[٢]

وجائز أن يكون قوله: **يهدي للتي هو أقوم**، أي للأعمال الصالحات وللخيرات، لأن الأعمال الصالحات قِوامُها به. ثم قوله: **يهدي**، يحتمل وجهين. يحتمل يبين،[٣] والثاني يدعو.[٤] فهو يهدي الكل لو استهدَوا، لكن خص هؤلاء لما منفعته[٥] تكون لمن ذكر. وقد ذكرنا أن[٦] هذا القرآن وغيره من كتب الله هدى ورحمة، يدعو[٧] إلى ثلاث خصال: إلى معالي الأمور، ومكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال ومصالحها، وينهى عن مساوئ الأعمال، ودانئ الأمور، وسوء الأخلاق ودناءتها؛ فهو هدى ورحمة على ما أخبر لمن استهدى به ورُشْدٌ لمن استرشد.

وقوله عز وجل: **ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات**، البشارة المطلقة إنما جعل للمؤمنين الذين عملوا[٨] الصالحات، لم يذكر للمؤمنين خاصة على غير العمل الصالح، فالمسألة فيهم غير المسألة في هؤلاء.[٩] وفيه دلالة أنه يقع اسم المؤمنين بدون العمل الصالح لأنه قال: المؤمنين الذين يعلمون الصالحات، دل أن ذلك الاسم يقع بدون ذلك الاسم. وفيه دلالة أن اسم الإيمان قد يستحق بدون العمل الصالح حيث شرط[١٠] فيه العمل الصالح.

---

[١] ن: وأعدالها.
[٢] ك: ذكرنا.
[٣] ع: بين.
[٤] ع م: يدعوا.
[٥] ع م: منفعة.
[٦] ك + ذكرنا، مشطوب.
[٧] ع م: يدعوا.
[٨] ع: يعملون.
[٩] ع: وهؤلاء.
[١٠] ع م: يشرط.

وقوله عز وجل: **أن لهم أجرا كبيرا**، سماه "كبيرا" لكبير خطره عند الله كما سمى النار "عظيما" لعظم خطرها[1] عنده. أو سماه "كبيرا" لأنه أكبر ما يُقصَد إليه ويرغب فيه وهو ثواب الجنة، والنار أعظم[2] ما يُحذَّر بها ويُرهَب عنها.

﴿وأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما**، إنكارهم البعث وكفرهم به هو الذي حملهم على تكذيبهم الرسلَ وكفرهم بالله لتسلم[3] لهم شهواتهم في الدنيا، لأن الرسل جميعا دعوهم إلى ترك شهواتهم في الدنيا ورغّبوهم بما يوجب لهم الثواب في الآخرة وحذّروهم[4] عما يوجب العقاب، فأنكروا الآخرة والبعث رأسا لتسلم[5] لهم الدنيا، فذلك الذي حملهم على إنكار الرسل وتكذيبهم إياهم. ألا ترى أنه قال: وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ،[6] أي بالقرآن أو بمحمد، أي[7] إيمانهم بالبعث حملهم على الإيمان بالقرآن والرسول، وتكذيبهم الآخرة حملهم على تكذيب الرسل. ***والله أعلم.***

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً﴾[١١]

وقوله عز وجل: **ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير**، قال بعضهم: إذا غضب الإنسان يدعو على نفسه وولده وأهله ويلعن، كدعائه عليهم بالخير، لذلك[8] انتصب قوله: **دعاءَه.** وقال الحسن: إن الإنسان يتضايق صدره وقلبه بأدنى شيء يكره فيلعن على نفسه وأهله فلا يجيبه الله، ثم يدعو بالخير فيعطيه، أو نحوه من الكلام. وقوله: **ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير.** هذا يحتمل وجهين. أحدهما **ويدعو الإنسان بالشر** على العلم منه بذلك كدعائه بالخير على العلم منه بذلك. والثاني **ويدعو الإنسان بالشر** لو أجيب فيه على الجهل منه والغفلة كدعائه بالخير لو أجيب في ذلك. ثم إن كان ذلك / الإنسان هو الكافرَ فهو يدعو على الاستهزاء، [٤٢٣ظ]

---

[1] جميع النسخ: خطره.
[2] ع: وأعظم.
[3] ن ع م: ليسلم.
[4] ن ع م: وحذرهم.
[5] ن ع م: ليسلم.
[6] ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدِّقُ الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٩٢).
[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٥٠ظ.
[8] ع: كذلك.

كقوله: فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ،[١] الآية، وكذلك قوله: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ،[٢] ونحوه. وإن كان مسلما فهو يدعو بالشر على نفسه وأهله عند الغضب على علم منه أنه شرّ،[٣] ويدعو أيضا بالشر على السهو والغفلة منه، نحو ما يسأل الأموال[٤] والنكاح، ولعل ذلك شر له.

وقوله عز وجل: **وكان الإنسان عجولا**، قال بعضهم: هذا لآدم لأنه لما خلقه الله فنفخ الروح في بعض جسده همّ[٥] أن يقوم فسماه عجولا. لكن كل الإنسان خلق في الطبع من الأصل عجولا، ألا ترى أنه لا يصبر على أمر واحد ولا على شيء واحد،[٦] وإن كان نعمة لم يصبر[٧] عليها ولكن يَمَلّ عنها. وكذلك في أدنى شدة وبلاء إذا بُلِي[٨] به لم يصبر عليه، فأبَدًا يريد الانتقال من حال إلى حال. ألا ترى أن قوم موسى قد أكرمهم الله بكرامات من إنزال المنّ والسلوى عليهم من غير كدّ ولا جهد ولا مئونة، وكذلك اللباس، ثم لم يصبروا على ذلك حتى قالوا: لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ،[٩] فسألوا ربهم الفُوم والبصل ونحوه. على هذا طبع الإنسان ملولا عجولا. ألا ترى أن الله مكن في باطنه وجعل في وسعه[١٠] رياضة نفسه وصرفها إلى أحد الوجهين اللذين[١١] يحمد[١٢] عليه ولا يذمّ وهو أن يروّضها ويعوّدها على الصبر والحلم[١٣] والوقار، ويصرف تلك العجلة إلى الخيرات والطاعات التي يحمد عليها المرء بالعجلة، وإلا ففي ظاهر الخلقة والطبع منشأ على العجلة وما ذكر. ألا ترى أنه قال: إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلَّا [الْمُصَلِّينَ]،[١٤] كذا، وهو ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

---

[١] ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ (سورة الأنفال، ٣٢/٨).

[٢] سورة المعارج، ١/٧٠.

[٣] ع م - شر.

[٤] ن - الأموال؛ ع: الأمور.

[٥] ع - هم.

[٦] ع - ولا على شيء واحد.

[٧] ن: ويصبر.

[٨] ع: أبلي.

[٩] ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها﴾ (سورة البقرة، ٦١/٢).

[١٠] م: سعة.

[١١] ك: اللذي؛ ن - اللذين.

[١٢] ع م: يجهد.

[١٣] ن ع م: والحكم.

[١٤] سورة المعارج، ١٩/٧٠-٢٢.

لكن بما امتحنه من الأمر والنهي والترغيب في الموعود والترهيب صيّره بحيث يملك إخراجه عما طبع وأنشئ[1] إلى حال أخرى بالرياضة التي ذكرنا. ألا ترى أنه ذكر الهَلَع والجَزَع ثم استثنى إلا كذا، وعلى ذلك خلق الله[2] الخلق على هِمَم مختلفة وأطوار متشتّتة،[3] لم يخلقهم جميعا على هِمّة واحدة بحيث يرغبون جميعا في معالي الأمور ومعاظم الحِرَف وأرفع الأسماء، بل طبعهم على أطباع مختلفة. فمنهم من يرغب في معالي الأمور ومعاظم[4] الحِرف.[5] ومنهم من كانت هِمّته الرغبة في الدون من الأمور والحِرف كالحجامة[6] والدِّباغة والحِياكة ونحوها، وكذلك في الأسماء. ومنهم من كانت هِمته في معالي الأمور ومعاظم الأعمال.[7] و لو كانت همتهم همة واحدة لذهبت[8] المنافع والمعارف جميعا. *والله أعلم*.

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **وجعلنا الليل والنهار آيتين**، اختلف فيه، قال بعضهم: المراد بالليل والنهار الشمس[9] والقمر، أي جعلنا في الشمس والقمر آية؛[10] ألا ترى أنه[11] أضاف الآية إلى الليل والنهار[12] حيث قال: **فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة**، وحيث[13] قال أيضا: **ولتعلموا عدد السنين والحساب**، وإنما يعلم ذلك بالقمر، ألا ترى أنه قال أيضا: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا،[14] الآية، إنما أضاف معرفة عدد السنين والحساب إلى القمر،

---

[1] ن: والشيء.
[2] م – الله.
[3] ع م: متشتة.
[4] ع – ومعاظم الحرف وأرفع الأسماء بل طبعهم على أطباع مختلفة فمنهم من يرغب في معالي الأمور ومعاظم؛ ع م + الأمور.
[5] ع م: والحرف.
[6] ن ع م: في الحجامة.
[7] م – من كانت همته في معالي الأمور ومعاظم الأعمال؛ م + بخلاف ذلك.
[8] ع م: لذهب.
[9] ع: والشمس.
[10] ن: انه؛ ع م – آية.
[11] ك + قال.
[12] ن + آيتين.
[13] ن: حيث.
[14] ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدّره مَنازلَ لِتَعلموا عدد السنين والحساب﴾ (سورة يونس، ١٠/٥).

دل أنه بالقمر يعلم ذلك. وهو قول علي وابن عباس رضي الله عنهما[١] وغيرهم من أهل التأويل. ويكون تأويل المحو الذي ذكر في قوله: **فمحونا آية الليل**، ما قالوا في محوه وهو السواد الذي يُرى فيه[٢] والنقصان الذي يكون[٣] في آخره. وقال بعضهم: مُحي منه تسعة وستون جزءا من سبعين جزءا. إلى هذا يذهب[٤] هؤلاء. وأما الحسن وأبو بكر [الأصم] وهؤلاء فهم يقولون: ليس في الآية ذكر الشمس والقمر، إنما ذكر الليل والنهار، وأخبر أنه جعلهما آيتين، فهما كذلك آيتان، وبهما يعلم عدد السنين والحساب، لأنه[٥] بالأيام يعرف[٦] ذلك. فأما الشهور فإنها[٧] إنما تعرف بالقمر لا تعرف بالأيام. ويكون تأويل قوله:[٨] **فمحونا آيةَ الليل وجعلنا آية النهار مُبْصرة**، أي جعلنا آية[٩] الليل في الابتداء ممحوّة[١٠] مُظْلِمة، **وجعلنا آية النهار مبصرة**، مضيئة في الابتداء ليس أن كانا جميعا مبصرتين مضيئتين، ثم مُحِيت[١١] آية الليل وأبقيت آية النهار مضيئة. ولكن أَنشأ آية الليل في الابتداء مبصرة،[١٢] وهو كقوله: وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ،[١٣] أي أنشأهما في الابتداء كذلك، لا أن[١٤] السماء كانت[١٥] موضوعة فرفعها، وكذلك الجبال[١٦] كانت[١٧] مبسوطة ثم نصبها، ولكن أنشأهما في الابتداء كذلك. فعلى ذلك قوله: **فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة**، أي جعلهما في الابتداء؛ هذا مظلما ممحوا[١٨] وهذا مبصرا مضيئا.

---

[١] ع: عنهم.
[٢] ع م – فيه.
[٣] ك ع م + فيه.
[٤] ك: ذهب؛ ع + يذهب.
[٥] ع: لابه.
[٦] ك: يعلم.
[٧] جميع النسخ: فإنه.
[٨] ع م: قوله تأويل.
[٩] ع: أنه.
[١٠] ع: فمحوه.
[١١] جميع النسخ: محى؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٠ظ.
[١٢] ن – مضيئتين ثم محيت آية الليل وأبقيت آية النهار مضيئة ولكن أنشا آية الليل في الابتداء مبصرة.
[١٣] سورة الغاشية، ١٨/٨٨–١٩.
[١٤] ع: أثريته؛ جميع النسخ + كان.
[١٥] م – كانت.
[١٦] ع – الجبال.
[١٧] ك ن – كانت.
[١٨] ع: لأن.

وجعلنا الليل والنهار آيتين،[1] هما آيتان مختلفان بل متضادتان، يُضادّ كل واحدة منها صاحبتها،[2] إذ كل واحدة تنسخ الأخرى حتى لا يبقى لها أثر. وهما آيتان دالتان[3] على وحدانية الله تعالى، لأنه لو كانا فعل عدد[4] لكان إذا أتى هذا على هذا وغلب عليه منع عن أن يكون للآخر سلطان أو أمر، فإذا لم يكن دل أنه صنع واحدٍ. وفيهما دلالة تدبيره حيث جريا على سَنَن واحد ومقدار واحد[5] على غير تفاوت يكون فيهما وتفاضل أو تغيرٍ على ما كان ومضى، دل أنه عن تدبير واحد[6] خرجا وكانا كذلك. وفيه دلالة علمه وحكمته لما جعل فيهما من المنافع ما لو كان الليل سرمدا ذهب منفعة الليل نفسِه ولو كان النهار سرمدا لذهب منفعة النهار رأسا. [٤٢٤و] وفيه دلالة البعث لأنه يَتلف أحدهما إذا جاء الآخر حتى لا يبقى له أثر[7] بتّةَ ثم يعيده / على ما كان من غير أن يُعلَم أنه غير الأول. ثم قوله: **آيتين**، والآية علامة، وعلامتهما لا تعرف إلا بالتأمل والنظر فيهما، فعلى ذلك لا يفهم[8] مراد ما في القرآن والمعنى المودَع فيه إلا بالتأمل والنظر فيه. وفيهما دلالة نقض قول أصحاب الطبائع[9] وأصحاب النجوم والدهرية وجميع الملحدة.[10] أما نقض قول أصحاب الطبائع لما ذكرنا مِن اتساق مجراهما[11] على سَنَن واحد وأمر واحد،[12] دل أنه بالتدبير[13] صار كذلك، لا بالطبع.[14] وأما[15] نقض قول أصحاب النجوم لما جُعل النجوم[16] مسخرة لمنافع الخلق ومغلوبة يغلبها ضوء الشمس ونور القمر حتى لا ترى،

---

[1] ن ع – آيتين.
[2] ع م: صاحبتهما.
[3] ك – دالتان.
[4] أي فعل أكثر من إله واحد.
[5] ن – ومقدار واحد.
[6] ك ع م – واحد.
[7] ع: أثريته.
[8] ك – لا يفهم.
[9] ن + وأصحاب الطبائع.
[10] م: الملاحدة.
[11] م: مجراها.
[12] ع– وأمر واحد.
[13] ع م + ما.
[14] ن – أما نقض قول أصحاب الطبائع لما ذكرنا من اتساق مجراها على سنن واحد وأمر واحد دل أنه بالتدبير صار كذلك لا بالطبع.
[15] ن: أما.
[16] ع م – لما جعل النجوم.

دل أنه لا تدبير لها وأن التدبير لغيرها. و[الرد] على غيرهم من الملحدة ما[١] ذكرنا من اتصال منافع هذا بهذا ومنافع هذا بهذا،[٢] دل أنه ما ذكرنا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **لتبتغوا فضلا من ربكم**، يحتمل الفضل الذي ذكر الرزق والمعاشَ الذي ذكر في آية أخرى، وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا.[٣] ويحتمل أنواع[٤] الفضل[٥] [التي] تكون في الدين.

ولتعلموا عدد السنين والحساب[٦] هو ما ذكرنا أنه بهما يَعرف **عدد السنين والحساب**.[٧]

وقوله عز وجل: **وكلَّ شيء فصَّلناه تفصيلا**، يحتمل التفصيل تفصيل آية من أخرى، أي لم يجعلهما[٨] آية واحدة على ما ذكر. وقال[٩] الحسن: أي فصل وبين[١٠] ما أمر عباده ونهاهم، أي بين وفصّل ما يؤتَى مما يُتقى. **وفصلناه**، أي فصله تفصيلا لم يتركه مبهما بل بينـ[ـه] غاية البيان.

﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [١٣]

وقوله عز وجل: **وكلَّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه**، اختلف في قوله: **طائره**، قال بعضهم: **طائره**، شقاوته[١١] وسعادته ورزقه وعيشه. وقال بعضهم: عمله الذي عمل من خير أو شر. وقال بعضهم: حظّه ونصيبه من عمله وهو جزاؤه ونحو ذلك. فذلك كله يرجع إلى معنى واحد، لأنه إنما يسعد[١٢] ويشقى بعمله الذي يعمله، وكذلك جزاء عمله. وكذلك[١٣] قال الحسن في تأويل[١٤] قوله: قَالُوا[١٥] رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا،[١٦] أي بأعمالنا التي عملناها.

---

[١] ع: من.
[٢] ع - ومنافع هذا بهذا.
[٣] سورة النبأ، ٧٨/١١.
[٤] م: أنوع.
[٥] ك ع م: فضل.
[٦] ن - والحساب.
[٧] ع م - عدد السنين والحساب.
[٨] ع - يعرف وقوله عز وجل وكل شيء فصلناه تفصيلا يحتمل التفصيل تفصيل آية من أخرى أي لم يجعلهما.
[٩] ك - قال.
[١٠] م: بين.
[١١] ع: شقاوة.
[١٢] ن + يبعد.
[١٣] ك ع: ولذلك.
[١٤] ك ع: تأويله.
[١٥] ع - قالوا.
[١٦] ﴿قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/١٠٦).

ثم يخرج تسمية العمل وما ذكروا طائرا لوجهين. أحدهما على وجه التفأل[1] والطِّيَرَة؛ كانوا يتفألون[2] ويتطيّرون بأشياء بالطائر وغيره[3] ويقولون: جرى له الطائر بكذا من الخير، وجرى له بكذا من الشر، على طريق الفأل والطِّيَرَة[4] فخاطبهم على[5] ما يستعملون وأخبر أن ذلك يلزم أعناقهم، وهو ما قال الله تعالى: يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ، وكقوله: فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هٰذِهِ،[6] وقوله[7] أيضا: قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ،[8] الآية ونحوه.

والثاني سمى الأعمال التي عملوها طائرا لِما أن الذي يتولد منه تلك الأعمال كالطائر[9] وهو الهمة. أولاً يخطر بباله شيء[10] ففي الإخطار لا صنع له[11] فيه، ثم يهُمّ ثم تبعث الهمة على الإرادة ثم الإرادة تبعث على الطلب والعمل، فالهمة التي في النفس التي يتولد منها الأعمال كالطائر فسماه لذلك باسمه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **في عنقه**، يحتمل أن يكون العنق كناية عن النفس، أي ألزمناه نفسه، وذلك جائز، يقال: هذا لك عليّ وفي عنقي. والثاني ذَكَر العنق كما يقول الرجل لآخر[12] إذا أراد التخلص من عمل:[13] قلدتك[14] هذا العمل وجعلته في عنقك، أي تكون أنت المأخوذ به إثما[15] إن كان في ذلك شر، وأنت المأجور به المثاب إن كان فيه خير.

[1] ك م: التفاول؛ ن ع: التقول.

[2] ع: يتفاولون؛ م: يتفاءلون.

[3] ع: وغير.

[4] ن – كانوا يتفألون ويتطيرون بأشياء بالطائر وغيره ويقولون جرى له الطائر بكذا من الخير وجرى له بكذا من الشر على طريق الفأل والطيرة.

[5] ع – على.

[6] ﴿فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ (سورة الأعراف، ١٣١/٧).

[7] ك: وقولهم.

[8] ﴿قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تُفتَنون﴾ (سورة النمل، ٤٧/٢٧).

[9] ن: كالطائرة.

[10] جميع النسخ: شيئا.

[11] ك – له.

[12] ع: الآخر.

[13] م: عن عمل.

[14] ن: فلذلك؛ ع: قدرتك.

[15] ع: آثما.

والمعنى في قوله:[1] **وكلَّ إنسان ألزمنا طائره في عنقه**، أي لا يؤخذ غيره بعمله[2] وشقائه[3] ولكن هو المأخوذ به، وهو ما قال: مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ، وقوله: وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى؛[4] هذه الآيات الثلاثة معناها واحد وهو ما ذكرنا أن لا يؤخذ غيره بعملِ آخر ولا تحمل نفس خطيئةَ أخرى ولا وزرها ولكن كل نفس هي تحمل خطيئة نفسها.

وقوله عز وجل: **ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقيه منشورا**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما أي نجعل ما لزم عنقه كتابا يلقاه منشورا. والثاني أي نجعل بما ألزم عنقه كتابا.

*وقال القُتَيبي: **ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا**، وهو ما ذكرنا، أي نخرج بذلك [٤٢٤ظ س١٤ العمل كتابا.[5] وقال أبو عَوْسَجَة: أي نكتب ما عمل ثم يُقلَّد[6] في عنقه فيجيء به يوم القيامة. وقال أبو عبيدة:[7] **طائِرَه** حظه، وقال غيره من المفسرين: ما عمل من خير أو شر ألزمناه عنقه. وقال القُتَيبي: وهذان المعنيان يحتاجان إلى بيان، والمعنى فيما أرى -والله أعلم- أن لكل امرئ حظا من الخير والشر قد قضاه الله فهو لازم عنقه. والعرب تقول: إن كل ما لزم الإنسان قد لزم عنقه وهو لازم طائر في[8] عنقه. وهذا لك علي وفي عنقي حتى أُخرجَ منه. وإنما قيل للحظ من الخير والشر[9] طائر لقول العرب ما ذكرنا: جرى له الطائر بكذا من الخير وجرى له الطائر بكذا من الشر على وجه الفأل والطيرة، [و]على مذهبهم في تسمية الشيء بما كان له سببا،[10] وهو ما ذكر.* ٤٢٤ظ س٢٠]

﴿اِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [١٤]

وقوله عز وجل: **إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا**، قيل: شهيدا، وقيل: كافيا وحاسبا؛ وهو واحد، لأن المؤمن بما سبق من[12] صالحاته يقف فيها، لا يقطع القول فيها

---

[1] ك ن ع: من قوله.
[2] م: بعلمه.
[3] ك ن ع: وبشقائه.
[4] ﴿من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ (سورة الإسراء، ١٧/١٥).
[5] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٥٢.
[6] ع م: نقلد.
[7] ع: أبو عبيد.
[8] ع م ن - في.
[9] ك: من والشر الخير.
[10] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٥٢.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ورقة ٤٢٤ظ/سطر ١٤-٢٠.
[12] ع - من.

لرجائه في رحمته ولخوفه عن مساوئه فلا يشهد على نفسه بالعقوبة، وأما الكافر فإنه يشهد على نفسه بالنار لما لم يكن له ما يَطمَع[1] [في] رحمته.

وقوله: **اقرأ كتابك**، أي وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا،[2] فيقال له: **اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا**. وفي ذلك لطف عظيم بقراءة كتابه بأي لسان كان، لأنه لم يبين بأي لسان يكتب،[3] ثم يتذكر جميع ما عمل في عمره، وقد ينسى الرجل عملا يعمل في أدنى مدة لكن هذا يتذكر في ساعة ووهلة ما كان عاملا منه.

﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه**، أي من اهتدى إلى ما جعل الله عليه من أنواع النعم وقام بأداء شكرها فإنما فعل ذلك لنفسه لأنه هو المنتفع به. أو يقول: من اختار الهدى وأجابه إلى ما دعاه مولاه فإنما يهتدي لنفسه، أي فإنما اختار ذلك لنفسه، لأنه هو المنتفع به وهو الساعي في فكاك رقبته.

وقوله عز وجل: **ومن ضل**،[4] أي ومن[5] اختار الضلال **فإنما يضل عليها**، أي فإنما يرجع عليها ضرره، وهو ما ذكر: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا،[6] وقوله: إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا.[7] وقوله: **ومن ضل**، عن ذلك **فإنما يضل عليها**، أي إلى نفسه يرجع ضرر ضلاله،[8] كقوله: وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ.[9]

[٤٢٤ظ] وقوله عز وجل: **ولا تزر / وازرة وزر أخرى**، هو ما[10] ذكرنا، أي لا تحمل نفس خطيئة أخرى ولا تأثم بوزر أخرى -والله أعلم- ذكر هذا ليعلم أن أمر الآخرة خلاف أمر الدنيا،

---

[1] ن - ما يطمع.
[2] الآية السابقة.
[3] ن - فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وفي ذلك لطف عظيم بقراءة كتابه بأي لسان كان لأنه لم يبين بأي لسان يكتب.
[4] ع م + أي من ضل.
[5] ن ع م: من.
[6] سورة فصلت، ٤١/٤٦.
[7] سورة الإسراء، ١٧/٧.
[8] م + على نفسه.
[9] سورة لقمان، ٣١/١٢.
[10] ع: كما.

لأن في الدنيا قد تؤخذ[١] نفس مكان أخرى وتَحمل[٢] نفس مؤنة أخرى. وفي الآخرة لا تؤخذ[٣] نفس بدل أخرى. والثاني قد يتبرع[٤] بعض عن بعض بتحمل المؤنات والقيام في فكاكها. وأما في الآخرة فلا يتبرع[٥] بذلك.

وقوله عز وجل: **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**، يحتمل **وما كنا معذبين**، تعذيب استئصال في الدنيا إلا بعد دفع الشبه ورفعها[٦] عن الحجج[٧] من كل وجه وبعد تمامها، وإن كانت الحجج قد لزمتهم بدون بعث الرسل، ليدفع عنهم عذرهم من كل وجه. أو أن يكون قوله: **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**، إفضالا منه ورحمة وإن كان العذاب قد يلزمهم والحجة قد قامت عليهم. والعذاب الذي كانوا يعذبون هم[٨] في الدنيا ليس هو عذاب الكفر، لأن عذاب الكفر دائم أبدا لا انقطاع له وهذا مما ينقطع وينفصل، لكن يعذبون بأشياء كانت منهم من العناد ودفع الآيات. وأما عذاب الكفر[٩] فهو في الآخرة أبدا[١٠] لا ينقطع.[١١]

وفي الآية دلالة أن حجة التوحيد قد لزمتهم وقامت عليهم بالعقل، حيث قال: **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** فلو لم تلزمهم لكان الرسل إذا دعوهم إلى ذلك يقولون:[١٢] من أنتم ومن بعثكم إلينا؟ فإذا لم يكن لهم هذا الاحتجاج دل أن الحجة قد قامت عليهم. لكن الله بفضله أراد أن يدفع الشبه عنهم ويقطع عنهم عذرهم برسول يبعث[١٣] إليهم. لما أن أسباب العلم بالأمور ثلاثة. فمنها ما يعلم بظاهر[١٤] الحواس بالبديهة، ومنها ما يفهم ويعلم[١٥] بالتأمل والنظر، ومنها ما لا يعلم إلا بالتعليم والتنبيه.[١٦]

---

[١] ن ع م: يؤخذ.
[٢] ع م: ويحتمل.
[٣] ع م: يؤخذ.
[٤] ن ع م: تبرع.
[٥] ع: تبرع.
[٦] م: ودفعها.
[٧] ك ن: الحجة.
[٨] ن ع م: يعذبونهم.
[٩] ك – الكفر.
[١٠] ك – أبدا.
[١١] ك + أبدا.
[١٢] ع م: يقول.
[١٣] ع: بعث.
[١٤] ك: بظواهر.
[١٥] ع م – ويعلم.
[١٦] وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ١٣، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٢٤ظ/سطر ١٤–٢٠.

وقوله: **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**، التعذيب يكون على وجوه ثلاثة. أحدها[1] يعذبهم في الدنيا ابتداء تعذيب[2] امتحانا وابتلاء بلا جريمة كانت منهم، كقوله: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً،[3] وقوله: وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ،[4] ونحوه، فيكون تنبيها وتذكيرا لهم لا تكفيرا.[5]

والثاني يعذب تعذيب العناد والمكابرة، وهو تعذيب إهلاك[6] واستئصال، فهو عقوبة لهم وموعظة للمتقين وعبرة لغيرهم، وهو الذي يأتي على أثرِ وعيد.

والثالث عذاب الموعود في الآخرة، يقول: **وما كنا معذبين**، في الآخرة، **حتى نبعث رسولا**، في الدنيا. والأشبه أن يكون ما ذكر من التعذيب هو تعذيب استئصال. ***والله أعلم***.

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **وإذا أردنا أن نهلك قرية أَمَرنا مترفيها**، بالتخفيف والتثقيل: **أمرنا مترفيها**. ثم من قال: **أمَّرنا** بالتثقيل يحتمل وجهين. أحدهما **أمَّرنا مترفيها**، مِن الإمارة والتسليط عليهم. أي أمّرنا عليهم وسلّطنا مترفيها، أي أكثرنا عددهم وسلّطنا مترفيها،[7] فُسّاقها ومستكبريها. والثاني **أمَرنا مترفيها**، أي أكثرنا عددهم ومنعّميهم. يذكر لهم هذا لقوله:[8] وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ،[9] الآية، وقوله:[10] نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا،[11] الآية. كانوا يزعمون أنهم لا يعذبون لأنهم قد أُنعموا في هذه الدنيا بكثرة[12] أموالهم وأولادهم،

---

[1] ع م: أحدهم.

[2] ع م: بتعذيب.

[3] سورة الأنبياء، ٣٥/٢١.

[4] ﴿وقطّعناهم في الأرض أُمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾ (سورة الأعراف، ١٦٨/٧).

[5] أي ليس كفارة لذنوبهم.

[6] ع: هلاك.

[7] ع – أكثرنا عددهم وسلطنا مترفيها.

[8] جميع النسخ: لقولهم.

[9] ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/ ٢٣).

[10] جميع النسخ: ولقولهم.

[11] ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذَّبين﴾ (سورة سبأ، ٣٤/٣٤-٣٥).

[12] جميع النسخ: وأكثروا.

فأخبر[١] عز وجل أنه ما أهلك من الأمم الخالية إلا بعد ما كثر عددهم ووسّع عليهم الدنيا، لم يُهلَكوا في حال القِلّة والضيق، كقوله: ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا،[٢] أي كثروا، وقوله: حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ،[٣] لم يأخذ بالعذاب الأمم الخالية إلا في حال كثرتهم وأمنهم وعزتهم بالسفه.[٤] يحذر هؤلاء لئلا يغتروا بكثرة أموالهم وأولادهم وعددهم. ومن قال: **أمَرنا مترفيها** بالتخفيف هو من الأمر، أي أمرنا عظماءهم وكبراءهم طاعةَ الرسل والإجابة إلى ما دعوهم[٥] إليه حتى إذا عصوا رسله وتركوا إجابتهم على العناد والمكابرة فعند ذلك يُهلَكون، لما ذكرنا أنه لم يَستأصل الأمم الخالية إلا بعد عنادهم في آيات الله ومكابرتهم في دفعها وتكذيبها، لا يهلكهم في أول ما كذبوا آيات الله[٦] وخالفوا رسله.

وقوله: **مترفيها**، قال بعضهم: المترف المنعَم، وقال بعضهم: المترف المكرَم والمستكبِر، وكله واحد.

وفي قوله: **وإذا أردنا أن نهلك قرية**، دلالة أن الإرادة غير المراد، لأنه أخبر بتقدم الإرادة عن وقت الإهلاك، دل[٧] أنها غيره.[٨] وفيه أنه أراد السبب الذي به يُهلَكون وهو التكذيب والعناد / لما علم منهم أنهم يختارون ذلك، إذ لا يحتمل أن يريد هلاكهم وهو يعلم منهم غير سبب الهلاك. [٤٢٥و] فهذا يرد قول المعتزلة أن الإرادة هي المراد وأنه لم يُرد ما كان منهم من سبب الهلاك. ***والله أعلم***.

وقوله تعالى: **فحقّ عليها القول**، بما أراد إهلاكهم وجب عليهم. أو يكون قوله: **فحق عليها القول** بما أخبر عن الأمم[٩] الخالية، وهو قوله: سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ،[١٠] الآية.

وقوله عز وجل: **فدمرناها تدميرا**، أي أهلكناها إهلاكا.

---

[١] ن ع: أخبرهم.

[٢] ﴿ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفَوا وقالوا قد مسَّ آباءنا الضراءُ والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون﴾ (سورة الأعراف، ٧/٩٥).

[٣] ﴿فلما نَسُوا ما ذُكِّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٤٤).

[٤] ع: بالسمعة.

[٥] جميع النسخ: دعاهم.

[٦] ن – الله.

[٧] ن – دل.

[٨] ك ن ع: غير.

[٩] ع: أمم.

[١٠] ﴿ملعونين أينما ثُقفوا أُخذوا وقُتِّلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/٦١-٦٢).

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا**، يحتمل أن يكون الخبير والبصير واحدا، ويشبه أن يكون بينهما فرق: الخبير العالم بأعمالهم، والبصير بمصالحهم ومعاشهم[١] وجزائهم، يقال: فلان بصير في أمر كذا، وفلان أبصر من فلان. ويحتمل أن يكون: **بذنوب عباده**، هي[٢] مكرهم الذي كانوا يمكرون برسول الله، فقال: وكفى بمكرهم الذي يمكرون بك.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما يشاء لمن نريد**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما أنهم كانوا يعملون بأعمالهم الحسنة في حال كفرهم من نحو الإنفاق والصدقات وبذل الأموال[٣] وغير ذلك، يريدون بذلك العز والشرف والذكر في الدنيا. فأخبر أنه من أراد بما يفعل ذلك **عجّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد**. والثاني[٤] يكون قوله: **من كان يريد العاجلة**، أي[٥] يريد بها[٦] جمع الأموال وسعتها **عجلنا له فيها ما يشاء لمن نريد**. ثم أخبر أنه لا كل من أرادها يُعَجَّل له ذلك ولا ما أراد يُعَجَّل له ذلك، ولكن إنما يعجّل ما أراد الله ولمن أراد، إذ لا كل من أراد شيئا يعطَى له ذلك.

ثم أخبر عما يعطى في الآخرة من أراد العاجلة فقال: **ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا**، أي **مذموما** بما يسمى بأسماء قبيحة دنيئة مذمومة عند[٧] الخلق، أو يذم ويلام في النار. **مدحورا** مطرودا من الأسماء الحسنى ومن الخيرات، أو مبعدا عن رحمته.[٨] وقوله: **مذموما**، عند نفسه، أي يذم نفسه يومئذ، أو **مذموما** عند الملائكة والخلق جميعا. وفي قوله: **وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح**، وجهان. أحدهما يحتمل أن يكون أراد بإهلاكه إياهم[٩] موتهم بآجالهم،

---

[١] ع: ومعاشيهم.
[٢] ك ن: هو؛ ع م: وهو؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٢و.
[٣] ع م: الأمور.
[٤] ع + ان.
[٥] م + لا.
[٦] ع م + الا.
[٧] ع: عن.
[٨] ك: من رحمته.
[٩] ن – إياهم.

يقول: هم كانوا عددا قليلا زمن نوح ثم[١] كثروا حتى صاروا قرونا ثم ماتوا حتى لم يبق منهم[٢] أحد. ويحتمل أن يكون الإهلاك ههنا إهلاك استئصال، فهو يخرج على وجهين. أحدهما أنه قد استووا في هذه الدنيا، أعني الولي والعدو،[٣] وفي الحكمة التمييز بينهما[٤] والتفريق فلا بد من دار يفرق[٥] بينهما فيها ويميز. والثاني قد هلكوا جميعا. وفي العقل والحكمة إنشاء الخلق للإفناء خاصة بلا عاقبة تقصد عبث باطل، فدل أن هنالك دارا[٦] أخرى هي المقصودة حتى صار خلق هؤلاء حكمة، وفيه إلزام البعث.

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَشْكُورًا﴾[١٩]

وقوله تعالى **ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن**، تفسير قوله: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ، كأنه قال: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ وهو كافر بربه مكذب بالآخرة عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ،[٧] ومن كان يريد الآخرة **وهو مؤمن** بربه مصدق بالآخرة[٨] **وسعى لها سعيها [فأولئك كان سعيهم مشكورا]**،[٩] أي مجزيا مقبولا. السعي المشكور هو[١٠] الذي يجزى[١١] ويثاب عليه. وقوله: **ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها**[١٢] **وهو مؤمن**، هذا يدل أنهم إنما أرادوا العاجلة بكفرهم بالآخرة. ثم أخبر أنه من أراد بعمله[١٣] في الدنيا الآخرة ولها سعى[١٤] ما سعى **وهو مؤمن** بها، **فأولئك كان سعيهم مشكورا**، أي مجزيا مقبولا.

---

[١] ع: او.
[٢] ن + ويحتمل أن يكون أراد بإهلاكه إياهم موتهم بآجالهم يقول هم كانوا عددا قليلا زمن نوح ثم كثروا حتى صاروا قرونا ثم ماتوا حتى لم يبق منهم.
[٣] ن: العدو.
[٤] ع: فيها.
[٥] ن ع م: تفرق.
[٦] جميع النسخ: دار.
[٧] ن – كأنه قال من كان يريد العاجلة وهو كافر بربه مكذب بالآخرة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد. الآية السابقة.
[٨] ع: بربه.
[٩] جميع النسخ + الآية.
[١٠] ك ن: وهو.
[١١] ن ع م + عليه.
[١٢] ع م – الآية أي مجزيا مقبولا السعي المشكور هو الذي يجزى ويثاب عليه وقوله ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها.
[١٣] ن – بعمله.
[١٤] م: سعيها.

﴿كُلًّا نُمِدُّ هٰؤُلَاءِ وَهٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك**،[١] أي المؤمن والكافرَ، نعطي[٢] هذا وهذا، أي لا نحرم عن العاجلة من أراد الآخرة. يخبر بخبر أولئك الكفرة بكفرهم بالآخرة أنه ليس يُعطِي الدنيا وسَعَتها لمن يكفر بالآخرة، ولكن يعطي من كفر بها ومن آمن بها لئلا يحملهم ذلك على حبهم الدنيا وطلب العز والشرف فيها على كفرهم بالآخرة حيث قال: **كلا نمد هؤلاء وهؤلاء**، أي يعطي المؤمن والكافر والبر والفاجر.

وقوله عز وجل: **وما كان عطاء ربك محظورا**، أي رزق ربك وفضله محظورا، قال بعضهم: محبوسا وممنوعا،[٣] وقال بعضهم: **محظورا**، أي منقوصا، فهو في الآخرة، أي لا يُنقَصون في الآخرة من جزائهم. وروي في الخبر عن رسول[٤] الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله يعطي الدنيا على نية الآخرة ولا يعطى الآخرة على نية الدنيا.[٥] وعن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا كان العبد همه الآخرة كفى الله له من ضيعته وجعل غناه[٦] في قلبه، وإذا كان همُّه الدنيا أفشى الله عليه ضيعتَه وجعل فقرَه بين عينيه فلا يمسي إلا فقيرا ولا يصبح إلا فقيرا.»[٧]

وقوله[٨] مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ، للعاجلة، عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ،[٩] وأما من كان يريد العاجلة للآخرة[١٠] فهو ليس بمذموم، فهو ما ذكر[١١] في قوله: فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا،[١٢] وهو ما قال: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ،[١٣] الآية،

---

[١] ن ع م – من عطاء ربك.

[٢] ع م: يعطى.

[٣] ك ن: ممنوعا.

[٤] ك ن ع: نبي.

[٥] لم أعثر على حديث بهذا اللفظ، إلا أنه ورد في *سنن ابن ماجة* (الزهد ٢): «مَنْ كانت الدنيا هَمَّهُ فَرَّقَ اللهُ عليه أمرَه وجعل فقره بين عينيه و لم يأته من الدنيا إلا ما كُتِب له، ومن كانت الآخرة نيتَه جمع الله له أمره وجعل غناه فى قلبه وأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِىَ رَاغِمَةٌ».

[٦] ن: غناءه؛ ع: غناؤه.

[٧] ورد الحديث: «من كانت الآخرة همَّه جعل الله غِناهُ فى قلبه وجمع له شمله وأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِىَ رَاغِمَة ومن كانت الدنيا هَمَّه جعل الله فَقره بين عينَيه وفرَّق عليه شَمْلَه و لم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّرَ له». *سنن الترمذي*، صفة القيامة ٣٠.

[٨] ك ن + من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد.

[٩] سورة الإسراء، ١٨/١٧.

[١٠] ك ن + ويراها للآخرة.

[١١] ك ن: ذكرنا.

[١٢] الآية السابقة.

[١٣] ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يُبْخَسون﴾ (سورة هود، ١٥/١١).

وقوله: اِعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ.[١] حياة الدنيا للدنيا لعب ولهو، وأما من أراد الحياة الدنيا لحياة[٢] الآخرة فهو ليس بلعب ولهو، لأن الدنيا لم تنشأ لنفسها إنما أنشأت للآخرة، فمن رآها لها وأرادها لنفسها فهو لعب ولهو، ومن رآها[٣] / للآخرة[٤] وأرادها للآخرة فهو ليس بلعب ولا لهو. [٤٢٥ظ]

﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [٢١]

وقوله عز وجل: **انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض**، في الدنيا في الرزق وفي الخلقة، يكون بعضهم أعمى وبعضهم بصيرا، ويكون أصم ويكون سميعا ونحوه. فعلى ما يكونون[٥] في الدنيا على التفاوت والتفاضل[٦] يكونون في الآخرة كذلك في المنزلة والقدر عند الله، لا في الضيق والسعة والأحوال التي يكونون في الدنيا، حيث قال: **وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا**، ولم يقل أكثر ولا أوسع، دل أنه على القدر والمنزلة عند الله، لا على اختلاف الأحوال التي يكونون في الدنيا. *والله أعلم*.

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾ [٢٢]

وقوله عز وجل: **لا تجعل**[٧] **مع الله إلها آخر**، قد ذكرنا فيما تقدم أن النهي في مثل هذا والخطاب لرسوله وإن كان غير موهوم ذلك منه للعصمة التي عصمه، فإنه غير مستحيل[٨] لما ذكرنا أن العصمة إنما[٩] يُنتفع بها مع الأمر والنهي،[١٠] لأنه لولا الأمر والنهي[١١] لما[١٢] احتيج إليها. أو خاطبه به على إرادة غير على ما يخاطب به ملوكُ الأرض الأقرب إليهم والأعظم والخطير منهم دون خسائس الناس ورُذّالهم. والثاني أنه يخاطب كلّا في نفسه ليس أنه يخص رسوله بذلك ولكن كلٌّ موهومٍ ذلك منه.

---

[١] ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد﴾ (سورة الحديد، ٥٧/٢٠).
[٢] ن: بحياة.
[٣] ع: يراها.
[٤] ن – للآخرة.
[٥] ن ع م: يكون.
[٦] م: والتفضل.
[٧] ن – لا تجعل.
[٨] ع + التي عصمه؛ م + في ذاته.
[٩] ع: لما.
[١٠] ن ع م: مع النهي والأمر.
[١١] ع – لأنه لولا الأمر والنهي.
[١٢] ن ع م: ما.

ومحتمل أن يخاطِب به كقوله: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ،[1] يَا أَيُّهَا النَّاسُ،[2] ليس إنسان أحق بهذا الخطاب من إنسان، فعلى ذلك الأول. أو نقول:[3] يخاطب رسوله ليعلم من دونه أن ليس لأحد -وإن عظم قدره عند الله وارتفع محله ومنزلته- محاباة في الدين، لأن الرسل هم المكرَّمون على الله[4] المعظمون عنده، فإذا لم يَعف عنهم[5] في هذا لم يعف [عن] من دونهم. ألا ترى أنه قال للملائكة: وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ،[6] وهم أكرم خلق الله حيث وصفهم أنهم: لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ،[7] فعلى ذلك الرسل. ألا ترى أنه قال على أثره: وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ، إلى قوله: إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا،[8] ومعلوم أن أبويه كانا ضالَّين فلا يحتمل أن يخاطب رسوله في قوله: وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا،[9] دل أنه خاطب به كل محتمل ذلك منه وموهوم.

وقوله عز وجل: **فتقعدَ مذموما**، عند الناس، **مخذولا**، أي ذليلا مقهورا؛ لأن الخذلان هو ضد النصر والعون، ألا ترى أنه قال: إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ،[10] الآية. ذكر[11] الخذلان مقابل النصر، فعلى ذلك قوله: **مخذولا**، أي مقهورا ذليلا[12] غير منصور. ***والله أعلم***.

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه**، قال بعضهم: **قضى** حكم، وقال بعضهم: **قضى** ههنا أمر، أي أمر **ربك ألا تعبدوا إلا إياه**. وقال بعضهم: **قضى ربك**، أي وصَّى ربك،

---

[1] ك + ما غرك. سورة الانفطار، ٨٢/٦.
[2] سورة البقرة، ٢/٢١.
[3] جميع النسخ: أو يقول.
[4] ع - الله.
[5] ك: يعفوا هم؛ ن ع م: يعفوهم.
[6] سورة الأنبياء، ٢١/٢٩.
[7] سورة التحريم، ٦٦/٦.
[8] الآية التالية.
[9] سورة الإسراء، ١٧/٢٤.
[10] ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٦٠).
[11] ع: وذكر.
[12] ن: ذليلا مقهورا + لأن الخذلان.

وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود وأبيّ رضي الله عنهما أنهما كانا يقرآن: ووصّى ربك.[١] وقال[٢] بعضهم: وعهد ربك. وقال[٣] القُتَبِي: **وقضى ربك**، أي حتم ربك[٤] وهو من[٥] الفرض والإلزام، أي فرض ربك وألزم **أن لا تعبدوا إلا إياه**، وكذلك حكم ربك[٦] وهو أشبه. ألا ترى أنه قال في آية أخرى: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ، ثم قال: وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ،[٧] دل قوله: وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ، أن قوله: إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ، معناه أي فرض الله ورسوله وَحكما أمرا.

ثم قوله: **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه**، فرض وحتم[٨] وحكم وأمر أن لا تعبدوا إلا إياه، إلا الإله المعبود الحق المستحق للعبادة والألوهية[٩] والربوبية، لا تعبدوا دونه أحدا. وقد أبان لنا أنه هو الإله والرب المستحق للعبادة والألوهية والربوبية، لا الذين تعبدون من دونه من الأوثان والأصنام بوجوه ثلاثة. أحدها عجز العقول وجهالتها عن درك كيفية العقول وماهيتها،[١٠] لأن العقول لا تعرف كيفية أنفسها ولا ماهيتها وتعرف محاسن الأشياء ومقابحها، فقد عرفت الألوهية لله وحسن العبادة له وقبحها لغيره.

والثاني ما يوجد في جميع الخلائق من أثار ألوهيته وربوبيته وجَعْلِ العبادة له شكرا له، وعلى ذلك جَعَل في كل جارحة من جوارح الإنسان عبادة شكرا له[١١] لما فيها من آثار ألوهيته.

والثالث[١٢] السمع، أنبأنا أن لا معبود إلا الله ولا ألوهية لسواه دونه، فذلك معنى ما فرض على خلقه وأمرهم أن لا يعبدوا إلا إياه.

---

[١] *كتاب المصاحف* للسجستاني، ٥٤.
[٢] م: قال.
[٣] ع: قال.
[٤] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٥٣.
[٥] ع: ومن هو.
[٦] ع م – من.
[٧] ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/ ١٣١).
[٨] ن: وختم.
[٩] ك ع – والألوهية؛ ن + لا الذين.
[١٠] م: وما بينها.
[١١] ن – له.
[١٢] ن – والثالث.

وتأويل حكم ربك ألا تعبدوا إلا إياه لما أنشأ في خلقة كل أحد آثار وحدانيته وشهادة ربوبيته واستحقاق[1] العبادة له، فذلك تأويل من قال: **قضى**، أي حكم. وأما تأويل[2] من قال: **قضى**، أي أمر **ربك** وكلّف **أن لا تعبدوا إلا إياه** يكون فيه أمرا بالعبادة له والنهي عن عبادة غيره، كأنه[3] قال: أمر ربك أن اعبدوه ونهاكم أن تعبدوا غيره.

ثم الفرق بين الطاعة والعبادة: يجوز أن يطاع غيره ولا يجوز أن يعبد غيره، لأن الطاعة هي الائتمار، كقوله: أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ،[4] أي ائتمروا. وأما العبادة هي الاستسلام والخضوع له، والشكر له ولا يجوز ذلك لغيره سوى الله. أو أن يكون في العبادة معنى لا يدرك كمعنى الرحمن لا يدرك حيث لم يجز[5] تسمية غيره به، فعلى ذلك هذا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وبالوالدين إحسانا**، كأنه قال: وفَرَض عليكم أيضا وحَكَم إحسانَ الوالدين، أو أمركم بإحسان الوالدين.[6] ثم الإحسان في عرف الناس[7] هو الفعل الذي ليس عليه، إنما هو فضل ومعروف يصنعه إلى غيره. هذا هو الإحسان / في العرف واللغة. لكن المراد من الأمر بالإحسان [٤٢٦و] إلى الوالدين هو الشكر، لا ما ذكرنا من الإحسان المعروف عند الناس، وهو ما ذكر في آية أخرى: أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ،[8] لأن الشكر هو المكافأة والجزاء لما أُنعم وصُنع من المعروف فهو –والله أعلم– وإن ذُكر الإحسان في هذا وفي غيره من[9] الآيات وهو قوله: أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا،[10] وقال في آية أخرى: وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا،[11] وغيرها من الآيات، فالمراد منه –والله أعلم– الشكر لهما لما ذكر في آية أخرى: أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ.[12]

---

[1] م: استحقاق.
[2] ن – قضى أي حكم وأما تأويل.
[3] ع: كمعنى.
[4] ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ (سورة النساء، ٥٩/٤).
[5] جميع النسخ: لم يجوز.
[6] ع م – أو أمركم بإحسان الوالدين.
[7] ن + في عرف الناس.
[8] ﴿ووصّينا الإنسان بوالديه حملته أمه وَهْنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير﴾ (سورة لقمان، ١٤/٣١).
[9] ن + الإحسان.
[10] ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا﴾ (سورة الأنعام، ١٥١/٦).
[11] سورة النساء، ٣٦/٤.
[12] سبق قريبا.

والشكر هو المكافأة، أمره أن يكافئ لهما ويجازي بعض ما كان منهما إليه من التربية والبر والعطف عليه والوقاية من كل سوء ومكروه في البطن وبعد ما خرج من البطن، حتى كانا يُؤْثرانه على أنفسهما في السرور ويجعلان أنفسهما وقاية له من كل سوء ومحذور. فأمر الولد أن يشكر لوالديه جزاء ومكافأة لما كان منهما إليه مما ذكرنا. هذا ذُكر في الحال التي عجزا هما عن القيام لأمر أنفسهما والحوائج لهما. وذلك -والله أعلم- لأنهما إذا كانا قويين قادرين لحوائج أنفسهما ومنافعهما يَبَرّان ولدهما ويحسنان إليه، فيحمل برهما وإحسانهما إليه على الطاعة لهما في البر والإحسان إليهما على المجازاة. وهكذا المعروف عند الناس أنه إذا بر بعضهم بعضا يبعث ذلك على المكافأة ليدوم ذلك بينهم[1] وأن لا ينقطع، لذلك ذكر -والله أعلم- الإحسان إلى الوالدين في الحال التي هي حال ضعف وعجز حيث قال:

إما يبلغن عندك الْكِبَرَ أحدُهما أو كلاهما. ثم أمره أن يذكر الحال التي هو عليها وهو حال طفولته[2] وصغره أن كيف ربياه وبراه[3] وعطفا عليه ولانا له قولا وفعلا حتى لم يستقذرا منه شيئا ما[4] يستقذر الناس بعضهم من بعض و لم يُبعدا عنه[5] ما يبعد الخلق بعضهم من بعض[6] من أنواع الأذى والخبث. فأمره أن يعاملهما إذا بلغا[7] الحال التي كان[8] هو عليها من الجهل والضعف والعجز عن القيام بالحوائج على ما كان هو وبلغا المبلغ الذي يُستقذر منهما ويُبعد عنهما، أي لا يستقذر هو منهما ولا يَبعد عنهما كما لم يستقذرا هما منه،[9] ولا ينهرهما عند السؤال والحاجة إليه كما لم يفعلاهما له،[10] بل يلين لهما[11] ويَذِلّ كما لانا هما[12] له وخضعا، وهو ما قال: وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ،[13] الآية،

---

[1] ع م: عليهم.
[2] م: طفوليته.
[3] م: وبرا.
[4] ع - ما.
[5] ك ن ع: ولم يبعداه عنهما؛ م: و لم يبعدهما عنه.
[6] م - من بعض.
[7] ن - إذا بلغا.
[8] ع - كان.
[9] ن: لم يستقذرا منهما.
[10] ك - له.
[11] ع م - لهما.
[12] ك - هما.
[13] ﴿والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يُرَدّ إلى أرذل العُمُر لكي لا يعلمَ بعد علم شيئا إن الله عليم قدير﴾ (سورة النحل، ١٦/٧٠).

وقال في آية أخرى: اَللّٰهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً.[1] أخبر أنه يردّ من بعد القوة والعلم إلى الحال التي كانوا عليها، وهو حال[2] الضعف والجهل، حيث قال: وَاللّٰهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ،[3] الآية، وقال: اَللّٰهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ،[4] الآية، فقال:

فلا تقل لهما أُفٍّ ولا تَنْهرهما. وقال بعضهم: قوله: **فلا تقل لهما أف**، هو كناية عن إظهار الكراهة لهما[5] في الوجه. **ولا تنهرهما**، أي لا تعنِّفهما في القول والكلام على ما لم[6] يفعلا هما بك. وقال بعضهم: **أُفٍّ**، المراد منه هو أف لا غير. **ولا تنهرهما**، أي لا تُعنِّفهما ولا تَخَشَّنْ. لكنه ذكر أول حال الاستثقال والكراهة منه وآخرَها. أي **لا تقل لهما أف** على ما يَستثقل الناس شيئا ويكرهون في أول حال يرون شيئا مستثقَلا مكروها يقولون: أف، أي لا تقل أُفٍّ لئلا يحمل ذلك على العنف والخشونة والنَّهر. وعلى هذا المعنى قالوا في قوله: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ،[7] الآية. قال بعضهم: يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ، ليحفظوا فروجهم،[8] لأن النظر بالبصر يحمله على الزنى في الفرج، ومنه يكون بدء[9] الفجور. وقال بعضهم: قوله: يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ، ذَكَر أول حال وآخرها ليمتنعوا[10] عن كل ذلك. فعلى ذلك[11] قالوا في[12] قوله: **فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما**، ذَكَر أول الحال وآخرها. والثاني، أي لا تُظهرْ في[13] وجهك من الكراهة والاستثقال

---

[1] سورة الروم، ٥٤/٣٠.

[2] م: وحال.

[3] ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ (سورة النحل، ٧٨/١٦).

[4] سبق قريبا.

[5] ع م: هما.

[6] م – لم.

[7] سورة النور، ٣٠/٢٤.

[8] ع + ذلك على العنف والخشونة والنهر وعلى هذا المعنى قالوا في قوله قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم الآية قال بعضهم يغضوا من أبصارهم ليحفظوا فروجهم.

[9] ك: بدؤ؛ ع م: بدأ.

[10] ع: وليمتنعوا.

[11] ع – فعلى ذلك.

[12] ع م – قالوا في.

[13] ع – في.

لئلا يحمل[١] ذلك على العنف والانتهار. فإن كان تأويل قوله: **أُفٍّ**، أُفٍّ لا غير ففيه حجة لأبي حنيفة رحمه الله في قوله: إذا نفخ المصلي في موضع سجوده فهو[٢] كلام يقطع صلاته، حيث قال: **فلا تقل لهما أف**، أي لا تتكلم[٣] به. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وقل لهما قولا كريما**، حيث نهاه أن يقول لهما أف ونهاه أن ينهرهما، فإذا امتنع عن الأف والنَّهْر كان بعد ذلك قولا ليّنا لطيفا.

قال أبو عَوْسَجَة: يقال: نهرتُه وانتهرتُه، وهو الخشِن من الكلام، شبيه[٤] الوعيد. وقال أبو بكر الكيساني [الأصم]: الكريم هو الذي يتولى على آخر نعمه ويهنئه[٥] بترك الأذى والمنّ، كقوله:[٦] [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى.[٧] وقال غيره في وصف السخي:[٨] [هو] الذي يَبذُل ما احتوى عليه لمن احتاج إليه ويقطع[٩] طمعه[١٠] عما احتوى عليه غيرُه عند حاجته إليه. ويشبه أن يكون الكريم قريبا منه.[١١]

فإن قيل: إن الوالدين[١٢] كالمجبولين المطبوعَين على البر لأولادهما والشفقة عليهم ولا كذلك الأولاد، فكيف يشبه بِرّ مَن كان مجبولا به مطبوعا[١٣] عليه برّ مَن لم يكن ذلك بطبعه؟

قيل: لذلك[١٤] ذكر هذا في الولد دون الوالدين وأمرهم[١٥] بذلك، لأن ما يفعل الوالدان من البر والإحسان إلى الولد يفعلان بطبع، والولد لا، لذلك كان ما ذكر. *والله أعلم*. ولهذا[١٦] لم يجعل

[١] جميع النسخ: ليحمل.
[٢] ك ن ع: هو؛ م: وهو.
[٣] ع م: لا يتكلم.
[٤] م: سفيه.
[٥] جميع النسخ: ويهنيه.
[٦] ك: بقوله.
[٧] سورة البقرة، ٢٦٤/٢.
[٨] جميع النسخ + فقال.
[٩] جميع النسخ: وقطع.
[١٠] ع م: طعمه.
[١١] ن – منه.
[١٢] ن: الدين.
[١٣] م: ومطبوعا.
[١٤] ع: كذلك.
[١٥] أي الأولاد.
[١٦] جميع النسخ + ما.

ولم يَشرع قتل الوالد بولده إذ[1] القصاص [لم] يُجعل[2] حياةً بينهم. وشَرَع قتل الولد بوالديه إذ في الوالدين من الشفقة والرحمة ما يمنع قتل الولد وليس في الولد ذلك، فجعل في قتل الولد والدَه القصاصَ ولم يجعل[3] في قتل الوالدين ولدَهما، / فعلى ذلك هذا[4] في البر والإحسان. [٤٢٦ظ]

فإن قيل: ما الحكمة فيما قرن الله من شكر والديه شكره في غير آي من القرآن: [مثل: أَنِ] اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ؟[5]

قيل: لأنه بهما كان نماؤه من أول حاله إلى آخر[6] ما انتهى إليه من التغذية والتربية والوقاية عن كل سوء، والحفظ عن كل آفة وشر.

وفي الآية دليل لقول أبي حنيفة حيث قال في المُكَاتَب: إذا اشترى والده أو أمّه صار مكاتَبا، وإذا اشترى أخاه أو ذا رَحِمٍ مَحرمٍ منه لم يصر مكاتبا مثله،[7] لأن الأب والأم يصيران كذلك بحق الجزاء والشكر، فعليه ذلك. وأما الأخ وغيره من المحارم بحق المعروف، فمِلْكه لا يحتمل ذلك.

والخطاب من الله وإن كان مع رسوله فالمراد منه غيره، لأن رسول الله معلوم أنه لم يدرك والديه في الوقت[8] الذي أُرسل فيه[9] وخاطبه بما خاطب، دل أنه أراد بالخطاب غيره:[10] كلَّ محتمِل منه[11] ذلك وموهومٍ منه، وأمره أن يعاملها بالمعاملة التي ذكر. ***والله أعلم.***

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **واخفض لهما جناح الذل من الرحمة**، يحتمل أن يكون الجناح كناية عن اليدين، لأن اليدين في الإنسان بموضع الجناح للطائر، وجناح الطائر يداه. فكأنه قال:

---

[1] ع: إذا.
[2] ك ن ع: جعل؛ م – جعل.
[3] ن – الولد والده القصاص و لم يجعل.
[4] ك: ههنا؛ ن – هذا.
[5] ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير﴾ (سورة لقمان، ١٤/٣١).
[6] ن: حال.
[7] م – مثله.
[8] ع: إلى الوقت.
[9] جميع النسخ: إليه.
[10] ع: غير.
[11] ن ع م – منه.

اخفض واخضَعْ لهما بيديك، كما أمره أن يخضع لهما بلسانه[١] بقوله: وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا،[٢] أي اخضع لهما قولا وفعلا. ويحتمل أن يكون الجناح كناية عن النفس، أي اخضع[٣] لهما بجميع النفس والجوارح. وقوله: **الذل**، يحتمل أن يكون المراد من الذل الذل نفسه، أي كن لهما كالمستعين المحتاج إليهما لا كالمعين[٤] لهما قاضي الحاجة، ولكن ذليلا[٥] كالمستعين من الآخر رافعَ الحاجة إليه. ويحتمل أن يكون **الذل** كناية عن الرحمة التي تكون في القلب، أي اخضع لهما برحمة القلب والجوارح جميعا، ألا ترى أنه قال: أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ،[٦] أي رحماء على المؤمنين، أشداء على الكافرين، ألا ترى أنه قال في آية أخرى: أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ.[٧] وذَكَر مقابل الذل في تلك الآية الرحمةَ في هذا، ومقابل العزة الشدةَ، فعلى ذلك يحتمل أن يكون قوله: **جَنَاحَ الذُّلِّ**، كناية عن الرحمة فيكون معناه: أن اخضع لهما بالظاهر والباطن جميعا على ما ذكرنا في قوله: فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا.[٨] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وقل ربِّ ارحمها كما ربَّياني صغيرا**، قال بعضهم: **رب ارحمهما كما ربياني**، إذ ربياني،[٩] **صغيرا**، ويحتمل أن يكون[١٠] على الإضمار فيكون –والله أعلم– كأنه قال: **رب ارحمهما** كما رحماني **وربياني صغيرا**.

وقول أهل التأويل: إن هذا منسوخ نسخه قوله: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ،[١١] الآية، بعيد. وأمكن أن تكون[١٢] الآية في المؤمنين والكافرين، فالرحمة التي

---

[١] ك + لهما.

[٢] الآية السابقة.

[٣] ع م: خضع.

[٤] ن: إلا كالمعين.

[٥] ن ع: ذليل.

[٦] ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ (سورة المائدة، ٥/٥٤).

[٧] ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ (سورة الفتح، ٤٨/٢٩).

[٨] الآية السابقة.

[٩] ع م – إذ ربياني.

[١٠] ع م – يكون.

[١١] ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾ (سورة التوبة، ٩/ ١١٣).

[١٢] جميع النسخ: أن يكون.

ذكر تكون في الكافرين سؤال الهداية لهم وجَعْلَهم[1] أهلا للرحمة والمغفرة، وذلك جائز كقول نوح لقومه: اِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا،[2] أي استهدَوا ربكم فيهديكم[3] فيغفرْ لكم ما كان منكم، إِنَّهُ كَانَ، لم يزل، غَفَّارًا. إذ لا يحتمل أن يأمرهم بالاستغفار ويعِدَهم بالمغفرة على الحال التي هم عليها، وكذلك استغفار إبراهيم لأبيه. أو أن يكون من الرحمة التي يتراحم بعضهم لبعض[4] والشفقة التي تكون بين الناس كما يُتراحم للصغار[5] والضعفاء. ثم مثل هذه[6] المعاملة التي أمر الولد أن يعامل أبويه يلزم المؤمنين من جهة الدين ومكارم الأخلاق أن يعامل[7] الناس بعضهم بعضا. غير أن هذا فيما بين الناس ليس بفرض لازم، وذاك[8] فرض[9] لازم، لأنها[10] بحق الشكر والجزاء لهما بما كان منهما إليه من البر والإحسان وحق التربية، أو لتعظيم[11] حقهما وجليل قدرهما وخصوصيتهما، وهو كما قال لرسوله: وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ،[12] وإلا فقد وصف المؤمنين بتراحم بعضهم على بعض على ما ذكر: رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ،[13] وأمرهم بذلك.

[٤٢٦ظ س٣٩] *وقال أبو عَوْسَجَة في قوله: **واخفض لهما جناح الذل من الرحمة**، أي لِن لهما وارفُق بهما. ذكر بر اللسان للوالدين ولطفه إياهما قولا وفعلا، وليس في ظاهر الآية ذكر البر بالمال والإنفاق عليهما، فيشبه أن يكون ذلك داخلا في قوله: وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا.[14] أو لم يذكر ذلك لما أن مال الولد مال لهما، ألا ترى إلى ما روي عن جابر بن عبد الله قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبوه فقال: يا رسول الله إن لي مالا وإن لي أبا وله مال،

---

[1] ك: وجعلا.
[2] سورة نوح، ١٠/٧١.
[3] م: فنهديكم.
[4] م: بعضا.
[5] جميع النسخ: الصغار.
[6] م: هذا.
[7] م: يعاملهم.
[8] ع م: وذلك.
[9] ع م – فرض.
[10] ك ن: لأنهما.
[11] ع م: أو التعظيم.
[12] سورة الشعراء، ٢١٥/٢٦.
[13] سورة الفتح، ٢٩/٤٨.
[14] الآية السابقة.

وإنّ أبي يريد أن يأخذ مالي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أنت ومالك لأبيك.»[١] أولا ترى أيضا أنه أضاف بيوت الولد إليهما حيث قال: أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ،[٢] قوله: مِنْ بُيُوتِكُمْ، معناه [من] بيوت أبنائكم.* [٤٢٧و س٦]

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **ربكم أعلم بما في نفوسكم**، قال بعضهم: قوله: **أعلم بما في نفوسكم** من أسرار المحبة لهما والبر والكرامة. وقال بعضهم:[٤] **ربكم أعلم بما في نفوسكم**، أي أعلم ما تفعله نفوسكم، وهو كما قال عيسى: تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي،[٥] أي تعلم ما تفعله نفسي ولا أعلم ما في نفسك من التدبير والتقدير. فعلى ذلك هذا. وجائز أن يكون قوله: **ربكم أعلم بما في نفوسكم**، صلة قوله: فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ،[٦] الآية، أي ربكم أعلم بما في ضميركم من الاستقذار إياهما والاستثقال والكراهة إذا بلغا[٧] المبلغ الذي ذكر، ولكن لا تُظهرْ[٨] ذلك لهما ولا يوافق[٩] ظاهرك باطنك.[١٠] أو أن يقول: **ربكم أعلم بما في نفوسكم**، ولا يعلم غيره ما في نفوسكم،[١١] فلا تُرَاءُوا[١٢] الناس[١٣] ولا تصرفوا ما في ضميركم إلى من لا يعلم ذلك. يخاطب الكل على الابتداء أن لا يجعل ما في قلبه لغيره، بل يخلص له. أو أن يكون قوله: **ربكم أعلم بما في نفوسكم**، أي ما تفعله أنفسكم وتُدبّرها.

---

[١] انظر: *سنن ابن ماجة*، التجارات ٦٤؛ و*سنن أبي داود*، الإجارة ٤٣.

[٢] ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم﴾ (سورة النور، ٢٤/٦١).

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٢٦ظ/سطر ٣٩ – ورقة ٤٢٧و/سطر ٦.

[٤] ع م – بعضهم.

[٥] ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب﴾ (سورة المائدة، ٥/ ١١٦).

[٦] سورة الإسراء، ١٧/٢٣.

[٧] ع م: بلغ.

[٨] ع م: يظهر.

[٩] ن ع م: توافق.

[١٠] ع: وباطنك.

[١١] ع م– ولا يعلم غيره ما في نفوسكم.

[١٢] ك ن: فلا تراؤن؛ ع م: فلا يرون.

[١٣] ن + ما في قلوبكم.

وقوله عز وجل: **إن تكونوا صالحين**، أي تصيروا[1] صالحين، لأن قوله: **تكونوا** إنما هو في حادث الوقت. وقوله عز وجل:[2] **فإنه كان للأوابين غفورا**، يشبه أن يكون قوله: **إن تكونوا صالحين**، صلة قوله وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ،[3] وتكونوا صالحين[4] **فإنه كان للأوابين غفورا**،[5] أي فإنه لم يزل غفورا،[6] للأوابين ولمن شاء.[7] ثم اختلف في الأواب، قال بعضهم: الأواب الرجّاع التوّاب، وهو قول أبي عَوْسَجَة. وقال[8] القُتَبِي: الأواب التائب مرة بعد مرة، وهو مِن آبَ يؤوب، أي رجع،[9] وهما واحد. وقال بعضهم: الأواب المطيع، وقيل: المسبّح ونحوه.[10]

[٤٢٧و] / وقال بعضهم[11] في قوله: **إنه كان للأوابين غفورا**: إنه صلاة الضحى ويروى في ذلك خبرًا، روي [عن] زيد بن أرقم قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم على قوم وهم يصلون الضحى فقال: «صلاة الأوابين إذا رَمِضَت الفِصال.»[12] وفي خبر آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أمرني[13] رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث: أمرني أن أصوم ثلاثا في كل شهر، وأن لا أنام إلا على وِتر، وأن أصلي ركعتي الضحى فإنها صلاة الأوابين.[14] وقد يروى أحاديث كثيرة في الحَث على صلاة الضحى وفضلها[15] وأنه صلى هو ركعتين وأربعا وستا وثمانيا ما يكثر ذكرها ويطول.[16]

---

[1] ن – أي تصيروا.

[2] ن – لأن قوله تكونوا إنما هو في حادث الوقت وقوله عز وجل.

[3] سورة الإسراء، ٢٣/١٧.

[4] ع م – صلة قوله وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وتكونوا صالحين.

[5] ن – يشبه أن يكون قوله إن تكونوا صالحين صلة قوله وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وتكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا.

[6] ع م – أي فإنه لم يزل غفورا.

[7] م: يشاء.

[8] ع م: قال.

[9] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٥٣.

[10] وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٢٤ فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٢٦ظ/سطر ٣٩ – ورقة ٤٢٧و/سطر ٦.

[11] م: بعض.

[12] *مسند أحمد بن حنبل*، ٤، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٧٥؛ وصحيح *مسلم*، صلاة المسافرين ١٤٣-١٤٤؛ وسنن *أبي داود*، الصلاة ١٥٣. "صلاة الأوابين إذا رَمِضَت الفِصال" وهي أن تحمى الرَّمْضاء، وهي الرمل، فتبرك الفصال من شدة حرّها وإحراقها أخفافها (*النهاية* لابن الأثير، «رمض»).

[13] م: أمر.

[14] *صحيح البخاري*، التهجد ٣٣؛ وصحيح *مسلم*، صلاة المسافرين ٧٦، ٧٩.

[15] ع: وفعلها.

[16] انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٦، ٧٤؛ وسنن *أبي داود*، التطوع ١٢.

ومن صلاها فإنما صلاها على سبيل التطوع ليس على سبيل اللزوم الواجب أو السنة المؤكدة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم صلاها مرة وتركها مرة، فكان كصلاة الليل يدرِك فاعلُها الفضل.

﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل**، كأن[١] الآية هي صلة قوله: وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا،[٢] أي وقضى أيضا أن تؤتي ذا القربى[٣] حقه ومن ذَكَر، أي فرض وحتم وحَكَم على اختلاف ما قالوا. وهو كقوله: وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى،[٤] الآية. أمر عز وجل بِبِرّ الوالدين والشكر لهما وصلةِ ذي القربى فريضة ومن ذكر. ثم اختلفوا في قوله: **حقَّه**، قال بعضهم: ذلك الحق فريضة وهو الزكاة، حيث جَعَل ذلك صلةَ ما هو فرض وهو الشكر لله، وجعلَ العبادة له وشكر الوالدين جزاء لما كان منهما إليه، وقد ذكرنا أن ذلك فرض لازم، فعلى ذلك صلة هؤلاء، إذ صلتهم فريضة لما جاء من المواعيد الشديدة في قطع الرَّحِم والترغيب في صلتهم. ومنهم من قال: ذلك الحق نفل، ألا ترى أنه قال: **ولا تُبذِّر تبذيرا**، وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ،[٥] وقال: وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا،[٦] فلا يحتمل ما ذكر من الإعراض عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا [أن يكون] في الفرض، دل أنه في النفل. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ولا تبذر تبذيرا**، قال بعضهم: التبذير والإسراف واحد وهو المجاوزة عن الحد الذي جعل في الإنفاق والحقوق. أو المجاوزة[٧] عن المحق إلى غير المحق.[٨] روي عن ابن مسعود أنه سئل عن التبذير فقال: إنفاق المال في غير حقه، وكذلك قول ابن عباس رضي الله عنه.[٩] وقال بعضهم: التبذير هو الإنفاق فيما لا ينتفع به. ويحتمل ما ذكرنا أنه يترك الإنفاق على المحق وهم ذَووا[١٠] القربى وينفق على الأجنبيين.

---

[١] ن: كانت.
[٢] سورة الإسراء، ٢٣/١٧.
[٣] ع: ذي القربى.
[٤] سورة النساء، ٣٦/٤.
[٥] سورة الإسراء، ٢٩/١٧.
[٦] سورة الإسراء، ٢٨/١٧.
[٧] ع م: والمجاوزة.
[٨] ع: عن المحق غير المحق؛ م: عن المحق وغير المحق.
[٩] ع: عنهم. انظر: *تفسير الطبري*، ٧٣/١٥.
[١٠] ن: ذوا؛ ع: ذوي؛ م: ذو.

﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [٢٧]

وقوله عز وجل: **إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين**، أي كانوا أولياء الشياطين. **وكان الشيطان لربه كفورا**، أي كفورا[١] لنعم ربه.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها**، عن[٢] الحسن قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يُسأَل فيقول: «ما لآل محمد، وإنهم لتسعة أهل أبيات، إلا صاعٌ من طعام.»[٣] فأنزل الله تعالى: **فقل لهم قولا ميسورا**، أي عِدهُم أن سوف يأتي الرزق.[٤] وعن[٥] ابن عباس رضي الله عنه قال في قوله: **وإما تعرضن عنهم**، إذا سألوك وليس عندك شيء انتظرت رزقا من الله يأتيك: **فقل لهم قولا ميسورا**، يكون -إن شاء الله- شِبهَ العِدَة، وأمثالَ هذا قالوه. ويحتمل قوله: **وإما تعرضن عنهم**، إعراض الوجه، ويحتمل إعراض الإجابة، فذلك يكون للاستثقال[٦] والاستخفاف مرة، ولما ليس عنده[٧] شيء يعطيهم ثانيا. لكن لا تعرف أن الإعراض كان للاستثقال والاستخفاف أو لما ليس عنده ما يعطيهم فَأَمَر أن يبين لهم أن الإعراض عنهم ليس للاستثقال والاستخفاف، وكذلك ترك الإجابة لهم ولكن لما ليس عنده شيء، ليعلموا أن الإعراض عنهم ليس للاستخفاف ولا للاستثقال ولكن لما ليس عنده ما يعطيهم، أو يطلب ما يعطيهم وهو ما قال: **فقل لهم قولا ميسورا**. أجمع[٨] أهل التأويل أن هذا الإعراض هو ليس[٩] للسؤال،[١٠] لأنه كان يعرض عنهم لابتغاء ما يعطيهم، فذلك الإعراض يَرجع منفعتُه[١١] إلى السؤال.

---

[١] ع: كفور.
[٢] ع: قال.
[٣] ورد الحديث بلفظ: «مَا أَصْبَحَ لآلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم إِلَّا صَاعٌ وَلَا أَمْسَى، وَإِنَّهُمْ لَتِسْعَةُ أَبْيَاتٍ.» انظر: *صحيح البخاري*، الرهن ١.
[٤] جميع النسخ: بالرزق.
[٥] م: عن.
[٦] ع م: بالاستثقال.
[٧] ع: عند.
[٨] ع: جمع.
[٩] ع م – ليس.
[١٠] ك ن: السؤال؛ ع م: لسؤال.
[١١] م: منفعة.

ثم اختلفوا في قوله: **ميسورا**، قال بعضهم: عِدهم عِدَة حسنة: إذا كان ذلك أعطيناكم،[1] وقال بعضهم: أي عدهم خيرا، وقال بعضهم:[2] قل لهم قولا ليّنا وسهلا،[3] وقال أبو عَوْسَجَة: **ميسورا**، أي حسنا وهو من التيسير؛[4] ونحوَ ذلك قالوا: أي[5] أُرْدُد عليهم ردا حسنا ليقع عندهم أن الإعراض لما ليس عنده شيء، لا لوجه آخر. ***والله أعلم***.[6]

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك**، في الإنفاق إذا كان عندك، **ولا تبسطها كل البسط**، فيلومك من رجاك. ولكن لِما قال:[7] وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا،[8] / الآية، أمر الله أن ينفقوا نفقة ليس فيها سَرَف ولا إقتار، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه [٤٢٧ظ] وغيره. وقال بعضهم: لا تمسكْ عن النفقة[9] فيما أمرك ربك به عن الحق، **ولا تبسطها كل البسط** فيما[10] نهاك عنه، **فتقعد** كذا. وقال بعضهم: هذا نهي عن البخل والسرف،[11] فلئن كان هذا نهيا عن البخل كان قوله: **ولا تبسطها كل البسط**[12] نهيا عن الجود. ولا يحتمل أن ينهى أحدا[13] عن البخل والجود لأنهما غريزتان طبيعيّتان،[14] ولا ينهى أحد[15] عما كان سبيله الطبع والغريزة. ولكن ما ذكرنا -والله أعلم- من كفّ اليد وقبضها عن الإنفاق في الحق والمحق وبسطها في غير الحق وذي المحق.

---

[1] ع م: أعطيناك.
[2] ن - أي عدهم خيرا وقال بعضهم.
[3] ك: سهلا.
[4] ع م: التفسير.
[5] ك - أي.
[6] ع م - والله أعلم.
[7] ك ن: ما قال.
[8] ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾ (سورة الفرقان، ٦٧/٢٥).
[9] ع: على النفقة.
[10] م: فيهما.
[11] أي القسم الأول من الآية نهي عن البخل، والقسم الثاني نهي عن السرف.
[12] ع- فيما نهاك عنه فتقعد كذا وقال بعضهم هذا نهي عن البخل والسرف فلئن كان هذا نهيا عن البخل كان قوله ولا تبسطها كل البسط.
[13] م: أحد.
[14] ن ع م: طبعيان.
[15] ن: أحدهما.

وقال أبو بكر الأصم: دل قوله: **ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك**، أن قول اليهود: يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ، أنهم لم يريدوا حقيقة اليد ولكن التضييق والتقتير، وكذلك لم يُرِد بقوله: بَلْ يَدَاهُ[1] مَبْسُوطَتَانِ، حقيقة بسط اليد ولكن أراد التوسيع في الرزق والتكثير، ألا ترى أنه قال: يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ.[2]

ثم يحتمل الخطاب في هذه الآيات الوجوه الثلاثة التي ذكرنا فيما تقدم في غير موضع. أحدها أنه خاطب رسوله بذلك كله وأشرك[3] فيه قومه. وفي القرآن كثير أنه خاطب رسوله[4] بأشياء فيشرك قومَه في ذلك.

والثاني خاطب كلا في نفسه، نحو ما ذكرنا في وقوله: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ،[5] يَا أَيُّهَا[6] النَّاسُ،[7] وقوله: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ،[8] وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ،[9] وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ،[10] ونحوه من الخطابات، خاطب كل أحد في نفسه، إذ لا يحتمل أن يخاطب في قوله: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، رسول الله خاصة ولا يخاطب غيره، بل الخطاب به كل الناس وكل إنسان.

والثالث خاطب رسوله على إرادة غيره، على سبيل الخصوصية له، نحو ما يخاطِب ملوكُ الأرض خواصَّهم وأعقلهم من رعيتهم على إرادة ذلك الخطاب غير المخاطبين، فعلى ذلك يحتمل هذا.[11]

أو أن يكون خاطب بقوله: **ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك**، غيره ممن يمسك، ويخاطب بقوله: **ولا تبسطها كل البسط**، رسول الله، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحتمل أن يكون ما ذكر وقد يحتمل البسط، لذلك كان ما ذكر. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **فتقعدَ ملوما محسورا**، يحتمل قوله: **ملوما** عند نفسك وعند الناس تلوم نفسك بأنك لِمَ أنْفقتَ، وعند الناس لِما لم تجد ما تُنفق عليهم، وعند الله أيضا إذا أنفقت في غير حق.

---

[1] ن – بل يداه.

[2] ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلَّتْ أيديهم ولُعِنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ (سورة المائدة، ٦٤/٥).

[3] جميع النسخ: وشارك.

[4] ن + بذلك كله وشارك فيه قومه وفي القرآن كثير أنه خاطب رسوله.

[5] سورة الانفطار، ٦/٨٢.

[6] ك ن: ويا أيها.

[7] سورة البقرة، ٢١/٢.

[8] سورة الإخلاص، ١/١١٢.

[9] سورة الفلق، ١/١١٣.

[10] سورة الناس، ١/١١٤.

[11] ن: ذلك.

محسورا، قال القُتَبِي: أي يَحسُرك العطيةُ ويقطعك كما يحسُر السفرُ البعيرَ فيبقى منقطعا.[1] وقال أبو عَوْسَجَة: هو من الحسرة وهي الندامة، يقال: حُسِر الرجل فهو محسور. وقال: التبذير الفساد، **وملوما**، أي مغموما[2] محزونا.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر**، أي هو يوسّع الرزق على من يوسع، وهو يَقْتُر ويضيّق على من يضيق ويقتر؛ أي ذلك إلى الله لا إلى الخلق ليقطعوا الرجاء من الخلق ويروا ذلك من الله [و]لا يرون[ه] من غيره. والثاني ذكر هذا ليدوم الفضل لمن ذَكَر الفضلَ ويتبينَ ذلك لهم، حيث قال: أُنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً.[3] ومن الناس من قال بأن قوله: **إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر**، صلة قوله: وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ،[4] يقول: -والله أعلم- إنك إن منعته[5] وحَرَمته وكان في تقدير الله التوسيع عليه والبسطُ لم يضرَّه منعُك ولا حرمانك.[6] ولو وسّعت عليه وبسطت وكان في تقديره التضيق[7] والتقتير[8] لم ينفعه[9] بسطُك ولا توسيعك، ليعلموا أن التوسيع والبسط والتضييق والمنع من الله.[10] أو ذكر ليقطعوا الرجاء من الخلق ويطمعوا[11] في رحمته وفضله. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **إنه كان بعباده خبيرا بصيرا**، أي عالما بأعمالهم، بصيرا بمصالحهم وما لهم وما عليهم. أو أن يكون الخبير والبصير واحدا. أو ذكر هذا ليعلم أنه على علم بما يكون منهم، أنشأهم من الخلاف لأمره والرد والتكذيب لرسله ولم يخرج فعله وإنشاؤه إياهم،

[1] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٥٤.
[2] م: ملوما.
[3] سورة الإسراء، ٢١/١٧.
[4] الآية السابقة.
[5] ع: منفعته.
[6] ن ع م: ولا حرمانه.
[7] ع: الضيق؛ م: التضيق.
[8] ن: والتقدير.
[9] ع: ولم ينفعه.
[10] ع م: منه.
[11] ع: ولا يطمعوا.

على علم بما يكون منهم، عن الحكمة. لأنه لا منفعة له في طاعتهم إياه وائتمارهم،[1] ولا مضرة عليه ولا تَبِعة في خلافهم إياه، بل المنفعة والمضرة في ذلك راجعة إليهم. لذلك كان إنشاؤه إياهم على علم بما يكون منهم حكمة. ومن ملوك الأرض سفهاء وجهلاء لأن ما يرسلون من الرسل يعملون[2] من الأعمال ويسعون لمنافع أنفسهم ولدفع مضارهم، فإذا فعلوا شيئا يضرهم على علم منهم بالضرر[3] كان ذلك سفها.[4] *والله أعلم.*

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق**، قال أبو بكر الأصم: إن من عادة العرب أنهم كانوا يقتلون البنات ويقتلون البنين إذا صاروا بحيث لا ينتفعون بهم، ويقتلون الآباء والأمهات إذا بلغوا أرذل العمر. فنهى الله أهل الإسلام عن الاستنان بسنتهم وأمر أن يَبَرُّوا الآباء والأمهات إذا بلغوا ذلك المبلغ، وهو ما قال: وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا،[5] إلى آخر ما ذكر. وفي قتل ما كانوا يقتلون من البنات قطعُ التناسل والتوالد الذي كان المقصود من إنشاء هذا العالم ذلك، إذ المقصود من إنشاء[6] العالم هذا الذي ذكرنا، وفي قتل البنات قطع ذلك وذهاب المقصود من إنشائه. ثم قال: **نحن**[7] **نرزقهم وإياكم**، / أي هم لا يأكلون من أرزاقكم، بل لكل منكم رزق على حِدَة ليس في بقائهم نقصان في رزقكم ولا في فنائهم زيادة، بل كل[8] يأكل رزقه. أَوَلا ترون أنه قد[9] أنشأ لهم رزقا لا شَرِكة لكم فيه، وهو ما أنشأ لهم من اللبن في الضرع ولا تنتفعون[10] أنتم به. فظهر أن كلا يأكل رزقه لا يُدخِل[11] بعض في رزق بعض نقصانا. [٤٢٨و]

[1] ك ع م: وايتمارهم
[2] جميع النسخ: ويعملون.
[3] ع: بالضرورة.
[4] م: سفهاء.
[5] ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما﴾ (سورة الإسراء، ٢٣/١٧).
[6] ك + هذا.
[7] ع م – نحن.
[8] ع: لكل.
[9] ك – قد.
[10] ع م: ولا تنفعون.
[11] ن + لا يدخل.

ثم قال: **إن قتلهم كان خِطْئًا كبيرا**، أي **إن قتلهم** في العقول، **كان خِطْئًا كبيرا**[١] لما ذكرنا[٢] أن في قتلهم قطعَ ما به قَصَد[٣] إنشاء هذا العالم وفنائه. أو يقول: **إن قتلهم كان خِطْئًا كبيرا**، في الأمم الخالية. ويشبه أن يكون خطاب ما خاطب به[٤] هؤلاء الآياتُ من قتل[٥] الأولاد والزنى وقتل النفس بغير حق وغير ذلك ما تقدم وما تأخر لوجهين. أحدهما ما كان للعرب [من] أفعالِ وعاداتِ السوءِ مما تخرج على السفه والقبح في العقل خارجةً عن الحكمة، [فـ]ـنهاهم عن ذلك. والثاني ذَكر هذا ونَهى لما علم أنه قد يكون في خلقه أن يفعل ذلك خشية ما ذكر ويحملهم ذلك على ما ذكر. ***والله أعلم***.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا**، أي في العقل كان وقت ما كان فاحشة، لأن في إباحة الزنى ذهابَ المعارف التي بها يوصل إلى الحكمة والعلم. أو **كان فاحشة** في الحكمة. ألا ترى أنه قال: إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ،[٦] دل قوله: إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ. على أن هناك[٧] فحشاءَ قبل الأمر في الحكمة أو في العقل حتى قال: لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، إذ لو لم يكن لكان قال: "لا يأمر" حَسْبُ. وفي إباحة قتل الأنفس ذهاب[٨] ما به قصد من إنشاء العالم. أخبر عز وجل في قتل الأولاد **أنه**[٩] كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا،[١٠] وهو ما يعظم في العقل. وذَكَر في الزنى **فاحشة**، وهو ما يَفحُش في العقل والحكمة. وذكر في قتل النفس[١١] الإسراف وقال: **فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ**.[١٢] والإسراف هو المجاوزة عن الحد الذي جعل له. ويحتمل قوله: **ولا تقربوا الزنى**، أي لا تزنوا، **إنه**[١٣] **كان فاحشة**. ويحتمل: **لا تقربوا**، الأسباب التي بها يوصل إلى الزنى.

---

[١] ع م – أي إن قتلهم في العقول كان خطئا كبيرا.
[٢] ع: ذكر.
[٣] جميع النسخ + في.
[٤] ك ن: في؛ ع – به.
[٥] ك: من قبل.
[٦] سورة الأعراف، ٧/٢٨.
[٧] ك ع م: هنالك.
[٨] ع: وذهاب.
[٩] ع م – في قتل الأولاد انه.
[١٠] الآية السابقة.
[١١] ك: الأنفس.
[١٢] الآية التالية.
[١٣] ن ع م: فإنه.

[٤٢٨ظ س٨ *وفي قوله: **ولا تقربوا الزنى**، يحتمل النهي عن نفس الزنى، ويحتمل أسباب الزنى من نحو القبلة والمسّ وغيره على ما ذكر: «العينان تَزْنِيَان واليدان تزنيان والفرج يصدّق ذلك كله أو يكذّب.»[١]* ٤٢٨ظ س١٠]

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق**، والحق ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يحِلّ دم امرئ مسلم إلا في ثلاث: كفر بعد إسلام، أو زنى بعد إحصان، أو قتل نفس بغير حق».[٣] حرم الله قتل النفس بغير حق، إذ في إباحته[٤] ذهاب ما قصد من إنشاء[٥] العالم، وفي التحريم[٦] حياة الأنفس؛ وفي إباحة الزنى ذهاب المعارف وجهالتها، وفي تحريمها[٧] حياة المعارف وبقاؤها[٨] والوصول إلى الحكمة والعلوم التي يطلب بعضهم من بعض، إذ لا يُعرَف أهل الحكمة من غيرهم، ففي ذلك[٩] ذهاب العلوم والحكمة. وفي القتل على الدين إذا[١٠] استبدله[١١] حياة الدين، لأن من تفكر قتْلَ نفسه إذا ترك الدين -أعني دين الإسلام- ورجع عنه لم يترك دينه[١٢] الإسلام. ومن تفكر رجمه بالزنى امتنع عن الزنى وتركه. ومن تفكر أنه يُقتَل إذ قتَل غيره امتنع عن قتله. ولذلك قال: وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ.[١٣]

فإن قيل في المرأة إذا ارتدّت عن الإسلام: إنها لا تقتل.

---

[١] صحيح *البخاري*، الاستئذان ١٢، القدر ٩؛ وصحيح *مسلم*، القدر ٢١.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٢٨ظ/سطر ٨-١٠.
[٣] صحيح *البخاري*، الديات ٦؛ وصحيح *مسلم*، القسامة ٢٥-٢٦.
[٤] ك: إباحة.
[٥] ك + هذا.
[٦] ع: أو في التحريم.
[٧] ن: وفي تحريمه.
[٨] جميع النسخ: وإبقائها.
[٩] ع م: وفي ذلك.
[١٠] م: إذ.
[١١] ن: إذا استبدل.
[١٢] ع: دين.
[١٣] ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون﴾ (سورة البقرة، ١٧٩/٢).

قيل: لأنه ليس في قتلها حياة الدين، لأن النساء أتباع للرجال في الدين لأنهن يُسلمن بإسلام أزواجهن ويصِرن ذمة بذمة الأزواج، فإذا كان كذلك فليس في قتلهن حياة. ألا ترى أنه روي أن فلانا أسلم وأسلم[١] معه كذا وكذا[٢] نسوة. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق**، والحق ما ذكرنا. وقوله: **ولا تقتلوا النفس التي حرم الله.**[٣] يحتمل بالإسلام أو بالذمة بإعطاء الجزية. و **إلا بالحق**، ما ذكرنا.

وقوله عز وجل: **ومن قُتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا**، قيل: **سلطانا**، أي تسلطا وقهرا. وقال بعضهم: **سلطانا**، أي حجة على القتل فيما يستوجب به القصاص. ثم ذكر أنه جعل لولي القتيل سلطانا و لم يذكر أيّ ولي. فيشبه أن يكون المراد من الولي الذي يَخلُف الميت في التَرِكة وهم الورثة، إذ هو حق كغيره[٤] من الحقوق فذلك إلي الورثة، فعلى ذلك حق الدم. فكأنه قال: **ومن قتل مظلوما فقد جعلنا** لورثته **سلطانا**، أي حجة فيما يستوجب. وفي ظاهر هذه الآية دلالة أن لواحد[٥] من الورثة القيامَ باستيفاء الدم، إذ لو كان للكل[٦] الاستيفاء لدخل في ذلك الإسراف الذي ذكر: **فلا يسرف في القتل**، إذ لو ضربه كل الورثة لصار في ذلك مثله، وقد منعوا عن ذلك. فإذا كان ما ذكرنا كان في ذلك دلالة لقول أبي حنيفة رحمه الله حيث قال: إن الورثة إذا كان بعضهم صغارا وبعضهم كبارا، للكبار أن يقوموا بالاستيفاء دون أن ينتظروا بلوغ الصغار. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **فلا يُسرفْ في القتل**، قال[٧] بعضهم: لا تقتلْ[٨] غير قاتلِ وليك،[٩] إذ[١٠] كان من عادة العرب قتلُ غير القاتل. وقال بعضهم: **فلا يسرف في القتل**، أي لا يجاوز الحد الذي جعل الله في القصاص من القتل والجِراحات. وقال بعضهم: **فلا يسرف في القتل**،

---

[١] ع – وأسلم.
[٢] ك ن: كذا.
[٣] ع + إلا بالحق.
[٤] ن: في غيره؛ م: كغير.
[٥] ع م: الواحد.
[٦] م: لكل.
[٧] ن: وقال.
[٨] ع م: لا يقتل.
[٩] م: وذلك.
[١٠] ع: إذا.

أي في القتل[1] الأول حيث قتل نفسا بغير حق فذلك إسراف كما قال: مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا.[2]

وقوله: **فلا يسرف في القتل**، هذا يحتمل أن يكون خاطب به ولي القتيل فقال: **فلا يسرف في القتل**، أي لا يجاوز[3] الحد الذي جُعل له، على ما روي: إذا قتلتَ[4] فأحسِن القتل.[5] والثاني خاطب به القاتل يقول له:[6] لا تقتل فإنه إسراف. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **إنه كان منصورا**، قال بعضهم: إن المقتول كان منصورا[7] بالولي ينصره الولي، بقوله: **فقد جعلنا لوليه سلطانا**. ويحتمل **منصورا**، بالمسلمين، أي على المسلمين والحكام وغيرهم دفع ذلك القتل عنه. هذا على تأويل / من يتأول في قوله: **فلا يُسرِفْ في القتل**، قتلِ غيرِ قاتلِ وليّه أو يزيد في جراحاته ويَمْثُل[8] مَثْلا،[9] يقول: احذروا ذلك فإن على المسلمين دفع ذلك عنه. أو **كان منصورا** في الآخرة. [٤٢٨ظ]

وفي ظاهر هذه الآية دلالة أن القصاص واجب بين الأحرار والعبيد وبين أهل الإسلام وأهل الذمة، لأن الله عز وجل قال: **ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق**، فكانت[10] أنفس أهل الذمة والعبيد داخلة في هذه الآية، لأنها محرَّمة. وفيه ما ذكرنا أن للكبير من الورثة قتلَه وإن كان فيهم صغار. وروي أن الحسن بن علي رضي الله عنهما قَتل قاتلِ أبيه فلانا وفي الورثة صغار لم يدركوا يومئذ.

ويحتمل أن يكون قوله:[11] **إنه كان منصورا**، في ظاهر هذا أن القاتل هو كان منصورا،

---

[1] ع م – أي لا يجاوز الحد الذي جعل الله في القصاص من والقتل والجراحات وقال بعضهم فلا يسرف في القتل أي في القتل.

[2] سورة المائدة، ٣٢/٥.

[3] ن ع م: تجاوز.

[4] م: قلت.

[5] *سنن الترمذي*، الديات ١٤؛ و*سنن النسائي*، الضحايا ٢٢، ٢٤.

[6] ك م: بقوله.

[7] ن – قال بعضهم إن المقتول كان منصورا.

[8] ع: ويمثل.

[9] يقال: مَثَلْتُ أَمْثُل بالقتيل مَثْلا: إذا جدعتَ أنفَه أو أُذُنَهُ أو مذاكيره أو شيئا من أطرافه والاسم: المُثلة (*النهاية* لابن الأثير، «مثل»).

[10] ن: فكان.

[11] ع م – قوله.

لأنه قال:[١] **كان منصورا**،[٢] و لم[٣] يقل هو منصور. فجائز أن يقول: **كان منصورا** قبل قتل هذا، إذ[٤] كان على المسلمين نصره،[٥] فلما قُتل كان غير منصور.[٦] إلا أن يقال: إن الولي صار منصورا، وذلك جائز.[٧]

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [٣٤]

وقوله عز وجل: **ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن**، قوله: **أحسن**، هو [صيغة] أفعل، فإن كان في الأشكال فهو على غاية[٨] الحسن، وإن كان في الجواهر[٩] فهو على طلب الحسن، كقوله: وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ،[١٠] أي اتبعوا[١١] ما هو طاعة. كأنه قال: ولا تقربوا مال اليتيم إلا ما هو خير له وحَسَن، وهو[١٢] ما قال: وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا،[١٣] يقول: لا تقربوا[١٤] إسرافا وبدارا[١٥] ولكن اقربوا ما هو خير له. وإن كان على طلب الغاية من الحسْن فهو ما قال أبو حنيفة رحمه الله: إذا قرب مال اليتيم لمنفعة نفسه فلا يَقْرَبْه إلا لمنفعة حاضرة لليتيم، لا يقربْ ماله لمنفعة مرجوّة. وإذا قَرِبَ مال اليتيم[١٦] لليتيم فإنه يجوز أن يقربه لمنفعة مرجوّة له[١٧] وإن لم يكن فيه منفعة حاضرةٌ. وقد ذكرنا تأويله وما فيه من الدلالة لقول[١٨] أبي حنيفة رحمه الله فيما تقدم في سورة الأنعام.[١٩]

---

[١] ن – قال.
[٢] ع م – لأنه قال كان منصورا.
[٣] ع م: أو لم.
[٤] ع م: إذا.
[٥] ن ع م: نصرة.
[٦] ع: منصورا.
[٧] وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٣٢ فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٢٨ظ/سطر ٨-١٠.
[٨] ك: في غاية.
[٩] جميع النسخ: في الجوهرين.
[١٠] ﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون﴾ (سورة الزمر، ٥٥/٣٩).
[١١] جميع النسخ: اتبع.
[١٢] ن – وهو.
[١٣] سورة النساء، ٦/٤.
[١٤] ن ع م: لا تأكلوا.
[١٥] ن – أن يكبروا يقول لا تأكلوا إسرافا وبدارا.
[١٦] ك + نفسه.
[١٧] ن – له.
[١٨] م: يقول.
[١٩] انظر تفسير الآية ١٥٢ من سورة الأنعام.

ثم من الناس من احتج بهذه الآية لقول أبي حنيفة[1] حيث قال: إن للوصي أن يبيع مال اليتيم من نفسه إذا[2] كان خيرا له، لأنّ له أن يبيع من غيره بمثل قيمته، فدل أن ذكر الخير له إذا كان يبيع من نفسه.

وقوله: **ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن،** كأنه على الإضمار، أي **لا تقربوا مال اليتيم إلا** بالوجوه التي **هي أحسن** له وأنفع، وهو الحفظ له وطلب الربح والنماء. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **حتى يبلغ أشده،** أي حتى يستحكم عقله ويستتمّ[3] تدبيره في ماله وأمره فعند ذلك يكون الأمر إليه، وليس فيه أنه لا يكون بعد ذلك الأمرُ إلى الوصي إن كان، ولكن بإذنه يبيع ويشتري.

[٤٢٩و س١٤] * وقال القُتَبِي: **حتى يبلغ أشده،** أي يتناهى في الثبات إلى حال الرجال، ويقال: ثماني عشرة سنة. وقال: أَشُدُّ اليتيم غيرُ أَشُدِّ الرجل في قوله: حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً.[4] والأشدّ ما ذكرنا من استحكام عقله وتدبيره إلى أن لا يؤخذ بالنقصان، وهو إذا جاوز أربعين يأخذ في النقصان، وإلى أربعين[5] يكون على الزيادة والنماء. * [٤٢٩و س١٨]

وقوله عز وجل: **وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا**. يحتمل أن يكون قوله: **بالعهد،**[7] العهود[8] والمواثيق التي بين الناس، أمروا بوفاء ذلك. ويحتمل الأمر بوفاء العهد ما ذكر في هذه الآيات من الأمر والنهي من نحو ما قال: وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا،[9] إلى هذا الموضع، أي وأوفوا بذلك كله فإن ذلك كله[10] كان[11] مسئولا يُسأل عنه، وفاءً كان ذلك أو نقضًا. وقال بعضهم: **إن العهد كان مسئولا،** أي ناقض العهد كان مسئولا.

---

[1] ك + رحمه الله.
[2] ع: إذ.
[3] م: ويشد.
[4] ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كُرها ووضعته كُرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال...﴾ (سورة الأحقاف، ٤٦/١٥).
[5] م: إلى أربعين.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٢٩و/سطر ١٤– ١٨.
[7] ن – بالعهد.
[8] ن: بالعهود.
[9] سورة الإسراء، ١٧/٢٣.
[10] ع – فإن ذلك كله.
[11] ن – كان.

ثم إن العهد على وجوه. أحدها عهد خِلقة، أو العهد الذي أخذ عليهم على ألسُن الرسل، أو العهد الذي يجري بين الناس. **والله أعلم**.

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **وأوفوا الكيل إذا كلتم**، أَمَر بتوفير الكيل إذا كالوا، والوزنِ إذا وزنوا لهم وإيفاء حقوقهم، وهو ما قال: وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ.[١] إن من عادتهم إذا كالوا أو وزنوا[٢] بخسوا[٣] الناس أشياءهم و لم يوفّروا[٤] حقوقهم. فنهاهم عن ذلك وأوعدهم بالوعيد الشديد وهو قوله: وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ اَلَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ.[٥] ذِكرُ تخصيص الكيلي والوزنيّ من بين سائر الأشياء يحتمل وجهين. أحدهما لما بهما يجري عامة معاملة الناس فأمرهم بإيفاء ذلك. والثاني لخوف الربا لأن الكيلي والوزني هما اللذان يكونان دَينا في الذمة، فإذا أُخذ شيء منهما أخذ عما كان دينا في الذمة، فإن نقص أو زاد فيكون ربا، لذلك خُصّ وإن كان غيره من الأشياء يؤمر بالإيفاء. **والله أعلم**.

وقوله عز وجل: **وزنوا بالقسطاس المستقيم**، قال بعضهم: القسطاس حرف أخذ من الكتب السالفة ليس بمعرفة. وقال بعضهم: هو العدل، أي زِنُوا بالعدل. وقال بعضهم: هو الميزان، كقوله: أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ.[٦] وقال بعضهم: القسطاس القَبّان.[٧] فكيف ما كان ففيه ما ذكرنا من الأمر[٨] بتوفير الكيل والوزن[٩] والإيفاء لحقوقهم[١٠] والنهي عن البخس والنقصان.

وقوله عز وجل: **ذلك خير وأحسن تأويلا**، يحتمل قوله: **ذلك خير**، ما ذكر من توفير الكيل والوزن وإيفاء الحقوق خير في الدنيا،[١١] لما فيه أمن لهم من الناس، **وأحسن تأويلا**،

---

[١] سورة هود، ٨٥/١١.
[٢] ع م: ووزنوا.
[٣] ك: بنوا؛ ع م: تبخسوا.
[٤] م: ولم يعرفوا.
[٥] سورة المطففين، ٨٣/١-٣.
[٦] سورة هود، ٨٥/١١.
[٧] القبّان: الذي يوزن به، الميزان.
[٨] ن: الأمور.
[٩] ك ن: المكيال والميزان.
[١٠] ن: بحقوقهم.
[١١] ن: من الدنيا.

أي أحسن عاقبة في الآخرة. ويحتمل قوله: **ذلك**، ما ذكر في هذه الآيات من أولها إلى آخرها [٤٢٩و] إذا عملوا بها[1] خير لهم في الدنيا **وأحسن**. / **تأويلا**، أي عاقبة.

[٤٢٩و س٢٠ *وفي قوله: **وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم**، دلالة جواز الاجتهاد، لأنه أمر بإيفاء الكيل والوزن، ولا يُقدَر على ذلك إلا باجتهاد[2] الكائل والوازن، لأن كيل الرجل يزيد على كيل غيره وينقص، وربما كال الرجل الشيء ثم يعيد كيله هو بنفسه فيزيد أو ينقص،[3] ولا يكاد يستوي الكيلان وإن كانا من رجل واحد. وإنما تكليف الاجتهاد في كيله ترك[4] التعمد للزيادة أو النقصان فيه،[5] فإذا فعل ذلك فقد وَفّر الكيل وأدى الواجب. وهذا عندنا أصل الاجتهاد والاستحسان، لأن الكائل إنما يجتهد في تَوفِيَة[6] الحق ولا يعلم يقينا أنه وفر ما كان عليه من الكيل الذي سمياه في العقد. فعلى ذلك الاستحسان إنما هو اجتهاد العالم ٤٢٩و س٢٧] في اختيار أحسن ما يقدر عليه إذا لم يكن للحادثة أصل يردّها عليه ويشبهها[7] به. *والله أعلم*.*

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[٣٦]

وقول: **ولا تقف ما ليس لك به علم**، قيل: **لا تقف**، أي لا تقل، وقيل: لا تَرْمِ،[9] وقيل: لا تتبع. فكيف ما كان ففيه النهي عن القول والرمي فيما لا علم له به. ولا تَرْمِ[10] ما ليس لك به علم، ولا تقل ما ليس لك به علم.[11]

إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا، قال بعضهم: **كل أولئك**، يعني السمع والبصر والفؤاد يُسْأَل عما عمل صاحبه، كقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ﴾،[12] الآية،

---

[1] ك – بها.
[2] ع: على ذلك الاجتهاد.
[3] ع م: وينقص.
[4] جميع النسخ: وترك.
[5] ع م – فيه.
[6] ع م: في توفيقه.
[7] ع م: ويشبها.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٢٩و/سطر ٢٠– ٢٧.
[9] رَمَى فلان يَرْمِي إذا ظن ظَنًّا غيرَ مُصيب؛ قال أبو منصور: هو مثل قوله: رَجْمًا بالغيب (*لسان العرب*، «رمي».
[10] ك – صح ه: وقيل لا تتبع فكيف ما كان ففيه النهي عن القول والرمي فيما لا علم له به ولا ترم.
[11] ع – ولا تقل ما ليس لك به علم.
[12] ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ (سورة يس، ٦٥/٣٦).

وقوله: شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ،[١] يُسأل هؤلاء[٢] عما عمل صاحبها فيشهدون عليه. وقال بعضهم: هو عن كل أولئك كان مسئولا، أي يُسأل المرء عما استعمل هذه الجوارح وأنه فيم[٣] استعملها. وقال بعضهم: قوله: **كل**[٤] **أولئك**، يعني الخلائق جميعا، **كان عنه**، يعني عما ذكر من السمع والبصر والفؤاد **مسئولا**. وقال بعضهم في قوله: **ولا تقف ما ليس لك به علم**، يقول: لا تقل: رأيتُ و لم تر، وسمعتُ و لم تسمع، وعلمتُ و لم تعلم. ومنهم من قال [هو] في شهادة الزور.

فإن احتج محتجّ[٥] بهذا في إبطال القياس والاجتهاد فيقول:[٦] إذا قاس الرجل فقد قال ما ليس له به علم. لكن ليس كذا، لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تكلموا في الحوادث بآرائهم وشاوروا في أمورهم. وولّى أبو بكر عمرَ[٧] رضوان الله عليهما[٨] الخلافة بغير نص من الرسول عليها، وجعلها عمرُ شورى بينهم و لم يُروَ ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم. ولا نقول:[٩] إنهم فعلوا ذلك بغير علم ولا قالوا ما لم يعلموا. فدل ما ذكرنا أن معنى قول الله: **ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم**، ليس يدخل فيه الاجتهاد في الأحكام وتَشبيهُهُ الفرعَ الحادث بالأصل المنصوص عليه. *والله أعلم*.[١٠]

ويحتمل قوله: **ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد**، أي لا تقف ما ليس لك به[١١] علم بأسباب العلم وهو ما ذكر من السمع والبصر. وجائز أن يكون قوله:[١٢] **إن السمع والبصر والفؤاد كلُّ أولئك كان عنه مسئولا**، يسأل عن شكر هذه الأشياء، أو يسأل عما امتُحن بهذه الأشياء.[١٣]

---

[١] ﴿حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون﴾ (سورة فصلت، ٢٠/٤١).
[٢] م: نسأل.
[٣] ك م: فيما.
[٤] ع م –كل.
[٥] ن ع م: يحتج.
[٦] ك: فنقول.
[٧] ع: وعمر.
[٨] ك ن – رضوان الله عليهما.
[٩] ن: تقول.
[١٠] وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٣٤ فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٢٩و/سطر ١٤-١٨.
[١١] ع م – به.
[١٢] ع م– قوله.
[١٣] وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٣٥ فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٢٩و/سطر ٢٠-٢٧.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **ولا تمش في الأرض مرحا**، ليس النهي عن المشي نفسه إنما النهي للمشي المَرِح. ثم النهي عن الشيء[١] يوجب ضده، وكذلك الأمر. ثم[٢] إن النهي عن الشيء يوجب الأمر بضده، والأمر بالشيء يوجب النهي عن ضده.[٣] وهاهنا نَهيٌ عن المَرَح[٤] فيكون أمرا بما ذُكر، كقوله: وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا.[٥] وقال بعضهم: **مَرَحا** بطرا وأَشِرًا، وقيل: متعظما متكبرا بالخُيَلاء.

وقوله[٦] عز وجل: **إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا**، قال بعضهم: ذكر خرق الأرض وبلوغ الجبال طولا، لأن من الخلائق من يخرق الأرض ويدخلها ويبلغ طول الجبال وهم الملائكة. ثم لم يتكبروا على الله ولا تَعظَّموا عليه ولا على رسوله، بل خضعوا له. فمن لم يبلغ في القوة والشدة ذلك [فهو] أحرى أن يخضع له ويتواضع ولا يتكبر.

ويحتمل أن يكون ذكر هذا لما أنهم كانوا يسعون في إطفاء هذا الدين وقهر رسول الله صلى الله عليه وسلم[٧] فيقول: كما لم يتهيأ لكم خرق الأرض وبلوغ الجبال طولا لم يتهيأ لكم إطفاء دين الله وقهر رسوله، وهو ما ذكر: إنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ.[٨] أو يذكر هذا يقول: إنك لن تبلغ بكبرك وعظمتك مرتبة الرؤساء والقادة ومنزلتهم. على هذا التمثيل يحتمل أن يخرج. والله أعلم. أو يقول: **إنك لن تخرق الأرض**، أي لا تقدر أن تخرق الأرض فتستخرج ما فيها من الكنوز والمنافع فتنتفع بها، ولا تقدر أن تبلغ الجبال طولا فتنتفع بما في رءوس الجبال من المنافع. فكيف[٩] تتكبر وتمرح على غيرك وهو[١٠] مثلك[١١] في القوة والشدة. وأصل الكبر أن مَن عرف نفسه على ما هي عليه من الأحداث والآفات وأنواع الحوائج لم يتكبر على مثله. ***والله أعلم.***

---

[١] ع: على الشيء.
[٢] ع - ثم.
[٣] ع م - والأمر بالشيء يوجب النهي عن ضده.
[٤] م: عن المراح.
[٥] ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٦٣).
[٦] ن: قوله.
[٧] ن - صلى الله عليه وسلم.
[٨] ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٥٦).
[٩] ع م: وكيف.
[١٠] ع - وهو.
[١١] ع: ومثلك.

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾[٣٨]

/ وقوله عز وجل: **كل ذلك**، أي كل ما أمر الله به ونهى عنه في هؤلاء الآيات، **كان سيئه** [٤٢٩ظ] بالعقل، **عند ربك مكروها**، مسخوطا. وفيه دلالة أن الأمر الذي أمر[هم] في هذه الآيات ونهاهم عنه لم يكن أمر أدب ولا نهي أدب، ولكنْ أمرَ حتم وحكمٍ حيث ذكر أن ذلك **عند ربك مكروها**؛ إذ لو كان أدبا لم يكن،[١] أي شيء مما[٢] ذكر في هذا[٣] مكروها،[٤] **عند ربك**، وهو كقوله: فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ،[٥] أي يسمعون الكل فيتبعون أحسنه ويتركون غيره، فعلى ذلك الأول. *والله أعلم*.

﴿ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾[٣٩]

وقوله عز وجل: **ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة**، أي ذلك الذي أمر الله به ونهى عنه في هؤلاء الآيات من الحكمة ليس من السفه، أي[٦] ما أمر فيها هو حكمة، وما نهى عنه إنما نهى عنه لأنه سفه.[٧] وقال بعضهم: **الحكمة** ههنا القرآن. قوله: **ذلك**، أي ذلك الذي أوحَى إليك هو حكمة. وقال بعضهم: الحكمة الإصابة، أي ذلك الذي أوحى إليك صواب. وقوله: **ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة**، أي ما ذكر في هذه الآيات وأمر به ونهى عنه هو من الحكمة. والحكمة هي وضع الشيء موضعه. يقول: حكمه[٨] وضع كل شيء موضعه[٩] لا وضع الشيء غير موضعه.

وقوله عز وجل: **ولا تجعل مع الله إلها آخر فَتُلْقَى في جهنم ملوما مدحورا**، معلوم أن رسول الله[١٠] لا يجعل معه[١١] إلها آخر، إذ عصمه واختاره لرسالته. لكنه ذكر هذا ليعلم أنه لو كان منه ذلك لَيُفعَل[١٢] به ما ذكر، فمن هو دونه أحق أن يفعل به ما ذكر، وهو ما قال في الملائكة:

---

[١] جميع النسخ: لم يكره.
[٢] جميع النسخ: ما.
[٣] م - هذا.
[٤] جميع النسخ: مكروه.
[٥] ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾ (سورة الزمر، ١٨/٣٩).
[٦] م + أي.
[٧] ع م - إنما نهى عنه لأنه سفه.
[٨] جميع النسخ: حكمة.
[٩] ك - يقول حكمة وضع كل شيء موضعه.
[١٠] ك ن + صلى الله عليه وسلم.
[١١] ع: مع الله.
[١٢] جميع النسخ: فيفعل.

وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ،[1] الآية. إنه[2] عصمهم حتى أخبر أنهم لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ،[3] فمن لم يكن معصوما لم يوصف أنه لا يسبق بالقول. فعلى ذلك قوله: **ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما**، عند الله أو عند نفسك أو عند الخلق، **مدحورا** مُبْعَدا مطرودا من رحمته في النار. أو خاطب به كلّا في نفسه: من احتمل ذلك، أو خاطب به[4] رسوله وأراد به غيره على ما ذكرنا في غير موضع. ***والله أعلم.***

﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَآئِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا**، يخبر عن سفه[5] مشركي العرب أنهم نسبوا إلى الله البنات، والبنين إلى أنفسهم، بقوله: وَيَجْعَلُونَ لِلّٰهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ.[6] والذي حملهم على ذلك قول أهل الكتاب حيث وصفوا الله بالولد فرأوا أن من[7] يكون له الولد يكون له البنات فقال: **إنكم لتقولون قولا عظيما**، لم يزد على هذا العظيم[8] ما قالوا في الله فلم يضرب لقولهم ذلك مثلا، لما ليس وراء ذلك مثل يُضرب. لأنه ضرب مثل ما قالوا بالولد له بانفطار السماوات[9] وانشقاق الأرض وخرور الجبال حيث قال: تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا،[10] الآية. أخبر أن السماوات وما ذكر كادت أن تنقلب عن وجهها لعظيم ما قالوا في الله[11] من الولد. وقال في الشريك: وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ،[12] الآية. فهذا غاية ما ذكر من الأمثال لمن قال فيه[13] بالولد والشريك. فليس وراء هذا [مَثل] يذكر لمن قال فيه[14] بالبنات،

[1] سورة الأنبياء، ٢١/٢٩.
[2] ن – إنه.
[3] سورة الأنبياء، ٢١/٢٦.
[4] ع م – كلا في نفسه من احتمل ذلك أو خاطب به.
[5] ع م: من سفه.
[6] سورة النحل، ١٦/٥٧.
[7] ع م: ما.
[8] ع: التعظيم.
[9] ك: السماء.
[10] ﴿تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا﴾ (سورة مريم، ١٩/٩٠-٩١).
[11] ع: في الولد.
[12] ن ع م – فتخطفه الطير. ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ (سورة الحج، ٢٢/٣١).
[13] جميع النسخ: له.
[14] جميع النسخ: له.

ولكن قال: **إنكم لتقولون قولا عظيما**. لم يزد على ذلك لأن الذي قالوا فيه[١] ونسبوا إليه نهايةٌ في السفه والسَّرَف في القول. تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا. أو يقول: **إنكم لتقولون قولا عظيما**، في[٢] عقولكم، لو تفكرتم وتدبرتم لعلمتم[٣] أن ما قلتم في الله سبحانه وتعالى[٤] عظيم.

قال أبو عَوْسَجَة: **أفأصفاكم ربكم**، أي أعطاكم ربكم، يقال: أصفيته أعطيته، وأصفاكم، أي اختاركم.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا**، قال الحسن: قوله: **صرفنا**، يقول:[٥] بيّنا في هذا القرآن ما نَزَل بمكذِّبي الرسل من الأمم الخالية بتكذيبهم الرسل أمةً قائمة[٦] لِيذكَّروا ما نزل بهم فينتهُوا عن تكذيبهم الرسل. **وما يزيدهم** ما بين لهم، **إلا نفورا**، أي تكذيبا للرسل. وقال بعضهم: **ولقد صرفنا في هذا القرآن**، أي بينا في هذا القرآن[٧] والآيات التي تقدم ذكرها جميع ما يُؤتَى ويُتَّقَى وما لهم وما عليهم ليعتبروا به[٨] فيؤمنوا. **وما يزيدهم**، القرآن إلا تباعدا من الإيمان به، وهو ما ذكر: ذٰلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ،[٩] الآية. وقال بعضهم: **صرفنا في هذا القرآن** من المواعيد الشديدة أنه ما[١٠] ينزل بهم في الآخرة من العذاب والعقوبة بصنيعهم[١١] وتكذيبهم[١٢] الرسل، لكن إذ لم يؤمنوا بالآخرة لم يزدهم ذلك الوعيد، إلا نفورا.

---

[١] جميع النسخ: له.
[٢] ن: أي.
[٣] ع: لتعلمتم.
[٤] ن - وتعالى.
[٥] ن ع م: نقول.
[٦] أي بيّنا أمة قائمة...
[٧] ن - أي بينا في هذا القرآن.
[٨] م - به.
[٩] سورة الإسراء، ٣٩/١٧.
[١٠] ع: لم.
[١١] ك: لصنيعهم.
[١٢] ع: وبتكذيبهم.

وبعد فإن الله قد ذكر في القرآن المواعظ الكبيرة ما لو نظروا فيه وتأملوا لكانت تمنعهم وتزجرهم[1] عن مثل صنيعهم، لكن لم ينظروا إليه بالتعظيم ولكن نظروا إليه بالاستهزاء والاستخفاف به، لذلك أضيف زيادة النفور إليه. أو أضاف ذلك إليه لما أحدثوا بنزوله الكفر والتكذيب له فأضاف ذلك[2] إليه لما ازداد لهم التكذيبُ وحدث لهم الكفر به إذا نزل له، كما كان لأهل الإسلام يزداد لهم الإيمان واليقين إذا نزل.

وجائز أن يكون قوله: **ولقد صرفنا في هذا القرآن لِيذَّكّروا**، أي لِيَشرُفوا، كقوله: لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ،[3] أي شَرفُكم. أو ليذكروا ما نَسُوا وتركوا وغفلوا[4] عنه.

ثم قوله: **صرفنا في هذا القرآن ليذكروا**، معناه –والله أعلم– أنزله ليلزمهم الذكر. أو ليكون[5] عليهم، أو ليأمرهم بالذكر، وهو ما ذكرنا في[6] قوله: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ،[7] الآية، وقوله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ،[8] أي ليلزمهم العبادة والطاعة، أو ليأمرهم بالعبادة والطاعة. أو أرسل وخلق لمن علم / منه العبادة والطاعة. [٤٣٠و]

وقوله عز وجل: **ليذكروا**، أي ليكون لهم الذكرى بذلك، لأنه لا يحتمل أن يبين لهم ويجعل[9] لهم بيانا ليذكروا ثم لا يكون، ولكن ما ذكرنا ليكون لهم الذكرى وقد كانت، لكن لم تنفعهم.

وقوله عز وجل: **وما يزيدهم إلا نفورا**، ليس القرآن بالذي يزيدهم نفورا، ولكن[10] لما نظروا إليه بعين الاستخفاف[11] والاستهزاء زاد لهم بذلك نفورا عندنا[12] وتكذيبا، وإلا القرآن لا يزيد إلا هدى ورشدا على ما وصفه.

---

[1] ن: ويزجرهم، ع: ويزجرهم.
[2] ن – ذلك.
[3] سورة الأنبياء، ٢١/١٠.
[4] ك ن: وأغفلوا.
[5] ع: يكون.
[6] ن – في.
[7] ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (سورة الذاريات، ٥١/٥٦).
[8] سورة النساء، ٤/٦٤.
[9] م: ويجعلهم.
[10] ع – ولكن.
[11] ن: الاستحقاق.
[12] م: عندهما. أي في نظرنا ومشاهدتنا.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا**. قال عامة أهل التأويل: الآية في الأصنام والأوثان التي كانوا يعبدونها، أي لو كانت هي آلهة معه[١] كما تقولون، **إذا لابتغوا** التقرب والزلفى، **إلى ذي العرش سبيلا**. وقال بعضهم: لو كانت لهم عقول[٢] ومُكِّن[٣] لها من الطاعة والعبادة إذا لابتغت إلى ذي العرش سبيلا، بالطاعة له والعبادة، وهو ما قال في الملائكة: أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ،[٤] الآية. لكن[٥] الأشبه أن يكون الله تعالى[٦] أن لا يقول في الأصنام مثل هذا: **لو كان معه آلهة**، إنما هي خشب. لكن قال فيها ما قال [من أنها] لا تَسمع ولا تَعقل ولا تُبصر، وما ذَكَر في آية أخرى: لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا،[٧] وما قال: إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ،[٨] الآية، مثل هذا يجوز[٩] أن يقال في الأصنام. وأما ما ذَكَر: **لو كان معه آلهة كما يقولون**، الآية، معلوم أنها ليست من أهل الابتغاء إلا أن يقال ما ذَكَر بعضهم: أي لو كانت الأصنام التي تعبدونها آلهة على ما تزعمون **إذًا لابتغوا** إلى الله سبيلا، بالطاعة لو مُكِّن لهم ذلك وكانوا من أهلها. لكن الأشبه إن كان، فهو في الذين يعبدون الملائكة[١٠] ويتخذونهم معبودا. أو في الثنوية الذين يقولون بالعدد الذين لهم[١١] تدبير. أو الذين يقولون بقدم العالم وأصوله فهو يخرج على وجوه.

فنقول –والله أعلم– **لو كان معه آلهة كما يقولون إذًا لابتغوا**، أي إذًا لأظهروا دلالة ربوبيتهم وألوهيتهم بإنشاء الخلائق كما أظهر الله سبحانه ألوهيته وربوبيته بما أنشأ الخلائق. ولم يَظهر ممن يدّعون[١٢] لهم ألوهيةً إنشاءُ شيء من ذلك. فدل أنه ليس هنالك إله غيره.

---

[١] ك – معه.
[٢] ع: عقولا؛ جميع النسخ + لابتغت.
[٣] ع م: وأمكن.
[٤] ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٥٧).
[٥] ع: ولكن.
[٦] ك + لا يقول.
[٧] ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا﴾ (سورة مريم، ١٩/٤١-٤٢).
[٨] ن ع م – ولو اجتمعوا له. سورة الحج، ٢٢/٧٣.
[٩] ع م – يجوز.
[١٠] ع م – بالطاعة لو مكن لهم ذلك وكانوا من أهلها لكن الأشبه إن كان فهو في الذين يعبدون الملائكة.
[١١] ع: هم.
[١٢] ع: يدعوا.

وقال بعضهم: **لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا**، أي[1] صاروا كهو[2] يعني الله، أي في الإنشاء والإفناء والتدبير، ومنعوه عن إنفاذ الأمر له في خلقه والمشيئة له فيهم واتساق التدبير. فإذ لم يكن ذلك منهم دل أنه لا إله معه سواه، ويكون كقوله: وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ،[3] الآية. وقال[4] بعضهم: **لو كان معه آلهة**، كما تزعمون، **إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا**، في المناصبة والمغالبة، **إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا**[5] في القهر والغلبة. على ما عرف من عادة[6] ملوك الأرض أنه يسعى كل منهم في غلبة غيره وقهرِ آخرَ ويُناصبُه، كقوله: وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ، أي غلب وقهر وناصب. ويحتمل غير هذا وهو أن يمنع كل منهم أن يكون لله الواحد بالخلق دلالة ألوهيته وربوبيته،[7] وجهة الاستدلال له بذلك، فإذ[8] لم يمنعوا ذلك دل أنه لا ألوهية[9] لسواه؛ وهو الأول بعينه.

وقال بعض أهل التأويل: لعرفوا فضله ومرتبته عليهم ولابتغَوا ما يُقرّبهم إليه. وقيل: ولابتغت الحوائج إليه. وهذا هو الذي ذكرناه بَدْءًا من طلب الطاعة له.

﴿**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا**﴾[٤٣]

وقوله: **سبحانه**، نزّه نفسه وبرّأها عما يقول الملحدة فيه ووصفوه بالشركاء والأشباه والولد وما لا يليق به فقال: **سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا**. ثم قال:

﴿**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**﴾[٤٤]

تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن. ثم يحتمل تسبيح ما ذكر وجوها. أحدها[10] جَعْلُ الله تعالى في خلقه السماوات والأرض وما ذكر دلالة على وحدانية الله وألوهيته وشاهدةً له

---

[1] ك – أي.
[2] ن ع م: كهؤلاء.
[3] ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون﴾ (سورة المؤمنون، ٩١/٢٣).
[4] ن: قال.
[5] ع م – في المناصبة والمغالبة إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا.
[6] ك + من.
[7] ع م: ألوهية وربوبيته.
[8] جميع النسخ: فإذا.
[9] ع: الألوهيته.
[10] جميع النسخ: وجهين أحدهما.

أنه واحد لا شريك له ولا شبيه. فإن كان على هذا فيدخل فيه كل شيء ذو الروح وغيره، فيكون قوله: **ولكن لا تفقهون تسبيحهم،** للكفرة[١] خاصة، وأما أهل الإسلام يفقهون ذلك. والثاني أنه جعل الله في سِرِّيَّة هذه الأشياء ما ذَكر من التسبيح والتنزيه، لكن لا نفقه نحن ذلك ولا نفهمه على ما أخبر: **ولكن لا تفقهون تسبيحهم**. وهي لا تَعرف أيضا أن ذلك تسبيح على ما جعل في الجوارح والأعضاء تسبيحا وعبادة له وإن كانت هي لا تعرف ذلك أنه تسبيح. والثالث أنه جعل صوت هذه الأشياء تسبيحا له حقيقة على معرفة هذه الأشياء أنه تسبيح وإن كان لا يعرف ذلك إلا خواص من الناس وهم الأنبياء. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **إنه كان حليما غفورا،** الحليم هو ضد السفيه[٢] وهو الحكيم.[٣] والثاني يقال: حليم ليس بعجول، أي لا يعجل بالعقوبة. **غفورا** إذا تابوا، أو **غفورا** حيث ستر عليهم فضائحهم. الحلم هو[٤] ما ذكرنا [أنه] ضد السفه والعجلة. ذكر هاهنا على أثر ما ذكر منهم من القول الوَحِش فيه والعظيم أنه حليم ليعلموا أنه عن حلم لم يأخذهم بالعقوبة عاجلا، وغفور[٥] ليعلموا[٦] أنهم -وإن أعظموا القول فيه- يغفر لهم ويتجاوز عنهم إن رجعوا وتابوا.

فإن قال لنا ملحد:[٧] إنكم تصفون ربكم بالحلم والرحمة ثم تقولون: إنه يعذب أبد الآبدين في النار بكفر كان منه،[٨] فأنى يكون فيه رحمة أو حلم؟

قيل: إنكم لا تعرفون ما الحلم وما الرحمة، ولو عرفتم ما قلتم ذلك. ولو لم يعذب على الكفر أبد الآبدين لم يكن حليما ولكن سفيها، وكذلك / الرحمة. وليس خروج الشيء على غير [٤٣٠ظ] موافقة الطبع بالذي يُخرج صاحبَه عن حد الحكمة والرحمة، فأنتم إنما تصورتم الحكمة والرحمة على موافقة طباعكم وليس كذا.

وكذلك يقال للمعتزلة حيث قالوا: إنه لا يفعل إلا ما هو أصلح لنا في الدين لأنه جواد، فلو منع الأصلح والأخيَر لم يكن جوادا موصوفا بالجود.

---

[١] جميع النسخ: الكفرة.
[٢] ع م: السفه.
[٣] م: الحليم.
[٤] ع م – هو.
[٥] جميع النسخ: وغفورا.
[٦] ع – أنه عن حلم لم يأخذهم بالعقوبة عاجلا وغفورا ليعلموا.
[٧] جميع النسخ: ملحدي.
[٨] أي من الإنسان.

فيقال لهم: إنكم لستم تعرفون الجود،[١] وإنما قَدَرتم وقلتم على ما وافق طباعكم وأنفسَكم، ولو عرفتم حقيقة الجود ما قلتم ذا ولا خطر على[٢] بالكم شيء من ذلك. وإنما على الله أن يختار لكل ما علم منه أنه يختار ويؤثر، لأنه لا يجوز أن يختار الولاية لمن علم منه أنه يختار[٣] عداوته. وكذلك لا يجوز أن يختار العداوة لمن علم منه أنه يختار ولايته.[٤] فليس[٥] على الله تعالى[٦] حفظ الأصلح لأحد في الدين، بل عليه حفظ ما يوجبه[٧] الحكمة والربوبية.

وفي ذكر تسبيح ما ذكر من جميع الموات على أثر[٨] ما ذكر من قول أولئك الكفرة من وصف الله تعالى بالولد والشركاء ونحوه [حكمة] تخرج[٩] على وجوه. أحدها يذكر سفههم أنهم مع ادعائهم العقل والعلم والتمييز والسؤدد وصفوا الله بالذي لا يليق به وما يُسقط الألوهية والربوبية عنه على زعمهم. فالذين[١٠] ليس لهم شيء من ذلك التمييز والفهم والعقل نزهوه عن ذلك كله وبرّؤه عن جميع ذلك.

والثاني ذَكَر تسبيحهم على أثر ذلك ليُعلَم أن لا حاجة له[١١] إلى تسبيحهم ولا منفعة له في ذلك، إذ سبح له جميع الخلائق سواهم، بل منفعة تسبيحهم[١٢] ترجع إليهم.

والثالث ذَكَر لإثبات الرسالة للرسل، لأنهم ذكروا تسبيح الموات، ولا يفهم ذلك ولا يعقل إلا بوحي من السماء، فذلك يدل على الرسالة. فعلى هذه الوجوه الثلاثة التي ذكرنا يجوز ذكر تسبيح ما ذُكر على[١٣] أثر ما ذُكر، وكذلك ذِكْر سجود الموات يخرج على هذه الوجوه التي[١٤] ذكرناها.[١٥] *والله أعلم*.

---

[١] ع م – فيقال لهم إنكم لستم تعرفون الجود.
[٢] ع + ما.
[٣] ن + هذا.
[٤] ع: لولايته.
[٥] ع م: وليس.
[٦] ن – تعالى.
[٧] ن ع م: يوجبه.
[٨] ن + ذكر.
[٩] جميع النسخ: يخرج.
[١٠] أي الآلهة.
[١١] ع م – له.
[١٢] ن – ولا منفعة له في ذلك إذ سبح له جميع الخلائق سواهم بل منفعة تسبيحهم.
[١٣] ع + ذكر.
[١٤] ن – ذكرنا يجوز ذكر تسبيح ما ذكر على أثر ما ذكر وكذلك ذكر سجود الموات يخرج على هذه الوجوه التي.
[١٥] ك: ذكرنا.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾[٤٥]

وقوله عز وجل: **وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا**، قال بعضهم: إن الكفرة كانوا يمنعون رسول الله عن تبليغ الرسالة إلى الناس وقراءة ما أنزل إليه من القرآن،[١] وقد أمر بتبليغ الرسالة. فأنزل الله عليه هذه الآية فأخبر أنه جعل بينه وبين أولئك حجابا مستورا ومَكّن له التبليغ إليهم بالحجاب الذي ذكر. ثم اختلف في ذلك الحجاب. قال بعضهم: شغلهم في أنفسهم بأمور وأشغال حتى بلّغ إليهم. ومنهم من يقول: ألقى في قلوبهم الرُّعب والخوفَ حتى لم يقدروا على منع ذلك. ومنهم من يقول: صيّرهم[٢] بحيث كانوا لا يرونه، ويستمعون قراءته وتلاوته و لم يقدروا على أذاهم به والضرر عليه فبلّغهم.

وجائز أن يكون ما ذُكر من الحجاب هو حجابَ الفهم، وذلك أنهم كانوا ينظرون إليه بالاستخفاف والاستهزاء به[٣] فحُجبوا عن فَهم ما فيه، وهو كقوله: سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ،[٤] الآية. يدل على ذلك قوله: وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ، الآية.[٥]

ثم قال الحسن في قوله: **جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا**، أي طبع على قلوبهم[٦] حتى لا يؤمنوا.[٧] ومذهبه في هذا أنه يقول: إن للكفر حدا إذا بلغ الكافر ذلك الحد طبع على قلبه فلا يؤمن أبدا واستوجب بذلك العقوبة والإهلاك بالذي كان منه،[٨] إلا أن الله بفضله أبقاهم لما علم أنه يلد منهم من يؤمن، أو يبقيهم لمنافع غيره، وإلا قد استوجب الهلاك. فيقول الحسن: أضاف ذلك إلى نفسه لما استوجبوا هم[٩] بفعلهم.

وقال أبو بكر الأصم: أضاف ذلك إليه لأنهم أنِفوا عن اتّباع الرسل وتكبروا عليهم فاستكبروا. لكن نقول له: الاستكبار الذي ذكرت فعلهم لا فعل الله، فما معنى إضافة ذلك إليه؟ فهو خيال وفرار عما يلزمهم في مذهبهم.

---

[١] ن ع م + عليهم.
[٢] ع: صبرهم.
[٣] ن – به؛ ع: بهم.
[٤] سورة الأعراف، ١٤٦/٧.
[٥] ن – الآية.   الآية التالية.
[٦] ع: في قلوبهم.
[٧] جميع النسخ: لا يؤمنون.
[٨] جميع النسخ: منهم.
[٩] م: استوجبوهم.

وقال جعفر بن حرب: في الآية إضمار لما هم أضافوا ذلك إليه أنه هو جعل كذلك، وهو ما قالوا: قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ،[1] قُلُوبُنَا غُلْفٌ،[2] ونحوه من الخيال. فلو جاز صرف هذه الآيات إلى ما ذكروا من الخيال لجاز لغيرهم صرف الكل إلى مثله، فهذا بعيد.

ولكن عندنا أن إضافة ذلك إلى نفسه تدل على[3] أن له فيه صنعا وفعلا، وهو أن يخذلهم باختيارهم ما اختاروا. أو أضاف[4] ذلك إليه لما خلق ظلمة الكفر في قلوبهم. وهذا معروف في الناس أن من اعتقد الكفر يضيق صدره ويَحرَج قلبه حتى لا يُبصر غيره. وهو ليس يعتقد الكفر لئلا يبصر غيره ولا يهتدي إلى غير لكن لا يبصر غيره، فيدل هذا أنه يصير[5] كذلك لصنع له فيه. وكذلك من اعتقد الإيمان يبصر بنوره[6] أشياء وهو[7] ليس يعتقد الإيمان ليبصر بنوره أشياء غابت عنه، دل أنه بغيره أدرك ذلك. وكذلك المعروف في الخلق أن من اعتقد عداوة آخرَ[8] يضيق صدره بذلك. وكذلك من اعتقد ولاية آخر ينشرح صدره له بأشياء. فهذا كله يدل أن لغير في ذلك فعلا، وهو ما ذكرنا من الخذلان والتوفيق أو خلق ذلك منهم. والله أعلم. فيدخل ما ذكرنا[9] في قوله: وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً،[10] الآية.

وأصله أن ما[11] ذَكَر من الحجاب والغلاف والأكنة إنما هو على العقوبة لهم بعنادهم ومكابرتهم الحق، لأنهم كلما ازدادوا عنادا وتمردا ازدادت قلوبهم ظلمة وعَمًى، وهو كما[12] ذكر[13] في غير آية حيث قال: فَلَمَّا[14] زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ،[15] الآية، وقال: ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُم،[16]

---

[1] ﴿وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وَقْرٌ ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون﴾ (سورة فصلت، ٤١/٥).
[2] ﴿وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يومنون﴾ (سورة البقرة، ٢/٨٨).
[3] ن – على.
[4] ن: وأضاف.
[5] ع: يبصر.
[6] م: بنور.
[7] ن + وهو.
[8] ن – آخر.
[9] جميع النسخ: فيما ذكرنا.
[10] ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا﴾ (سورة الأنعام، ٦/٢٥).
[11] م: لما.
[12] ن ع م: ما.
[13] ن: ذكرنا.
[14] م – فلما.
[15] سورة الصف، ٦١/٥.
[16] ﴿وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون﴾ (سورة التوبة، ٩/١٢٧).

وقال: كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ.[1] أخبر أن ما ران على قلوبهم بكسبهم الذي كسبوا، وأزاغ قلوبهم باختيارهم الزيغ، وصرف قلوبهم باختيارهم الانصراف. فعلى ذلك ما ذَكَر من جعل الحجاب والأكنة عليها / بما كان منهم. *والله أعلم*. [٤٣١و]

﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا**، قال بعضهم: الشيطان إذا ذُكِر اللهُ وَلَّى عنه وأعرض وفرّ منه، وهو ما ذكر: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ،[2] الآية. وقال: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا،[3] الآية. وقال بعضهم: **ولّوا على أدبارهم نفورا**، الإنس، أي ولّوا عما دعوهم[4] إليه وأقبلوا نحو أصنامهم التي عبدوها.

وقوله: **وإذا ذكرت ربك في القرآن**، يحتمل: **وإذا ذكرت**، دلالة وحدانية ربك وألوهيته وربوبيته، أو **ذكرت** دلالة رسالتك، أو دلالة البعث. يحتمل ذكر دلالة هذه الأشياء الثلاثة، لأنهم كانوا منكرين لهذه الأشياء، فعند[5] ذكرها يولّون. **على أدبارهم نفورا**، يحتمل الهرب والإعراض، ويحتمل الكناية عن الإنكار والتكذيب.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى**، كأنهم كانوا[6] يستمعون إلى القرآن إما لما يَستَحْلُون نَظْمَه ورَصَفَه، أو يستمعون إليه لما فيه من الأنباء العجيبة، أو يستمعون إليه ليجدوا[7] موضع الطعن فيه. فإن كان استماعهم للوجهين الأوّلين، فإذا جاء[8] موضع الخلاف والتنازع -وهو ما يذكر فيه من دلالة الوحدانية ودلالة الرسالة ودلالة البعث-

---

[1] سورة المطففين، ١٤/٨٣.
[2] سورة الأعراف، ٢٠٠/٧.
[3] ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ (سورة الأعراف، ٢٠١/٧).
[4] ك: دعوا هم.
[5] ع م + ذلك.
[6] ع م - كانوا.
[7] ك: ليجدون.
[8] ع م - جاء.

عند ذلك كانوا يولُّون الأدبار نافرين[1] لإنكارهم ذلك،[2] وإن كان الاستماع لطلب الطعن فهو محتمل أيضا. واختلف في قوله: **نحن أعلم بما يستمعون به،** قيل: كانوا يستمعون إليه ليكذّبوا عليه، كقوله: فَمَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ،[3] كانوا يُسرعون إلى استماع ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم[4] لِيَكْذِبوا عليه. وقال بعضهم: كانوا يستمعون إليه ليجدوا موضع الطعن فيه. وقال بعضهم: استمعوا إليه لِيُرُوا الضَعَفَة والأتباع أنهم إنما[5] يطعنون فيه بعد ما استمعوا إليه وعرفوه فيقع عندهم أن الطعن كان في موضع الطعن. ***والله أعلم.***

وقوله: **وإذ هم نَجْوَى،** قيل: أي يتناجَوْن فيما بينهم أنه مسحور وأنه مجنون وأنه كاهن. ثم أخبر الله نبيه ما أسرّوا فيه وتناجَوا بينهم ليدلهم على رسالته وأنه إنما عرف بالله. وسماهم ظالمين لما علموا أنه ليس بمجنون ولا مسحور ولكن قالوا ذلك له ونسبوه إلى ما نسبوه من السحر والجنون على علم منهم أنه ليس كذلك.

﴿أنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **أنظر كيف ضربوا لك الأمثال،** بالمجانين[6] والسحرة[7] والكهنة فضلوا. أو ضربوا لك الأسباب التي تزجر الناس وتمنعهم عن الاقتداء[8] بك مما وصفوا له ونسبوه إليه من السحر والجنون والكهانة،[9] فذلك كان يمنعهم عن إجابة من أراد إجابته[10] والاقتداء به.

وقوله عز وجل: **فضلّوا فلا يستطيعون سبيلا،** اختلف فيه، قال بعضهم: لا يستطيعون إلى ما قصدوا من منع الناس عنك وصدّهم سبيلا. وقال بعضهم: **لا يستطيعون** إلى المكر به والكيد له سبيلا لأنهم قصدوا به ذلك. وقال بعضهم: **لا يستطيعون،** إلى ما نسبوه إليه **سبيلا.**

---

[1] ك ن ع: ونافرين.
[2] م – ذلك.
[3] سورة المعارج، ٧٠/٣٦-٣٧.
[4] ك ن – صلى الله عليه وسلم.
[5] م: – إنما.
[6] ك – بالمجانين.
[7] ك: بالسحرة.
[8] ع: من الاقتداء.
[9] م: والكهنة.
[10] جميع النسخ: حانبه.

وقال الحسن: لا يجدون إلى الهدى والإيمان سبيلا لما طَبَع على قلوبهم، وجعلها[١] في أَكِنَّة وغُلُف. ويحتمل أن يكون قوله: **فلا يستطيعون** إلى الاحتجاج على الحجج والدلالات التي أقامها رسول الله صلى الله عليه وسلم على التوحيد والرسالة والبعث سبيلا. ***والله أعلم.***

﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾[٤٩]

وقوله عز وجل: **وقال أَإذَا كنا عظاما ورفاتا،** أي أَإذَا كنا عظاما بالية ناخرة؛ **ورُفاتا،** قيل: ترابا، وقيل: غبارا. وقيل: **رفاتا،** أي بالية حتى إذا فنت[٢] تكسرت وذهبت، كقوله: أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً[٣] قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ،[٤] أي غير كائنة. قالوا ذلك كله إنكارًا للبعث واستهزاء به أنهم يبعثون ويُجْزَوْن بأعمالهم. وهذا كأنهم قالوا ذلك على التعجب والاستبعاد عن كون ذلك والاستهزاء بذلك. والجهل به هو الذي حملهم على التعجب والاستهزاء بما ذكر. أنكر هؤلاء الكفرة قدرة الله على البعث كما أنكر المعتزلة قدرته على خلق أفعال العباد.[٥] وليس لهم الاحتجاج على أولئك الكفرة بالإنشاء[٦] الأول، لأن لهم أن يقولوا: إنكم تقرون بالقدرة على[٧] الخلق[٨] الأول وتنكرون خلق أفعالهم، وليس لكم الاحتجاج.

* وقال أبو عَوْسَجَة: **ورفاتا،** قال: **رُفاتا** متكسرة. وفَتَتُّه، أي كسرته. وقال القُتَبِي في **أكنة:** جمع كِنان مثل غِطاء وأغطية. **وإذ هم نجوى،** أي متناجون، يُسَارُّ بعضهم بعضا أنه مجنون وأنه ساحر، كاهن، وأساطير الأولين. وقال بعضهم: كان نجواهم ما ذكر في سورة الأنبياء حين قالوا: هَلْ هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ،[٩] الآية. فذلك قوله: **قال الظالمون إن تتبعون،** أي ما تتبعون، **إلا رجلا مسحورا.** قال أبو عبيدة: **مسحورا،** أي قد سُحر به، وقد يتناقض قولهم، وقد ذكرنا وجه تناقض قولهم[١٠] فيما تقدم. ***والله أعلم.**** [٤٣٢و س٩ - ٤٣٢و س١٤]

---

[١] ع: وجعلنا.
[٢] ع: فتنت.
[٣] ن – ورفاتا قيل ترابا وقيل غبارا وقيل رفاتا أي بالية حتى إذا فنت تكسرت وذهبت كقوله أإذا كنا عظاما نخرة.
[٤] سورة النازعات، ٧٩/١١-١٢.
[٥] ك ن: الخلق.
[٦] جميع النسخ: بإنشاء.
[٧] ن – على.
[٨] جميع النسخ: على خلق.
[٩] ﴿لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/٣).
[١٠] ع م: قوله.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: وورقة ٤٣٢و/سطر ٩-١٤.

﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾[٥٠] ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم**، قال بعض أهل التأويل: أي لو كنتم حجارة أو حديدا فيميتكم. لكن هذا بعيد لأنهم لم يكونوا ينكرون الموت، إذ كانوا يشاهدون الموت فلا يحتمل الإنكار، ولكن كانوا ينكرون البعث بعد الموت وبعد ما صاروا ترابا ورُفاتا، إلا أن يقال: إنكم لو كنتم بحيث لا تُبعَثون ولا تُجْزَون بأعمالكم لكنتم حجارة أو حديدا، لم تكونوا بشرا، لأن الحجارة والحديد ونحو ذلك غير ممتحن ولا مأمور بشيء ولا منهي عن شيء. وأما البشر فإنهم لم ينشئوا[1] إلا للامتحان بأنواع المحن والأمر والنهي والحل والحرمة؛ فلا بد من الامتحان، فإذا امتحنوا بأشياء لا بد من البعث للجزاء والعقاب. فإذ[2] لم تكونوا[3] ما ذكر ولكن كنتم بشرا[4] فاعلموا أنكم تبعثون وتجزون بأعمالكم. على هذا يحتمل أن يصرف تأويلهم لا إلى ما قالوا، وإلا ظاهر ما قالوا وتأولوا / لا يحتمل، لِما لا أحد أنكر الموت. [٤٣١ظ]

ويحتمل قوله: **كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم**، أي لو كنتم ما ذَكَر حجارة أو حديدا أو أشدّ[5] ما يكون من الخلق لَقَدر أن ينشئكم بشرا من ذلك، فكيف إذا كنتم بشرا في الابتداء أن يعيدكم بشرا على ما كنتم، كما أنشأكم[6] في الابتداء[7] من ماء وتراب وليس في ذلك الماء والتراب[8] من آثار البشر[9] شيء من العظام واللحوم والعصب والجلد وغيرها. فمن قدر على إنشاء هذا قدر على إنشاء البشر بعد الموت وبعد ما صار[10] ترابا ورفاتا. على هذا يجوز أن يتأول.

---

[1] جميع النسخ: ينشاؤا.
[2] ع م: فإذا.
[3] جميع النسخ: لم يكونوا.
[4] ع م - بشرا.
[5] م: وأشدّ.
[6] ع - على ما كنتم كما أنشأكم.
[7] ع + أن يعيدكم بشرا على ما كنتم كما أنشأكم في الابتداء.
[8] م: ومن التراب.
[9] ع: من آثا البشر؛ م: من آثار بشر.
[10] ك: صاروا.

ووجه آخر أن يقال: ظننتم[١] أن لو كنتم حجارة أو حديدا أو ما ذكر لبعثكم، فكيف تظنون أنه لا يبعثكم إذا كنتم ترابا ورفاتا، أو كلام نحوه.

وقوله عز وجل:[٢] **أو خَلْقًا مما يكبر في صدوركم**، ذكروا هذا وكل ما يكبر في صدورهم على ما ذكر: **فسيقولون من يعيدنا**، استهزاء منهم به. **قل الذي فطركم أول مرة**. إنهم وإن قالوا ما قالوا استهزاء به وسخرية فقد أمر الله تعالى أولياءه والمؤمنين أن يحاجّوهم مُحاجَّة العقلاء والحكماء مع الحجج والبراهين وإن كانوا قالوا ما قالوا سفها واستهزاء. وعلى ذلك عاملهم الله وإن كانوا سفهاء في قولهم مستهزئين. وكذلك أمر رسله أن يعاملوا قومهم أحسن المعاملة، حيث قال: وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ،[٣] وقال: وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.[٤] وإنما ذكر الله هذه الآيات لِنُحاجَّ بها[٥] هؤلاء ونعلم[٦] أن كيف المعاملة مع هؤلاء؛ إذ قد أقام الله تعالى من الآيات والحجج على بعثهم وإحيائهم حججا كافية ما لم يُحْتَجْ إلى مثل هذا لكنه ذكر هذا لما ذكرنا. *والله أعلم*.

كان الذي حملهم على إنكار ذلك وجهان[٧] من الاعتبار. أحدها أنهم لم يروا من الحكمة إماتتهم[٨] ثم الإحياء على مثل ذلك، إذ لو كان[٩] يحييهم ثانيا لكان لا يميتهم، كنقض البناء على قصد بناء مثله.

والثاني لما رأوا أقواما قد ماتوا منذ [أَمَد] طويل[١٠] ثم لم يُبعَثوا. فيقال لهم: إنه[١١] قد تأخر كونكم وإنشاءكم ثم لم يدل تأخركم على أنكم لا تكونون، فعلى ذلك لا يدل تأخر البعث على أنه لا يكون. وأما جواب الأول فإنه يقال لهم: إنكم تقرون أنه أنشأكم أول مرة وأنه يميتكم، فليس من الحكمة الإنشاء[١٢] ثم الإماتة، لأنه يكون كمن بنى بناء للنقض والإفناء، فإذا كان حكمة كان الثاني أيضا حكمة. *والله أعلم*.

---

١ جميع النسخ: ظنوا.
٢ ك – عز وجل.
٣ سورة النحل، ١٦/١٢٥.
٤ سورة الإسراء، ١٧/٥٣.
٥ ع م: بما.
٦ ن: وتعلم.
٧ جميع النسخ: وجوه.
٨ ع: امانتهم.
٩ ع م: كانوا.
١٠ جميع النسخ: من منذ طويل.
١١ ك: إنهم.
١٢ جميع النسخ: إنشاء.

وقوله عز وجل: **قل الذي فطركم أول مرة**، أي يعيدكم الذي خلقكم أول مرة و لم تكونوا شيئا على ما ذكرنا. وإعادة الشيء في عقولكم أهون وأيسر من ابتدائه، إذ لا أحد في الشاهد يتكلف تعلم إعادة الشيء[1] ومعرفته، وإنما يتكلفون تعلم ابتداء الصناعات ومعرفتها، ثم يعرفون إعادة ذلك[2] بمعرفة ابتدائه. فدل ذلك[3] أنه أهون وأيسر، وهو ما قال: وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ،[4] أي في عقولكم ذلك[5] أهون وأيسر.

وقوله عز وجل: **فَسَيُنْغِضُون إليك رءوسهم**، أي يحركون رءوسهم استهزاء به وهُزْءًا، **ويقولون متى هو؟** على الاستهزاء أيضا، أي لا يكون. وقوله عز وجل: **ويقولون متى هو؟** قالوا ذلك جهلا به وإنكارا، وإلا لو علموا أنه كائن لا محالة لكانوا لا يقولون ذلك بل يخافون كما خاف الذين آمنوا به.

وقوله عز وجل: **قل عسى أن يكون قريبا**، **وعسى** من الله واجب، أي يكون لا محالة. وقوله عز وجل: **قريبا**، أي كائنا. القريب يقال على الكون، أي كائنا، ويقال على القرب. والبعيد كذلك يقال على الإنكار رأسا، ويقال على الاستبعاد، كقوله: إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا،[6] أي هم لا يرونه كائنا ونراه نحن كائنا،[7] كقوله: يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا،[8] كانوا يستعجلون بها لما لم يكونوا يرونه كائنا والمؤمنون يرونه كائنا. *والله أعلم*.

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده**، يحتمل هذا الدعاء والإجابة دعاء الخلقة وإجابةَ الخلقة، لما كانت خلقتهم تعظّم ربهم وتَحمد[ه] في كل وقت وتُثني[9] [عليه] على ما ذكرنا

---

[1] ع م – في عقولكم أهون وأيسر من ابتدائه إذ لا أحد في الشاهد يتكلف تعلم إعادة الشيء.
[2] م – ذلك.
[3] م – ذلك.
[4] ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ (سورة الروم، ٣٠/٢٧).
[5] ن – ذلك.
[6] سورة المعارج، ٧٠/٦-٧.
[7] ع– ونراه نحن كائنا.
[8] ع م – منها. ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد﴾ (سورة الشورى، ٤٢/١٨).
[9] ع م: وتنبئ.

في غير آي من القرآن. ويحتمل دعاء القول وإجابةَ القول والعمل لما كانوا عاينوا قدرته وعظمته أجابوا له بحمده وثنائه، كقوله: مُهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ،[١] ونحوه. أو أن يكون قوله: **يوم يدعوكم،** يوم القيامة، كقوله: يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ،[٢] الآية، وقوله: مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ،[٣] الآية. أخبر أنهم يجيبون داعيهم يومئذ ويُثنون على اللهِ لما رأوا من الأهوال من ترك الإجابة له[٤] في الدنيا.

وقوله عز وجل: **فتستجيبون بحمده،** أي تجيبون داعيه بثنائه وبحمده، أي تُثنون على الله وتَحْمَدونه.

وقوله عز وجل: **وتظنون إن لبثتم إلا قليلا،** قال الحسن: قوله: **تظنون،** أي تعلمون وتتيقّنون[٥] أنكم ما لبثتم في الدنيا إلا قليلا. وكذلك قال قتادة: أي تستحقرون الدنيا وتستصغرونها[٦] لما تعاينوا[٧] القيامة وأهوالها. وجائز أن يكون قوله: **وتظنون إن لبثتم إلا قليلا،** في القبر، وجائز أن يكون في الدنيا، تستقصرون المُقَام فيها لطول مُقام الآخرة وأهوالها.[٨]

ثم من أنكر عذاب القبر احتج بظاهر هذه الآية حيث قال: **وتظنون إن لبثتم إلا قليلا،** وقوله: لَبِثْنَا يَوْمًا [أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ]،[٩] ومثلِه. قالوا: لو كانوا[١٠] في العذاب والشدة لم يكونوا يستقصرون ويستصغرون المُقام فيه، إذ كل من كان في عذاب وبلاء وشدة يستعظم ذلك ويستكثر ولا ينساه أبدا، هذا المعروف عند الناس، فإذا هم استقلُّوا ذلك واستقصروه حتى قالوا: يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ، وقالوا: قليلا ويسيرا دل ذلك أنهم لم يكونوا في عذاب وبلاء. ويتأولون قوله: / ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا،[١١] على التقديم والتأخير، [٤٣٢و]

---

[١] ﴿مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عَسِر﴾ (سورة القمر، ٨/٥٤).
[٢] ﴿فتولَّ عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر﴾ (سورة القمر، ٦/٥٤).
[٣] ﴿مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتدّ إليهم طَرْفُهم وأفئدتهم هواء﴾ (سورة إبراهيم، ٤٣/١٤).
[٤] ع م – له.
[٥] ع م: وتيقنون.
[٦] جميع النسخ: وتصغرونها.
[٧] جميع النسخ: عاينوا.
[٨] ع م – وجائز أن يكون قوله وتظنون إن لبثتم إلا قليلا في القبر وجائز أن يكون في الدنيا تستقصرون المقام فيها لطول مقام الآخرة وأهوالها.
[٩] ﴿وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم﴾ (سورة الكهف، ١٩/١٨).
[١٠] ع م – لو كانوا.
[١١] ﴿النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أَدْخِلوا آلَ فرعون أشدَّ العذاب﴾ (سورة المؤمن، ٤٦/٤٠).

يقولون: تأويله[1] وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا. [ويتأولون قوله: **النار يعرضون عليها غدوا وعشيا**][2] ليس على أن لا يكون لهم[3] عذاب فيما بين ذلك، ولكن على ما ذكر[4] في الجنة: وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا.[5]

ومن يقول بالعذاب في القبر يقول: قوله: **وتظنون إن لبثتم إلا قليلا**، في الدنيا. أو يقولون: ذلك في وقت وهو ما بين النفختين. كذلك يقولون: إنه يُرفع عنهم العذاب ما بين النفخة الأولى والثانية، وهذا احتيال. ويقال أيضا: ليس في استقلالهم المُقامَ والاستقصارِ ما يدل على أن[ه] لم يكن لهم عذاب في القبر، لأن العرف في الناس أنهم إذا[6] كانوا في بلاء وشدة ونوع من المرض ثم نزل بهم ما هو أشد من ذلك وأعظم استصغروا ما كانوا هم فيه ونَسُوا ذلك.[7] فعلى ذلك هؤلاء إذا عاينوا عذاب القيامة وأهوالها وأفزاعها استصغروا ما كان بهم من العذاب في القبر ونسوا ذلك. ألا ترى أنهم إذا عاينوا الجنة ونعيمها نسوا ما كان لهم من النعم في الدنيا. ولا شك أنه قد كان لهم نعيم في الدنيا، فعلى ذلك العذاب.[8]

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾[٥٣]

وقوله عز وجل: **وقل لعبادي يقول التي هي أحسن**، يحتمل قوله: **التي هي أحسن** الوجوه الثلاثة. أحدها الدعوة، كقوله: أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.[9] أمره[10] أن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة. فالتأنيث للدعوة، كأنه قال: ادعوا[11] لهم الدعوة التي هي أحسن الدعوة، على إضمار الدعوة، وجائز على إضمار الحسنة،

---

[1] ك – تأويله.
[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٢٠ظ (نسخة مدينة).
[3] ك: عليهم.
[4] ع م – ذكر.
[5] سورة مريم، ٦٢/١٩.
[6] ع م – إذا.
[7] ع م – ذلك.
[8] وقع هنا مقطع من تفسير الآيتين السابقتين برقم ٤٧ ورقم ٤٩ فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٣٢و/سطر ٩-١٤.
[9] سورة النحل، ١٢٥/١٦.
[10] ع م: أمر.
[11] ع م: ادعو.

أي قل لهم أن يقولوا لهم الحسنة التي هي أحسن. أو على إضمار الأقوال كأنه قال: يقولوا لهم الأقوال التي هي أحسن الأقوال،[١] وإلا ظاهره أن يقول: يقولوا الذي[٢] هو أحسن.

والثاني على إضمار المجادلة والمناظرة معهم، كقوله: وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.[٣] أمر رسوله أن يجادلهم أحسن المجادلة والمحاجّة معهم.

والثالث في حسن[٤] المعاملة معهم والصفح والعفو[٥] عما كان منهم إلى المسلمين من أنواع الأذى. فأمرهم أن يحسنوا معاملتهم ويصفحوا عنهم، كقوله: فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ،[٦] وكقوله: اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ،[٧] الآية، وقوله: وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ،[٨] الآية، ونحوه من الآيات. أمرهم أن يعاملوا أولئك أحسن المعاملة ولا يكافئوهم[٩] بسوء صنيعهم. ولكن يعفون عنهم ويصفحون لِما لعلهم يكونون أولياء وحميما على ما أخبر[١٠] ويصيرون إخوانا لهم من بعد هذا في حق هذه الآية.

وأما من جهة الحكمة وهو أن الله تعالى أنشأ هذا اللسان وجعله تَرْجُمانا بين الخلق، به يفهم بعضهم من بعض، وبه يقضي الحوائج بعضهم من بعض، وبه قوام معاشهم ومعادهم، وبه بعث الرسل والكتب جميعا، فإذا كان كذلك فالواجب أن لا يستعمل إلا في الخير والحكمة ولا يُنطَق به إلا ما هو أحسن وأصوب. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **إن الشيطان ينزغ بينهم**، أي يفسد بينهم ويوسوس إليهم ويُغرِي[١١] بعضهم على بعض ليُفسد بينهم، وذلك دأبه.

---

[١] ن – كأنه قال يقولوا لهم الأقوال التي هي أحسن الأقوال.

[٢] ك: التي.

[٣] سبقت قريبا.

[٤] ع: أحسن.

[٥] ع م: والعفو والصفح.

[٦] سورة المائدة، ١٣/٥.

[٧] ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون﴾ (سورة المؤمنون، ٩٦/٢٣؛ وانظر أيضا: سورة فصلت، ٣٤/٤١).

[٨] ﴿الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ (سورة آل عمران، ١٣٤/٣).

[٩] جميع النسخ: ولا يكافوهم.

[١٠] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ (سورة فصلت، ٣٤/٤١).

[١١] ع م: ويعتري.

إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا، أي كان الشيطان منذ كان الإنسان عدوا ظاهرا عداوته بينا. جعل الله تعالى الشيطان بحيث يوسوس إليهم[1] ويدعوهم إلى أشياء يظنون أن[2] ذلك خير لهم، وأبدا يُلقِي إليهم ما يقع عندهم أن ذلك[3] أنفع لهم، ويُحبّب إلى كلٍّ مذهبًا يقع عنده أنه[4] هو الحق، فيقصد[5] بذلك[6] الإفساد وإلقاء العداوة بينهم[7] أبدا. هذا دأبه وشأنه: يجرّ[8] كلا إلى جهة ويُرِي كل أحد جهةً غيرَ الجهة التي أرى الآخر. *والله أعلم*.

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾[٥٤]

وقوله عز وجل: **ربكم أعلم بكم**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما، **أعلم بكم**، بمصالحكم وما لا يصلح لكم في الدنيا والآخرة. والثاني، **ربكم أعلم بكم**، بما تُسرّون وما تُعلنون وما تعلمون وتفعلون، وإلا فلا شك أنه أعلم بنا منا.

وقوله عز وجل: **إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم**، قال بعضهم: **إن يشأ يرحمكم** فينجيكم من أذى أولئك،[9] **أو إن يشأ يعذبكم** فيسلطهم عليكم. والثاني **إن يشأ يرحمكم** فيهديكم إلى دينه ويوفقكم لسبيله، **أو إن يشأ** يترككم ويخذلكم ولا يهديكم[10] إلى سبيله ولا يوفقكم لدينه. وقوله: **إن يشأ يرحمكم**، يحتمل الرحمة في الدنيا والآخرة. أما في الدنيا هو أن يوفقهم على الطاعة ويعينهم على ذلك، وفي الآخرة[11] ينجيهم ويدخلهم الجنة. وأما التعذيب في الدنيا أن يخذلهم ويتركهم على ما يختارون، وفي الآخرة[12] يعذبهم في النار بالذي اختاروا في الدنيا.

---

[1] ن – إليهم.
[2] ع م: أو.
[3] ن – خير لهم وأبدا يلقي إليهم ما يقع عندهم أن ذلك.
[4] ع م – أنه.
[5] ك: يقع.
[6] ع: ذلك.
[7] ن + أن ذلك أنفع لهم ويحبب.
[8] ك: يجتر.
[9] ع م: هؤلاء.
[10] ك: ولا يهدكم.
[11] ع: في الآخرة.
[12] ع م: في الآخرة.

وقوله عز وجل: **وما أرسلناك علهم وكيلا**، قال بعضهم: أي لم نجعلك حفيظا على ردهم وإجابتهم ولا على صنيعهم،[١]

/ وقال بعضهم: **وكيلا**، أي كفيلا[٢] بأعمالهم، أي لا تؤخذ أنت بصنيعهم، كقوله: [٤٣٢ظ] مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ،[٣] وكقوله: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ.[٤] وقال بعضهم: **وما أرسلناك عليهم وكيلا**، أي مسلَّطا عليهم وقاهرا لهم.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾[٥٥]

وقوله عز وجل: **وربك أعلم بمن في السماوات والأرض**، يحتمل ما ذكرنا أنه أعلم بمصالحهم ومفاسدهم وما يسرّون وما يعلنون. ويحتمل غير هذا، جوابا لقولهم: لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ،[٥] وقوله: اَللّٰهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ.[٦] يقول -والله أعلم- **وربك أعلم بمن في السماوات والأرض**،[٧] أي أعلم بمن يَصلُح للنبوة والرسالة وبمن لا يصلح، ومن هو أهل لها ومن هو ليس بأهل لها.[٨] أو يقول: **أعلم بمن في السماوات والأرض**، أي عن علم بما يكون منهم أنشأهم[٩] لا عن جهل. أو أعلم بهم مِن أنفسهم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولقد فضّلنا بعض النبيين على بعض**. مثل هذا لا يكون إلا في نازلة، لكنه لم يَذكر النازلة التي عندها نزلت. ثم اختلف فيما ذكر من تفضيل بعض على بعض.

---

[١] ع م: وعلى صنيعهم.

[٢] ع م: ثقيلا.

[٣] ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين﴾ (سورة الأنعام، ٥٢/٦).

[٤] ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ (سورة النور، ٥٤/٢٤).

[٥] سورة الزخرف، ٣١/٤٣.

[٦] سورة الأنعام، ١٢٤/٦.

[٧] ك ع م - والأرض.

[٨] م - ومن هو ليس بأهل لها.

[٩] ع: أنشابهم.

قال بعضهم: إنه أعطى كلًّا شيئا لم يُعطِ غيره، من نحو ما ذَكَر أنه كلَّم موسى،[1] واتخذ إبراهيم خليلا،[2] وأعطى عيسى إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص،[3] وهو روح منه[4] وكلمته،[5] وأعطى سليمان مُلْكًا لا ينبغي لأحد من بعده،[6] وأعطى داود زبورا،[7] وأعطى سيدنا محمدا أنْ بعثه[8] إلى الناس كافة[9] وغَفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر[10] ومثله. وقال بعضهم فضل بعضا على بعض في الدرجة والمنزلة والقدر عنده. فالأول يكون التفضيل في الآيات والحجج، والثاني في أنفسهم في المنزلة والقدر. ويحتمل ما ذكر من تفضيل بعض على بعض في الآيات والحجج. ويحتمل في كثرة الأتباع، يفضّل بعضَهم على بعض بكثرة[11] الأتباع. والثالث يفضل[12] بعضهم على بعض في القيام بشكر ما أنعم عليه وصَبْرٍ[13] ما ابتلاه به.[14] وعلى قول المعتزلة لا يكون لأحد فضيلة عند الله إلا باستحقاق منه.

وقوله عز وجل: **وآتينا داود زبورا،** جميع كتب الله زبور، لأن الزبور هو الكتاب، وقد ذكرنا أنا لا ندري لأية نازلة ذُكر هذا. ولا يحتمل ذكر مثله على الابتداء والاستئناف.[15] لكن فيه أن التفضيل والمنزلة إنما يكون من عند الله، ومن عنده يستفاد،[16] لا بتدبير من أنفسهم واستحقاق حيث قال: أُنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا،[17] لئلا يرى أحد الفضل والمنزلة لنفسه بأسباب منه، ولكن من عند الله.

---

[1] انظر: سورة النساء، ٤/ ١٦٤.
[2] انظر: سورة النساء، ٤/١٢٥.
[3] انظر: سورة آل عمران، ٣/٤٩.
[4] ك ن: الله.
[5] انظر: سورة النساء، ٤/١٧١.
[6] انظر: سورة ص، ٣٨/٣٥.
[7] انظر: سورة النساء، ٤/١٦٣.
[8] جميع النسخ: بعث.
[9] انظر: سورة سبأ، ٣٤/٢٨.
[10] انظر: سورة الفتح، ٤٨/٢.
[11] ع: بكثر.
[12] ع: فضل.
[13] ك ن ع: وبصر.
[14] ك ن ع + والرابع.
[15] ك ن ع: والايتناف.
[16] ك: تكون.
[17] سورة الإسراء، ١٧/٢١.

وقال [أبو بكر] الأصم في قوله: **ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض**، يقول: يخاطب به أهل الكتاب أن أوائلكم كانوا يرون لبعض[١] على بعض فضلا في الدنيوية.[٢] ثم إن أولئك المفضَّلين[٣] كانوا يتّبعون الرسل لِمَا رأوا[٤] لهم من الفضل والخصوصية. فما بالكم يا أهل مكة لا تتبعون محمدا وقد ترون فضائل له[٥] وخصوصية ما لا ترون ذلك لأنفسكم ولا لأحد سواه، أو كلام[٦] نحو هذا. ***والله أعلم***.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾[٥٦]

وقوله عز وجل: **قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا**، وفي سورة سبأ: قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ،[٧] الآية. فيشبه أن يكون الآية عندما نزل بهم البلايا والشدائد[٨] على ما قاله أهل التأويل، فأمروا عند ذلك أن يطلبوا كشف ذلك عنهم من الذين يعبدون دون الله[٩] فيقول لهم: ادعوا الذين زعمتم أنها آلهة دونه تكشفوا[١٠] عنكم ما نزل بكم. ويشبه أن يكون لا على نازلة ولكن على تبيين[١١] سفَهِ أولئك، حيث قالوا: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[١٢] وقالوا: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ.[١٣] أخبر أن ليس لهؤلاء شفاعة عند الله، عبادتهم إياها لا تقرّبهم إلى الله زلفى، كقوله: أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ.[١٤] أخبر أنهم لا يملكون ما يطمعون بعبادتهم إياها. أو أن يذكر هذا لقطع ما يرجون من دون الله من كشف ضرٍّ عنهم ودفعه أو جَرِّ نفعٍ إليهم وسَوق خير،[١٥] على ما أخبر أنه لا يملك ذلك أحد سواه،

---

[١] ع: بعض.
[٢] ن ع م: رأو.
[٣] ن + ثم إن أولئك المفضلين.
[٤] ن: رأو.
[٥] ع م - له.
[٦] ع م: وكلام.
[٧] سورة سبأ، ٢٢/٣٤.
[٨] ك: والشدة.
[٩] ك ع: من دون الله؛ م: دونه.
[١٠] ن ع م: يكشفوا.
[١١] جميع النسخ: على تبين.
[١٢] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[١٣] سورة يونس، ١٨/١٠.
[١٤] سورة الزمر، ٤٣/٣٩).
[١٥] م: خير.

كقوله: مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ،[1] الآية، وقوله: وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ،[2] الآية. أخبر أنه لو فتح هو رحمة[3] لا يملك أحد دونه[4] إمساكها،[5] ولو أمسك هو [رحمة] لا يملك أحد إرسالها[6] دونه، ولو مس ضُرّ لا يملك أحد كشفه، وإن أراد خيرا لا يملك أحد[7] دفعه ورده.

[٤٣٣و س١٦] * وقوله: **قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون**، ما ذكر ليس هو بأمر[8] في الحقيقة -وإن كان ظاهره أمرا- ولكن إخبار عن عجز ما يدعون من دونه وتعجيزُ ما ذكر من كشف الضر ودفعه والتحويل. وكذلك قوله: قُلْ كُونُوا حِجَارَةً،[9] الآية، ليس هو بأمر إنما هو إخبار عن قدرته أنه لا يعجزه شيء وإن بُدِّلتم[10] أصلب الأشياء وأعظمَها. وقوله: **فلا يملكون كشف الضر عنكم**، أي دفعه ورده. **ولا تحويلا**، يحتمل وجهين. أحدهما **فلا يملكون** تحويل ذلك الضر إلى غيركم ولا صرفه. والثاني **ولا تحويلا** من الأشد والأثقل إلى الأخفّ والأيسر والأهون.[11]

[٤٣٣و س٢٢] وقوله عز وجل: **إن عذاب ربك كان محذورا**، أي يَحْذَره أهلُ السماء وأهل الأرض.[12]*

هذا تذكير[14] -والله أعلم- للمسلمين لئلا يرجوا[15] أحدا من الخلائق دون الله ولا يخافوا أحدا سواه. ثم صرف أهل التأويل تأويل الآية إلى الملائكة، لكن الآية تحتمل[16] كل معبود دون الله: الملائكة والجن والأصنام التي عبدوها. وأما الآية الثانية التي تتلوها[17] ظاهرُها في الملائكة أو الجن[18] وهو قوله:

---

[1] ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا مُمسكَ لها وما يُمسكْ فلا مُرسلَ له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾ (سورة فاطر، ٢/٣٥).
[2] ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير﴾ (سورة الأنعام، ١٧/٦).
[3] ن: رحمته.
[4] م: دنه.
[5] جميع النسخ: إمساكه.
[6] ك م: إرساله؛ ن: إرسالة؛ ع: أحد إرساله.
[7] ن - لا يملك أحد؛ ع - كشفه وإن أراد خيرا لا يملك أحد.
[8] ك: فليس هو أمرا.
[9] ﴿قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٥٠-٥١).
[10] ك ن ع: وأبدلتم.
[11] ك ن - والأهون.
[12] ع: والأرض.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٣٣و/سطر ١٦-٢٢.
[14] جميع النسخ: يذكر.
[15] ع م: لئلا يرجو.
[16] ن ع م: يحتمل.
[17] ع: نتلوها.
[18] ع م: والجن.

﴿**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا**﴾[٥٧]

أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة، أي أولئك الذين يعبدون من دونه[1] **يبتغون** هم[2] **إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه**، الآية. اختلف فيه. منهم من صرفها إلى الملائكة، ومنهم من صرفها إلى الجن، وهو قول عبد الله بن مسعود[3] رضي الله عنه، يقول: إن[4] قوما من العرب كانوا يعبدون الجن ثم أسلم الجن فبقي أولئك كانوا يعبدونهم / بعد [٤٣٣و] إسلامهم، فيقول: أولئك الذين[5] تدعون[6] من دون الله[7] يبتغون إلى ربهم الوسيلة، فكيف تعبدونهم؟ ومن قال: إنها في الملائكة اختلفوا في قوله: **ويرجون رحمته ويخافون عذابه**. قال الحسن: **يرجون** محبته ورضاه، **ويخافون** عذابه، أي خوف الهيبة والجلال[8] والعظمة لا خوفَ عذاب النار ونقمته، لأن الله عصمهم من أن يرتكبوا ما يوجب لهم النقمة والعذاب، حيث قال: لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ،[9] وقال: لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ،[10] وقال في قوله: وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ،[11] هذا إخبار أنهم لو قالوا ذلك لفعل به ما ذُكِر، ليس على أن يقول أحد منهم ذلك. وقال أبو بكر [الأصم]: **يرجون رحمته** ثوابه، **ويخافون عذابه** نقمته حيث قال فيهم[12] من الوعيد ما قال: وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ،[13] الآية، فقد أثبت لهم الوعيد فيه، لكن ثوابه[14] ما يتلذذ به وعذابه ما يتألم به ويُتوجع. ومنهم من يقول من أهل التأويل: **يرجون رحمته**، أي جنته.

[1] ك: من دون الله.
[2] ع م: يبتغونهم.
[3] ن: قول ابن مسعود.
[4] م – إن.
[5] ن – الذين.
[6] ك: تعبدون.
[7] م: من دونه.
[8] ك ن م: والإجلال.
[9] ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وَقُودُها الناس والحجارة عليها ملائكة غِلاظ شِداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ (سورة التحريم، ٦/٦٦).
[10] سورة الأنبياء، ١٩/٢١–٢٠.
[11] سورة الأنبياء، ٢٩/٢١.
[12] ع م: فهم.
[13] ك – منهم.
[14] ن – ويخافون عذابه نقمته حيث قال فيهم من الوعيد ما قال ومن يقل منهم الآية فقد أثبت لهم الوعيد فيه لكن ثوابه.

لكن هذا يشبه أن يكونوا يرجون صحبة أهل الجنة: يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ،[1] الآية. وجائز عندنا صرف قوله: **أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة،** إلى الأصنام التي عبدوها من دونه أيضا، ويكون تأويله: **يدعون يبتغون،** أي لو مُكّن لهم من العبادة والطاعة ورُكّب فيهم من أسبابه لكانوا كما[2] ذكر، وهو كقوله: لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ،[3] أي لو مكّن له ورُكّب فيه ما ركّب[4] في البشر ومكّن لهم لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله، على ما ذكر[5] من سفه أولئك الذين عبدوا من[6] دون الله. يقول:[7] كيف تعبدون من لو مكن من العبادة لكانوا يبتغون بذلك الوسيلةَ إلى ربهم، أو كيف تعبدون من هو بطاعة ربه يبتغي الوسيلة إليه إن كانت الآية في الملائكة. كأنه يذكر سفه أهل مكة حيث سألوا العذاب، بقوله: فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً،[8] الآية ونحوه، وأهل السماء والأرض جميعا يحذرون عذابه.[9]

﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾[٥٨]

وقوله عز وجل: **وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا.** قال أبو بكر الأصم: **وإن من قرية إلا نحن** ميتوها، وقد يستعمل الهلاك في موضع الموت، كقوله: إِنِ[10] امْرُؤٌ هَلَكَ،[11] أي مات؛ ويقال أيضا: هلك فلان، أي مات.[12] فعلى ذلك يقول:

---

[1] ﴿جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾ (سورة الرعد، ١٣/ ٢٣-٢٤).

[2] ع: ما.

[3] ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لَرأيته خاشعا متصدّعا من خشية الله﴾ (سورة الحشر، ٥٩/٢١).

[4] ك + من أسبابه لكانوا كما ذكر.

[5] ن – وهو كقوله لو أنزلنا هذا القرآن على جبل أي لو مكن له وركب فيه ما ركب في البشر ومكن لهم لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله على ما ذكر.

[6] ن ع م – من.

[7] ن + وهو كقوله لو أنزلنا هذا القرآن على جبل أي لو مكن له وركب فيه ما ركب في البشر ومكن لهم لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله على ما ذكر من سفه أولئك الذين عبدوا دون الله، يقول.

[8] ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحقَّ مِن عندك فأَمْطِر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ (سورة الأنفال، ٨/٣٢).

[9] وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٥٦ فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٣٣و/سطر ١٦-٢٢.

[10] ع م – إن.

[11] ﴿إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك﴾ (سورة النساء، ٤/١٧٦).

[12] ع – ويقال أيضا هلك فلان أي مات.

قوله: **إلا نحن مهلكوها**، أي مميتوها قبل يوم القيامة، كقوله: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ،[١] وكقوله: كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ.[٢] **أو معذبوها**، أي[٣] منتقموها، **عذابا شديدا**. فعلى تأويله يصح على جميع القرى والمدن ليس [على] قرية دون قرية ولا مدينة دون مدينة ولكن على الكل، على ما أخبر من هلاك[٤] الكل بقوله: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ، وكُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ. ويحتمل ما ذكر من إهلاك القرية إهلاك[٥] الأهل من[٦] بعد إهلاكها،[٧] على ما فعل بكثير من القرى. وجائز أن يكون يُهلك[٨] الأهل ويبقى القرية على حالها، ثم تَهلِك بنفسها قبل يوم القيامة. *والله أعلم*. تأويل أبي بكر [الأصم]: يفعل ذا أو ذا، إما يميتهم موتا بآجالهم أو يعذبهم[٩] عذاب إهلاك. وقال الحسن: قوله:[١٠] **إلا نحن مهلكوها**، أي مميتوها، على ما قال أبو بكر. **أو معذبوها عذابا شديدا**، يقول: إذا قامت الساعة قبل يوم القيامة، كقوله: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ،[١١] الآية، وقوله: إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ،[١٢] الآية، فذلك كله قبل يوم القيامة. وهو يقول:[١٣] إن الساعة تقوم على شرار الناس. فيكون ما ذُكِر من التعذيب لأولئك الذين تقوم بهم الساعة على قوله. وقال[١٤] قتادة: هذا قضاء من الله كما تسمع[١٥] ليس منه بُدٌّ:[١٦] إما أن يهلكها بموت كقوله: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ،[١٧] وإما أن يهلكها بعذاب مستأصل إذا تركوا أمره[١٨] وكذبوا رسله.

---

[١] سورة الأنبياء، ٣٥/٢١.
[٢] سورة الرحمن، ٢٦/٥٥.
[٣] ع: أو.
[٤] ع م: إهلاك.
[٥] ن: وإهلاك.
[٦] جميع النسخ + إهلاك القرية.
[٧] جميع النسخ: إهلاكهم.
[٨] ن: بهلاك.
[٩] م: ويعذبهم.
[١٠] ن – قوله.
[١١] ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ (سورة الزمر، ٦٨/٣٩).
[١٢] ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ (سورة الحج، ١/٢٢).
[١٣] ك + إن.
[١٤] ع – وقال.
[١٥] م: تسمعه.
[١٦] م: بدا.
[١٧] سورة الأنبياء، ٣٥/٢١.
[١٨] ع: أمر.

وهو ما ذكرنا من الانتقام. وقال بعضهم: يميت القرية الصالحة[1] بآجالهم، وأما القرية الطالحة[2] فيأخذها بالعذاب الذي ذكر، فهو في القرون الماضية إن احتمل ذلك. ويشبه أن يكون قوله: **وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة**، وهو أن يهلك رؤساء[3] الكفرة[4] وقادَتَهم فيصير الدين كله دينا واحدا وهو الإسلام، على ما قال بعض أهل التأويل في قوله: أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا،[5] قالوا: هو أن يهلك أهل الكفر فيجعل ملك أهل الكفر لأهل الإسلام، فذلك نقصانها من أطرافها، لا يزال يَنقص أهل الكفر قرية فقرية / وبلدة فبلدة [٤٣٣ظ] حتى تصير الأرض كلها لأهل الإسلام. وهو ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «زُوِيَت لي الأرض فأُرِيت مشارقها ومغاربَها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي[6] لي منها.»[7] فذلك -والله أعلم- تأويل قوله: **وإن من قرية إلا نحن مهلكوها**، أي نهلك أهل الكفر. ويشبه أن يكون قوله: **وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا**، على ما أخبر أنه[8] يفني جميع من كان على وجه الأرض ويجعل الأرض مستوية لا بناء فيها ولا ارتفاع، حيث قال: كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ،[9] وقال: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ،[10] الآية، وقال: وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا،[11] الآية. أخبر أنه لا يبقى عليها أحد ولا بناء فيصير كلها قاعا صَفْصَفا لا[12] عِوَجَ فيها[13] ولا أَمْتا،[14] فذلك إهلاكها[15] وتعذيبها. *والله أعلم*.

---

[1] ع م – الصالحة.
[2] م: الظالمة؛ ع: الطامة.
[3] ك ن ع + أهل.
[4] ك: الكفر.
[5] سورة الأنبياء، ٢١/٤٤.
[6] ن: زو.
[7] انظر: صحيح *مسلم*، أشراط الساعة ١٩؛ وسنن *أبي داود*، الفتن ١؛ وسنن *الترمذي*، الفتن ١٤؛ وسنن *ابن ماجة* الفتن، ٩.
[8] جميع النسخ + كان.
[9] سورة الرحمن، ٥٥/٢٦.
[10] ﴿ويسألونك عن الجبال فقل يَنسِفُها ربي نسفا﴾ (سورة طه، ٢٠/١٠٥).
[11] ﴿فكانت هباءً منبثًّا﴾ (سورة الواقعة، ٥٦/٥-٦).
[12] ع + ترى.
[13] ع: فيها عوج.
[14] ك: أمت. يشير إلى قوله تعالى: ﴿فيذرها قاعا صَفْصَفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا﴾ (سورة طه، ٢٠/١٠٦-١٠٧).
[15] ع: أهلكها.

وقوله عز وجل: **كان ذلك في الكتاب مسطورا**، قال بعضهم: كان ذلك في الكتاب الذي عند الله وهو اللوح المحفوظ مكتوبا. وقال بعضهم: كان ذلك في جميع كتب الله التي أنزلها على رسله مكتوبا. أي ما من كتاب أنزله الله على رسله إلا وكان[1] فيه: كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ،[2] كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ[3] مسطورا. *والله أعلم*.[4]

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾[٥٩]

وقوله عز وجل: **وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون**، أخبر أنه ليس يمنعه من[5] إنزال الآيات[6] إلا تكذيب الأولين بها.

فإن قيل: فأي شيء فيما يكذّب الأولون بالآيات[7] ما يمنع إنزالها على هؤلاء؟

قيل: كأنه على الإضمار، أي ما منعنا أن نرسل بالآيات إلا عِلمنا بأن الآخِرين يكذبون بها كما كذب بها الأولون.

فإن قيل: عن هذا نسأل:[8] إن [كان] عِلْمُه بتكذيب الآخِرين كعلمه بتكذيب الأولين، ثم لم يمنع علمه بتكذيب الأولين[9] إياها إنزالها كيف منع علمه بتكذيب الآخرين ذلك؟ أوليس قد أرسل الرسول وأنزل الكتاب على علم منه[10] أنهم يكذبون الرسول والكتاب، ثم لم يمنع علمه بذلك إنزالَه الكتاب وإرساله الرسول، فكيف منع علمه بتكذيب الآيات منهم عن[11] إرسال الآيات ولم يمنع علمه بتكذيب الرسول والكتاب[12] على بعث الرسول وإنزال الكتاب؟

---

[1] ك ن: كان.
[2] سورة الرحمن، ٢٦/٥٥.
[3] سورة الأنبياء، ٣٥/٢١.
[4] ع م – والله أعلم.
[5] ك ن: عن.
[6] ع م – الآيات.
[7] ن – بالآيات.
[8] ن ع م: يسأل.
[9] ن– ثم لم يمنع علمه بتكذيب الأولين.
[10] ك: منهم.
[11] ع: على.
[12] ع م – والكتاب.

قيل: إنه قد مضى من سنته أنه إذا أنزل الآيات على أثر السؤال -أعني سؤال الآيات- فكذبوها أهلكهم، هكذا مضت سنته[1] في القرون الأولى. ثم قد سبق من وعده أن لا يهلك هذه الأمة إهلاك تعذيب واستئصال في الدنيا رحمةً منه وفضلا، على ما أخبر رسولَه حيث قال: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ،[2] فرحمته أَنْ منَّ عليهم بإبقائهم وإزالة العذاب عنهم في الدنيا واستئصالهم. فكأنه قال والله أعلم: وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا ما سبق مِن وعدنا ورحمتنا أنْ لا نهلك هذه الأمة إهلاك استئصال وتعذيب. فذلك الوعد والرحمة الذي ذكرنا مَنَعَنا عن إرسال الآيات على علم منا أنهم يكذبونها إذا أرسلناها إليهم. وقد مضت السنة منا على الإهلاك إذا أنزلنا الآيات[3] على أثر سؤالهم إياها ثم التكذيبِ من بعد. ثم قد سبق الوعد لهؤلاء أن لا يُهْلَكوا في الدنيا إهلاك تعذيب رحمةً منه لهم على ما أخبر أنه لم يرسله إلا رحمة للعالمين.

وأصله أن الله عز وجل قد أنزل الآيات والحجج على إثبات رسالة الرسل آياتٍ كافيةً وحججا تامة ما لم يقع لهم الحاجة إلى غيرها من الآيات والحجج،[4] فما سألوا من الآيات والحجج من بعدُ إنما سألوا سؤال تعنّت وتمرّد، لا سؤال استرشاد واستهداء. فإذا كان سؤالهم الآيات سؤال عناد وتعنت أُهلكوا إذا كذبوها ولم يُنْظَروا،[5] كقوله: وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ،[6] وقوله: مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ،[7] ونحوه. ألا ترى أن عيسى عليه السلام[8] سألوه أن يسأل ربه أن يُنْزل عليهم مائدة من السماء لتكون لهم آية منه، فسأله[9] فأخبر أنه ينزلها عليهم[10] ثم أخبر ما يفعل بهم إذا كفروا بعد ذلك، وهم كانوا يسألونه سؤال تعنت وتمرد فقال:

[1] م: سنة.
[2] سورة الأنبياء، ٢١/١٠٧.
[3] ع + على.
[4] ك – على إثبات رسالة الرسل آيات كافية وحججا تامة ما لم يقع لهم الحاجة إلى غيرها من الآيات والحجج.
[5] ك ن ع: ولم يناظروا.
[6] سورة الأنعام، ٦/٨.
[7] سورة الحجر، ١٥/٨.
[8] ك ن – عليه السلام؛ م: ع م.
[9] ن: فسأل.
[10] جميع النسخ: عليكم.

إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ.[١] الآية.[٢] هكذا كانت سنته فيمن سأل الآيات سؤال تعنت وعناد. وجائز أن يكون الذي منع عن إرسال الآيات على أثر السؤال وإهلاك هذه الأمة ما يكون من الإسلام من نسل هذه الأمة بعد سَبْيِهم وإبقاء التناسل إلى يوم القيامة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وآتينا ثمود الناقة مبصرة**، قيل: آية لرسالة صالح. وقال بعضهم: مُبْصَرة،[٣] أي معايَنة يعاينونها أنها آية من الله لهم حيث رأوها مخالفة لنُوقهم، وهو ما قال: هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً،[٤] **فظلموا بها**، أي كذبوا بها وجحدوها ثم عقروها بعد علمهم أنها آية من الله لهم حيث رأوها وعاينوها خلافا لنوقهم خارجة عن نُوق البشر. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وما نرسل بالآيات إلا تخويفا**، قال ابن عباس والحسن وغيرهما: الموت الذريع، أي السريع. وقال بعضهم:[٥] **وما نرسل بالآيات إلا تخويفا**، للناس، فإن لم يؤمنوا بها عذبوا في الدنيا. أو يقول: وما نرسل[٦] بالآيات مقرونة بالسؤال سؤالِ تعنت[٧] فكذبوها **إلا تخويفا**، للهلاك على ما ذكرنا من الآيات[٨] التي سألوها. أو أن يكون قوله: **وما نرسل بالآيات**، على أثر السؤال بها ثم التكذيب لها **إلا تخويفا**، لمن تأخر ممن سأل مثلها فكذب بها،[٩] أو كلام نحوه. ويحتمل الآيات التي ذكر كسوف الشمس والقمر وغيره، وما نرسل ذلك إلا تخويفا للناس. *والله أعلم*.

---

[١] ن ع م - فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين. ﴿إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن يُنزِل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين. قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين. قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين. قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعدُ منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين﴾ (سورة المائدة، ١١٢/٥-١١٥).

[٢] ن ع م + الآية.

[٣] *معجم القراءات القرآنية* لعبد العال سليم مكرم وأحمد مختار عمر، ١٤٢/٣.

[٤] ﴿ويا قوم هذه ناقة الله لكم آيةً فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسّوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب﴾ (سورة هود،١١/٦٤-٦٥).

[٥] ن - وقال بعضهم.

[٦] ع م: وما نزل.

[٧] ن ع م: التعنت.

[٨] ك: للآيات.

[٩] ع م - بها.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾[٦٠]

[٤٣٤و] وقوله عز وجل: / **وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس**، أي وقد قلنا لك إن ربك أحاط بالناس. الإحاطة بالشيء تكون[١] بالوجوه الثلاثة. أحدها بالغلبة والقدرة والسلطان، كقوله: وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ،[٢] أي أخذهم الهلاك والغلبة وقدر عليهم. والثاني الإحاطة العلم به، كقوله: وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا،[٣] أي عالما، وقوله: وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ،[٤] أي لا يعلمون. والثالث الإحاطة المعروفة بين الخلق من إحاطة بعضهم بعضا، فذلك لا يحتمل في الله سبحانه وتعالى، فهو علي الوجهين الأولين على إحاطة العلم بهم أو القدرة[٥] عليهم والغلبة. ثم قوله: **أحاط**،[٦] اختلف فيه.[٧] قال بعضهم: **أحاط**[٨] بأعمالهم بما لهم وما عليهم، وبما لا يصلح لهم وما يصلح، وهو ما ذكرنا في قوله: وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.[٩] وقال بعضهم: إنهم كانوا يمكرون برسول الله صلى الله عليه وسلم ويريدون إطفاء نوره ويمنعونه عن تبليغ الرسالة، كقوله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا،[١٠] الآية، فيقول: **إن ربك أحاط بالناس**، أي قد علم بمكرهم بك، على علم منه بمكرهم[١١] بك بعثك رسولا[١٢] إليهم وكلّفك على تبليغ الرسالة إليهم، لكنه وعد أن يعصمك منهم ويمنعك عنهم حتى تبلغ الرسالة، بقوله: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ،[١٣] وقوله: فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا،[١٤] الآية.

---

[١] ع م: يكون.

[٢] ﴿هو الذي يُسَيِّركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجَرَيْنَ بهم بريح طيّبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أُحيط بهم دَعَوُا الله مخلصين له الدين﴾ (سورة يونس، ٢٢/١٠).

[٣] سورة النساء، ٤/ ١٢٦.

[٤] ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ (سورة البقرة، ٢٥٥/٢).

[٥] ن: والقدرة.

[٦] ك ن ع – قوله أحاط.

[٧] ع – فيه.

[٨] ع: احاطة.

[٩] سورة الإسراء، ٥٥/١٧.

[١٠] ﴿وإذيمكر بك الذين كفروا لِيُثْبِتُوك أو يَقتلوك أو يُخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ (سورة الأنفال، ٣٠/٨).

[١١] ن م: بمكرهم.

[١٢] ع: رسول.

[١٣] سورة المائدة، ٦٧/٥.

[١٤] ﴿إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا﴾ (سورة الجن، ٢٧/٧٢).

كان عز وجل يبعث الرسل ويكلّفهم تبليغ الرسالة إليهم على علم منه بما يكون من قومهم من المنع والمكر برسله، لكنه عصمهم ومكّن لهم حتى بلّغوا الرسالة إليهم، فعلى ذلك قوله: **إن ربك أحاط بالناس** بالعلم أو بالقدرة[1] والغلبة عليهم. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس.** قال عامة أهل التأويل: إن الرؤيا التي أراها إياه لم تكن رؤيا المنام ولكن كانت [رؤيا] يَقَظة ورؤيا عين[2] معاينةٍ بالتي تنام لا بالذي[3] لا ينام منه؛ لأنه روي[4] عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «تنام عينايَ ولا ينام قلبي».[5] فإنما أراه من الرؤيا بالعين التي كانت تنام، لا رؤيا قلب وعلم. وقال[6] سعيد بن المسيب: هي رؤيا منام، روي أن نبي الله صلى الله عليه وسلم رأى قوما على منابر فسَاءه ذلك فذكر أنهم كانوا يُعْطَوْنَ مالا فذلك فتنة لهم.[7] وقال بعضهم: إنه أُرِيَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في المنام كأنه يدخل المسجد الحرام آمِنا، فأخبر بذلك أصحابه أنه رأى ذلك، فلما كان عام الحديبية وصُرِف عن البيت ارتاب[8] بعض الناس في رؤياه، فذلك فتنة للناس على ما أخبر. لكنه لم يبيّن له[9] متى يدخل فيه،[10] وقد وعد أنه يدخل فيه آمنا، وهو ما قال: لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ،[11] الآية.[12]

وقوله عز وجل: **إلا فتنةً للناس**، والفتنة المحنة الشديدة. فإن كان ذلك في الرؤيا التي رآها في مسير بيت المقدس وما أخبر من الآيات لا يتوهم مثل ذلك بتعليم بشر ولا بسحر،

---

[1] ع م: القدرة.
[2] ع م: غير.
[3] أي بالقلب والعلم.
[4] ن ع م: لا تدري.
[5] صحيح *البخاري*، التهجد ١٦، صلاة التراويح ٤؛ وصحيح *مسلم*، صلاة المسافرين ١٢٥؛ وسنن *أبي داود*، التطوع ٢٧.
[6] ع م: قال.
[7] انظر: *روح المعاني* للآلوسي، ١٥/١٠٧.
[8] ع: أرباب.
[9] ك: لنا.
[10] ن – فيه.
[11] ﴿لقد صدق اللهُ رسولَه الرؤيا بالحق لَتَدْخُلُنَّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون﴾ (سورة الفتح، ٤٨/ ٢٧).
[12] انظر: *تفسير القرطبي*، ١٠/٢٨٢.

فذلك الذي أخبرهم أنه رأى فتنة لهم ومحنة في التصديق[1] والتكذيب في الخبر الذي أخبر،[2] فإن كان على رؤيا منام فهو فتنة لهم[3] لما ذكرنا. **والله أعلم.**

وقوله عز وجل: **والشجرة الملعونة في القرآن**، أي كانت الشجرة الملعونة التي ذكرت[4] في القرآن[5] أيضا فتنةً لهم، كقوله: إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ،[6] الآية. ووجه فِتنَتِها لهم ما ذُكر في القصة أنهم قالوا: إن محمدا يقول: إن في النار شجرة،[7] والنار من طبعها أن تأكل الشجرة، فكيف يكون في النار الشجرة وهي تأكلها؟ ولكن لم يعرفوا أن شجر النار يكون من النار، وشرابهم من النار، وكذلك طعامهم من النار، فإذا كان من النار لم يأكلها النار. ومنهم من قال: الزقوم هو الزُّبْد والتَّمْر، فكيف يكون فيها ذلك؟[8] فيدّعون بذلك الكذب عليه فيما يخبرهم أن في النار شجرة. فتلك الشجرة أيضا كانت فتنة لهم ومحنة في تصديق رسول الله وتكذيبه.

وسميت[9] [الشجرة] ملعونة؛ قال بعضهم: إن العرب سمّت كل ضار مُؤذٍ ملعونا، فلذلك سُمِّيت شجرة الزقوم ملعونةً، إذ[10] كانت ضارة لأهلها مؤذية. وقال[11] الحسن: سميت ملعونة لما لُعِن أهلها بها فسميت باسم أهلها، وهو [ك]ما سمى النهار مُبصِرا،[12] والنهار لا يبصر ولكن يُبصَر به فسُمِّي باسمه، فعلى ذلك هذا. وأصل اللعن الطرد، فطرد منها كل خير ونفع فهي ملعونة، وكقوله: رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ،[13] أضاف الإضلال إلى الأصنام، والأصنام[14] لا صنع لها في ذلك، لكنّ كثيرا من الناس ضلّوا بهن فكأنها أضلّتهم،

---

[1] م: الصديق.
[2] ع م + من الآيات لا يتوهم مثل ذلك بتعليم بشر.
[3] ع م – لهم.
[4] ك – التي ذكرت.
[5] ك + ذكرت.
[6] سورة الصافات، ٣٧/٦٣-٦٤.
[7] ع: شجر.
[8] انظر حول الآراء كلها: *تفسير الطبري*، ١٥/١١٤-١١٥.
[9] جميع النسخ: وسمي.
[10] ع: إذا.
[11] ع م: قال.
[12] يشير إلى قوله تعالى: ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا﴾ (سورة يونس، ١٠/٦٧).
[13] ﴿رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٣٦).
[14] ع م – والأصنام.

وكقوله: وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا،[1] أي اغترّوا بها. وقوله: **في القرآن**، أي ذكرت في القرآن، وإلا الشجرة لا تكون في القرآن، وهو كما[2] ذكر من المصائب وغيرها، كقوله: مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ،[3] الآية، والمصائب لا تكون في الكتاب لكن ذكرت فيه.

ونخوفهم، بما ذكرنا. وقوله: **فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا**، وهو ما ذكرنا في قوله: مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا،[4] وقوله: وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ،[5] زادهم ما ذكر،[6] لأنهم نظروا[7] إليه بعين الاستخفاف والاستهزاء فزادهم ما ذكر. وأما أهل الإسلام فزادهم إيمانا وهدى لأنهم نظروا إليه بعين التعظيم والتبجيل.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَآئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾[٦١]

وقوله عز وجل: **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا**، قوله: **أأسجد**، أي لا أسجد، كقوله: لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ.[8] فدل / هذا أن [٤٣٤ظ] قوله: **أأسجد**، معناه، أي لا أسجد. ذكر في قصة إبليس ألفاظا مختلفة، مرة قال: يَا إِبْلِيسُ[9] مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ،[10] وقال في موضع:[11] مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ،[12] وفي موضع آخر: مَا مَنَعَكَ[13] أَلَّا تَسْجُدَ،[14] ونحوه. فجائز أن يكون ذكر هذا على اختلاف الأحوال، لا في حال واحدة، هذا من هذا.[15]

---

[1] ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا﴾ (سورة الأنعام، ٧٠/٦).
[2] جميع النسخ: ما.
[3] ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها﴾ (سورة الحديد، ٢٢/٥٧).
[4] ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا﴾ (سورة فاطر، ٤٢/٣٥).
[5] سورة التوبة، ١٢٥/٩.
[6] ع م – في قوله ما زادهم إلا نفورا وقوله وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم زادهم ما ذكر.
[7] ع – لأنهم نظروا.
[8] ﴿قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون﴾ (سورة الحجر، ٣٣/١٥).
[9] ع – يا إبليس.
[10] سورة الحجر، ٣٢/١٥.
[11] ك + آخر.
[12] ﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقتُ بيديّ أستكبرت أم كنت من العالين﴾ (سورة ص، ٧٥/٣٨).
[13] م – ما منعك.
[14] ﴿قال يا إبليس ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك﴾ (سورة الأعراف، ١٢/٧).
[15] ك – من هذا.

على ما ذكر في[1] قصة آدم من اختلاف الأحوال حيث قال مرة: مِنْ تُرَابٍ،[2] وقال مرة: مِنْ[3] طِينٍ،[4] ومرة: مِنْ صَلْصَالٍ،[5] ونحوه. وذلك إخبار عن أحوال تغيّرت فيها. وجائز أن يكون ذلك بغير هذا اللسان، فذَكَر ههنا بألفاظ مختلفة والزيادةِ والنقصانِ، لأن اختلاف الألفاظ لا يغير المعنى.

﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [٦٢]

وقوله عز وجل: **قال أرأيتك هذا الذي كرمت على**، قد أقرّ إبليس لعنه الله بالفضيلة لآدم والإكرام له؛ إما من جهة[6] الطاعة له،[7] أو النبوة[8] التي أعطاها الله، وإن ادّعى لنفسه الفضيلة عليه من جهة الخِلقة بأنه ناريّ وهو طينيّ[9] حيث قال: **أرأيتك هذا الذي كرمت علي**، أقرّ بالفضل له عليه والإكرام؛ إما لطاعتهم له[10] أو لما جعله رسولا إلى خلقه.

وقوله عز وجل: **لئن أخرتَنِ إلى يوم القيامة لَأَحتَنِكَنَّ ذريته إلا قليلا**، لا يحتمل أن يخاطب ربه ويقول: **لئن أخرتَنِ** إلى كذا[11] **لأحتنكن**، لأنه لِمَا يطلب[12] التأخير والبقاء إلى يوم القيامة طالبُ نعمةٍ منه ومنة[13] فيقولَ مقابلَ ما يطلب من النعمة: لئن أعطيتني ذلك لأعصينك؛ إنما يُذكَر مقابلَ طلب النعمة الطاعةُ له والشكر، على ما قال: وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ،[14] إنما يقابل بطلب[15] النعمة الطاعةَ له، وأما مقابلة المعصية فلا تعرف.

---

[1] ك: من.

[2] ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب﴾ (سورة الحج، ٢٢/٥).

[3] ع – تراب وقال مرة من.

[4] ﴿هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٢).

[5] ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون﴾ (سورة الحجر، ١٥/٢٦).

[6] ن ع م – جهة.

[7] ع م – له.

[8] م: والنبوة.

[9] يشير إلى قوله تعالى: ﴿قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٢).

[10] أي لطاعة الملائكة وسجدتهم لآدم.

[11] ك + كذا.

[12] م: بطلب.

[13] ن ع: ومنته.

[14] سورة التوبة، ٩/٧٥.

[15] ن: يطلب.

ثم يخرج قوله: **لئن[1] أخرتَنِ إلى يوم القيامة**، على وجهين. أحدهما على التأكيد، يقول: أي إنك وإن أخرتَنِ[2] إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته؛ أو على التمني منه[3] الأمرين جميعا: التأخير واحتناكَ ذريته وسؤاله إياهما.

*وفي قوله: **لئن أخرتَنِ إلي يوم القيامة**، دلالة نقض قول المعتزلة، لأن إبليس سأل[4] ربه التأخير [٤٣٥و س١٨ والإبقاء له إلى يوم القيامة وقد علم أنه إذا أعطاه[5] ذلك له يَفِي له ما وعد وأبقاه إلى ذلك الوقت. وهم لم يعرفوا ذلك، بل قالوا: إنه يجيء عبد فيقتله فيمنعه عن[6] وفاء ما وعد والإبقاءِ إلى الوقت الذي وقّت له، فهو أعرَف بربه منهم. وكذلك قال: رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي،[7] وهم يقولون: لم يُغْوِه، فهو أعرف به منهم.* ٤٣٥و س٢٢]

ثم اختلف في قوله: **لأحتنكن ذريته**، قال بعضهم: لأَحْتَوِيَنَّهم ولأحيطن[9] بهم. وقال بعضهم:[10] لَأُضِلَّنَّهُمْ على ما ذكر في آية أخرى: وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ،[11] وقال بعضهم: **لأحتنكن** لأستنزلنّ، وقيل: لأستولينّ. وقال القُتَبِي: **لأحتنكن**، أي لأستأصلنهم. ويقال: هو مِن حَنَك الدابةَ؛ يقال:[12] حنَك دابته يَحنُكها حَنكا، إذا شدَّ في[13] حَنَكها الأسفل حبلا يقودها به، وقال القُتَبِي: أي لأقودنهم[14] كيف شئتُ.[15]

ثم قوله: **لئن أخرتَنِ إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته**، كأنه سأل ربه التأخير على ما ذكر في آية أخرى حيث قال: رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ،[16] كأن اللعين لما سمع قوله:

---

[1] ع – لئن.
[2] ع – وإن أخرتني.
[3] ن + أو على التمني منه.
[4] ك – سال، صح هـ.
[5] ك: أعطا.
[6] ع م: على.
[7] سورة الحجر، ١٥/٣٩.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٣٥و/سطر ١٨-٢٢.
[9] ع: ولا أحيطن.
[10] ع م: بعض.
[11] ن – ولأمنينهم. ﴿ولأضلنهم ولأمنينهم وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذان الأنعام ولآمرنهم فَلَيُغَيِّرُنَّ خلق الله﴾ (سورة النساء، ٤/١١٩).
[12] ع م – يقال.
[13] ك: من.
[14] ن ع م: لا أقودنهم.
[15] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٥٨.
[16] سورة الحجر، ١٥/٣٦.

وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ،[1] علم[2] أنه لا تناله[3] الرحمة في الإيمان[4] به حيث ذكر اللعنة عليه إلى يوم الدين. واللعين هو المطرود عن رحمته، فعند ذلك سأل ربه النَّظِرَة إلى يوم الدين ليغوي[5] عباده،[6] وقد علم اللعين أن طاعة خلقه له لا تزيد في ملكه شيئا وعصيانهم لا ينقص في ملكه شيئا، لذلك قال: **لأحتنكن ذريته**، وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ،[7] وَلَأُضِلَّنَّهُمْ،[8] وما ذكر.

﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾[٦٣]

وقوله عز وجل: **قال اذهب فمن تبعك منهم**، مع إحساني إليهم وإنعامي عليهم، **فإن جهنم جزاءكم جزاء موفورا**. *وقوله عز وجل: **جزاؤكم جزاء موفورا**، قال القُتَبِي: **موفورا**، أي موفَّرا.[9] وقال غيره: وافرا.* [٤٣٥و س١٧ - ٤٣٥و س١٨]

﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾[٦٤]

وقوله عز وجل: **واستفزز من استطعت منهم بصوتك**. هذا يخرج على وجهين. أحدهما على التمكين[11] له[12] والإقدار على ما ذَكَر، أي مَكَّن[13] له ذلك وأَقْدر عليه لخذلانه إياه لَمّا عصى ربه وترك أمره لِما رأى أمره بالسجود لآدم جورا منه، حيث قال له: وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ،[14] مَكَّن له ذلك لتتم[15] له اللعنة والخذلان. والثاني قال ذلك له علي التوعّد والتهدد،

---

[1] سورة الحجر، ١٥/٣٥.
[2] ع م – علم.
[3] ن ع م: يناله.
[4] ع: إيمان.
[5] جميع النسخ: ليغوين.
[6] م: عبادة.
[7] ﴿قال ربِّ بما أغويتَني لأُزَيِّنَنَّ لهم في الأرض ولَأُغوِيَنَّهم أجمعين﴾ (سورة الحجر، ١٥/٣٩).
[8] سبقت الآية قريبا.
[9] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٥٨.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: رقة ٤٣٥و /سطر ١٧-١٨.
[11] م: على التمكن.
[12] م + ذلك.
[13] ع: أمكن.
[14] سورة الحجر، ١٥/٣٥.
[15] ن ع م: ليتم.

ألا ترى أنه ذكر هذا على أثر[١] وعيد، وهو قوله: فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا.[٢] فيخرج قوله: **وَاسْتَفْزِزْ**، على أثر ذلك مخرج الوعيد له ولمن تبعه وأجابه، كقوله: اِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ،[٣] هذا[٤] -وإن كان ظاهره أمرا- فهو وعيد، فعلى هذا قوله: **واستفزز من استطعت منهم**، فإن لك[٥] ولمن تبعك كذا. أو لما ذكرنا من التمكين له ذلك والإقدار على ذلك ليتم له الخذلان واللعن الذي لعنه. وإلا لا يجوز أن يكون الله يأمره بما ذكر، إذ يخرج الأمر بما ذكر مخرج السفه[٦] والأمر بالفحشاء، وقد أخبر أنه لا يأمر بالفحشاء والمنكر وإنما يأمر بالعدل، كقوله: إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ،[٧] وقوله:[٨] إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ.[٩] فلو حُمل هذا على الأمر لكان أمرا بالفحشاء والمنكر، فدل أنه يخرج على أحد الوجهين اللذين ذكرناهما. أو على الاستبعاد والإياس عن أن يملك أو يقدر عليهم بما ذكر إلا من اختار منهم اتباعه، وهو ما ذكر: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ،[١٠] الآية. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **واستفزز من استطعت**،[١١] قال القُتَبِي: أي استخِفَّ، والرَّجِل الرَّجَّالَة.[١٢] وقال أبو عَوْسَجَة: **واستفزز**، أي استخِفَّ، أي دعاه فأجابه وأمره فأطاعه.[١٣] وعلى هذا يخرج قوله: فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ،[١٤] أي[١٥] أمرهم فأطاعوه أو دعاهم فأجابوه.

---

[١] ع م: على أمر.
[٢] الآية السابقة.
[٣] سورة فصلت، ٤١/٤٠.
[٤] م: لهذا.
[٥] م: ذلك.
[٦] جميع النسخ: سفه.
[٧] سورة الأعراف، ٧/٢٨.
[٨] م - إن الله لا يأمر بالفحشاء وقوله.
[٩] سورة النحل، ١٦/٩٠.
[١٠] ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾ (سورة الحجر، ١٥/٤٢).
[١١] ك ن- من استطعت؛ ع - واستفزز من استطعت.
[١٢] م: والرجالة. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٥٨. اسْتَفَزَّه الخوفُ أي استخفه. وفي التنزيل العزيز: ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك﴾؛ قال الفراء: أي استخف بصوتك ودعائك (*لسان العرب*، «فزز»).
[١٣] ن - فأطاعه.
[١٤] سورة الزخرف، ٤٣/٥٤.
[١٥] ك ن: أو.

وقوله عز وجل: **بصوتك**، يحتمل وجوها ثلاثة. أحدها على حقيقة الصوت، [حيث] يكون له صوت[1] يدعو[2] الناس به فيسمع ذلك الصوت النفس الخفيّة[3] التي تكون في هذه النفس الظاهرة الكثيفة ولا يسمعه النفس الظاهرة، على ما تَخْطر[4] أشياءُ بالقلب من غير أن يعلم به الإنسان أنه من أين جاء ومن أين هَيّجانه وعَلامَ[5] / يقذف؛ ويوسوس أشياء في القلوب من غير أن يعلم ذلك ويطّلع عليه. فعلى ذلك يجوز أن يكون له صوت يدعو الناس به وإن كنا لا نسمعه، لكنه يُسمع[6] النفس الخفيةَ[7] بما يُسمع[8] النفس الظاهرة وبما تبصر،[9] أعني النفس[10] الخفية. ألا ترى أن النائم يرى أشياء ويكون في أقصى الدنيا ونفسه الظاهرة ملقاة ههنا، فذلك كله بالنفس الخفية. [٤٣٥و]

والثاني على التمثيل ليس على التحقيق[11] تحقيقِ الصوت. لكن ذَكَر الصوت لما بالصوت يوصل[12] إلى إعلام بعضهم بعضا، وبه يدعو بعضهم بعضا عند البعد. فَذَكر[13] الصوت له مكان الوسوسة التي يوسوس الناسَ أشياءَ[14] من بُعد ويدعوهم به إلى معاصي الله. وكذلك قال الحسن في قوله: فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ،[15] من بعد من غير أن كان هنالك تقرّب منه.

والثالث على إضافة عمل كل عاص من نحو الغِناء والمزامير وغيره. أو ما يضاف عمل كل[16] طاغ وكل ضال إليه أضيف ذلك إليه، على ما أضاف إليه[17] موسى حيث قال:

---

[1] ع – يكون له صوت.
[2] ع م: يدعوه.
[3] ع: الحقيقة.
[4] جميع النسخ: يخطر.
[5] جميع النسخ: وعلى ما.
[6] ك ن: تسمع.
[7] ع: الحقيقة.
[8] ك: تسمع.
[9] م: نبصر.
[10] جميع النسخ: بالنفس.
[11] م – التحقيق.
[12] ع م: يرسل.
[13] ك: فذلك.
[14] ن – أشياء.
[15] ﴿فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدُلُّك على شجرة الْخُلْد وملك لا يَبلَى﴾ (سورة طه، ١٢٠/٢٠).
[16] ن + وكل.
[17] ع م: كما أضاف.

هٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ،[١] وقوله: وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ [أَنْ أَذْكُرَهُ]،[٢] و لم يكن ذلك عمل الشيطان حقيقة ولكن قال ذلك وأضافه[٣] إليه لما بأمره ودعائه يعمل ذلك. وقال عامة أهل التأويل: **بصوتك**، أي بدعائك.

وقوله عز وجل: **وَأَجْلِبْ عليهم بِخَيْلك وَرَجِلِكَ**، قال بعضهم: **أجلب**، أي اجمعهم. ويقال: أجْلبتهم،[٤] أي أعَنتهم أيضا، وهو قول أبي عَوْسَجَة. وقوله: **بخيلك ورجلك**، يخرج على[٥] الوجوه الثلاثة التي ذكرنا. أحدها أن يكون له خيل ورَجَالة من جنسه وجوهره يُجلِبهم بهم وإن كنا لا نراهم، كما قال: إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ،[٦] الآية.[٧] فجائز أن يكون له خيل ورَجَالة وجنود لا نراهم نحن وهم يرَونَنا. والثاني على ما ذكرنا أنه على التمثيل، لكنه ذكر الخيل والرَّجِل لما بالخيل والمشي يصل بعض إلى بعض عند الحاجة إليه في البعد والقرب، فذكر ذلك له على ما ذكرنا في الصوت. والثالث أنه أضاف كل خيل راكب في معصية الله وكل ماشٍ في معصية الله إليه على ما ذكرنا في الصوت أنه أضاف كل[٨] صوت في معصية الله[٩] إليه. *والله أعلم*.[١٠]

وقوله عز وجل: **وشاركهم في الأموال والأولاد**، قال[١١] بعض أهل التأويل: مشاركته في الأموال هي أن يجعلوا له[١٢] البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي على ما كانوا يفعلونه.[١٣]

---

[١] ﴿ودخل المدينة على حين غفلةٍ من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين﴾ (سورة القصص، ١٥/٢٨).

[٢] سورة الكهف، ٦٣/١٨.

[٣] ع: واضافته.

[٤] جميع النسخ: وأجلبتهم.

[٥] ك + وجهين.

[٦] ن ع م – من حيث لا ترونهم. سورة الأعراف، ٢٧/٧.

[٧] ك – الآية.

[٨] ن – خيل راكب في معصية الله وكل ماش في معصية الله إليه على ما ذكرنا في الصوت أنه أضاف كل.

[٩] ن: في معصيته.

[١٠] وقع هنا مقطعان من تفسير الآيتين السابقتين برقم ٦٣ ورقم ٦٢ فقدمناهما إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٣٥و/سطر ١٧-١٨ و ورقة ٤٣٥و/سطر ١٨-٢٢.

[١١] ع: وقال.

[١٢] جميع النسخ: يجعلوه.

[١٣] يشير إلى قوله تعالى: ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾ (سورة المائدة، ١٠٣/٥).

وأما الأولاد فإنهم هَوّدوهم ونَصّروهم ومَجّسوهم وهو قول قتادة. وقال بعضهم: مشاركته[1] في الأموال هي أن يكتسبوها من خبث[2] وحرام وينفقونها في مثله وفيما لا يحل. وأما الأولاد[3] هم ما وُلِدوا من الزنى. وقال بعضهم: الأموال ما[4] كانوا يذبحون لآلهتهم ويجعلون لها من الحرث والأنعام،[5] والاولادُ ما وُلدوا[6] من الزنى. وجائز أن يكون هذا صلة ما تقدم من قوله: **واستَفْزِزْ مَن استطعتَ منهم بصوتك وأَجْلِب عليهم بخيلك ورَجِلِك**، إلى آخر ما ذكر، حتى يشاركهم[7] في الأموال والأولاد.

ثم معنى المشاركة له فيما ذَكَر[8] -والله أعلم- هو أن هذه الأموال والأولاد لله تعالى حقيقةً لما هو أنشأها وخلقها، فحقيقة الملك له بما ذكرنا، وظاهر[9] الانتفاع لعبيده.[10] إذ هذا كله لله بحق المحنة يمتحنهم، وحقُّ الانتفاع لهم، إذ لا يجوز أن يخلق الله شيئا لمنفعة نفسه ولكن يخلق لمنافع أنفسهم ليمتحنهم بها. وقد شرع الله لهم شرائع وشرع لهم إبليس شرائع وهو ما ذكر: أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ.[11] فإذا صرفوا ذلك إلى ما شرع لهم إبليس دون ما شرع الله فقد أشركوه فيها. وكل ما أطيع فيه[12] مما سَنّ لهم إبليس وشَرع لهم فذلك شركته فيها. وذلك[13] أن الأولاد في الشاهد[14] إنما تُطلَب لأحد الوجوه الثلاثة: إما للاستئناس بهم في حال الوحشة، وإما للاستنصار بهم والعون على أعدائهم،

---

[1] ك ن: مشاركتهم.
[2] ك ن: خبيث.
[3] ن – فإنهم هودوهم ونصروهم ومجسوهم وهو قول قتادة وقال بعضهم مشاركتهم في الأموال هي أن يكتسبوها من خبث وحرام وينفقونها في مثله وفيما لا يحل وأما الأولاد.
[4] ع: وما.
[5] لعل المؤلف يشير إلى قوله تعالى: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزَعْمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٣٦).
[6] ع: والاولاد وما ولدوا؛ م: والاولا ما ولدوا.
[7] م: تشاركهم.
[8] ن ع م: ذكروا.
[9] ن: ذكر فظاهر.
[10] ع م: لعبده.
[11] سورة الشورى، ٤٢/٢١.
[12] ع م: فيها.
[13] ن + والله أعلم.
[14] ع: الأول وفي الشاهد.

وإما للذِّكر بعد الوفاة. وكذلك الأموال يطلب منها ما ذكرنا [إما] الانتفاع بها في حال الحياة، وإما للمعونة على الأعداء أو الذكر بعد الموت لخيرات يتركونها. فإذا صرفوها إلى ما أمرهم إبليس أشركوه فيها. ومشاركته إياهم[1] في الأموال هو[2] أن يأمرهم ويدعوهم إلى اكتساب ما يحرم والإنفاقِ فيما لا يحل. وفي الأولاد كذلك[3] يأمرهم بالمعصية ويدعوهم إليه فيطيعونه ويجيبونه في ذلك، فذلك -والله أعلم- مشاركته.

وقوله عز وجل: **وَعِدْهم**، قال عامة أهل التأويل: أي عدهم[4] أن لا جنة ولا نار ولا بعثَ، لكن يعدهم بخلاف ما وعدهم الله / ويخوّفهم[5] على ضد ما خوفهم الله. ما كان من الله لهم[6] [٤٣٥ظ] وعدَ رجاء يكون منه وعيدا،[7] وما كان من الله وعد خوف[8] يكون منه وعدَ رجاءٍ، وهو ما قال: إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ.[9] أخبر أن ما وعد هو قد أخلف، فذلك تأويل قوله: **وما يعد هم الشيطان إلا غرورا**، أي كذِبا وباطلا، لأنه يخرج كله على خلاف ما وعد.

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾[٦٥]

وقوله عز وجل: **إن عبادي ليس لك عليهم سلطان**، يحتمل قوله: **سلطان**، وجوها ثلاثة. أحدها القدرة والقهر، والثاني[10] الحجة والبرهان، والثالث الولاية. فأما القدرة والقهر فليس له عليهم ذلك، لأنه لم يجعل له قدرة القهر عليهم شاءوا أو أبَوا. وكذلك ليس له عليهم الحجةُ فيما يدعوهم إليه ويأمرهم به، كقوله يوم القيامة حين يقول: وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِنْ سُلْطَانٍ،[11] الآية. وأما السلطان [بمعنى] الولاية[12] فإن له ذلك على من اختار اتّباعه وتولّيه،

---

[1] جميع النسخ: إياه.
[2] ن + هما؛ ك ع م + حق.
[3] ك ع م: وكذلك.
[4] ن ع م: وعدهم.
[5] جميع النسخ: وخوفهم.
[6] م - لهم.
[7] جميع النسخ: وعيد.
[8] ك: وعيد وخوف.
[9] سورة إبراهيم، ٢٢/١٤.
[10] ن: الثاني؛ م + في.
[11] سورة إبراهيم، ٢٢/١٤.
[12] م - وأما السلطان الولاية.

كقوله: إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ،[1] وقوله: إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ،[2] الذين أخلصوا له[3] ليس له[4] عليهم سلطان. يحتمل قوله: **سلطان**، أي حجة لأنهم إنما يتّبعون أمر الله بحججه فلا يتبعوا الشيطان بأَمَانِيِّه التي يُمَنِّيهم، وبشُبُهاته[5] التي يشبّه عليهم. أو أن يكون قوله: **ليس لك عليهم سلطان**، أي سلطان القهر والغلبة، إنما له عليهم الدعاء والتزيين، لا غير. أو أن يكون قوله: **إن عبادي ليس لك عليهم سلطان**، من الحجة والملك على ما ذكرنا، إنما سلطانه عليهم سلطانُ الولاية على الذين يتولّونه.

وقوله عز وجل: **وكفى بربك وكيلا**، يحتمل **وكيلا**، عاصما يعصمك عن تمويهاته وتسويلاته، وناصرا ينصرك على مكائده، أو مَفْزَعا تفزع إليه، أو معتمَدا[6] تعتمد عليه في جميع أمورك. ***والله أعلم.***

﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[٦٦]

وقوله عز وجل: **ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر**، **يزجي** يُجري ويسيّر ويسوق الفلك في البحر. قال الحسن: أي سخر الفلك والسفن[7] لنا في البحر والدوابَّ في البَرّ لنقطع بها البحار والمفاوز والبراريَ، لنصل بذلك إلى حوائجنا التي جعلت لنا في البلدان النائية[8] والأمكنة البعيدة. وكذلك قال في قوله تعالى: [هُوَ الَّذِي] يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ،[9] أي سخّر لنا ذلك. ونحن نقول: كذلك[10] سخر لنا ما ذكر، إلا أن إضافة ذلك إليه على قولنا: هو أن خلق سيرنا وجَرْينا[11] في البر والبحر،[12] على قولنا: إن أفعالنا مخلوقة له.[13]

---

[1] ﴿إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾ (سورة النحل، ١٦/١٠٠).

[2] ﴿قال ربِ بما أغويتَني لأُزَيّنَنَّ لهم في الأرض ولأُغوينّهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلَصين﴾ (سورة الحجر، ١٥/٣٩-٤٠). جميع النسخ: إلا عباد الله المخلصين. لكن هذه الآية لا تتعلق بإغواء الشيطان.

[3] ك ن: لي؛ ع م: إلي.

[4] جميع النسخ: لك.

[5] ك ن ع: وشبهاته.

[6] ن: ومعتمدا.

[7] ع م: أو السفن.

[8] ك ع: النابية.

[9] سورة يونس، ١٠/٢٢.

[10] ع: وكذلك.

[11] جميع النسخ: وجريتنا.

[12] ع م + أي سخر لنا ذلك ونحن نقول كذلك سخر لنا ما ذكر إلا أن إضافة ذلك إليه.

[13] ك: لنا.

ثم يذكر فيه قدرته[1] وسلطانه وعلمه حيث خلق الخشب وجعل فيها معنى تَقِرّ على وجه الماء مع ثِقَله، ومن طبع الشيء الثقيل التسرُّب في الماء والتسفُّل فيه. ولا نفهم المعنى الذي به تقرّ على وجه الماء[2] وإن كان دون ذلك في الثقل يتسفّل فيه ويتسرّب. أو جعل ذلك بطبعه بحيث[3] يقرّ على وجه الماء ولا يَسرُب فيه لطفا منه. فمن قدر على إنشاء ما[4] يقرّ[5] على وجه الماء لمعنى جَعل فيه لا نعقله نحن أو بلطفه لَقادرٌ على إنشاء هذا الخلق وإعادته بعد فنائه وذهابه، وإن كانت عقول الخلائق لا تدرك ذلك وأفهام البشر تعجز عن دركه. فكما قدر على إنشاء ما هو طبعه التسرب في الماء والتسفُّل فيه بحيث يَقِرّ ويَركُد على الماء يقدر[6] على ما ذكرنا. وحيث قدر على تسكين الأمواج في البحر ليَعبُرَ[7] فيها وخلق رِياحا فيها لتجري بها[8] السفن كما تجري بالماء الجاري، فمن قدر على هذا يقدر[9] على ما ذكرنا من الإحياء بعد الفناء. وفيه ما ذكرنا من تذكير نعمه لنا لنشكره، وتذكيرِ قدرته وسلطانه لنَهاب[10] منه ولا نُنكر[11] قدرته وسلطانه في شيء من الأشياء، على ما أنكر قدرتَه بعض خلقه لقصور عقولهم عن دَرْك ذلك.

وفيه وجوه من الدلالة. أحدها تعليم الأسباب التي بها يتوصل إلى قَطْع البحار والبراري من اتّخاذ السفن والحمل عليها وغير ذلك. والثاني تسخير البحار والبراري لنا ما لو لا ذلك ما تهيّأ لنا استعمال ذلك. والثالث دلالة الرسالة، إذ لولا خبر السماء ما نعرف[12] أن ما يُحتاج إليه هو في تلك البلدان النائية[13] والأمكنة البعيدة،[14] وما نعلم[15] أن ذلك الطريق يُفضي إلى تلك الأمكنة إلا بخبر الرسول عن الله تعالى.

---

[1] ن – قدرته.
[2] ن + لمعنى جعل فيه لا نعقله نحن أو بلطفه.
[3] ك: حيث.
[4] ن – ما.
[5] ع م: يقرر.
[6] ك ن: لقدر؛ ع: لقد.
[7] ع: ليعتبر.
[8] ع م – بها.
[9] ك: لقدر؛ ن ع: القدر.
[10] ن ع: لتهاب.
[11] ع: تنكر.
[12] جميع النسخ: وإلا ما يعرف؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٤و.
[13] ن ع: التائية.
[14] ك ن ع – البعيدة.
[15] جميع النسخ: يعلم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٤و.

وقوله عز وجل: **إنه كان بكم رحيما**، قال بعضهم: أي من رحمته أن جعل لكم الفلك والدواب لتصلوا بها إلى أرزاقكم التي جعل لكم[1] في البلاد النائية البعيدة. وقال بعضهم: إنه لم يزل بكم رحيما إذا تبتم ورجعتم عن ذلك. أو كانت الآية في المؤمنين، فهو لم يزل بهم رحيما. وإن كانت في الأرزاق ففيهم[2] جميعا.

فإن قالت الثنوية: إنكم تصفون ربكم بالرحمة والرأفة وهو يُميتكم ويقتلكم ويحمل عليكم الشدائد وَالْمُؤَنَ العظام، فذلك ليس من صفة الرحيم.

قيل: إنا قد ذكرنا لكم في غير موضع جواب السؤال أن المرء رحيم على نفسه وله الرحمة والشفقة عليها، ثم مع ذلك يحمل على نفسه الشدائد والمؤن العظام لما يأمُل من النفع في العاقبة، من نحو الحجامة والافتصاد[3] وشرب الأدوية الكريهة ما لولا ما يأمل من النفع في العاقبة ما تحمّل ذلك. وكذلك الوالدان، فيهما من الرحمة والرأفة لولدهما ما لا يخفى ذلك على أحد، ثم يحملان على ولدهما ما ذكرنا[4] من الشدائد والمؤن العظام لما يأملون من النفع لهم في العاقبة. ثم لا يمنع ذلك من الوصف[5] بالرحمة والرأفة.[6] فعلى ذلك الله سبحانه تعالى لا يمنع ما يحمل علينا من الشدائد عن أن يوصف بالرحمة، ولا يُخرجه ذلك عن الحكمة،[7] بل هو على ما قال: وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.[8]

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾[٦٧]

[٤٣٦ر] وقوله / عز وجل: **وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه**، أي بطل ما كانوا[9] يأملون من عبادتهم[10] الأصنام إلا العبادة التي كانت لله، فإنه لا يَبطل ما يؤمل[11] من عبادتهم إياه؛

---

[1] ع م – جعل لكم.
[2] جميع النسخ: فيهم.
[3] ع: والاقتصاد. الفصدُ: شَقُّ العِرقِ؛ فَصدَه يَفصِدُه فَصْدًا وفِصادًا. وافْتَصَدَ فلانٌ إذا قطعَ عرقَه فَفَصَد، وقد فَصَدَتْ وافْتَصَدَتْ (*لسان العرب*، «فصد»).
[4] ك ن: ذكر.
[5] ك: عن الوصف.
[6] م + لولدهما.
[7] ن: من الحكمة.
[8] سورة يوسف، ١٢/ ٦٤.
[9] ن + ما.
[10] ع م: عن عبادتهم.
[11] جميع النسخ: فإنه لم يبطل ما لم يؤمل.

لأنهم كانوا يعبدون الأصنام والأوثان ويقولون: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ.[١] وَمَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى.[٢] فأخبر عز وجل عن سفههم لعبادتهم الأصنام وعجزهم عما يأملون منها في الآخرة حيث لم يملكوا دفع شيء مما مسّهم وكشف ما أصابهم في الدنيا، فكيف يأملون ذلك في الآخرة.[٣] أو أن يكون: **ضل من تدعون إلا إياه**، أي ضل الآلهة التي عبدوها من[٤] دون الله إلا الإله[٥] الحق المستحق للعبادة، فإنه أعانكم ونجاكم من الهلاك.

وقوله عز وجل: **فلما نجاكم إلى البر أعرضتم**، هكذا كانت عادتهم أنهم إذا خافوا الهلاك على أنفسهم أخلصوا الدعاء لله، كقوله: فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ،[٦] الآية. وكقوله: وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا [أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ][٧] [فَلَمَّا] نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ.[٨] ويحتمل قوله: **فلما نجاكم إلى البر أعرضتم**، عن وفاء ما عهدتم وإنجاز ما وعدتم، لأنهم قالوا: لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ،[٩] فأعرضوا عن هذا الوعد[١٠] ولم يوفوا ذلك.

وقوله عز وجل: **وكان الإنسان كفورا**، لنعم ربه. يذكر سفههم من وجهين. أحدهما عبادتهم مَن يعلمون أنه لا يُنعم عليهم في حال الرخاء ولا يدفع عنهم البلاء في حال الشدة. والثاني أن في الشاهد من أنعم على آخر نعمة وأحسن إليه يشكر[١١] له ويثني عليه. وإذا حلّ به بلاء وشدة من أحد من الخلائق يدعو عليه ويلعنه، فمعاملة أولئك الكفرة مع الله على خلاف

---

[١] سورة يونس، ١٠/١٨.
[٢] سورة الزمر، ٣٩/٣.
[٣] ن - حيث لم يملكوا دفع شيء مما مسهم وكشف ما أصابهم في الدنيا فكيف يأملون ذلك في الآخرة.
[٤] ن ع م - من.
[٥] ن ع م: إله.
[٦] ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٦٥).
[٧] سورة يونس، ١٠/٢٢-٢٣.
[٨] ك + ونحوه. ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٦٥).
[٩] ن + ويحتمل قوله فلما نجاكم إلى البر أعرضتم عن وفاء ما عهدتم وإنجاز ما وعدتم لأنهم قالوا لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين.
[١٠] ع: والوعد.
[١١] ع: بشكر.

معاملة الخلق بعضهم بعضا. يخلصون له الدعاء في حال الشدة والبلاء، ويكفرون نعمه في حال الرخاء. *والله أعلم*.

﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾[٦٨]

وقوله عز وجل: **أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر**، على ما خَسَف قوما في البر، **أو يرسل عليكم حاصبا**، على ما أرسل على قوم من الحصباء،[١] وهي الحصى فأهلكهم. **ثم لا تجدوا لكم وكيلا**، ناصرا ينصركم أو معتمَدا تعتمدون[٢] عليه.

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾[٦٩]

وقوله عز وجل: **أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى**، أي يحوجكم إلى ركوب البحر مرة أخرى، **فيغرقكم بما كفرتم**. أو يذكر هذا أن من قدر على إنشاء ما ذكر من الفلك وإجرائها في البحر وتسكين أمواجه ودفع أهواله عنكم لقادر على إهلاككم في[٣] البر أو إعادتكم[٤] في البحر ثانيا وإغراقكم فيه.

وفي قوله: **أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى**، وقوله:[٥] يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ،[٦] وقوله: [هُوَ الَّذِي] يُسَيِّرُكُمْ فِي[٧] الْبَرِّ وَالْبَحْرِ،[٨] دلالة أن لله[٩] في فعل العباد صنعا، لأنهم هم الذين يسيرون في البر وهم الذين يُجرون الفلك فيه. ثم أضاف الإجراء إلى نفسه وكذلك السير ليُعلم أن له فيه صنعا وفعلا.

وقوله عز وجل: **ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا**. قال: تبيعا، أي من يَتْبعنا بدمائكم ويطالبنا بها. وقال أبو عَوْسَجَة: التبيع الكفيل، ويقال: المتقاضي في موضع. وقال غيره هو من التَّبِعة،

---

[١] م: الخصباء.
[٢] ع م: يعتمدون.
[٣] ك + البحر.
[٤] ع م: وإعادتكم.
[٥] ع م – أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى وقوله.
[٦] سورة الإسراء، ٦٦/١٧.
[٧] ع م – وقوله يسيركم في.
[٨] ع م – والبحر. سورة يونس، ٢٢/١٠.
[٩] ن – لله.

أي **لا تجدوا لكم علينا به**[1] تَبِعَةً وهو ما ذكرنا. وقال القُتَبِي: "الحاصب الريح سميت بذلك لأنها تَحصب، أي ترمي بالحصباء وهي الحَصى الصغار. والقاصف الريح الشديدة التي تقصف الشجر، أي تكسرها."[2] وكذلك قال أبو عَوْسَجَة: القاصف الشديدة من الرياح.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[٧٠]

وقوله عز وجل: **ولقد كرمنا بني آدم**، كرَمهم بأن خلقهم[3] في أحسن صورة، كقوله: وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ،[4] وقومهم في أحسن تقويم وأحسنِ قامةٍ، كقوله: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ.[5] وكرَمهم بأن ركّب فيهم العقول التي بها يعرفون الكرامات من الهوان ويعرفون بها المحاسن من المساوي، والحكمة من السفه، والخير من الشر. وكرمهم بأن جعل لهم لسانا يتكلمون به[6] الحكمة وكل خير، وبه[7] يتوصلون إلى درك الحكمة وجمعها. وكرَمهم بأن جعل أرزاقهم أطيب الأرزاق وجعل لغيرهم ما خبث[8] منها وما فَضَل منهم. وكرمهم بأن خلق جميع ما على وجه الأرض لهم، كقوله: [هُوَ الَّذِي] خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا.[9] وكرَمهم بأن سخر لهم جميع الخلائق، كقوله:[10] وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ،[11] وجعل بني آدم هم المقصودون بخلق جميع الخلائق ونحوه. وكرمهم حيث جعلهم بحيث يتهيأ لهم استعمال السماء والأرض واستعمال الشمس والقمر واستعمال البحار والبراري وجميعِ الصِعاب والشدائد في حوائجهم ومنافعهم ما لا يتهيأ[12] لغيرهم من الخلائق ذلك. فذلك تفضيلهم.

---

[1] ك + تبيعا.
[2] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٥٩.
[3] ن: خلق.
[4] سورة المؤمن، ٦٤/٤٠).
[5] سورة التين، ٤/٩٥.
[6] جميع النسخ: بها.
[7] جميع النسخ: بها.
[8] ع: حيث.
[9] سورة البقرة، ٢٩/٢.
[10] ع م – كقوله.
[11] سورة الجاثية، ١٣/٤٥.
[12] ن + لهم.

وجائز أن يكون كرّم بني آدم لأنه كرم آدم، وكرّم آدم[1] لأنه أسجد ملائكته له وبعثه[2] رسولا إليهم حيث قال: أَنْبِئْهُمْ[3] بِأَسْمَائِهِمْ.[4] فلما كرم آدم صار بنوه مكرمين أيضا. ولهذا نقول بأن الأب يصير مشتوما[5] بشتم ابنه.

وما قال أهل التأويل: إن فضل بني آدم على غيرهم من الحيوان والدواب حين أكلوا وشربوا هم بأيديهم وسائر الدواب يأكلون بأفواههم. هذا الذي ذكروا هو من التفضيل إلا أن ذكره له خاصة ليس فيه كبير[6] حكمة وفضل، لكن فضّلهم وكرّمهم بما ذكرنا من وجوه الكرامات. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وحملنا هم في البر والبحر**، هذا تفسير ما ذكر من تكريم بني آدم وتفضيله إياهم. ثم يحتمل هذا وجهين. أحدهما أن جعل / لهم البر والبحر مسخَّرَين حتى يصلوا إلى ما في باطن[7] البحر[8] وظاهره من أنواع المال والمنافع. وكذلك البرُّ سخِر لهم حتى يصلوا إلى ما في باطنه من الأموال والمنافع وظاهره. والثاني أن جعلهم[9] بحيث يقضون حوائجهم التي كانت لهم من وراء البحر ووراء البر ما[10] لم يجعل[11] لغيرهم من الخلائق قضاءَ الحوائج من ورائهما، وذلك معنى تفضيلهم الذي ذكر. ثم ما ذكر على أثر قوله: **كرمنا بني آدم**، وهو[12] تفسير[13] تفضيله وإكرامه حيث قال: **وحملنا هم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات**. وجائز أن يكون ما ذكر من تكريم بني آدم وتفضيله إياهم هو ما جعل فيهم من الأنبياء والرسل والأتقياء والأخيار[14] منهم ما لم يجعل ذلك من غيرهم. ألا ترى أن موسى قال: يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ،[15] الآية.

[٤٣٦ظ]

---

[1] م – وكرم آدم.
[2] م: وبعث.
[3] م – أنبئهم.
[4] سورة البقرة، ٢/٣٣.
[5] م: مشتوتا.
[6] ن ع م: كثير.
[7] ن: في بطن.
[8] ك: إلى باطن ما في البحر.
[9] ع: يجعلهم.
[10] ع: لما.
[11] جميع النسخ + ذلك.
[12] ك: هو.
[13] ن + قوله.
[14] ن م: والأحبار.
[15] ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين﴾ (سورة المائدة، ٥/٢٠).

وقوله: **ورزقناهم من الطيبات،**[1] هو ما ذكرنا أن جعل أرزاقهم وغذاءهم ما بلغ في الطيِّب غايته -ولا كذلك غذاء غيرهم من الدوابّ ورزقهم، لأنهم لا يأكلون إلا بعد أن يستخرجوا منه ما فيه من أذى وخبث وخشونة من النُّخالة وغيرها- وفي الطبخ والنضج حتى يبلغ في الطيب واللين[2] غايته. وأما غيره من الدوابّ فإنما يأكلون كما هو نِيًّا[3] غير مطبوخ ولا نضِج،[4] مع ما فيه[5] من الخبث والأذى.

وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا. أما بعض أهل التأويل فإنه قال: **فضلناهم على كثير ممن خلقنا،**[6] على الجن والشياطين وأصحابهم، غير الملائكة. وقال بعضهم: **على كثير ممن خلقنا،** من الحيوان والدواب، **تفضيلا،** بالأكل بالأيدي وجعلِ رزقهم من غير رزق الدوابّ. ويحتمل: **على كثير ممن خلقنا،** ممن على وجه الأرض من الجن وغيرهم لِما لم يُرسَل إلى الجن رسول منهم ولا أنزِل عليهم كتاب على حِدَة، وما جعل أرزاقهم مما يفضل من البشر من العظام والسِّرْقِين[7] وغيره على ما ذكر، فذلك وجه تفضيلهم عليهم.

وأما الكلام في تفضيل البشر على الملائكة والملائكة على البشر، فإنا لا نتكلم في شيء من ذلك، لِما[8] لا نعلم ذلك، وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة. فالأمر فيه إلى الله: في تفضيل هؤلاء على هؤلاء، وهؤلاء على هؤلاء، ليس إلينا من ذلك شيء. ولا جائز أن يُجمَع بين أَشَرِّ البشر وأفسَقِهم وبين الملائكة الذين لم يعصوا الله طرفةَ عين فيقالَ: هم[9] أفضل من الملائكة. ولكن إن كان لابد فإنما يُجمَع بين الأنبياء والرسل وأتقى الخلائق وبين الملائكة، فيتكلم حينئذ بتفضيل بعض على بعض. فهو ما ذكرنا [من] أن الأمر في ذلك إلى الله، ليس إلينا من ذلك شيء. *والله أعلم.*

---

[1] ع - وجائز أن يكون ما ذكر من تكريم بني آدم وتفضيله إياهم هو ما جعل فيهم من الأنبياء والرسل والأتقياء والأخيار منهم ما لم يجعل ذلك من غيرهم ألا ترى أن موسى قال يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم الآية وقوله ورزقناهم من الطيبات.

[2] ك ع: واللبن.

[3] النِّيء والنِّيّ: اللحم الذي لم يَنضَج. قال الجوهري: النِّيّ: الشحم (*لسان العرب*، «نوى» و «نيأ»).

[4] ك ن م: نضيج.

[5] جميع النسخ: وفيه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٤ظ.

[6] ن + على كثير ممن خلقنا.

[7] السِّرْقِين والسَّرقين: ما تُدَمَّلُ به الأرضُ، السَّرقين معرب، ويقال سِرْجين [الزِّبْل] (*لسان العرب*، «سرقن»).

[8] م - لما.

[9] ع: لهم.

﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾[٧١]

وقوله عز وجل: **يوم ندعو كل أناس بإمامهم**. قال الحسن: هذا صلة قوله: يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ،[١] فيقولون:[٢] أيُّ يومٍ؟ فيقول: **يوم ندعو كل أناس بإمامهم**. ثم اختلف في قوله: **بإمامهم**، قال بعضهم: **ندعو بإمامهم**، أي بدينهم الذي دانُوا به وذبُّوا عنه، ويُدعَى كلٌّ بدينه الذي دانَ به وذبَّ عنه. وقال بعضهم: **بإمامهم**، أي برؤسائهم وأئمتهم الذين أضلُّوهم، أي يُدعَى الأتْباع بأئمتهم ورؤسائهم الذين أضلُّوهم[٣] حتى يلوم بعضهم على بعض ويلعن بعضهم على بعض[٤] ويتبرّأ[٥] بعضهم من بعض، كقوله إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا،[٦] الآية، وقوله: وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا،[٧] وقوله: يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ،[٨] يُدْعَى الأتباعُ بالمتبوعين. وقال بعضهم: يدعى كل أناس بداعيهم الذي دعاهم؛ إن كان رسولا فبالرسول، وإن كان شيطانا فبالشيطان، وهو قريب مما ذكرنا. وقال بعضهم: **بإمامهم**، كتابِهم الذي كتبت[٩] الملائكة أعمالهم فيه. وقال بعضهم: يدعى[١٠] بكتابهم الذي أنزل عليهم. يدعى كل بما ذُكر ليعلموا أن الحجة قد قامت عليهم ووجب[١١] لهم العذاب باتباعهم ما اتبعوا بلا حجة ولا برهان.

وحاصل أقاويل هؤلاء يرجع[١٢] إلى وجوه ثلاثة. أحدها **يوم ندعو** إمام كل أناس كان أمامَهم في خير أو شر فيُجزَى له جزاءه ثم يكلَّف هو دعاء أتْباعه إلى ما أعدّ[١٣] لهم من الثواب والعقاب.

---

[١] سورة الإسراء، ٥٢/١٧.
[٢] جميع النسخ: فيقول؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٤ظ.
[٣] ع – أي يدعى الأتباع بأئمتهم ورؤسائهم الذين أضلوهم.
[٤] ن – ويلعن بعضهم على بعض.
[٥] ع: ويتبراء.
[٦] ﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب﴾ (سورة البقرة، ١٦٦/٢).
[٧] ﴿وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مَوَدَّةَ بَيْنِكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا﴾ (سورة العنكبوت، ٢٥/٢٩).
[٨] ﴿وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾ (سورة سبأ، ٣١/٣٤).
[٩] م: كتب.
[١٠] ع – يدعى.
[١١] ع م: ووجبت.
[١٢] ن ع م: ترجع.
[١٣] م: أوعد.

والثاني يدعَى كل إمام ورئيس في خير وشر بأتباعه الذين يتبعونه فيما يدعوهم إليه نحو كل رسول يدعَى بقومه الذين اتّبعوه، وكل رئيس وشيطان استتبعهم. والثالث **بإمامهم** بكتابهم[١] الذي كتب لأعمالهم التي[٢] فعلوا،[٣] كقوله:[٤] وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا،[٥] ونحوه.

وقوله عز وجل: **فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم**، كلهم قد يقرءون[٦] كتابهم، غير أن المؤمن إذا نظر في الكتاب فرِح به واستبشر بما فيه فسهُل عليه القراءة[٧] وهان لما كان يتّبع حجج الله. وأما الكافر إذا نظر في الكتاب حزِن واغتمّ به[٨] فعسُر عليه قراءة كتابه، وهو كقوله: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ،[٩] الآية، ويقول الكافر: يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ،[١٠] الآية، لأنه اتّبع ما اتّبع بلا حجة. أو أن يكون المؤمن إذا نظر في كتابه رأى سيئاته مغفورة، كقوله: أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ،[١١] فرِح بذلك، والكافر رأى سيئاته باقية عليه وحسناتُه قد بطَلت حزِن بذلك واغتمّ،[١٢] / لذلك قال ما قال. *والله أعلم*. [٤٣٧و]

﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[٧٢]

وقوله عز وجل: **ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا**، قال بعضهم: من كان في هذه الدنيا أعمى عن توحيد الله والإيمان به، مع كثرة آياته ودلالته على وحدانيته فهو عن الآيات بالآخرة والبعث بعد الموت أعمى. وقال بعضهم: **من كان في هذه** الدنيا **أعمى** عن[١٣] الحق،

---

[١] جميع النسخ: إمامهم كبابهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٥و.
[٢] ع م: الذي.
[٣] ك ن م + كتبوا؛ ع + كتبوا له؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٥و.
[٤] ع – كقوله.
[٥] سورة الإسراء، ١٣/١٧.
[٦] ك م: يقرون.
[٧] ع: القران.
[٨] ك – به.
[٩] سورة الحاقة، ١٩/٦٩-٢٠.
[١٠] ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه﴾ (سورة الحاقة، ٢٥/٦٩-٢٦).
[١١] ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وَعْدَ الصِّدْق الذي كانوا يوعدون﴾ (سورة الأحقاف، ١٦/٤٦).
[١٢] جميع النسخ: واهتم.
[١٣] ك ن – توحيد الله والإيمان به مع كثرة آياته ودلالته على وحدانيته فهو عن الآيات بالآخرة والبعث بعد الموت أعمى وقال بعضهم من كان في هذه الدنيا أعمى عن.

فهو في الآخرة أعمى عن[1] حججه، لأنه إذا عمِي عن الحق نفسه[2] فهو عن حججه أعمى،[3] فتكون[4] "في" بمعنى "عن"، إذ الآيات والدلالات على وحدانية الله أكثر[5] وأظهر من الدلالة على البعث والآخرة. إذ ليس شيء إلا وفيه أثر وحدانيته[6] ودلالة ألوهيته، ولا كذلك الآخرة، فهو عن الإيمان بها أشد عَمًى.[7] وقال بعضهم: من عمِي في هذه الدنيا عن الإيمان بالله فهو في الآخرة أعمى عن الإيمان به، لأن الدنيا مما يُقبَل فيها الإيمان، وفي الآخرة لا يقبل، وهو ما قال: وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ، أي حيل بينهم وبين ما يشتهون من الإيمان به، كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ،[8] أي كما حِيل بين أشياعهم وبين الإيمان به عند معاينة بأس الله وعذابه، وهو قول الحسن. وقال أبو بكر [الأصم] قريبا من هذا، وهو أن من عمِي عن الرشد والحق في هذه الدنيا لجهله به فهو في الآخرة عن[9] علمه بالرشد والحق أشد عمًى، أو كلام نحو هذا. وقال بعضهم: من عمِي قلبه في الدنيا عن الإيمان بالله والتوحيد له فهو في الآخرة يكون أعمى الوجه والحواس، كقوله: [قَالَ رَبِّ لِمَ] حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا،[10] وكقوله: وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا،[11] الآية. [يحشرون على][12] ما ذكر ذاهبةً حواسُّهم منهم لما تركوا الانتفاع بها في الدنيا لما جعلت لهم الحواس.

ويشبه أن يكون قوله: **ومن كان في هذه أعمى** بالافتراء على الله **فهو**[13] **في الآخرة أعمى**، أي مفترٍ على الله أيضا، كقوله: ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ،[14] ونحوه،

---

[1] ع – الحق فهو في الآخرة أعمى عن.
[2] ع: الخلق بنفسه.
[3] ك ن + وقال بعضهم من كان في هذه الدنيا أعمى عن توحيد الله والإيمان به مع كثرة آياته ودلالته على وحدانية فهو عن الآيات بالآخرة والبعث بعد الموت أعمى.
[4] ك ن: فيكون.
[5] ن – أكثر.
[6] م: وحدانية.
[7] ع: أعمى.
[8] ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فُعِل بأشياعهم من قبلُ إنهم كانوا في شك مريب﴾ (سورة سبأ، ٥٤/٣٤).
[9] جميع النسخ: عند.
[10] سورة طه، ١٢٥/٢٠.
[11] سورة الإسراء، ٩٧/١٧.
[12] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٥٥و.
[13] م – فهو.
[14] سورة الأنعام، ٢٣/٦.

يفترون في الآخرة ويَكْذِبون كما كَذَبوا في الدنيا، وكقوله: أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ.[١] ثم أخبر عنهم فقال:[٢] وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ.[٣] وقال قتادة: **ومن كان في هذه أعمى**، يقول: ومن كان في الدنيا فيما أراه الله من آياته من خلق السماوات والأرض والجبال والنجوم [أعمى] **فهو في الآخرة** الغائبة عنه التي لم يرَها **أعمى وأضل سبيلا**، وهو قريب مما ذكرنا. وقال ابن عباس رضي الله عنه:[٤] **ومن كان في هذه** النعم **أعمى** [عن] أن يعلم أنها من الله، **فهو في الآخرة أعمى** عن حجته.[٥] ويقال: [**ومن كان في هذه** الدنيا **أعمى**] عن دين الله، [**فهو في الآخرة أعمى**] **وأضل** [**سبيلا**][٦] طريقا. ويقال: ضل[٧] عن حجته. وقال غيره من أهل التأويل: **ومن كان في هذه** النعم **أعمى**، يعني الكافر، عمِي عنها وهو يعاينها فلا يعرف أنها من الله[٨] فيشكر ربها **فهو في الآخرة أعمى**. يقول: [فهو] عما غاب عنه من أمر الآخرة من البعث والجزاء أعمى **وأضل سبيلا** وأخطأ طريقا. وبعضه قريب من بعض. ***والله أعلم***.

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾[٧٣]

وقوله عز وجل: **وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك**، دل هذا على[٩] أنه قد كان من الكفرة شيء من الدعاء[١٠] إلى شيء يصير به مفتونا لو أجابهم إلى ذلك. وكذلك كانت عادة الكفرة كادوا أن يُضلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم[١١] ويفتنوه عن الذي أوحي إليه ويصرفوه عنه، كقوله:[١٢] ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ.[١٣] هكذا كانت عادتهم،

---

[١] ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل﴾ (سورة الأعراف، ٧/٥٣).
[٢] م: فقالوا.
[٣] سورة الأنعام، ٦/٢٨.
[٤] ك ن – رضي الله عنه.
[٥] انظر: *تفسير الطبري*، ١٥/١٢٨؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ١٥/١٢٤.
[٦] الزيادات من *الشرح*، ورقة ٤٥٥و.
[٧] ك ن: أضل.
[٨] ن: ممن الله.
[٩] جميع النسخ: دل على هذا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٥و.
[١٠] ن + شيء من الدعاء.
[١١] ك ن – صلى الله عليه وسلم.
[١٢] جميع النسخ: كقولهم.
[١٣] ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله﴾ (سورة يونس، ١٠/١٥).

كانوا يطلبون منه الافتراء على الله والضلال على وجه المكر به، لا ضلالَ تصريحٍ وكفرَ تصريحٍ،[1] ولكن معنًى يؤدي ذلك إلى الضلال والكفر، ويريدون[2] منه المساعدة لهم في بعض ما هم فيه بما كانوا يرونه من الموافقة له والمساعدة. لكن الله عصم رسوله عن جميع ما كانوا يطلبون منه بالآيات التي ذكر في كتابه وبالعقول، كقوله: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ [3] الآية. أخبر أنهم لا يؤمنون حتى لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضى، ومن لم يكن معصوما يجوز أن يوجد منه حرج مما قضى به. وكقوله: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،[4] ومن لم يكن معصوما يجوز أن يُؤذَى ولا يلحقه اللعنة؛ وقوله: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ،[5] الآية، فمن لم يكن معصوما يجوز أن يكون الخيرة من أمره؛ وقوله: وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ،[6] وأمثاله مما يكثر عدُّها. وكذلك العقول تشهد أنه كان معصوما. فمن أراد أن[7] يصرف ويزيل عنه العصمة بتأويل يتأوّله في بعض الآيات أو بحديث يرويه فإنا لا نقبل تأويلَه ولا خبره الذي يروي، ونشهد أنه كَذِب. ويجوز أن يكون في خبره الذي روي معنى آخر سواه، فليس له أن يروي إلا بالمعنى الذي كان فيه. فتأويل أهل التأويل أنه ألقى عليه الشيطان ولقّنه عند تلاوته: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ،[8] تِلْكَ الْغَرَانِيقُ العُلَى وَشَفَاعَتُهُنَّ تُرْتَجَى.[9] وقال بعضهم: لا نَدَعُك تستلم الحجر إلا أن تستلم آلهتنا ونحوه،[10] إن ذلك كله فاسد خيال؛ إنه كان لا يحوم حول[11] أصنامهم في حال صغره، ولا رأوه دنا منها حتى لم يطمَعوا ذلك منه ما دام صغيرا، فكيف طمَعوا ذلك الاستلام لها بعد ما أُوحِي إليه وصار رسولا؟

---

[1] ن – وكفر تصريح.

[2] م: يريدون.

[3] ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلّموا تسليما﴾ (سورة النساء، ٦٥/٤).

[4] سورة الأحزاب، ٥٧/٣٣.

[5] ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الْخِيَرَةُ من أمرهم﴾ (سورة الأحزاب، ٣٦/٣٣).

[6] سورة الأنفال، ١/٨.

[7] ك – أن.

[8] سورة النجم، ١٩/٥٣–٢٠.

[9] انظر: تفسير الآية من سورة الحج، ٥٢/٢٢. وانظر: *تفسير الطبري*، ١٨٧/١٧، ١٨٨؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ١٧٦/١٧.

[10] انظر: *تفسير القرطبي*، ٢٩٩/١٠.

[11] ن ع م: حوم.

وكذلك ما ذكروا أنهم طلبوا منه أن يطرد بعض الذين اتبعوه عنه ليكونوا هم[1] أتْباعه فَهَمّ أن يفعل ذلك فنزل: **وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك**، لكن ذلك كله فاسد خيال لا يحتمل ما توهموا فيه، لأنهم لم يعرفوه حقَّ معرفته، وإلا لو عرفوه / حقيقة المعرفة [٤٣٧ظ] ما توهموا فيه شيئا من ذلك. *وبالله التوفيق والمعونة*.[2]

ثم قوله: **لَيَفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره**، قد ذكرنا أن عادتهم ذلك، إلا أن الله عصمه عن ذلك.

﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾[٧٤]

ثم قوله: **ولولا أن ثبتناك لقد كِدتَ تركَن إليهم شيئا قليلا**، فظاهر الآية تَرُدّ جميع ما قال أهل التأويل في هذه الآية، لأنه يقول: **ولولا أن ثبتناك لقد كدت تَرْكَن إليهم**، أخبر أنه قد[3] ثبّته فلم يركن، لأنه أخبر أنه قد ثبّته فلم يَكَدْ أنْ يَركَن إليهم. وقال: **شيئا قليلا**، سَمَّي ذلك شيئا يسيرا، ولو كان ما قال أولئك لكان شيئا كبيرا عظيما، بل يبلغ الكفر، دل أنه لم يكن ما ذكروا.

وقال: **لقد كدت تركن**، و"كاد" هو حرف المقاربة،[4] أي قارَب[5] أن يركن، كقوله: تَكَادُ السَّمَوَاتُ،[6] أي تقرُب[7] أن يَتَفَطَّرْنَ.[8] وليس فيه أنه ركن إليهم. فقولهم فاسد للوجوه التي ذكرنا أنه ذكر:[9] **شيئا قليلا**، وما قالوا كبير عظيم يُخاف أن يبلغ الكفر. والثاني قال: **كدتَ** وهو حرف تقارُب. والثالث ذكر على الشرط: **ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا**، فلم يركن لما ثبّته، وهو ما قال إبراهيم: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ،[10] وما ذكرنا في قصة يوسف: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ.[11] ليس فيه أنه همّ، ولا فيه أنه ركن، لأنه خرج على الشرط.

---

[1] م: ليكونوهم.
[2] ك ن: المعونة والتوفيق.
[3] جميع النسخ: وقد.
[4] جميع النسخ: قارب؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٥ظ.
[5] ع – أي قارب.
[6] ﴿تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخِرّ الجبال هَدًا﴾ (سورة مريم، ٩٠/١٩).
[7] جميع النسخ: قارب؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٥ظ.
[8] ك ن ع: ينفطرن.
[9] ع م – أنه ذكر.
[10] سورة الأنبياء، ٦٣/٢١.
[11] سورة يوسف، ١٢/ ٢٤.

وقال الحسن في قوله: **لقد كدت تركن إليهم**، أي هممْتَ،[1] لكنه همَّ به همَّ[2] خطَرٍ أخطره[3] إبليس. وكذلك قال في قصة يوسف: هَمَّتْ بِهِ هَمَّ عَزمٍ، وَهَمَّ بِهَا همَ خطرٍ. وقال غيره أرادوا منه أن يجعل لهم مجلسا على حِدَةٍ ليُسلموا، فهمّ[4] أن يفعل ذلك لحرصه على إسلامهم وإشفاقا عليهم. فمثل هذا يجوز فعله[5] إلا أن الرسل لا يجوز لهم أن يفعلوا شيئا وإن صغر إلا بإذن من الله. ألا ترى أن يونس لما خرج من عند قومه مغاضبا عليهم بغير إذن منه[6] عاتبه ربه بذلك معاتبة عظيمة حيث قال: فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ.[7] ومثل هذا لو فعله غيره من دونهم كان ممدوحا محمودا في ذلك. فهذا يدل أن الأنبياء لم يكن لهم صنع شيء -وإن قل- إلا بأذن من الله. *والله أعلم*.

﴿إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾[٧٥]

وقوله عز وجل: **إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات**، أي ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات. وقال أبو عَوْسَجَة: **ضعف الحياة**، أي مثل الحياة. وغيره قال: **ضعف الحياة** عذاب الدنيا، **وضعف الممات** عذاب الآخرة. وقوله عز وجل: **ثم لا تجد لك علينا نصيرا**، قيل: مانعا، وقيل: ناصرا ينصرك وشافعا يشفعك إلينا. *والله أعلم*.

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٧٦]

وقوله: **وإن كادوا لَيَستَفِزُّونَكَ من الأرض لِيخرجوك منها**، قال الحسن: قوله: **ليستفزونك**، أي كادوا لَيقتلونك ولَيخرجوك منها بالقتل، وقد كانوا همُّوا قتله لكن الله عصمه عن ذلك، بقوله: وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ.[8]

[1] م ع: همت.
[2] ع - هم.
[3] ن ع م: خطره.
[4] ع م + به.
[5] جميع النسخ: الفعل.
[6] ك: من ربه.
[7] سورة الصافات، ٣٧/١٤٣-١٤٤.
[8] سورة المائدة، ٥/٦٧.

وقوله: **وإذًا لا يلبثون خلافك إلا قليلا**، هكذا كانت[1] سنة الله في الأمم الخالية أنهم إذا قتلوا نبيهم لم يلبثوا[2] بعده إلا قليلا حتى أُهلكوا. وقال بعضهم: هو على الإخراج نفسه إلا أن الله عز وجل: أخرجه إخراج هجرة إلى المدينة لما سبق من رحمته وفضله أن لا يهلك هذه الأمة إهلاك استئصال. فلو كانوا هم أخرجوه لاستوجبوا به الإهلاك لما كان من سنته في الأولين إهلاكُهم إذا أخرجوا رسولهم من بينهم. وقال بعضهم: على حقيقة الإخراج منهم، أخرجوا رسول الله من بينهم وفعلوا ذلك فلم يلبثوا بعده إلا قليلا حتى أهلكهم الله بالقتل يوم بدر وغيره، وهو ما قال: وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ.[3] ففيه دلالة أنهم أخرجوه وأنهم أُهلكوا بذلك. وكذلك كانت سنة الله في الرسل إذا فعل بهم قومهم مثل ذلك.

وقال أهل التأويل في قوله: **وإن كادوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ**، أي يستنزلونك من أرض المدينة حيث نزل بالمدينة. قالت له اليهود: إن هذه الأرض ليست بأرض الأنبياء والرسل، إنما أرض الأنبياء والرسل [هي] أرض الشام، فإن كنت نبيا رسولا فاخرج إليها. فخرج الرسول عليه السلام[4] متوجها إلى الشام فعسكر على رأس أميال كذا[5] لينتاب[6] إليه أصحابه، فنزل به جبريل بهذه الآية.[7] لكن ذكرنا أن هذا وأمثاله لا يحتمل، لأنه لا يجوز أن يخرج رسول الله[8] من أرض المدينة إلى أرض الشام بقول[9] أولئك اليهود من غير أن كان من الله إذن له في ذلك، هذا لا يحتمل ولا يتوهم منه ذلك، والوجه فيه ما ذكرنا. *والله أعلم*. ويشبه أن يكون قوله: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ،[10] أي كادوا أن يفتنوك بالمكر والكيد والخديعة لك لِيستفزونك من الأرض، لا أنهم كانوا يطمعون فيه[11] أن يفتنوه ويضلوه عن الذي أوحى إليه على التصريح والإفصاح، ولكن على جهة المكر به والخديعة. *والله أعلم*.[12]

---

[1] جميع النسخ: كان.
[2] م – لم يلبثوا.
[3] سورة محمد، ١٣/٤٧.
[4] ع: عليه الصلاة والسلام.
[5] ع م – كذا.
[6] انتابَ الرجلُ القومَ انْتيابًا إذا قصَدَهم وأتاهم مَرَّةً بعد مَرَّة، وهو يَنتابُهم (*لسان العرب*، «نوب»).
[7] انظر: *تفسير الطبري*، ١٣٢/١٥؛ و*تفسير القرطبي*، ٣٠١/١٠؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ١٣٠/١٥.
[8] ك ن + صلى الله عليه وسلم.
[9] ك: يقول.
[10] سورة الإسراء، ٧٣/١٧.
[11] ع م – فيه.
[12] ك ن + بذلك.

﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾[٧٧]

وقوله عز وجل: **سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا**، على قول الحسن: السنة في الأمم الذين قبله أنهم إذا قتلوا الرسول أهلكوا أو عذبوا.[١] وعلى قول بعضهم: السنة فيهم أنهم إذا أخرجوا الرسول من بينهم على علم[٢] منه أنهم لا يؤمنون بعده [هي] الإهلاك. وعلى قول بعضهم على الإخراج نفسه. وهؤلاء قد[٣] أخرجوا رسولهم من بينهم، بقوله: إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ،[٤] الآية، وقوله: وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ [فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ]،[٥] لكنهم عُذِّبوا تعذيبَ رحمةٍ وإهلاك رحمة لا إهلاك استئصال. وقوله عز وجل: / **ولا تجد لسنتنا تحويلا**، أي لعذابنا تحويلا. [٤٣٨و]

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[٧٨]

وقوله عز وجل: **أقم الصلاة**، يحتمل الأمر بإقامة الصلاة الأمرَ بالدوام عليها واللزوم بها، أي اِلزم بها وأدِمْها. أو اسم[٦] التمام والكمال، أي أتِمَّها وأكمِلها بالشرائط التي أُمِرت بها. ويحتمل قوله: **أقم**، فِعْلَهَا. و لم يفهم من قوله: **أقم الصلاة** الانتصابُ على ما يُنْصَب الشيء ويقام به، فدل أنه لا يفهم من الخطاب ظاهره.

وقوله عز وجل: **لدلوك الشمس**، اختلف فيه، قال بعضهم: دلوك الشمس زوالها، **إلى غسق الليل**، أي إلى ظلمة الليل، **وقرآنَ الفجر**، أي صلاة الفجر. فيقول الناس: في هذه الآية بيان أوقات الصلوات[٧] الخمس جميعا، لأنه ذكر أول ما يجب من الصلوات[٨] وهي الظهر إلى ما ينتهي وهي الفجر. فعلى هذا التأويل "إلى" لا تكون غاية ولكن تكون كأنه قال:

---

[١] ن ع م: وعذبوا.

[٢] ك + منهم.

[٣] م: وقد.

[٤] ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾ (سورة التوبة، ٩/٤٠).

[٥] سبقت قريبا.

[٦] ع: واسم.

[٧] ن: الصلاة.

[٨] ن: الصلاة.

أقم الصلاة لدلوك الشمس وغسق الليل.[١] *والله أعلم.*[٢] ومنهم من يقول: فيه ذكر صلوات النهار، لأنه ذكر دلوك الشمس وهو زوالها، **إلى غسق الليل**، وغسق الليل هو بدء[٣] ظلمة الليل فيدخل فيه الظهر والعصر. فعلى تأويل هذا يكون حرف "إلى" غاية لا يدخل صلاة الليل فيه.

ثم تخصيص الخطاب[٤] لرسول الله صلى الله عليه وسلم والأمر له بإقامة الصلاة يكون كأنه قال: أقم لهم الصلاة. فإن كان هذا ففيه دلالة صحة صلاة[٥] القوم بصلاة الإمام وتعلق صلاتهم بصلاة الإمام حيث قال: أقم لهم الصلاة. ولو كان كل أحد يقيم صلاة نفسه لكان لا يقول: أقم لهم الصلاة، ولكن يقول: صل الصلاة. فدل أنه على ما ذكرنا.

ثم قوله: **لدلوك الشمس**، يحتمل وجهين. أحدهما: **أقم الصلاة**، للذي تَدْلُكُ[٦] له الشمس، أي تسجد،[٧] كقوله: يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ،[٨] الآية. والثاني: **أقم الصلاة**، للوقت[٩] الذي يتلو[١٠] دلوك الشمس[١١] [إلى غسق الليل، وأقم قرآن الفجر، أي صلاة الفجر][١٢] وأقم قراءة الصلاة.[١٣] ثم تخصيص الفجر لما ذَكَر حيث قال: **إن قرآن الفجر كان مشهودا**، التخصيص لقرآن الفجر لأنه مشهود، والفرضية بها بقوله: أقم قراءة الصلاة على ما ذكرنا. ثم قوله: **إن قرآن الفجر كان مشهودا**، أي لم يزل في علم الله، **كان مشهودا**، أو صار مشهودا.

---

[١] م – وغسق الليل.

[٢] م + وقوله لدلوك الشمس اختلف فيه قال بعضهم دلوك الشمس زوالها إلى غسق الليل أي إلى ظلمة الليل.

[٣] ك ن: بدو؛ ع م: بدؤ.

[٤] ن: الكتاب.

[٥] م – صلاة.

[٦] ن ع م: يدلك.

[٧] عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم لأبي ذرّ حين غربَت الشمس: «تَدْرِي أين تَذهَب»، قلت: اللهُ ورسولُه أعلمُ. قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستَأْذِنَ فيُؤْذَنَ لَهَا، وَيُوشِكُ أَنْ تسجد فلا يُقْبَلَ منها، وتَسْتَأْذِنَ فلا يُؤْذَنَ لَهَا، يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ. فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فذلك قولُه تعالى: (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم)». *صحيح البخاري*، بدأ الخلق ٤؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٢٥٠، ٢٥١؛ و*سنن الترمذي*، صفة القيامة ١٥.

[٨] ﴿أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمآئل سُجّدا لله وهم داخرون﴾ (سورة النحل، ٤٨/١٦.

[٩] ك ن ع: لوقت.

[١٠] ن: يتلوه.

[١١] جميع النسخ + الصلاة.

[١٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٥٦و.

[١٣] ع م – وأقم قراءة الصلاة.

ثم قال: **وقرآن الفجر**، وهي صلاة[1] الفجر. وإنما ذكر صلوات[2] النهار فدخل صلوات الليل بقوله: وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ.[3] لكنهم يقولون: إن التهجد بعد النوم، وقد يكره النوم قبل فعل[4] المغرب والعشاء، فلا يصح هذا. ومنهم من يقول: دلوك الشمس غروبها، وهو قول عبد الله بن مسعود وغيره.[5] وقال بعضهم: فيه ذكر صلوات الليل لأنه ذَكَر بدء[6] ظلمة الليل، وذلك بالغروب،[7] **وقرآن الفجر**،[8] هو آخر ما ينتهي ظلمة الليل، لأنه يبقى ظلمة الليل إلى وقت الفراغ من الفجر.

وقوله: **وقرآن الفجر**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما القرآن يكون كناية عن صلاة الفجر، كأنه قال: أقِم[9] الصلاة لدلوك الشمس وأقم أيضا صلاة الفجر لأنه نَسَق على الأول. ويحتمل قوله: **وقرآن الفجر**، أي قراءة الفجر، أي أقم قراءة الفجر. ويجوز أن يقال القرآن مكان القراءة، كقوله: فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ،[10] أي قراءته. ثم من الناس من احتج بفرضيّة القراءة في الصلاة بهذا لأنه نسق على الأول على ما ذكرنا،[11] كأنه قال:[12] أقم القراءة.[13] ومنهم من يقول إنما حَثّ على قراءة الفجر دون غيرها من الصلوات[14] لما طَوّل [النبي عليه السلام] القراءة فيها لتقصيرها عن الأربع، لأنه[15] لم يَجعل غيرها من الصلوات[16] ركعتين، فحث على قراءتها لهذا. *والله أعلم*.

---

[1] م: وصلاة.
[2] ك: صلاة.
[3] الآية التالية.
[4] ع: صل.
[5] انظر: *تفسير الطبري*، ١٥/١٣٤، ١٣٩.
[6] ك: بدأ؛ ع م: بدؤ.
[7] ك: بالمغرب.
[8] م + إذ.
[9] م: اقرأ.
[10] سورة القيامة، ٧٥/١٨.
[11] ك: ذكرناه.
[12] ع م – قال.
[13] ن: القرآن.
[14] ع: صلوات.
[15] ن + قال.
[16] ع: الصلاة.

وقوله عز وجل: **إن قرآن الفجر كان مشهودا**، قال عامة أهل التأويل: تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار،[١] أي حَرَسُ الليل وحرس النهار. وعلى ذلك رويت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة.[٢] وقوله: **إن قرآن الفجر كان مشهودا**، أي قراءة الفجر تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار. على هذا حمله أهل التأويل وعلى ذلك رويت الأخبار. وإلا جاز أن يقال فيه بوجه[٣] آخر وهو أن تشهده القلوب والسمع والعقول، لأن ذلك الوقت هو وقت الفراغ[٤] عن جميع الأشغال والموانع التي تَشْغَل[٥] الاستماع والفهم عنه ما لا يكون ذلك الفراغ لغيرها من الصلوات من صلاة المغرب والعشاء، لأنهما بقرب من الأشغال والحوائج. ألا ترى أن الجهر بالقراءة إنما جعل في الأوقات التي هي أوقات[٦] الفراغ عن الأشغال[٧] وهي المغرب والعشاء. ثم وقت الفجر هو أخلى[٨] وقتٍ عن غيره لأنه بعد فراغ النوم وقبل هجوم وقت التقلب، فالقراءة فيها أسمع[٩] والقلوب أشهد لها، لكن أهل التأويل صرفوا ذلك إلى ما ذكرنا. *والله أعلم*.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [٧٩]

وقوله: **ومن الليل فتهجد به نافلة لك**، قال بعضهم: النافلة الغنيمة، كقوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ،[١٠] أي الغنائم. وقوله: **نافلة لك**، أي غنيمةً لك تَغْنَم بها غنائمَ، أو كلام نحو هذا. وقال الحسن: قوله: **نافلة لك**، أي خالصة لك. وخلوصه له[١١] أن لا يَغْفُل هو عن شيء منها في حال من الأحوال،

---

[١] انظر: *تفسير الطبري*، ١٥/١٣٩-١٤١؛ و*تفسير القرطبي*، ١٠/٣٠٧.

[٢] عن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسَيَّب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تَفضُل صلاة الجميع صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزءًا، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر». ثم يقول أبو هريرة فاقرءوا إن شئتم ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (صحيح *البخاري*، الأذان ٣١، التفسير، ١٧/١١؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ٢٤٦).

[٣] ن ع م - بوجه.

[٤] ن - الفراغ.

[٥] جميع النسخ + عن.

[٦] ن + التي.

[٧] ع م: الاشتغال.

[٨] ك: أخلا.

[٩] ع م - أسمع.

[١٠] سورة الأنفال، ٨/١.

[١١] جميع النسخ + وهو.

وغيره من الناس يغفلون فيها عن أشياء. وقال بعضهم: ذَكَر أنه نافلة له لأنه كان مغفورا له، فما يعمل يكون له نافلة. وأما غيره فإن ما[1] يعمل من الخيرات يكون كفارة لذنوبهم فلا يكون لهم نافلة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا**، قال: **يبعثك ربك مقاما محمودا**، تَحْمَدُ[2] عاقبته[3] بالتهجد، أي يبعثك ربك مقاما تحمد أنت تلك العاقبة جزاء بتهجدك في الدنيا. وقال بعضهم: **مقاما محمودا**،[4] ما يحمده كل الخلائق / الأولون والآخرون. وقال بعضهم: **مقاما محمودا**، هو مقام الشفاعة -والله أعلم- أي تشفع أمتك وأهل العصيان منهم. وجائز أن يكون هو صلة[5] ما تقدم من قوله: فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولاً،[6] وقوله: فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا،[7] وقوله: فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا[8] وما ذكر من المواعيد، لَمَا سمع هذا وقرع ذلك سمعَه[9] أخافه ذلك وأفزعه فنزل قوله: **عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا**، إنْ عبدتَ الله وأطعته في جميع أموره ونواهيه وأقمت له الصلاة والصيام.[10] [٤٣٨ظ]

﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾[٨٠]

وقوله عز وجل: **وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق**، ظاهر هذا الخطاب يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أمره أن يدعو بما ذكر. وقد عرف هو ما أمره من الدعاء بقوله: **رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق**، فلا حاجة تقع[11] لنا إلى أن نطلب المراد من ذلك، إلا أن يكون لغير في ذلك اشتراك، فعند ذلك يُتكلف فيه ويُطلَب المراد منه.

---

[1] ك: فإنما.
[2] ع: تحمده.
[3] م: عاقبة.
[4] ن – قال يبعثك ربك مقاما محمودا تحمد عاقبته بالتهجد أي يبعثك ربك مقاما تحمد أنت تلك العاقبة جزاء تهجدك في الدنيا وقال بعضهم مقاما محمودا.
[5] ن ع م + قوله.
[6] سورة الإسراء، ٢٢/١٧.
[7] سورة الإسراء، ٢٩/١٧.
[8] سورة الإسراء، ٣٩/١٧.
[9] ن م: سمعه ذلك؛ ع: اسمه.
[10] م: والقيام.
[11] ع: نفع.

وقد تكلم أهل التأويل في ذلك. قال بعضهم: قوله: **رب أدخلني مدخل صدق**، كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثم أُمر بالهجرة منها إلى لمدينة وأمر أن يدعو بهذا الدعاء: **رب أدخلني** في المدينة **مدخل صدق** آمِنًا على رغم اليهود **وأخرجني** من المدينة إلى مكة **مخرج صدق** آمنا على رغم كفار مكة ظاهرا عليهم. ألا ترى أنه قال: **واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا** عليهم، ففعل الله ذلك له وأجابه. وقد ذكرنا في غير موضع أن حرف السلطان يتوجه إلى وجوه ثلاثة. يكون مرة عبارة عن حجة قاهرة غالبة، ويكون عبارة[1] عن ولاية نافذة غالبة، ويكون عبارة عن اليد الظاهرة الغالبة أيضا. وقد كان بحمد الله ومنه[2] لرسول الله على الكفرة ذلك كلُّه. وقال بعضهم: **رب أدخلني مدخل صدق** في مكة ليعلم أهل مكة أني قد بلّغت الرسالة، **وأخرجني** منها مخرج صدق ليعلم يهود المدينة أني نُصِرت وبَلّغت ما أُمرت به. وقال الحسن: **أخرجني** من مكة **مخرج صدق، وأدخلني** في الجنة **مدخل صدق**. وقال بعضهم: **رب أدخلني مدخل صدق** فيما حمّلتني من الرسالة والنبوة وما أمرتني به لأؤديها[3] على ما أمرتني وأُبلِّغ الرسالة إلى الخلق على ما كلفتني. **وأخرجني مخرج صدق**، أي أخرجني مما كلفتني سالما لا تَبِعةَ عليّ، أو كلام نحوه.[4]

وأصله كأنه أمره ربه أن يسأله[5] الصدق في جميع أفعاله وأقواله وفي جميع ما تعبّده[6] به من الدخول في أمر أو الخروج منه، إذ لا يخلو[7] العبد من هذين: من الدخول في أمر أو الخروج منه. سأله الصدق في كل حال وكل دخول وكل خروج. وقال مجاهد: **رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق** في الرسالة والنبوة، وهو ما ذكرنا.

وقوله عز وجل: **واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا**. قال بعضهم: حجة منه، وقد أقامها على الكفرة. وقال بعضهم: **سلطانا نصيرا**، أي اجعل في قلوب الناس هيبة ليهابوني، وقد كان [له] من الهيبة بحيث هابُوه من مسيرة شهرين.[8] وقال بعضهم: هو السلطان الذي[9] يَنصرون به الدين

---

[1] ك ن ع - عبارة.
[2] م: ومنته.
[3] ك ع: لاوديها؛ ن: لاودبها.
[4] ع: نحو.
[5] ن ع م: يسأل ربه إليه.
[6] م: يعبده.
[7] ك: لا يخ؛ ع: لا يخلوا.
[8] يشير إلى حديث روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ» (صحيح *البخاري*، التيمم ١، والجهاد ١٢٢، والصلاة ٥٦؛ وسنن *النسائي*، الغسل ٢٦).
[9] ك: الذين.

ويُقيمون الحدود والأحكام ونحوه. وقيل: السلطان هو إقامة الحدود والأحكام والشرائع، وهو تفسير الولاية، لأنه بالولاية [يتحقق] ما يقيمها، وهو ما ذكرنا من الولاية [أنها] إقامة الأحكام.

ثم قيل في الصدق والإخلاص.[1] قال بعضهم: الإخلاص هو أن لا يجعل [المرء] لشيء[2] بقلبه نصيبا لأحد سواه،[3] وإن جعل [ف]لا يجد لذلك لذة. والصدق[4] عندنا أن يجعل [المرء] الفضلَ في جميع أفعاله لله، لا يجعل لنفسه شيئا من الفضل، وعلى ذلك يلزمه الشكر لربه في جميع خيراته. وعن الحسن قال: لما مَكَر كفارُ مكة برسول الله صلى الله عليه وسلم لِيُثَبّتوه أو يَقتلوه أو يُخرجوه،[5] فأراد الله بقاء أهل مكة فأمر نبيه أن يخرج منها مهاجرا إلى المدينة وعلّمه ما يقول، فأنزل الله: **وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا**، وعده الله لينزعن[6] ملك فارس والروم ويجعله لأمته.

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[٨١]

وقوله عز وجل: **وقل جاء الحق وزهق الباطل**، قال بعضهم: **جاء الحق** وهو[7] الإسلام، وقيل: **جاء الحق** القرآن، وقيل: **جاء الحق**، أي محمد. أو يقول: جاء آثار الحق وذهب[8] الباطل وآثاره، أو جاء حجج الحق وبراهينه وذهب شُبَه الباطل وتمويهاته. والحق يحتمل ما ذكرنا من الإسلام ورسول الله.

وقوله عز وجل: **وزهق الباطل**، أي ذهب وبطل غيره من الأديان وغيره من المذاهب وعبادة الأصنام، ونحوَ ذلك قالوا. وأصله أن الناس كانوا في حيرة وتِيهٍ قبل بعث الرسول لِمَا كانوا فقدوا دين الله وسبيله منذ كان رفع عيسى من الأرض إلى السماء، لا يجدون سبيل الله ولا يهتدون إلى شيء، حيارى حزانى، حتى بعث الله محمدا ليدعوهم إلى دين الله،

---

[1] يشير إلى تفسير قوله تعالى في الآية: مُدْخَلَ صِدْقٍ، مُخْرَجَ صِدْقٍ.
[2] ع م: الشيء.
[3] جميع النسخ + والصدق.
[4] ع م: الصدق.
[5] يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليُثبِتُوك أو يَقتلوك أو يُخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ (سورة الأنفال، ٨/٣٠).
[6] ع + عن.
[7] ع: هو.
[8] ع م: فذهب.

ويبين لهم سبيله الذي كان يتمسك به الأنبياء من قبله، ويخرجهم من تلك الحيرة التي كانوا فيها، ففعل صلى الله عليه وسلم، فذلك الذي قال الله تعالى: **جاء الحق وزهق الباطل**، أي جاء الحق الذي كانوا فقدوه فَسُرّوا بذلك. **وزهق الباطل**، أي ذهب واضمحلّ. **إن الباطل كان زهوقا**، أي ذاهبا مضمحلا[1] لا يُجدِي خيرا ولا يُعقِب لأهله نفعا، والحق هو الذي يُعقب ويُجدي نفعا لأهله.

ثم قوله: **جاء الحق وزهق الباطل**، لم يفهم أهل الخطاب / بمجيء الحق الانتقالَ من مكان [٤٣٩و] إلى مكان، ولا[2] بذهاب الباطل على ما يفهم من مجيء فلان وذهاب فلان، بل فهموا من مجيء الحق ظهورَه وعلوّه، وفهموا من زهوق الباطل وذهابه فناءه[3] واضمحلاله وتلاشِيه. وعلى ذلك لم يفهموا من مجيء الأعراض ما فهموا من مجيء الأجسام والأجساد.[4] فعلى ذلك لا يجب أن يفهموا من قوله: وَجَاءَ رَبُّكَ،[5] الانتقال من مكان إلى مكان، وكذلك لا يُفهم من قوله: ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ،[6] استواءالخلق، ولا من نزوله[7] نزول الخلق على ما لم يفهم مما أضيف إلى الأعراض من الأفعال ما فهموا من الأجساد والأجسام،[8] بل فهموا من هذا غير الذي فهموا من[9] الآخر. فعلى ذلك لا يفهم مما أضيف إلى الله تعالى ما يفهم مما أضيف إلى الخلق، بل يتعالى عن أن يُشبه الخلق أو يُشبهه الخلق في معنى من المعاني أو في وجه من الوجوه. بل هو كما وصف نفسه: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ،[10] وقوله: سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ.[11] وتعالى الله عما يقول الظالمون علوّا كبيرا.

---

[1] ع – ففعل صلى الله عليه وسلم فذلك الذي قال الله تعالى جاء الحق وزهق الباطل أي جاء الحق الذي كانوا فقدوه فسروا بذلك وزهق الباطل أي ذهب واضمحل أن الباطل كان زهوقا أي ذاهبا مضمحلا.

[2] ع: فلا.

[3] ع م: فناه.

[4] ن – والأجساد.

[5] ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ (سورة الفجر، ٨٩/٢٢).

[6] سورة الأعراف، ٧/ ٥٤.

[7] ك: ولا نزوله. يشير إلى حديث روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثُلُثُ الليلِ الأولُ فيقول: أنا المَلِك أنا الملك مَن ذا الذي يدعوني فأستجيب له، مَنْ ذَا الذي يسألني فأُعطِيَه، مَنْ ذَا الذي يستغفرني فأغفرَ له، فلا يزال كذلك حتى يُضِيءَ الفجرُ» (صحيح *البخاري*، صلاة المسافرين ٢٤؛ وسنن *الترمذي*، الصلاة ٢٧).

[8] ك: من الأجسام والأجساد.

[9] ع م – هذا غير الذي فهموا من.

[10] سورة الشورى، ٤٢/١١.

[11] ﴿وجعلوا لله شركاءَ الجنَّ وخَلَقَهم وخرقوا له بنين وبناتٍ بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٠٠).

[٤٣٩ظ س٨ * وقوله: **إن الباطل كان زهوقا**، قيل: ذاهبا باطلا لا يُجدي لأهله نفعا، لأنه يتلاشى ولا يبقى، والحق يجدي لأهله نفعا[1] ويبقى. وعلى ذلك ضرب الله مَثَل الحق بالشيء الذي يبقى، وضرب مثل الباطل بالذي لا يبقى ولا يثبت فقال: كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ.[2] وقد ذكرنا في موضعه ضَرْبَ مَثَلِ الباطل بالزَّبَد وهو يتلاشى لا ينتفع به فعلى ذلك الباطل، وضَرْبَ مَثَل الحق بالماء وهو يبقى في الأرض وينفع الناس، وضَرْب[3] مثل الباطل أيضا بالشجرة الخبيثة التي تَجْتَثّ[4] من[5] فوق الأرض ولا يكون لها قرار، بقوله: وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ،[6] الآية، وضربَ مثل الحق بالشجرة الطيبة الثابتة[7] في الأرض ذات قرار وثبات، بقوله: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ،[8] فهو على ما وصفهما الحق ثابتٌ باقٍ وله قرار ينفع أهله، والباطل يُرَى ثم يتلاشى ولا بقاء له.[9] * ٤٣٩ظ س١٦]

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[٨٢]

وقوله عز وجل: **وننزل من القرآنِ ما هو شفاء**، كأن الآية نزلت في ابتداء الأمر حيث قال: **وننزل**، ولم يقل: ونزلنا من القرآن ما هو شفاء. وجائز أن يكون قوله: **وننزل من القرآن ما هو شفاء** نفسَ القرآن، وهو ما ذكرنا. ويحتمل المواعيد التي في القرآن من وقائع تكون عليهم، وكأن في ذلك شفاءً للمؤمنين، كقوله: قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ،[11] الآية. أو نقول بأنه يجوز [أن يذكر][12] "نفعل" بمعنى "فعلنا" وذلك كثير في القرآن.

---

[1] ك ن – لأنه يتلاشى ولا يبقى والحق يجدي لأهله نفعا.
[2] سورة الرعد، ١٣/١٧.
[3] ن + أيضا.
[4] م: جثت.
[5] ع – من.
[6] ﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجْتُثَّتْ مِن فوق الأرض ما لها من قرار﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٢٦).
[7] ن م: النابتة.
[8] سورة إبراهيم، ١٤/٢٤.
[9] ع م – له.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٣٩ظ/سطر ٨-١٦.
[11] ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويُخْزِهم وينصرْكم عليهم ويَشفِ صدور قوم مؤمنين﴾ (سورة التوبة، ٩/١٤).
[12] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٥٧و.

ثم قوله: **ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**، أي شفاء للمستشفين في الدنيا،[١] **ورحمة** لمن تمسك به في الآخرة. أي[٢] فيه شفاء لمن استشفاه في الدنيا ورحمة في الآخرة لمن تمسك به، وعمًى وخسار وظلمةٌ لمن أعرض عنه ونظر إليه بعين الاستخفاف والاستثقال. وأما من نظر إليه بعين التعظيم والإجلال فهو شفاء له[٣] ورحمة، وإن كان القرآن نفسه شفاءً ونورا. وهكذا في الشاهد أن من أبصر شيئا إنما يبصر بنور البصر وبنورِ الهواء وبارتفاع[٤] ما يستر النورين جميعا، لأنه إذا كان عمِي البصر لم يبصر شيئا وإن كان نور الهواء متجليًا، وكذلك لا يبصر إذا كان نور البصر متجليا بعد أن سترت الظلمة نور الهواء. فإذا[٥] كان ما ذكرنا أنه لا يبصر في الشاهد شيئا إلا بنورين: نور البصر ونور الهواء فالكافر لم يبصر نور القرآن وشفاءه لِما سترت الظلمة[٦] نور قلبه، والمؤمن أبصر نوره وشفاءه بنور إيمانه. وهكذا الأدوية فإنها لا تُجدِي نفعا وإن كانت نافعة شافية في أنفسها إلا بقبول الطبيعة، لأن الطبع إذا لم يقبلها -وإن كانت[٧] شافية نافعة- لم تنفع صاحبها ولم يكن له شفاء وصارت كأنها كانت في الأصل ضارة[٨] غير شافية. فعلى ذلك القرآن، وإن كان في نفسه شفاء ونورا صار[٩] للكافر عمًى وخسارا، كأَنْ لا شفاء فيه ولا رحمةَ لِما ستر[ت] ظلمةُ الكفر نوره فصار كالزائد له رجسا وطغيانا ونفورا، وهو ما قال: **ولا يزيد الظالمين إلا خسارا**. *والله أعلم*.

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾ [٨٣]

وقوله عز وجل: **وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه**، يشبه أن تكون[١٠] النعمة التي ذَكَر[١١] هو محمدا[١٢] لِما ذكرنا أنهم كانوا في حيرة وعمًى لا يجدون السبيل إلى دين الله

---

[١] م – الدنيا.
[٢] ع م – أي.
[٣] ن ع م: له شفاء.
[٤] ع م: بارتفاع.
[٥] م: فإن.
[٦] أي ظلمة الكفر.
[٧] ك: كان.
[٨] جميع النسخ: وصارت كأنها في الأصل كانت ضارة؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٧و.
[٩] ع: ضار.
[١٠] ن ع م: يكون.
[١١] ع: ذكرنا.
[١٢] جميع النسخ: محمد.

وقد [كانوا يتمنون أن يكون لهم نذيرٌ وداعٍ يدعوهم إلى الحق ليؤمنوا، وكانوا يُقسمون على ذلك كما أخبر الله عنهم بقوله]:[1] وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا،[2] فذلك الإعراض الذي ذَكَر.[3] *والله أعلم*. فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ليدعوهم إلى دين الله ويبين سبيله، فذلك منه نعمة عظيمة، [ولكنهم] أعرضوا عنه وتباعدوا.[4] ويشبه أن يكون ما قاله أهل التأويل: إنه[5] إذا وُسّع عليه الرزق والعيش أعرض عن الدعاء له وتباعد بجانبه.

وقوله عز وجل: **وإذا مسه الشر كان يئوسا**، أي يائسا[6] من الخير أن لا يعود إليه أصلا. وهكذا كانت عادتهم أنهم كانوا يخلصون الدعاء له إذا مسهم[7] سوء وأصابتهم شدة، ويكفرون به إذا تجلى ذلك عنهم[8] وانكشف، كقوله: فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ،[9] الآية، وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ،[10] الآية، وأمثاله. وكان الناس كلهم فِرقا أربعة. منهم من كان مذهبهم ما ذكرنا أنهم كانوا يُخلصون له الدعاء في حال الشدة ويكفرون في حال الرخاء. ومنهم من كان يؤمن به في حال الرخاء والنعمة ويكفر به[11] في حال الشدة، كقوله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ،[12] الآية، وهم أهل النفاق. ومنهم من يكفر به[13] في الأحوال كلها.[14] والفرقة الرابعة هم أهل الإسلام، يؤمنون به في حال الرخاء وحال الشدة، في الأحوال كلها. على هذا كانوا في الأصل، وعلى هذا يجيء أن يكون قوله: **وإذا مسه الشر كان يئوسا**، من الأصنام،

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٥٧و.
[2] سورة فاطر، ٤٢/٣٥.
[3] ع م: ذكروا.
[4] جميع النسخ + عنه.
[5] أي الإنسان.
[6] ع: تائسا.
[7] ن: مستهم.
[8] ن ع م: لهم.
[9] ﴿فإذا ركبوا في الفلك دَعَوُا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البَرّ إذا هم يشركون﴾ (سورة العنكبوت، ٦٥/٢٩).
[10] ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسّه الشر فذو دعاء عريض﴾ (سورة فصلت، ٥١/٤١).
[11] ك ن: ويكفرون.
[12] ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأنّ به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾ (سورة الحج، ١١/٢٢).
[13] م – به.
[14] ك ن ع + كقوله.

كقوله: ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ،[١] فيكون إياسهم من الأصنام التي عبدوها. لكن أهل التأويل صرفوا إلى ما ذكرنا من الإياس عن الخير من أن يعود إليهم.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً﴾[٨٤]

وقوله عز وجل: **قل كل يعمل على شاكلته**، لسنا نعلم أنه أيّ سبب كان هنالك حتى قال: **قل كل يعمل على شاكلته**، إذ لا يجوز أن يقال هذا بلا سبب كان منهم ابتداء، لكن يشبه أن يكون قال هذا إياسًا [لرسول الله][٢] من إيمانهم لما لم يزدهم دعاؤه إياهم وكثرة تلاوة[٣] آياته عليهم وإقامة حججه عليهم إلا عنادا وإنكارا / فقال عند ذلك: **قل كل يعمل على شاكلته**، [٤٣٩ظ] أي على دينه وطريقته، كقوله: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ،[٤] وكقوله: وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ.[٥] فهو كله على الإياس عن أن يؤمنوا به ويقبلوا دينه. ثم قال: **فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا**، أي ربكم أعلم بمن منا على الهدى ومن ليس، أو مَن مِنا أهدى سبيلا: نحن أو أنتم.[٦]

وقال أبو عَوْسَجَة: الشاكلة الخاصرة، أي على ناحيته. وقال القُتَبِي: شاكلته، أي على خلِيقته وطبيعته.[٧] وقال قُطْرُب: على طريقته، وكان هذا أشبه. وقال بعضهم: على نيته، وقيل: على دينه ومذهبه، وقيل: على[٨] جَدِيلته[٩] ومنهاجه، وكله يرجع إلى واحد. ويشبه أن يكون [قوله: **قل كل يعمل على شاكلته**][١٠] أي كل يعمل[١١] بما هو شبيه[١٢] به وما هو يشبهه،

---

[١] ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا﴾ (سورة الإسراء، ٦٧/١٧).

[٢] جميع النسخ: على الإياس؛ والتصحيح مع الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٥٧و.

[٣] ن – تلاوة.

[٤] سورة الكافرون، ٦/١٠٩.

[٥] سورة يونس، ٤١/١٠.

[٦] ع م: وأنتم.

[٧] ع م – وطبيعته. انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٦٠.

[٨] ك – على.

[٩] الشاكلة: الناحية والطريقة والجَدِيلة. وفي التنزيل: ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ أي طريقته وجَدِيلته ومذهبه. والشاكلة الخاصرة، وهي الطفطفة (*لسان العرب*، «شكل»).

[١٠] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٥٧و.

[١١] ع م: عمل.

[١٢] جميع النسخ: الشبيه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٧و.

لأن الشكل هو ما يشبه الشيء، يقال: هذا شَكْلُ هذا. وقوله: **قل كل يعمل على شاكلته**، على قول من يقول: على خليقته، خُلِق عليها، لأنه خلق على ما علم منه أنه يختار ويؤثر. *والله أعلم*.[1]

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٨٥]

وقوله عز وجل: **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي**، اختلف فيه. قال أبو بكر الأصم: الروح القرآن ههنا، كقوله: يُنَزِّلُ الْمَلَآئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ،[2] وكذلك قوله: [وَكَذَٰلِكَ] أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي،[3] الآية، قيل: **الروح من أمر ربي**، أي من تدبير ربي، مما لو اجتمع الخلائق ما[4] قدروا على مثله.

فإن قيل: كيف سألوا عن القرآن وهم لم يقرّوا بالقرآن؟

قيل:[5] سمّوه قرآنا وروحا على ما عنده، أعني عند رسول الله، كقوله: وَقَالُوا مَا لِهَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ،[6] وهم لم يكونوا[7] أقرّوا أنه رسول ولكن سمّوه رسولا لما عند نفسه وزعمه رسول، أي ما لهذا الذي يزعم أنه رسول يأكل الطعام، فعلى ذلك قوله: **ويسألونك عن الروح**، الذي على زعمه أنه روح، إلى هذا ذهب أبو بكر [الأصم].

وقال الحسن: قوله تعالى: **ويسألونك عن الروح**،[8] وهو الذي به حياة الأبدان من هلاك الضلال، أي من تمسك به نجا من هلاك الضلال.

وقوله عز وجل: **قل الروح من أمر ربي**، أي بأمر ربي ينزل. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: **الروح من أمر ربي**، أي من خلق ربي،[9] وهما واحد. وقال بعضهم: الروح هو الملك وإنما سألوه عنه، كقوله: تَنَزَّلُ الْمَلَآئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا،[10] يعني الملك.[11] وقال بعضهم:

---

[1] وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٨١ فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٣٩ظ/سطر ٨-١٦.

[2] ﴿ينزل الملآئكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقونِ﴾ (سورة النحل، ١٦/٢).

[3] ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ (سورة الشورى، ٤٢/٥٢).

[4] ع + وما.

[5] جميع النسخ: فقال؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٧و.

[6] ﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أُنزل إليه ملك فيكونَ معه نذيرا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٧).

[7] م: و لم يكونوا.

[8] ع م – الذي على زعمه أنه روح إلى هذا ذهب أبو بكر وقال الحسن قوله تعالى ويسألونك عن الروح.

[9] انظر: *روح المعاني* للآلوسي، ١٤/٩٣.

[10] ﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾ (سورة القدر، ٩٧/ ٤).

[11] انظر: *تفسير الطبري*، ١٥/١٥٦؛ و*تفسير القرطبي*، ١٠/٣٢٤-٣٢٥.

إنما سألوه عن الروح المعروف الذي به حياة الأبدان، لكنه لم يجبهم فوكّل أمره[١] إلى الله لما لا[٢] يدركون ذلك لو بين لهم، وأمثاله.

وروي عن أبي يوسف رحمه الله أنه كان ينهى عن الخوض في الكلام ويحتج بظاهر هذه الآية، حيث سألوه عن الروح فلم يجبهم ولكن فوّض أمره إلى الله. وما سُئِل من الأحكام إلا وقد بيّن لهم، كقوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ،[٣] الآية، و يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ،[٤] الآية، وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى،[٥] وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ،[٦] وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ.[٧] مثل هذا ما[٨] سئل عن شيء من الأحكام إلا وقد أجابهم وبين لهم بيانا شافيا، وقال ههنا: **قل الروح من أمر ربي**. [دل أن الخوض في علم الكلام مكروه].[٩] وقال جعفر بن حرب:[١٠] إن الله قد أمر بالتكلم في الكلام بقوله: وَجَادِلْهُمْ،[١١] الآية،[١٢] وقال: فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ،[١٣] الآية، ونحوه، فكيف نهى عن الخوض في الكلام. لكنّ أبا يوسف إنما نهى عن الخوض في الكلام الذي لا يدرَك ولا يزيد الخوض له إلا حيرة وضلالا، نحو ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «تفكروا في المخلوق ولا تتفكروا في الخالق».[١٤] لأنه لا يدرك، فالتفكر فيما لا يدرك لا يزيد إلا عمى وحيرة وتِيهًا. وأما[١٥] الخوض في الذي يُدرَك ويُعقَل فإنه لم يُنهَ عن مثله.

---

[١] ع: أمر.

[٢] م – لا.

[٣] سورة البقرة، ٢/٢١٩.

[٤] سورة الأنفال، ٨/١.

[٥] سورة البقرة، ٢/٢٢٠.

[٦] سورة البقرة، ٢/٢٢٢.

[٧] سورة النساء، ٤/١٢٧.

[٨] ن: أما.

[٩] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٥٧ظ.

[١٠] أبو الفضل الأشج جعفر بن حرب الهمداني البغدادي العابد (٢٣٦/٨٥٠)، من ائمة المعتزلة من أهل بغداد. أخذ الكلام عن أبي الهذيل العلاف بالبصرة. وصنف كتبًا. له *كتاب متشابه القرآن*، و*كتاب الاستقصاء*، و*كتاب الرد على أصحاب الطبائع*، و*كتاب الأصول*. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ١٠/٥٤٩-٥٥٠.

[١١] ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ (سورة النحل، ١٦/١٢٥).

[١٢] ك: بالآية.

[١٣] ﴿ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا﴾ (سورة الكهف، ١٨/٢٢).

[١٤] انظر لرواية الحديث: *كشف الخفاء* للعجلوني، ١/٣٥٦-٣٥٧.

[١٥] ك ن: فأما.

وأصله ما ذكرنا من إباحة التكلم في الدين والخوض في الكلام في كثير من الآيات،[1] من ذلك قوله: وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ،[2] الآية، ونحوه.

{قال الشيخ رحمه الله:} ولا[3] نفسر الروح ما هو لما لا نعلم أنهم ما أرادوا بالروح، وهم قد علموا ما أرادوا وعلم[4] رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سألوا. وإنما سألوا ذلك عما في كتبهم ليعلموا صدقه فيما يدّعي من الرسالة لما علموا أن غير الرسول لا يعلم ذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وما أوتيتم من العلم إلى قليلا**، قال بعضهم: أي ما أوتيتم من العلم الذي به مصالحكم وحاجاتكم[5] إلا قليلا. وقال بعضهم: أي ما أوتيتم من العلم الذي أنشأه والعلم الذي عنده إلا قليلا. وهو هكذا، إنا[6] لم نُؤتَ من العلم إلا علم ظواهر الأشياء وبادِيَها، لم نُؤتَ علم بواطن الأشياء وحقائقها. وذلك أنا نعلم / أن البصر يُبصر والسمع يَسمع واللسان يَنطق واليد تَقبِض [٤٤٠و] وتأخذ والرِّجل تمشي والعقل يدرك، لكن لا نعلم المعنى الذي جُعل فيه [أنه] به[7] يسمع وبه يبصر وبه ينطق وبه يأخذ وبه يمشي وبه يدرك. وكذلك نعرف[8] هذه الجواهر التي نشاهدها ونعاينها بأن هذا حمار وهذا ثور وهذا كذا. ولكن لا نعرف المعنى الذي [به] هذا صار حمارا وهذا ثورا.[9] وكذلك كل جواهر وأجناس فلا نعرف من العلوم التي أنشأها الله[10] إلا القليل منها ظواهرَها، وأما الحقائق فلا.

﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾[٨٦] ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾[٨٧]

وقوله عز وجل: **ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك**، من يقول بأن الروح الذي سألوه عنه هو الوحي والقرآن الذي أُنزل عليه يحتج بهذه الآية وبقوله: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ،[11] لِما خرج ذكرها على أثر سؤال الروح فدل أنه ما ذكرنا.

---

[1] ن: الأحكام.
[2] سبقت قريبا.
[3] جميع النسخ: أولا.
[4] م: أو علم.
[5] ن ع م: وما جاء بكم.
[6] ك: إنما.
[7] ن– به.
[8] ن: يعرف.
[9] ن– وهذا كذا ولكن لا نعرف المعنى الذي صار هذا حمارا وهذا ثورا.
[10] ن + إلا.
[11] سورة الإسراء، ١٧/٨٨.

وقد ضل بهذه الآية فريقان: الحشوية والمعتزلة. أما الحشوية فإنهم يقولون: إن القرآن والكلام هو صفة الله الذي هو لم يزل به موصوفًا[8] وأنه لا يزايله، ثم يقولون: القرآن في المصاحف بعينه، وهو في الأرض وفي القلوب. فقولهم متناقض،[1] لأنه إذا[2] كان صفته لا هو ولا غيره. لا يجوز أن يكون في المصاحف بعينه أو في الأرض أو في القلوب.

{قال الشيخ أبو منصور رحمه الله:} أما الذي في المصاحف هذا [فهو] ما يفهم به ذلك أو ما يوافق به ذاك، أعني القرآن. ويقال: هذا حكاية عن ذلك.

وأما المعتزلة فإنهم ينكرون خلق أفعال العباد ثم يقولون: إن القرآن مخلوق، فعلى زعمهم يكون القرآن والكلام ما يكتب ويثبت ويمحى، وذلك فعل العباد، ثم يقولون: أفعالهم غير مخلوقة، فذلك تناقض في القول بيّن.

وعلى قولنا: ما ذكر من الذهاب والمجيء كلُّه على المجاز، أي الموافقة لا على الحقيقة؛ كما يقال: سمعت كلام فلان وقول فلان، وكتبت حديث فلان ونحوه. فذلك كله على المجاز لا على التحقيق، لأنه لا يسمع قول فلان حقيقية ولا كلامه ولا حديثه ولكن يسمع صوتا يفهم به قوله وكلامه وحديثه. فعلى ذلك الأول[3] يَذْهب بالذي يُسمع ويُكتب، فأما حقيقة ذلك فلا يوصف بشيء من ذلك. وبعد فإنه قد أضيف المجيء[4] إلى الذي لا يعرف منه ذلك.[5]

ثم يحتمل قوله: **ولئن شئنا لنَذهبنّ بالذي أوحينا إليك**، أن يكون صلة قوله: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي،[6] **ولئن شئنا ليذهبن بالذي أوحينا إليك**، حتى لا يَظْفَر به وإلا[7] كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أنه لو شاء لذهب بالذي أوحي إليه وقادر عليه وله رفعه، وكذلك يعرف هذا كل مؤمن. وإن كانت الآية على الابتداء فهو يخرج على ذكر المنة والرحمة، أي له أن يرفع هذا الذي أوحَى إليه ليعلموا أن إبقاء النبوة والوحي فضل منه ورحمة، وكذلك الوحي إليه في الابتداء وبعثه رسولا إليهم فضلا واختصاصا لا استحقاقا منه واستيجابا،

---

[1] م: مناقض.
[2] ك: إذ.
[3] أي الآية التي نحن بصدد تأويلها.
[4] ع + إلى.
[5] ن - ذلك.
[6] الآية السابقة.
[7] ع: إلا. [8] جميع النسخ: موصوف.

كقوله:[1] وَاللّٰهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ،[2] وقوله: قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ،[3] أخبر أن النبوة له، وما أرسل إليه اختصاصا منه وفضلا لا استحقاقا منه، فعلى ذلك إبقاء النبوة والوحي رحمة وفضلا منه.

وفيه دلالة نقض قول المعتزلة من وجوه. أحدها ما قالوا أنْ لا يختارُ الله أحدا[4] لرسالته ونبوته إلا من كان مستحقا لها ومستوجِبا لذلك. وقد أخبر أنه بفضله واختصاصه أرسله رسولا، وبفضله وبرحمته أبقاها وتركها بعد ما أوحَى إليه وأرسله رسولاً.

والثاني فيه أن له[5] أن يفعل ما ليس هو بأصلح لهم في الدين، حيث أوعدهم[6] برفع ما أوحى إليه[7] وإذهابِه إياه، ولا يُوعِد إلا بما له أن يفعل ما أوعد، إذ لا يوعِد بما ليس له الفعل في الحكمة. ثم لا شك أن إبقاء النبوة وتركه ما أوحَى إليه أصلحُ لهم من رفعها وتركه إياهم خلوّا عن ذلك، دل أنه قد يفعل ما ليس هو بأصلح لهم[8] في الدين.

و[الثالث] فيه أنه قد يكلّف خلقه التوحيد والإيمان به[9] وإن لم يرسل رسولا ولا أَوْحَى إليه وحيا، لأنه معلوم أنه لو لم يرسل الرسول ولا كانوا مكلّفين في أنفسهم لكان خلقه إياهم عبثا لتركهم[10] سدى، فدل أنهم مكلّفون بتوحيده ومعرفته وإن لم يرسل ولا أوحى، حيث أخبر أن بعث الرسالة وإبقاءها فضل منه ورحمة بقوله: **إلا رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيرا؛** وقوله: **إلا رحمة من ربك،** أي إبقاء النبوة والوحي رحمة من ربك، وفضله أيضا في إبقاء ذلك كبير.[11]

و[الرابع] فيه أن الحفظ والنسيان –وإن كانا من العبد– فلله فيهما صنع به يَحفظ، حيث قال: **ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك،** أخبر أنه لو شاء لذهب بالمحفوظ في القلب ويُنسيه، دل أن له قدرة في فعل العبد.

---

[1] ن – كقوله.
[2] سورة البقرة، ٢/١٠٥.
[3] سورة آل عمران، ٣/٧٣.
[4] ع: أحدا لرسالة؛ م: أحدا الرسالة.
[5] ن + أن له.
[6] جميع النسخ: أوعد لهم.
[7] جميع النسخ + وأرسله.
[8] ن + من رفعها.
[9] ع م – به.
[10] ك ن م: ليتركهم.
[11] ن ع م: كبيرا.

و[الخامس] في قوله: **ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك**، وجه آخر من الحكمة، وهو أن يعلم المؤمنون أن الفضل كله من الله لئلا يروا لأنفسهم[١] في ذلك فضلا ومعنى، وإليه يضيفون جميع ما يجري على أيديهم من أفعال الخير والطاعة. ***والله أعلم***.

﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[٨٨]

وقوله عز وجل: **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله**، يشبه أن يكون هذا صلة قوله: وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ.[٢] ثم لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله،[٣] ما قدروا عليه. وقوله: **بمثله**، أي به، / كقوله: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ،[٤] أي ليس كَهُوَ شيء، إذ لا مثل له. فدل أن قوله: **لا يأتون بمثله**، أي لا يقدرون أن يأتوا به بعد ما عرفوه وعاينوه. فلأَن لا يقدروا على إتيانه ابتداء قبل أن نظروا فيه وعرفوا مثاله أشدّ وأبعد، إذ نظم الشيء وتصويره[٥] بعد ما عاينوا الأشياء والصورَ أهون وأيسرُ من تصوريها ونظمها قبل أن يعاينوها ويشاهدوها.[٦] [٤٤١ظ]

وجائز أن يُستدلَّ بهذه الآية على أنه كان مبعوثا إلى الإنس والجن جميعا حيث قال: **قل لئن اجتمعت الإنس والجن**، لأنه لو لم يكن مبعوثا إلى الفريقين جميعا لم يكن لذكرهما[٧] معنى وفائدة. وفيه دلالةٌ أن في الجن مَن لسانه لسان العرب، إذ لو لم يكن ذلك لم يكن[٨] يذكر أولئك. ثم جائز أن يكون قوله: **لئن اجتمعت** الإنس مع الإنس[٩] والجن مع الجن، أو الإنس مع الجن، أو هؤلاء مع هؤلاء. **على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله**. وقال بعض أهل التأويل: إنما ذكر هذا لقولهم:[١٠] إنه سِحر،[١١]

---

[١] ن: من أنفسهم.
[٢] سورة الإسراء، ٨٦/١٧.
[٣] ك ن + أي على أن يأتوا بمثله.
[٤] سورة الشورى، ١١/٤٢.
[٥] م: وتصوره.
[٦] ع م: ويشاهدونها.
[٧] ع: الذكرهما.
[٨] ع م – ذلك لم يكن.
[٩] ع م – مع الإنس.
[١٠] م: لقومهم.
[١١] انظر مثلا: سورة الأنعام، ٧/٦؛ وسورة هود، ٧/١١؛ وسورة سبأ، ٤٣/٣٤.

إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ،[1] وقولهم: مَا هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى،[2] وقولهم: إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا،[3] ومثله. يقول: إن الإفك والسحر وما ذكرتم لا يكون إلا من هذين: من الجن والإنس، فأخبر أنهم لو اجتمعوا على أن يأتوا بمثله[4] ما قدروا عليه.

والدلالة على أنهم عجزوا عن ذلك و لم يطمع أحد منهم ذلك إلا سفيه أظهر الله سفهه وكذبه في القرآن حيث قال: [وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا] لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هٰذَا إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، وَإِذْ قَالُوا اللّٰهُمَّ إِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ [أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ]،[5] الآية. ظهر كذبه وسفهه في قوله حيث قال: إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، ثم قال: إِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً،[6] لم يسأل التوفيق إن كان هو حقا ولكن سأل العذاب، دل أنه كان سفيها غاية السفه.[7] ثم ارتاب فيه وشك، بقوله: إِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ، وإلا لم يطمع و لم يخطر ببال أحد من الخلائق التكلف لذلك.[8] دل أنه آية معجزة من الله تعالى.

ثم اختلف في قوله تعالى: **على أن يأتوا بمثل هذا القرآن**. قيل: مثل نظمه ورَصْفِه، وقيل: مثل حقه وصدقه. ويحتمل: مثل حججه وبراهينه، ويحتمل: مثل علمه وحكمته، ويحتمل مثل أحكامه وإتقانه. ويحتمل[9] قوله: **على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله**، هذه[10] الوجوه الخمسة التي ذكرنا.

ثم قوله: **بمثله**، يحتمل ما ذكرنا، أي بالذي رفع وذهب به على التأويل الذي جعلناه صلة قوله: وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ.[11] و[قل] **لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن**، بالذي ذهب به ورفع، **لا يأتون بمثله**، أي لا يقدرون على إتيانه.

---

[1] سورة النحل، ١٠٣/١٦.
[2] سورة سبأ، ٤٣/٣٤.
[3] سورة المؤمنون، ٢٣/ ٣٨.
[4] ع: بمثل.
[5] سورة الأنفال، ٣١/٨-٣٢.
[6] ع م - الآية ظهر كذبه وسفهه في قوله حيث قال إن هذا إلا أساطير الأولين ثم قال إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة.
[7] ن ع م + وإن هذا إلا أساطير الأولين.
[8] ك - دل أنه كان سفيها غاية السفه ثم أرتاب فيه وشك بقوله إن كان هذا هو الحق من عندك وإلا لم يطمع و لم يخطر ببال أحد من الخلائق التكلف لذلك.
[9] ك ن م: يحتمل.
[10] ع: هذا.
[11] سورة الإسراء، ٨٦/١٧.

[ويحتمل أن يكون على الابتداء]، فإن[١] كان على الابتداء فهو على المثل، أي لا يقدرون على أن يأتوا بمثله، على ما لم يقدروا عليه بعد ما قرع سمعهم هذا، فلو كان في وسعهم هذا لفعلوا لِيخرج قولهم صدقا وقول الرسول كَذِبا. فإذ لم يفعلوا ذلك و لم يتكلفوا دل أنهم عرفوا أن ذلك من الله وأنه آية معجزة خارجة عن وسعهم.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾[٨٩]

وقوله عز وجل: **ولقد صرفنا**، أي بيّنّا، ويحتمل ضربنا، ويحتمل[٢] فرّقنا، **للناس [فِي هٰذَا الْقُرْآنِ] من كل مثل**، أي ذكرنا للناس مثلا على أثر مثل، ومثلا بعد مثل، ما لو تفكروا[٣] فيه وتأملوا لعرفوا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وكَذِبَ أنفسِهم وسفههم، ولعرفوا الحق من الباطل والمحق من المبطل، ولكن لم يتفكروا فيه و لم يتأملوا وعاندوا. وقوله عز وجل: **من كل مثل**، لا يريد كل الأمثال ولكن ما ذكرنا[٤] من كل مثل[٥] لو تأملوا فيه وتفكروا[٦] لكان لهم معتَبَرا.

وقوله:[٧] **ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل**، يكون ما ذكر من تصريف الأمثال وضربها للناس من وجوه ثلاثة. أحدها ضَرب المثل لهذه الأمة: من شهد رسول الله وغيرَه مِن مكذّبيهم ومصدقيهم[٨] بالأمم الماضية ماذا حلّ بالمكذبين منهم رسلَ الله مِن نقمته وعذابه. وقد أخبر أن تلك سنتُه في المكذبين منهم، وذكر أن سنته تلك لا تُحَوَّل ولا تُبدَّل، وهو قوله: وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً، وتَحْوِيلاً،[٩] فهي لا تبدل ولا تحول.[١٠] فكان لأولئك معجَّلة ولهذه الأمة مؤخَّرة،[١١] وهي غير محوّلة ولا مبدّلة لواحدة من الأمم.

والثاني يحتمل تصريف الأمثال هو ما بين لهم وذكر ما به صلاح معاشهم ومعادهم وصلاح دينهم ودنياهم، ما لو تأملوا فيها وتفكروا أدركوا ذلك.

---

[١] جميع النسخ: وإن؛ والزيادة مع التصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٨و.
[٢] م - ويحتمل.
[٣] ع: نظروا.
[٤] ن: ذكر.
[٥] ن - مثل.
[٦] ع: نظروا.
[٧] جميع النسخ: وفي قوله.
[٨] م: مكذبهم ومصدقهم.
[٩] ﴿فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾ (سورة فاطر، ٤٣/٣٥).
[١٠] جميع النسخ: فهو لا يبدل ولا يحول؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٨و.
[١١] م: - وهو قوله ولن تجد لسنة الله تبديلا وتحويلا فهي لا تبدل ولا تحول فكان لأولئك معجلة ولهذه الأمة مؤخرة.

والثالث يكون تصريف الأمثال التي ذكر دعاءه[1] إلى دين الله وسبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، كقوله: أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ،[2] إلى هذه الوجوه الثلاثة[3] يُصَرِّف جميع ما ذَكَر من الأمثال في القرآن.

وقوله عز وجل: **فأبى أكثر الناس إلا كُفورا**، يحتمل، **فأبى**[4] **أكثر الناس إلا كفورا** بالأمثال التي ضربها في القرآن وصرفها لهم. أو يقول: **فأبى أكثر الناس إلا كفورا** بنعم الله في صرف الشكر إلى غيره، أو **كفورا** في وحدانية الله وألوهيته.

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾[٩٠] ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾[٩١]

وقوله عز وجل: **وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل و عنب**، إلى آخر ما ذكر من الاسئلة. يشبه أن يكون هذه الأسئلة جميعا من فريق واحد، ويجوز أن يكون من كل فريق سؤال لم يكن ذلك من غيره من الفرق، كقوله: وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا،[5] كان من كل فريق غير ما كان من الآخر؛[6] كان من اليهود: كونوا هودا تهتدوا، ومن النصارى: كونوا نصارى تهتدوا، فعلى ذلك يشبه أن يكون الأول كذلك.

ثم إن الذي حملهم على هذه الأسئلة المحالة الفاسدة وجوه. أحدها سؤاله بما كان [٤٤١و] يعدهم رسول الله / الجنان والأنهار الجارية والبساتين المثمِرة إنْ هم تابوا وأجابوا، وكان يوعدهم العقوبات إن تركوا إجابتهم من إسقاط السماء كِسَفا، كقوله: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ،[7] الآية. سألوه ذلك استعجالا منهم على الاستهزاء، كقوله: يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُون بِهَا.[8]

[1] جميع النسخ: دعاه.
[2] سورة النحل، ١٦/ ١٢٥.
[3] ع + أحدها.
[4] ك ن: أبى؛ ع م: أي.
[5] سورة البقرة، ١٣٥/٢.
[6] ن + كان من الآخر.
[7] ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقُضي الأمر وإلى الله تُرجع الأمور﴾ (سورة البقرة، ٢/ ٢١٠).
[8] ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مُشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد﴾ (سورة الشورى، ٤٢/ ١٨).

[والثاني] أن[1] يكون أهل الكتاب علّموا مشركي العرب الذين لا كتاب لهم هذه الاسئلة الفاسدة المحالة التي عرفوا أنهم لا يجابون فيها ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فلا[2] يجيبهم ليرى السَّفَلَة منهم والأتباع أنْ لو كان رسولا لأجابهم فيتمادَون في طغيانهم وضلالاتهم ويبقَون على ما هم عليه.

[والثالث] أن[3] يكون الرؤساء منهم والقادة سألوه[4] عن ذلك على علم منهم أنه لا يجيبهم ليرى أتباعهم وسَفَلَتهم أنهم قد حاجُّوا رسول الله واعترضوا لحججه وبراهينه لئلا ينظروا إلى حججه وبراهينه لتبقى[5] لهم الرياسة والمنافع التي كانت لهم ولا يذهب ذلك عنهم.

ثم بين أن أسئلتهم التي سألوها سؤالُ تعنُّتٍ وعناد لا سؤال استرشاد وحاجة بما ذكر[6] في قوله:[7]

﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلَآئِكَةِ قَبِيلًا﴾[٩٢] ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾[٩٣]

أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا. وقوله عز وجل: **أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه**، دل هذا كله أن سؤالهم إياه كله سؤالُ معاندة لا سؤالُ استرشاد واستهداء، لأنه لو كانوا يسألون[8] سؤال استرشاد واستهداء لكانوا لا يسألون إسقاط السماء عليهم، إذ لا منفعة لهم في ذلك، وإن كان[9] في سؤالهم الجنةَ منفعةٌ. يذكر سفَهَ القوم وتعنُّتَهم وسوءَ معاملتهم رسولَ الله.

ثم الحكمة والفائدة في جعل سفههم قرآنا يُتلَى إلى يوم القيامة ليعرف المتأخرون معاملة السفهاء إذا بُلُوا بهم أنْ كيف يعاملونهم [حتى يعاملوهم] بمثل[10] معاملة رسول الله.

---

[1] جميع النسخ: أو أن.
[2] جميع النسخ: فإنه لا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٨ظ.
[3] جميع النسخ: أو أن.
[4] م: سألوا.
[5] ن ع م: ليبقى.
[6] جميع النسخ: ما ذكر؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٨ظ.
[7] جميع النسخ: في قولهم.
[8] ك ع م + ما يسألون.
[9] ن ع م – كان.
[10] ع م – بمثل.

وقوله عز وجل: **قل سبحان ربي**، أمره أن ينزّه ربه من أن يكون لأحد الاحتكام عليه والحكم. والذي سألوه احتكام[1] منهم على الله. وفي قوله: **قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا**،[2] ينزّه ربه عن أن يملك سواه ما سألوه من إتيان الجنة وغير ذلك مما ذُكَر[3] في الآية. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **هل كنت إلا بشرا رسولا**، أي هل كنت إلا بشرا كغيره من الرسل الذين كانوا من قبلُ من البشر فلم يُسألوا هم[4] بمثل الذي تسألوني أنتم من الأسئلة، أو إن يَسألوا ذلك فلم يُجابوا، كقوله: أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ.[5] أو أن يكون قوله: **هل كنت إلا بشرا رسولا**، أي ليس للرسول أن يعترض على الرسل بشيء، إنما على الرسول تبليغُ ما أُرسل وأُمر بتبليغه. أو يقول: إني لا أملك عما[6] تسألوني سوي تسبيح ربي وتنزيهه. وقوله عز وجل: **قل سبحان ربي**، أي تعاظَم ربي وتعالى من أن يكون لعباده عليه احتكام أو اختيار.[7]

وقال أبو عَوْسَجَة والقُتَبِي: اليَنبوع العين، والينابيع جمع.[8] والكِسْفَة القِطْعة، والكِسَف جمع.[9] وقال غيره: الكِسْف بالجزم العذاب،[10] وكِسَفا مثل[11] قِطَع. وقال أبو عوسجة: **قبيلا** معايَنة، وقال: هو من المقابلة. **وبيت من زخرف**، أي من ذهب. وقال أبو عَوْسَجة: المُزَخْرف المزيَّن، يقال: زخرفتُ البيتَ أي زيّنته. **أو ترقى في السماء**، أي تصعد. **لن نؤمن لرقيك**، أي لارتقائك وهو الارتفاع. وقال بعضهم: كِسْفا بالجزم، أي جانبا، وكِسَفًا مثل[12] قِطَعا. ***والله أعلم***.

---

[1] ع م: احتكامهم.
[2] ن + هل كنت.
[3] جميع النسخ: ما ذكر.
[4] م: فلم يسألوهم.
[5] سورة البقرة، ٢/١٠٨.
[6] ك: مما.
[7] ع م: واختيار.
[8] ن: جميع.
[9] ن: جميع. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٦١.
[10] جميع النسخ: عذاب.
[11] ك ن: مثقل.
[12] ك ن: مثقل. ع م – قطع وقال أبو عوسجة قبيلا معاينة وقال هو من المقابلة وبيت من زخرف أي من ذهب وقال أبو عوسجة المزخرف المزين يقال زخرفت البيت أي زينته أو ترقى في السماء أي تصعد لن نؤمن لرقيك أي لارتقائك وهو الارتفاع وقال بعضهم كسفا بالجزم أي جانبا وكسفا مثل.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ [٩٤]

وقوله عز وجل: **وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى،** أي إذ جاءهم الرسول بالهدى، **إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا.** وقال في آية[١] أخرى: وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ،[٢] لكن هذا على الإياس عن[٣] إيمانهم أنهم لا يؤمنون[٤] إلا عند معاينتهم بأس الله، والإيمان في ذلك الوقت لا يُقبل ولا يَنفعهم. وأما قوله: **وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا،** فيخرج هذا القول منهم مخرجَ الاحتجاج، لو شاء الله أن نؤمن لأنزل ملائكة، كقوله: قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً،[٥] ففيه موضع الشبهة لهم أن يقولوا: هو بشر، فليس هذا أولى بالرسالة إلينا من أن نكون نحن رسلا إليه، فذلك موضع الشبهة.[٦] فأجابهم لذلك لِما استنكروا واستبعدوا بعث الرسول إليهم من جوهرهم وجنسهم فقال:

﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ [٩٥]

قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين، أي مقيمين ساكنين فيها، **لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا.** ثم اختلف فيه، قال بعضهم: **لو كان في الأرض ملائكة،** أي لو كان سكان الأرض ملائكة فبعَثَ إليهم رسولا منهم أكان لهم أن يقولوا: أبعث الله ملكا رسولا، أي أبعث الله إلينا من جوهرنا؟ أي ليس لهم أن يقولوا ذلك. فعلى ذلك إذا كان سكانها البشر ليس لهم أن يقولوا: أبعث الله إلينا من جوهرنا رسولا؟ والثاني لو كانت الأرض مكان الملائكة وهم سكانها [فبعث إليهم **بشرا رسولا** من غير جوهرهم] لكان لهم أن يقولوا:[٧] **أبعث الله بشرا رسولا** من غير جوهرنا؟ فأما إذا كانت الأرض مكان البشر وهم سكانها

---

[١] ع م: في سورة.

[٢] ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قُبُلا﴾ (سورة الكهف، ١٨/٥٥).

[٣] ن: من.

[٤] ن + أنهم لا يؤمنون.

[٥] ﴿إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون﴾ (سورة فصلت، ٤١/١٤).

[٦] ن – لهم أن يقولوا هو بشر فليس هذا أولى بالرسالة إلينا من أن نكون نحن رسلا إليه فذلك موضع الشبهة.

[٧] جميع النسخ: لكم أن تقولوا؛ والتصحيح مع الزيادة من الشرح، ورقة ٤٥٨ظ.

فليس لهم أن ينكروا بعث الرسول منهم ومن جوهرهم، لأنهم لا يعرفون الملائكة ولا مَن كان من غير جوهرهم ويعرفون من كان من[1] جوهرهم، فبَعْثُ الرسول من[2] جوهرهم أولى بهم من غير جوهرهم. أو يقول: **لو كان في الأرض ملائكة** وبشر فعرفوا الملائكة لكان لهم أن يسألوا رسولا من الملائكة لما عرفوهم.[3] / فأما إذا كان سكان الأرض ليسوا إلا البشر[4] [٤٤١ظ] فليس لهم أن يقولوا ذلك، لأنهم لم يعرفوا قوى الملائكة ولا قوى الجن وقد عرفوا قوى البشر، فيعرفون الآيات والحجج من التمويهات، إذ عرفوا قواهم، ولم يعرفوا قوى الملائكة والجن فلا يعرفون ما أقاموا أنها آيات وحجج. أو كان ذلك بقواهم ويعرفون ذلك من البشر إذا خرجت من احتمال وسعهم وقواهم. وبعد فإنهم قد أقروا برسالة البشر لأنهم لا يعرفون الملائكة إلا بخبر من البشر أنه ملك، إذ لم يكن خلط معهم[5] ليعرفوهم، وإنما يعرفونهم بخبر من البشر أنه ملك، فليس لهم أن ينكروا رسالة البشر. وأصله ما قال: وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا،[6] لما ذكرنا أنهم لا يعرفون الملائكة، ومن كان من غير جوهرهم فلا بد من أن يكون رجلا، فكان في ذلك تلبيس عليهم على ما أخبر. ***والله أعلم.***

﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾[٩٦]

وقوله عز وجل: **قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم**، قال بعضهم: **كفى** بما أقام الله من الآيات والحجج على رسالتي وأني رسول إليكم، إذ كان ذلك من قولٍ كان من أولئك الكفرة من إنكار الرسالة. وقال بعضهم: يحتمل أن يكون ذلك على الإياس من إيمانهم، كقوله: لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا،[7] الآية.

وقوله عز وجل: **إنه كان بعباده بصيرا**، يذكر هذا -والله أعلم- بأنه عن علم بإجابتهم أو ردّهم[8] بَعثَه إليهم رسولا، لا عن جهل بأحوالهم. وليس فيما يعلم أنهم يردون ولا يجيبون رسله

---

[1] ك + جميع.
[2] ع - جوهرهم فبعث الرسول من.
[3] ع م: اعرفوهم.
[4] ع م: لبشر.
[5] ع م: معهم خلط.
[6] ﴿ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللَبَسنا عليهم ما يَلبسون﴾ (سورة الأنعام، ٩/٦).
[7] ن + والله أعلم. ﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأُمِرت لِأَعْدِلَ بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير﴾ (سورة الشورى، ١٥/٤٢).
[8] جميع النسخ: وردهم.

خروجٌ عن الحكمة، لأنه ليس في إجابتهم منفعة للرسل ولا في ردّهم ضرر له،[١] إنما المنفعة في الإجابة لهم، وفي الرد الضررُ عليهم، لذلك لم يكن[٢] في بعث الرسل -على علم منه بالرد- خروج[٣] عن[٤] الحكمة. وفي الشاهد كان خروج[٥] عن[٦] الحكمة،[٧] لأن في الشاهد إنما يَبعث الرسول لمنفعة يتأمل ويصل[٨] إليه أو لضرر يدفع[٩] عنه، فإذا علم أنه يَرد رسالته ولا يجيب[١٠] كان في وقت بعث الرسول إليه بعد علمه بالرد خروج[١١] عن[١٢] الحكمة. أو يخرج قوله: **إنه كان بعباده خبيرا بصيرا**، على الوعيد، وكذلك أمثاله.

وإن احتج علينا بعض المعتزلة بقوله: وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى،[١٣] يقولون له:[١٤] مَنَعَنا القضاء والقدر، إذ من قولكم أن ما يفعل الإنسان من فعل معصية[١٥] أو طاعة فإنما يفعل بقضائه وتقديره، فيكون لهم الاحتجاج عليه بأن يقولوا: منعنا قضاؤك وتقديرك.

لكنّ هذا فاسد، لأنه[١٦] لا يفعلون هم ما يفعلون عند وقت فعلهم لأن الله قضى ذلك وقدّر. ولو [كان كذلك لـ]ـجاز لهم هذا[١٧] الاحتِجاج لأنه كذلك قضى وقدر؛ فإذا كانوا هم[١٨] عند أنفسهم لا يفعلون ما يفعلون لأنه كذلك[١٩] قضى عليهم وقدّر[٢٠] لم يكن لهم الاحتجاج عليه بذلك،

---

[١] جميع النسخ: لهم.
[٢] ع: لمن يكن.
[٣] جميع النسخ: خروجا.
[٤] ع: من.
[٥] جميع النسخ: خروج.
[٦] ك: من.
[٧] م - وفي الشاهد كان خروج عن الحكمة.
[٨] ك: وتصل.
[٩] جميع النسخ: أو دفع ضرر؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٩و.
[١٠] ع م: يجب.
[١١] جميع النسخ: خروجا.
[١٢] جميع النسخ: خروجا.
[١٣] ﴿إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا﴾ (سورة الإسراء، ٩٤/١٧).
[١٤] أي لله تعالى.
[١٥] ن + الله.
[١٦] جميع النسخ: لأنهم.
[١٧] ك - هذا.
[١٨] م - هم.
[١٩] ع: لذلك.
[٢٠] ن - ولو جاز لهم هذا الاحتجاج لأنه كذلك قضى وقدر فإذا كانوا هم عند أنفسهم لا يفعلون ما يفعلون لأنه كذلك قضى عليهم وقدر.

لأن القضاء والقدر لم يَضْطَرَّهم إلى ذلك ولا قهرهم عليه، بل كان غيره ممكنا لهم، لذلك لم يكن لهم الاحتجاج عليه[١] بذلك.[٢] لأن القضاء بهذا[٣] -أعني بالقضاء والقدر- [لو كان] لكان لهم الاحتجاج عليه أيضا بالعلم، إذ لا شك أنه علم ذلك منهم. فإذا لم يكن الاحتجاج عليه بما علم منهم ذلك -إذ لا يقدرون أن يفعلوا غير الذي علم منهم- فعلى ذلك لم يكن الاحتجاج عليه بالقضاء والقدر[٤] لِما علم أنه يختار ذلك ويؤثره على ضده.[٥] دل أن ذلك ليس بشيء لما قضى ذلك عليهم وقدّر. وإذا كانوا هم عند أنفسهم لا يفعلون وقت فعلهم لما كذلك قضى عليهم فلم[٦] يكن الاحتجاج لهم عليه[٧] بذلك، إذ[٨] القضاء والقدر لم يمنعهم عن ذلك لما لا يُضطَرّون على ذلك، وإنما قضى ذلك لما علم أنهم يفعلون ويختارون ذلك، لذلك كان ما ذكرنا. وكذلك كل من قضى في الشاهد على آخر إنما يقضي لما سبق منه العلم به.

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾[٩٧]

وقوله عز وجل: **ومن يهدي الله فهو المهتد**، أي[٩] مَن وفق الله لقبول ما كان من الهدى وعصمه عما وسوس إليه الشيطان فهو المهتد[١٠] عند الله وعند من عَقَل الهدى. **ومن يضلل**، أي من خذله ولم يعصمه حتى يقبل من الشيطان ما جاء من وساوسه فهو ضال، **فلن تجد لهم أولياء من دونه**،[١١] يهدونهم لدينهم ويوفقونهم. أو لن تجد لهم أولياء ينصرونهم من دونه ويدفعون عنهم ما نزل بهم من العذاب. ***والله أعلم.***

---

[١] ك ن - عليه.
[٢] ك ن: بهذا.
[٣] ك ن - لأن القضاء بهذا.
[٤] ك + لكن القضاء والقدر.
[٥] جميع النسخ + لجاز ذلك لهم بالعلم ونحوه.
[٦] ع: لم.
[٧] أي على الله تعالى.
[٨] ع: إذا.
[٩] ع م: إن.
[١٠] ن ع م: المهتدي.
[١١] ك ع م + يحتمل لن تجد لهم أولياء من دونه.

وقوله عز وجل: **ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عُمْيا وبُكْما وصُمًّا**، قال الحسن: يحاسَبون حتى يعلموا سوء صنيعهم الذي صنعوا في الدنيا ثم يحشرون إلى جهنم، [وهو] ما ذَكَر: **عميا وبكما وصما**،[1] أو كلام نحو هذا. ثم يحتمل قوله: ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ [عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ][2] ما ذَكَر في آية أخرى: يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ،[3] وقولَه: أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ [يَوْمَ الْقِيَامَةِ]،[4] الآية إنما يتقي بوجهه لما تكون[5] أيديهم مغلولة إلى أعناقهم.

وقوله عز وجل: **عُمْيا وبُكْما وصُمّا**، هذا يحتمل وجهين.[6] أحدهما سماهم عميا وبكما وصما لذهاب منافع هذه الحواس ولذّاتها في الآخرة، ليس[7] على حقيقة ذهابها، لكن حال بينها[8] وبين الانتفاع بها ما ذَكَر: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ،[9] الآية، فتلك الظلل تحول[10] بينها وبين رؤية الأشياء. وسماهم في الدنيا **عميا وبكما وصما** ليس على حقيقة ذهاب أعينها ولكن لما لم ينتفعوا بهذه الحواس في الدنيا و لم يستعملوها فيما أُمروا استعمالَها نفى ذلك عنهم، فعلى ذلك في الآخرة. ويحتمل على حقيقة ذهاب أعيُن هذه / الحواسّ عقوبة لما لم يستعملوها في الدنيا لِما له خلقت،[11] [٤٤٢و] كقوله: [قَالَ رَبِّ لِمَ] حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا.[12]

وقوله عز وجل: **مأواهم جهنم**، أي مَقامهم جهنم وإليها يأوون.[13] وقوله عز وجل: **كلما خبت زدناهم سعيرا**، اختلف فيه، قال الحسن قوله: **كلما خبت زدناهم سعيرا**، أي كلما خَمَد لهبها وسكن **زدناهم سعيرا**.[14] قال: يخمُد لهبها من غير أن يذهب وَجَع ما أصابهم ثم يزداد لهم سعيرا. قال بعضهم: **كلما خبت**، أي نضِجت جلودهم وسكنت النار.

---

[1] ن: وصما وبكما.
[2] سورة الفرقان، ٣٤/٢٥.
[3] سورة القمر، ٤/٥٤.
[4] سورة الزمر، ٢٤/٣٩.
[5] ن ع م: يكون.
[6] م: بوجهين.
[7] ن – ليس.
[8] ك: بينهم.
[9] ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يُخوّف الله به عبادَه يا عبادِ فاتقونِ﴾ (سورة الزمر، ١٦/٣٩).
[10] ع: تحو.
[11] ك: خلقت له.
[12] سورة طه، ١٢٥/٢٠.
[13] ع م: يادون.
[14] ع م – اختلف فيه قال الحسن قوله كلما خبت زدناهم سعيرا أي كلما حمد لهبها وسكن زدناهم سعيرا.

[٤٤٢و س١٩ *وقال القُتَبِي: "خَبَت، أي سكنت، يقال: خَبَت [النار] إذا سكن لهبها، تخبُو. فإذا سكن لهبها و لم يَطفَأ الجمر قُلتَ: خمَدت، تَخمُد خُمودا، فإذا طفِئت و لم يبقَ منها شيء قيل: همَدت تهمُد همودا".[١] وقوله عز وجل: **زدناهم سعيرا**، أي نارا تتسعر،[٢] أي تتلهب. وقال أبو عَوْسَجَة: السعير النار، يقال: سَعَرتُ النار إذا أوقدتَها. ويقال: نار مسعورة، أي مُوقَدة.* ٤٤٢و س٢٢]

زدناهم سعيرا، أي نعود بنار على ما كانت[٤] وجعلت تلتهب وتستعر،[٥] كقوله: كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ.[٦] وقال بعضهم: وذلك أن النار إذا أكلتهم فلم يبقَ منهم غير العظام وصاروا فحما سكنت النار فهو الخَبْت، ثم بُدِّلوا جلودا غيرها جُدُدا لها فتكون وَقودا لها. ***والله أعلم***. وكله واحد. وقال بعضهم: **كلما خبت**، أي كلما أحرقتهم النار فصاروا رمادا خُلِقوا لها خلقا جديدا فتعاودهم النار فتُحرقهم، وذلك قوله: **زدناهم سعيرا**، وهو قول الله: لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ،[٧] لا تبقى منهم شيئا إذا أخذت حتى تحرقهم.

﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾[٩٨] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾[٩٩]

وقوله عز وجل: **ذلك جزاؤهم**، أي ذلك الذي ذَكَر جزاؤهم، **بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أَإِذَا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا**، ثم قال: **أولم يروا**، أي أو لم يعتبروا و لم ينظروا، **أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم**، هذا الاعتبار يحتمل وجهين.[٨] أحدهما أنكم تقرّون أن الله هو خالق السماوات والأرض وخالقكم. فخلق السماوات والأرض على الابتداء وخلق سائر الخلائق على الابتداء بلا احتذاء تَقَدَّم[٩] وسبق أعظم وأكبر من خلق مَن دونه.

---

[١] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٦١.

[٢] ن: فتتسعر؛ م: فيتسعر؛ ع: تستعر.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٩٩، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٤٢و/سطر ١٩-٢٢.

[٤] جميع النسخ: كان.

[٥] ع: وتستقر.

[٦] ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب﴾ (سورة النساء، ٥٦/٤).

[٧] ﴿سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تُبقي ولا تَذَر﴾ (سورة المدّثر، ٢٦/٧٤-٢٨).

[٨] ن - ثم قال أولم يروا أي أو لم يعتبروا و لم ينظروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم هذا الاعتبار يحتمل وجهين.

[٩] ن ع م: فقدم.

فمن قدر على إنشاء ذلك فهو على إنشاء أمثالكم وإعادتكم أقدر. وإعادة الشيء في عقولكم أهون وأيسر من ابتدائه.

والثاني تعلمون أنه[1] خلق السماوات والأرض وخلقكم أيضا، فلم يخلقهما للفناء خاصة، إذ خلق الشيء للفناء خاصة لا لعاقبة عبثٌ ولعِبٌ، فدل أنه خلقكم وخلق السماوات والأرض لعاقبة وهي البعث. وعلى ذلك يخرج قوله: **وجعل لهم أجلا لا ريب فيه**، أنه كائن لا محالةَ. وجائز أن يكون قوله: **وجعل لهم أجلا لا ريب فيه**،[2] جوابا لما استعجلوا من العذاب فقال: **وجعل لهم أجلا**،[3] لا يتقدم عنه ولا يتأخر. أو أن يكون قوله: **وجعل لهم أجلا**[4] **لا ريب فيه**، الموت الذي به تنقضي[5] آجالهم، لكنه[6] لم يخلقهم للموت خاصة ولكن للعاقبة وهو ما ذكرنا.[7]

وقوله عز وجل: **فأبى الظالمون إلا كُفورا**، أي كفرا بالبعث. الظالمون ههنا هم الكافرون، ولو قال: فأبى الكافرون إلا ظلما[8] كان واحدا.

﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ [١٠٠]

وقوله عز وجل: **قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق**، تحتمل[9] الآية وجوها. قال[10] بعضهم: هي صلة ما تقدم من أسئلتهم وهو قوله: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ [فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا]،[11] أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ [أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ]،[12]

---

[1] ك + من.
[2] ن + الموت الذي.
[3] ك + لا ريب فيه.
[4] ع – لا يتقدم عنه ولا يتأخر أو أن يكون قوله وجعل لهم أجلا.
[5] ن ع م: ينقضي.
[6] ع م: لكنهم.
[7] وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٩٧، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٤٢و/سطر ١٩-٢٢.
[8] ك ن: ظلوما؛ ع: ظلموا ما.
[9] ك ع م: يحتمل.
[10] جميع النسخ: وقال.
[11] سورة الإسراء، ١٧/٩٠-٩١.
[12] سورة الإسراء، ١٧/٩٣.

وقوله: أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا.[1] كانوا يسألون هذه الأشياء على التعنت والعناد والاستهزاء، فأخبر أنه وإن أعطاهم ما سألوا لا ينفقون بل يمسكون عن الإنفاق. ومن سنته أنه إذا أعطاهم ما[2] سألوا على السؤال فتركوا الإيمان به والوفاء أنهم يُهلَكون. فأخبر أنهم يَسألون سؤال تعنت لا سؤال ما يتوسعون بها. وفي الآية إثبات الرسالة وهو ما بين عن بخلهم وإمساكهم عن الإنفاق. وقال بعضهم: قوله: **قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق**، في قوم خاص علم الله أنهم لو أُعطوا ما سألوا لفعلوا ما ذكر، لا في كل منهم، وهو كقوله: أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ،[3] الآية، وكقوله: وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَآئِكَةَ،[4] الآية، كان في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون، فعلى ذلك الأول. ويحتمل[5] أن تكون[6] الآية في قوم ضَمِنوا الله الإنفاق والتوسيع وعاهدوا الله على ذلك إنْ وسّع عليهم، فأخبر أنهم لا يفعلون[7] ما عاهدوه[8] وضمنوا له،[9] كقوله: وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللّٰهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ،[10] الآية. ويحتمل أن يكون هذا إخبارا[11] منه عن طبع الخلق وعادتهم. وذلك أنهم لما استكثروا من الأموال وجمعوا يزداد لهم بذلك حرص على جمعها وبخلٌ على التوسيع والإنفاق لما لم يكن قبل الجمع والاستكثار، هذا المعروف في الناس، فأخبر أنهم يمسكون عن الإنفاق والتوسيع إذا مَلَكوا ما ذكر على ما طُبع الإنسان بالبخل والتضييق عند[12] الاستكثار ما لم يكن قبل ذلك.

---

[1] ﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكونَ معه نذيرا أو يُلْقَى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٧-٨).

[2] ع: لما.

[3] ﴿إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ (سورة البقرة، ٢/٦).

[4] ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قُبُلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١١١).

[5] ع: يحتمل.

[6] ن ع م: يكون.

[7] ك: لا يفعلوا؛ ع م: لا يؤمنون. ن – فعلى ذلك الأول ويحتمل أن تكون الآية في قوم ضمنوا الله الإنفاق والتوسيع وعاهدوا الله على ذلك إن وسّع عليهم فأخبر أنهم لا يفعلون.

[8] م: عهدوه.

[9] ع م – له.

[10] ﴿فلما آتاهم من فضله بَخِلوا به وتولّوا وهم معرضون﴾ (سورة التوبة، ٩/٧٥-٧٦).

[11] ع م: إخبار.

[12] م: عن.

وقوله عز وجل: **وكان الإنسان قتورا**، يحتمل أن يكون هذا صفة كل كافر، وكذلك قوله: إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا، ومَنُوعًا،[١] تكون[٢] عادتهم البخل والجزع عند المصائب. وجائز أن يكون هذا صفة كل إنسان؛ في الابتداء هكذا يكون، ثم بالامتحان والتجربة يكونون / أسخياء [٤٤٢ظ] صابرين. أو يكون يخبر أنهم لو مُلِّكوا وأُعطوا جميع ما يُرزقون في عمرهم على التفاريق بدفعة واحدة مجموعا لأمسكوا عن الإنفاق خشية الفقر في آخر عمرهم، إذ لا يعلمون إلى ما ينتهون من آجالهم فيحملهم ذلك على البخل والإمساك. أو يَذكر لِما أنه جبلهم وأنشأهم على الإمساك والمنع في الابتداء وإن لم يكن لهم حاجة إلى ذلك. ترى الصبيان والصغار من الأولاد يمنعون ما في أيديهم عن غيرهم وإن لم يكن لهم حاجة إلى ذلك، هذا معروف فيهم. وإنما جبلهم وأنشأهم هكذا ليمتحنهم بالجود والتوسيع والبخل والتضييق، وإلا كانوا في أصل خلقتهم وابتداء إنشاءهم[٣] أنشِئُوا[٤] على ما ذكرنا[٥] أَشِحَّة بخلاء، وهو ما أخبر[٦] أن الإنسان خُلِق هَلوعا وجزوعا،[٧] وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا.[٨] أنشأهم جزوعا عن الألم والمصائب غير صابرين عليها، وكذلك أنشأهم عجولا لا يصبرون على أمر واحد ولا حال واحد. ثم امتحنهم على الصبر وترك الجزع والعجلة، فعلى ذلك قوله: **وكان الإنسان قتورا**، أي طمِعا بخيلا ممسكا مضيّقا. ***والله أعلم***. ثم ترك ذلك بالامتحان[٩] واعتياد خلاف ذلك.[١٠]

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾[١٠١]

وقوله عز وجل: **ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات**، هذا -والله أعلم- فيما آتاه من الآيات وأمره أن يُحاجَّ بها فرعون،[١١] وإلا كانت آيات موسى عليه السلام أكثر من تسع،

[١] ﴿إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا﴾ (سورة المعارج، ٧٠/١٩-٢١).
[٢] جميع النسخ: يكون.
[٣] ع م - إنشاءهم.
[٤] ن: انشاء؛ ع م: انشاؤا.
[٥] ع: ذكروا.
[٦] ك: ما ذكر.
[٧] سبقت الإشارة إليها قريبا.
[٨] سورة الإسراء، ١٧/ ١١.
[٩] ع م - بالامتحان.
[١٠] جميع النسخ: واعتياد ذلك وخلافه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٥٩ظ.
[١١] ك + لعنه الله.

كأنها تبلغ عشرين وتزداد عليه؛ إذ كان في عصاه أربع من الآيات. أحدها حيث ضرب بها البحر فانفلق، وحيث كان يضرب بها الحجر فيتفجر[1] منه عيون،[2] وحيث ألقاها فصارت ثعبانا، وحيث كانت تَلقَف[3] حِبالهم وعِصِيَّهم وأمثاله كأنها تبلغ إلى ما ذكرنا، لكنه ذكر تسع آيات بينات التي أمره أن يُحَاجّ بها فرعون وقومه.

وقوله عز وجل: **بيّناتٍ**، أنها من عند الله جاءت وأنها ليست من البشر وأنها سماوية. أو **بينات**، أي مبينات ما يبين صدق موسى في جميع ما يخبر ويقول، ويبين عدله في حكمه وفعله، لأن في آيات الرسل يُحتاج إلى هذا: أن تُبيِّن للناس صدقَهم في قولهم وعدلَهم في حكمهم، لأنهم يدعون إلى عبادة الله والطاعة له، وذلك يوجبه كل عقل[4] وطبع سليم. فالحاجة إلى الآيات ليست إلا لصدقهم في قولهم[5] وعدلهم في حكمهم.

ثم اختلف في الآيات. قال بعضهم: العصا واليد والحجر والطمس[6] والخمس التي ذكر في سورة المص،[7] وهو قوله: فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ.[8] وقال بعضهم: الخمس التي ذكر في سورة المص والعصا والموت الذي أرسل عليهم واليد البيضاء وانفلاق البحر. وقال بعضهم: إنما الخمس التي ذكر في سورة المص واليد[9] وحلّ العقدة التي بلسانه[10] وفي العصا آيتان. وقال ابن عباس رضي الله عنه: العصا واليد والسِّنون ونقصٌ من الثمرات.[11] ثم منهم من يجعل السنين ونقصا من الثمرات آية واحدة، ومنهم من يجعلها آيتين.[12] وكذلك العصا منهم من يجعل آية واحدة،

---

[1] ك ن ع: فيتفجر.

[2] ن ع م: عيونا.

[3] ن ع م: تتلقف.

[4] جميع النسخ: يوجب على كل عقل.

[5] ع م – في قولهم.

[6] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربّنا لِيُضلوا عن سبيلك ربنا اطمِسْ على أموالهم واشْدُدْ على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعانِّ سبيل الذين لا يعلمون﴾ (سورة يونس، ١٠/٨٨-٨٩).

[7] أي سورة الأعراف.

[8] ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقُمَّل والضَّفادِع والدمَ آياتٍ مفصَّلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٣٣).

[9] ن: اليد.

[10] ﴿قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي﴾ (سورة طه، ٢٠/٢٥-٢٨).

[11] ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يَذَّكَّرون﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٣٠).

[12] ن: آيتان.

ومنهم من يجعل آيتين. ومنهم من يعُدّ الطمس ومنهم من لا يعُدّ. ونحن نجعل العصا آية واحدة، والسنين ونقصا من الثمرات آية واحدة،[١] والطمس آية والخَمْس[٢] التي ذكرت[٣] في سورة المص فتكون[٤] ثمانيا فيكون التاسعة: قوله: **لقد علمتَ ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائِرَ**، لأنه قال: **لقد علمت** أنها آيات، ولم يكذبه فرعون ولم يستقبله بشيء يكذبه في قوله، وهو ما قال: وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا.[٥] أخبر أنهم جحدوا بها بعد ما استيقنوا أنها آيات[٦] وحجج ظلما وعلوا. وما روى صفوان بن عسّال المرادي أنه قال: إن يهوديين أتيا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن تسع الآيات[٧] التي ذَكر أنه آتاها[٨] موسى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تشركوا بالله شيئا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تَزنُوا ولا تَسْرِقوا ولا تَسحَروا ولا تمشوا بِبَرِيءٍ إلى ذي سلطان فيقتلَه ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا مُحصَنة ولا تفرّوا من الزحف، وعليكم خاصةً يا يهوديان أن لا تَعدُوَا في السبت». قال: فقبّلا يديه ورجليه وقالا: نشهد أنك نبي الله. فقال عليه السلام: «فما يمنعكما أن تُسلما؟» قالا: إنا[٩] إن أسلمنا يقتلنا اليهود.[١٠] فإن ثبت هذا الخبر عنه فلا يجوز أن يَتعدّى إلى غيره من التأويل. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم**، يعني موسى صلوات الله عليه، قال بعضهم: أَمر رسولَنا صلى الله عليه وسلم أن يسأل بني إسرائيل الآيات التسع التي كانت في كتبهم

---

١ ع م – ومنهم من يجعلها آيتين وكذلك العصا منهم من يجعل آية واحدة ومنهم من يجعل آيتين ومنهم من يعد الطمس ومنهم من لا يعد ونحن نجعل العصا آية واحدة والسنين ونقصا من الثمرات آية واحدة.

٢ ن – والخمس.

٣ م: ذكر.

٤ ن: فيكون.

٥ سورة النمل، ٢٧/١٤.

٦ ع م + وأنها آيات.

٧ جميع النسخ: آيات.

٨ ن + آيات وحجج ظلما وعلوا.

٩ م – إنا.

١٠ *مسند أحمد بن حنبل*، ٤/٢٣٩؛ *وسنن الترمذي*، تفسير القرآن ١٨، الاستئذان ٢٣؛ *وسنن النسائي*، تحريم الدم، ١٨. والحديث إسناده ضعيف لضعف عبد الله بن سَلِمَة –وهو المرادي الكوفي– فلم يرو عنه سوى عمرو بن مرة وأبي الزبير المكي، ولم يوثقه سوى العجلي ويعقوب بن شيبة. وقال البخاري: لا يتابع حديثه. وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين، غير أن صحابيه من رجال أصحاب السنن سوى أبي داود. (انظر حول التعقيب على الحديث: *مسند أحمد بن حنبل*، تحقيق لجنة من العلماء ٣٠/١٤-١٦). وحكم عليه الترمذي فقال: هذا حديث حسن صحيح.

على التقرير عندهم أنه إنما عرف ذلك بالله وأنه رسول[1] لما علموا أنه كان[2] تلك الآيات في كتبهم بغير لسانه، وكان لا يخط بيده[3] ولا كان اختلَف إلى أحد منهم ليعرف ذلك، فدل أنهم علموا أنه إنما[4] عرف ذلك بوحي السماء. وقال بعضهم: ليس هو على[5] الأمر أن يسألهم ذلك ولكن لو سألتهم لأخبروك عنها، كقوله: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ،[6] الآية.

وقوله عز وجل: **إني لأظنك يا موسى مسحورا**، في عقلك، أي سُحرتَ، والمسحور هو المغلوب في العقل. وقولهم متناقض لأنهم قالوا مرة ساحر ومرة مسحور؛ فالساحر هو الذي يبلغ بالبصيرة غايته، والمسحور المغلوب.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾[١٠٢]

وقوله عز وجل: **قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر**،[7] قوله:[8] **علمت** بالنصب[9] والرفع[10] جميعا قد قُرِئَا.[11] وأمكن أن يكون قال[12] في ابتداء الأمر: **لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض**، وقال مرّة[13] أخرى لَمَّا أقامها عليه: **لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر**، [أي] ما يُبصِر بها الحق من الباطل مَن لم يعاند ولم يكابر.

---

[1] ن + الله.
[2] ن – كان.
[3] ن: بيمينه.
[4] ع – إنما.
[5] ك – على.
[6] ك – إن كنتم لا تعلمون. ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ (سورة النحل، ٤٣/١٦).
[7] ك ن + علمت بالنصب والرفع جميعا.
[8] ع – قوله.
[9] ع – بالنصب.
[10] ع: بالرفع.
[11] *حجة القراءات* لابن زنجلة، ٤١١.
[12] أي قال موسى عليه السلام لفرعون.
[13] جميع النسخ: في آية؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٦٠و.

/ وقوله عز وجل: **وإني لأظنك يا فرعون مثبورا،** قال موسى عليه السلام لفرعون:[١] [٤٤٣ر] **إني لأظنك يا فرعون مثبورا،** مقابل ما قال له فرعون حيث قال: **إني لأظنك يا موسى مسحورا.** قال بعضهم: **مثبورا** هالكا، وقيل: مغلوبا،[٢] وقال بعضهم: مُبَدَّلًا. ويحتمل قوله: **لأظنك يا فرعون مثبورا،** أي تدعو على نفسك بالثبور وهو الهلاك، كقوله: وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا،[٣] أي هلاكا. والظن يكون في موضع الظن ويكون في موضع العلم.

﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُم مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾[١٠٣]

وقوله عز وجل: **فأراد،** يعني فرعون، **أن يستفزهم من الأرض،** قال أهل التأويل: أراد أن يُخرجهم ويستَخِفَهم من الأرض، أي أرض مصر. لكنهم قد كانوا خرجوا طائعين قبل أن يخرجهم من حيث أُمر موسى بإخراجهم بقوله: وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ،[٤] الآية، فيكون تأويل قوله: **فأراد أن يخرجهم من الأرض،** بالقتل والهلاك من الدنيا. ألا ترى أنه قال: وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا،[٥] أراد من مشارق الأرض، وإلا[٦] قد كانوا هم قد خرجوا من أرضه على ما ذكرنا. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **فأغرقناه ومن معه جميعا،** هو ما قال في آية أخرى: فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا،[٧] الآية.

﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾[١٠٤]

وقوله عز وجل: **وقلنا من بعده لبني إسرائيل،** أي [قلنا] بعد هلاك فرعون لبني إسرائيل: **اسكنوا الأرض،** اختلف فيه، قال بعضهم: قوله: **اسكنوا الأرض،** أرض مصر الذي كان يسكن فرعون،

---

[١] ك + لعنه الله.

[٢] جميع النسخ: ملعونا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٦٠و.

[٣] سورة الفرقان، ١٣/٢٥.

[٤] سورة الشعراء، ٥٢/٢٦.

[٥] ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يَعْرِشون﴾ (سورة الأعراف، ١٣٧/٧).

[٦] ك – إلا.

[٧] ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغَرَقُ قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين﴾ (سورة يونس، ٩٠/١٠).

وهو كقوله: وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ.[1] وقال بعضهم: **اسكنوا الأرض**، أرض الشام والأرض المقدسة، كقوله: يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ.[2] وقال بعضهم: **اسكنوا الأرض**، ليس في أرض دون أرض ولكن اسكنوا أيّ أرض شئتم مشارقها ومغاربها، آمنين لا خوف عليكم، على ما أراد[3] أن يخرجكم من مشارق الأرض ومغاربَها بالقتل، كقوله: وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا،[4] الآية، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه. وعلى هذا قال في قوله:

فإذا جاء وعد الآخرة، بَعْثُ عيسى ابن مريم، **جئنا بكم لفيفا**، أي جميعا مجتمعون[5] من مشارق الأرض ومغاربها على ما تفرقوا. وقال بعضهم: **فإذا جاء وعد الآخرة**، يعني حياة عيسى ونزوله من السماء، **جئنا بكم لفيفا**، أي جميع النُّزّاع[6] من القرى هاهنا وهاهنا لَفُّوا جميعا، وهو مثل الأول. وأما عامة أهل التأويل فإنهم قالوا: **فإذا جاء وعد الآخرة**، يوم القيامة، **جئنا بكم لفيفا**، أي جميعا أنتم وفرعون وجنوده حتى يروا كراماتكم التي أُكرمتم بها ويروا هَوانهم.

﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[١٠٥]

وقوله عز وجل: **وبالحق أنزلناه وبالحق نزل**، قال الحسن: إن في القرآن حِكما وأنباءً، وحكمه عدل وأنباؤه صدق وحق، وهو كقوله: وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا،[7] صِدْقًا: ما فيه من الأنباء، وَعَدْلًا: ما[8] فيه من الحكم، فبذلك الحق الذي فيه من الحكمِ العدلِ والأنباءِ الصدقِ أنزله. ويقال: الصدق في الأخبار والأنباء، والعدل في الأحكام والحق. وقوله عز وجل: **وبالحق نزل**، أي بذلك الحق الذي فيه دام وقرّ فيكم، أو كلام نحو هذا. ويحتمل قوله: **وبالحق أنزلناه**، أي بالحق الذي لله على عباده أنزله وبالحق[9] الذي لبعضهم على بعض، **وبالحق نزل**،

---

[1] ﴿وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديرا﴾ (سورة الأحزاب، ٢٧/٣٣).

[2] سورة المائدة، ٢١/٥.

[3] ع م: أرادوا. أي أراد فرعون.

[4] ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يُستَضْعفون مشارقَ الأرض ومغاربها التي باركنا فيها﴾ (سورة الأعراف، ١٣٧/٧).

[5] ك: تجتمعون.

[6] جميع النسخ: جميعا النزاع؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٦٠و. والنَّزِيعُ والنازعُ: الغريب، وهو أيضا البعيد. ونُزّاعُ القبائل غرباؤهم الذين يجاورون قبائل ليسوا منهم (*لسان العرب*، «نزع»).

[7] سورة الأنعام، ١١٥/٦.

[8] ع – ما.

[9] م – الذي لله على عباده أنزله وبالحق.

أي بذلك الحق الذي لله على خلقه دام واستقر، وبالحق[1] الذي لبعضهم على بعض ثبت واستقرّ. وأصله أن قوله: **وبالحق أنزلناه وبالحق نزل**،[2] أن[3] الحق اسم كل[4] محبوب محمود، والباطل اسم كل مكروه ومذموم، فمن اتّبعه صار محبوبا محمودا[5] ومن خالفه وترك اتباعه صار مذموما. أو أن يكون قوله: **وبالحق نزل**، أي لم يأتِه التغيير والتبديل.

وقوله عز وجل: **وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا**، أخبر أنه لم يرسله إلا لِلبشارة والنِذارة. لكن هذا في حق الرسالة، لم يرسله إلا لهذين اللذين ذكرهما.[6] وإلا قد كان امتحنه في نفسه[7] بمحن كثيرة، فلم يكن في جميع الأوقات مشغولا بهذين خاصة. لكنه في حق[8] الرسالة، لم يرسله إلا للبشارة والنذارة،[9] أي لم يرسلك حافظا ولا وكيلا ولا مسلَّطا عليهم، بل ارسلك لتبليغ الرسالة إليهم ثم للبشارة والنذارة؛ وهما أمران يكونان في عواقب الأمور: البشارة تكون عاقبة كل محبوب ومحمود، والنذارة عاقبة كل فعل مكروه ومذموم.

ثم لقائل أن يقول[10] في قوله: **وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا**، البِشارة لمن أجابه[11] فيما أمره به ودعاه إليه، والنِذارة لمن ارتكب ما نهى عنه. فكيف لا يدل[12] هذا على أن النهي يوجب الحظر والتحريم حيث ألحقه النذراة بارتكاب ما نهى عنه؟

قيل: إن النذارة عاقبة كل مكروه ومذموم، والبشارة عاقبة كل محبوب ومحمود، فيكون ذلك في الآداب وغيرها. ولأن الرسل لم يُبعثوا إلا لتغيير مناكير وفواحش ظهرت في الخلق من الشرك[13] وغيره من الفواحش والمناكير، [فهم] لم يبعثوا لصغائر[14] ظهرت فيهم،

---

[1] م: با.لحق.
[2] ع + الذي نزل.
[3] ع م – إن.
[4] م: لكل.
[5] م: ومحمودا.
[6] ك: ذكرا؛ ن ع م: ذكر؛ والتصحيح من *الشرح* ورقة ٤٦٠ظ.
[7] م – في نفسه.
[8] ع – في حق.
[9] ع: البشارة والنذارة؛ م: لبشارة ونذارة.
[10] ع م: يكون.
[11] م: أجاب به.
[12] ن ع م: لا دل.
[13] ع م – من الشرك.
[14] ع: الصغائر.

ثم دخل الصغائر والآداب فيما أَرسل تَبَعا، وإلا كان سببَ إرسالهم الكبائر والفواحشُ. فإذا كان ما ذكرنا كان في النهي نَهيَ أدب ونهي حتم وحكم. وبعد، فإن الله تعالى قد أخبر أنه قد يعفو عن كثير من السيئات، / وما عفا عنه لم يلحق فيه النذارة والوعيد. ***والله أعلم.*** [٤٤٣ظ]

﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾[١٠٦]

وقوله عز وجل: **وقرآنا فَرَقْناه،** بالتخفيف والتثقيل: فَرَّقناه. قال[١] بعضهم: **فرَقناه** بالتخفيف، أي أحكمناه وثبّتناه حتى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.[٢] وقال بعضهم: فرّقناه وقطّعناه في الإنزال سورة فسورة وآية فآية على ما أُنزل.

لتقرأه على الناس على مكث، فهو -والله أعلم- لوجوه. أحدها ما ذكر [في] قوله: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ،[٣] فأخبر عز وجل أنه إنما أنزله بالتفاريق ليثبّت به فؤاده،[٤] لأن ذلك أثبت في القلب وأيسر في الحفظ.

والثاني أنزله بالتفاريق على قدر النوازل لتَتَجدد[٥] لهم البصيرة وتزداد[٦] لهم الحجة بعد الحجة، ولو كان جملة لم يكن ليتجدد لهم ذلك ولا يزداد لهم البصيرة.

أو أن يكون أنزله بالتفاريق للتنبيه ليثبّتهم في كل وقت ويَعِظَهم في كل حال، إذ ذلك أنْبَهُ لهم وأوعظ من أن يكون منزّلا جملة واحدة. ألا ترى أن الآية إذا دامت تكون في التنبيه أقلّ، وإذا كانت منقطعة في الأوقات كانت أخوف وأنْبَهَ، نحو كسوف الشمس بالليل صار بالدوام غير مَخُوفٍ ولا منبه لهم للدوام، وكسوفها بالنهار صار تنبيها للانقطاع، فعلى ذلك الأول. ***والله أعلم.***

﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾[١٠٧]

وقوله عز وجل: **قل آمنوا به أو لا تؤمنوا،** ظاهر هذا خرج على التخيير، لكن المراد منه يخرج على حتم المواعظ وتأكيد الوعيد وتغليظه. وكذلك قوله: اِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ،[٧]

---

[١] ع: وقال.

[٢] يشير إلى قول الله تعالى: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ (سورة فصلت، ٤١/٤٢).

[٣] ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٣٢).

[٤] ع: فؤادك.

[٥] ن ع م: ليتجدد.

[٦] جميع النسخ: ويزداد.

[٧] ﴿إن الذين يلحدون في آياتنا لا يَخْفَون علينا أفمن يُلْقَى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير﴾ (سورة فصلت، ٤١/٤٠).

ظاهره على التخيير، لكن الحكماء[1] لم يفهموا منه على ما خرج ظاهره، ولكن[2] فهموا منه تأكيد الوعيد وحتم الوعظ. وهكذا المعروف في الشاهد أن إنسانا لو أمر[3] آخر بأمره ووعظه مرارا فلم ينجع فيه يقول له:[4] إن شئت فافعل وإن شئت لم تفعل؛ على ما لو فعلت أو لم تفعل فإنما ضرر ذلك عليك[5] إن تركته، ونفعه يرجع إليك لو فعلت. فعلى ذلك قوله: **قل آمنوا به أو لا تؤمنوا**، فلا ضرر علينا في ترككم الإيمان به ولا يرجع نفعه إلينا لو آمنتم به، إنما نفعه لكم وضرره عليكم، إن شئتم فعلتم وإن شئتم[6] لم تفعلوا. فهو[7] كقوله: إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا،[8] وكقوله: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ،[9] الآية، ونحو ذلك مما يخبر أن كل من عمل خيرا فلنفسه[10] عمل، ومن عمل شرا فعلى نفسه ضرر ذلك.

فهذا ينقض على اصحاب الظواهر حيث قالوا: يفهم من الخطاب ظاهره لا يُتَعَدّى عن ظاهره، حيث لم يجب أن يفهم من قوله: **قل آمنوا به أو لا تؤمنوا**، التخيير لكن فهموا الوعيد الوكيد الغليظ وحتم المواعظ.

فإن قيل: ما الحكمة في لزوم الأمر وافتراضه إذا كان ما يأمرنا وينهانا لمنافع أنفسنا ولضرر على أنفسنا، ومن لم يعمل في الشاهد لنفسه ولا سعى لنفع نفسه فلا لائمة عليه ولا مؤاخذة؟

قيل: في الحكمة أن يُفرَض[11] علينا السعي في فكاك أنفسنا ودفع الهلاك عن أنفسنا، وفي أمره إيانا أمر بالسعي في فكاك أنفسنا ودفع الهلاك عنها. وحاصل أمره ونهيه يكون لمنفعة[12] لنا لا له

---

[1] ع م – لكن الحكماء.
[2] ك ن م: لكن.
[3] ع: أن أنشانا أوامر.
[4] م – له.
[5] ن: عليه.
[6] ع – فعلتم وإن شئتم.
[7] ك ن: وهو.
[8] سورة الإسراء، ١٧/٧.
[9] ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ (سورة فصلت، ٤١/٤٦).
[10] ن + الآية ونحو ذلك مما يخبر أن كل من عمل خيرا فلنفسه.
[11] ن ع: يعرض.
[12] جميع النسخ: المنفعة.

وكذلك الضرر. وعلى ذلك يخرج قوله: وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ،[١] الآية، وعلى ذلك[٢] يخرج دعاء آدم عليه السلام وغيره: رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا،[٣] الآية.

وقوله عز وجل: **إن الذين أوتوا العلمَ مِن قبله إذا يُتلَى عليهم يَخِرُّون للأذقان سُجَّدا**، وهذا أيضا ينقض على أصحاب الظواهر، لأنه لا كل مَن أوتي العلم منهم يخرّ[٤] للأذقان على ما خرج ظاهره، فدل أن الاعتقاد ليس بالظاهر على ما قرع السمع ولكن على ما توجبه الحكمة. ثم قوله: **إن الذين أوتوا العلم**، أي[٥] إن الذين أوتوا منفعة العلم، **يَخِرّون للأذقان سُجّدا**. ثم يحتمل قوله: **يخرون للأذقان سجدا**، على التمثيل ليس على حقيقة السجود ولكن على الانقياد لِما سمعوا والخضوعِ له والذلة على ما ذكرنا[٦] من التمثيل في قوله: اِنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ،[٧] ليس على حقيقة الانقلاب على الأعقاب ولكن على التمثيل للرجوع[٨] وترك العمل، فعلى ذلك الأول؛ وكقوله: فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ،[٩] على ترك العمل به. ويحتمل أن يكون السجود كناية عن الصلاة، أي يصلون لله. ويحتمل أن يكون على حقيقة السجود: خَرُّوا لله سجدا إذا تتلى عليهم آيات الله وحججه، وهو كسجود سحرة فرعون حين عاينوا آيات الله وحججه، وهو كقوله: وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ،[١٠] فعلى ذلك يحتمل سجود هؤلاء. *والله أعلم*.

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً﴾[١٠٨]

وقوله عز وجل: **ويقولون سبحان ربنا**، عما قالت الملحدة فيه، **إن كان وعد ربنا لمفعولا**، أي قد كان موعود ربنا لمفعولا. وكذلك قوله: وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً،[١١] وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا،[١٢]

---

[١] ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ (سورة النحل، ١١٨/١٦).
[٢] ك – ذلك، صح هـ.
[٣] ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ (سورة الأعراف، ٢٣/٧).
[٤] ع: يخرون.
[٥] ع – أي.
[٦] ع: ذكر.
[٧] ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قُتِل انقلبتم على أعقابكم﴾ (سورة آل عمران، ٣/ ١٤٤).
[٨] ن ع م: الرجوع.
[٩] ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لَتُبَيِّنُنَّه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا﴾ (سورة آل عمران، ٣/ ١٨٧).
[١٠] سورة الأعراف، ١٢٠/٧.
[١١] سورة النساء، ٤٧/٤.
[١٢] سورة الأحزاب، ٣٨/٣٣.

أي كان ما يأمر الله لكائنا ومفعولا، أي قد كان ما يأمره[١] ووَعَده مفعولا، وهو ما ذكرنا كان وعد الله مفعولا.[٢]

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[١٠٩]

وقوله عز وجل: **ويخرون للأذقان يبكون**، فإن كان التأويل من السجود الصلاة ففيه دليل لقول أبي حنيفة رحمه الله أن المصلي إذا بكى في صلاته خوفا على نفسه وإشفاقا أو سرورا على ما أنعم الله عليه وأكرمه دينه لم تفسُد صلاته، وإذا كان البكاء[٣] للتسلي مما حلّ به من الشدائد والبلايا تفسد صلاته. وأصله أن البكاء إذا كان لله فهو لا يفسد الصلاة، وإذا كان للدنيا أو لحاجة نفسه فهو / يفسد. [٤٤٤و]

وقوله عز وجل: **ويزيدهم خشوعا**، أي يزيد ما يُتلَى عليهم من القرآن خشوعا وخضوعا لهم، أو الآيات. وقال الحسن: الخشوع هو الخوف الدائم في القلب.

﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيلًا﴾[١١٠]

وقوله عز وجل: **قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعون فله الأسماء الحسنى**، ذكر هذا -والله أعلم-[٤] أن العرب كانت لا تعرف الرسل والكتب المنزلة من السماء ولا يؤمنون بهما وكانت لا تعرف ذكر الرحمن ولا التسمية به، وكذلك غيرَه من الأسماء لِما لا[٥] سبيل إلى معرفة ذلك: إما بألسُن الرسل والأنبياء وإما بالكتب المنزلة من السماء، فإذا لم يؤمنوا بالرسل ولا عرفوا الكتب حملهم ذلك على الإنكار والجحود لأسمائه، ولذلك قالوا: وَمَا الرَّحْمٰنُ.[٦] وقوله: وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ،[٧] أي يكفرون بذكر الرحمن واسمه لما ذكرنا.

---

[١] ع: قد كان ماياه؛ م: قد كان مأباه.

[٢] ك + إن كان وعد ربنا لمفعولا أي قد كان ما وعد ربنا في كتابهم أنه بعث رسولا كان موعوده وما أخبر به كائنا مفعولا.

[٣] ع: البكى.

[٤] ك ن + وذلك.

[٥] ك ن - لا.

[٦] ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٦٠.

[٧] ﴿كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن﴾ (سورة الرعد، ١٣/٣٠).

أو أن يكونوا[1] أنكروا اسم الرحمن لما لم يعرفوا أنه مأخوذ من الرحمة، ولو عرفوا أنه من الرحمة ما أنكروا على ما لم ينكروا الرحيم لأنهم عرفوا أن الرحيم مأخوذ من الرحمة.[2] وأما الله فهم يسمون[3] كل معبود إلها، وعلى ذلك سمَوا الأصنام التي كانوا يعبدونها آلهة ويقولون: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[4] و هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[5] فيسمون الله لما هو المعبود عندهم ورجعت عبادتهم الأصنام إلى الله حيث زعموا: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى، كانوا يطلبون بعبادتهم الأصنامَ القربةَ إلى الله، لذلك أنكروا غيره من الأسماء. على أن العرب لم ينكروا لشيء واحد اسمين وأكثر، وعرفوا أن اختلاف الأسماء وكثرتها لا توجب اختلاف المسمَّى به ولا أوجب عددا منه. وإن ما قالوا: إنه كان يدعو[6] حتى الآنَ إلى عبادةِ واحدٍ فالساعةَ يدعو[7] إلى عبادة[8] اثنين وأكثر، إنما قالوا على التعنت والعناد، وإلا قد عرفوا لشيء واحد اسمين وأكثر، لكنهم أنكروا لله[9] ذلك لما ذكرنا تعنُّتا منهم وعنادا. على هذا يجوز أن تتأول[10] الآية. ***والله أعلم.***

ثم اختلف في تخصيص ذكره بهذين الاسمين. قال بعضهم: وجه تخصيصهما لأنهما اسمان مخصوصان له لا يجوز أن يسمى غيره بهذين الاسمين. وأما غيرهما من الأسماء فإنه يجوز أن يسمى غيره بها. وقال الحسن: خَصَّ بذكرهما لأنهما اسمان معظَّمان عند الخلق ما لم يَجعل لغيرهما من الأسماء من التعظيم ما جَعل لهذين. وقال أبو بكر الأصم: خَصَّ بذكر هذين لأن غيرهما من الأسماء أسماءٌ[11] أخذت عن صفاته. أما هذان فهما ليسا أخذا[12] عن صفته. وقال الزجاج: الرحمن هو مأخوذ من الرحمة، إلا أنه النهاية في الرحمة لأنه [على وزن] فَعْلان؛

---

[1] م: يكون.

[2] ع م – ولو عرفوا أنه من الرحمة ما أنكروا على ما لم ينكروا الرحيم لأنهم عرفوا أن الرحيم مأخوذ من الرحمة.

[3] ع: يسمعون.

[4] سورة الزمر، ٣/٣٩.

[5] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٨/١٠).

[6] ن ع م: يدعوا.

[7] ن ع م: تدعوا.

[8] ن – عبادة.

[9] ع: الله.

[10] ن ع م: يتأول.

[11] م – أسماء.

[12] ع: أخذ.

وهو ما يقال: غَضبان إذا انتهى غضبه غايته، وإلا قوله: الرحيم والرحمن كلاهما من الرحمة إلا أن[1] الرحمن فَعلان، والفعلان هو النهاية من وصف الرحمة لما ذكرنا، وغيره من الخلائق لا يبلغون في الرحمة ذلك المبلغ، لذلك خصّ بذكر الرحمن دون الرحيم. وهذا كله واحد ليس فيه خلاف. وأصله ما ذكرنا لا يشترك[2] غيره في هذين ويجوز في غيره.

وقوله عز وجل: **فله الأسماء الحسنى**، أي أسماؤه التي يسمى بها كلها الحسنى، ليس شيء منها قبيحا. أو أن يكون قوله: **فله الأسماء الحسنى**، أي كل أعمال صالحة وأمور حسنة له، أي تنسب إليه وتضاف،[3] ولا يجوز أن يضاف وينسب ما قبح منها وسمُج. وأصله ما ذكرنا أنه[4] ينسب إليه كل حسن وكل صالح على الإشارة، ولا يجوز أن ينسب إليه كل قبيح سَمِج على الإشارة[5] والتسمية به، وهو ما يذكر: التحيات لله والصلوات والطيبات إلى آخره، [و]يُنْسَب إليه كل طيب وكل حسن. وقوله: **فله الأسماء الحسنى**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما له أسماء حسنة يسمى بها. والثاني أن كل شيء[6] حسن يسمى به غيره فهو راجع إليه في الحقيقة وهو مسمى[7] به، وكل حَسَنٍ منسوبٌ إليه.

وقوله عز وجل: **ولا تَجْهَرْ بصلاتك ولا تُخَافِتْ بها وابتغ بين ذلك سبيلا**، اختلف أهل التأويل في ذلك، قال بعضهم: **ولا تجهر بصلاتك**، أي لا تجعل صلاتك في مكان غيظا للمشركين، **ولا تخافت بها**، أي ولا تُسِرّ عن أصحابك فتُخفِيَ عليهم لكن **وابتغ بين ذلك سبيلا**، وقال بعضهم: لا تجعل كل صلاتك في جماعة، **ولا تخافت بها**، ولا كلها في غير جماعة، **وابتغ بين ذلك سبيلا**. ولكن اجعل بعضها بالجماعة وبعضها لا بالجماعة. وقال بعضهم: **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها**، أي لا تجاوز الحد في الأمور والأعمال التي أمرتك بها ولا تقصّرها عن الحد الذي[8] حددتُ لك فيها ولكن **ابتغ بين ذلك سبيلا**. وقال بعضهم: **ولا تجهر بصلاتك**، مراءاة[9] للناس، **ولا تخافت بها**،

---

[1] م: الان.
[2] جميع النسخ: لا يشرك؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٦١و.
[3] ن ع م: ويضاف.
[4] ع م: إليه.
[5] ع م – ولا يجوز أن ينسب إليه كل قبيح سمج على الإشارة.
[6] م – شيء.
[7] ع: يسمى.
[8] ع – الذي.
[9] ك ن: مراآة؛ ع:مرات؛ م: مراآت.

أي ولا تُعْجِب بها للإخفاء. وجائز أن يكون قوله: **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها**، أي لا تجهر بجميع الأذكار التي في الصلاة أو بجميع القراءات[1] التي فيها، **ولا تخافت** [اقرأ] بالكل ولكن بعضها بالجهر وبعضها بالمُخافتة. وقال بعضهم: إنه كان يجهر في صلاته بحيث يسمعه المشركون فيؤذونه فأمره أن لا يجهرها لئلا يؤذوه. **ولا تخافت** كل المخافتة فَيَسْمَعَ[2] أصحابك فيأخذوا قراءتك.[3] وقال بعضهم: ذلك في الدعاء إلى الله وتوحيده في حق التبليغ والمسألة وأمثاله. ولكن لا يجوز أن يُقطع التأويل في هذا وأمثاله فيقال: إنه كان كذا، إلا بخبر منه ثابت، لأن الخطاب به خطاب له، فقَطْعُ التأويل فيه والقول / على شيء واحد[4] شهادة على الله وعلى رسوله، ولا يحل الشهادة على الله ولا على رسوله إلا بالإحاطة أنه أراد ذلك. ***والله أعلم.*** [٤٤٤ظ]

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾[١١١]

وقوله عز وجل: **وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك.** ذَكَر في هذه الآية جميع ما تقع[5] به الحاجة إلى التوحيد، لأن من نفى التوحيد وأنكره إنما نفى لأحد الوجوه التي ذكر. منهم من قال له بالولد وهم اليهود والنصارى، ومنهم من قال له[6] بالشريك وهم مشركو العرب، ومنهم من قال له بالولي والعون من الذل وهم الثنوية وغيرها، حيث قالوا: أنشأ هذا النورَ ليستعين به على التخلص من وَثاق الظلمة. فنزّه نفسه وبرّأها عن جميع ما قالوا فيه ونسبوا إليه؛ لأن الولد في الشاهد إنما يطلب إما للتلهّي وإما للاستئناس، والله يتعالى عن أن تقع[7] له الحاجة إلى ذلك. ويتعالى عن أن يكون له شريك، لأن الشركاء في الشاهد إنما تُتَّخذ[8] للمعونة والتقوّي بهم على بعضٍ [و]مالِهم وما هم فيه،. والولي من الذل إنما يتخذ[9] في الشاهد للاستنصار والاستعانة على أعدائه.

---

[1] ك ن ع: القراءة.
[2] أي حتى يسمع.
[3] م: قراآتك.
[4] ن: واحدة.
[5] ن ع م: يقع.
[6] ن – له.
[7] ع م: يقع.
[8] ن ع م: يتخذ.
[9] ع م – يتخذ.

والله يتعالى عن أن تقع[١] له الحاجة إلى شيء من[٢] ذلك. فتَفى عنه جميع معاني الخلق وجميع ما ينسب إليهم ويضاف ويوصفون[٣] به.

وقوله عز وجل: **وكبره تكبيرا**، أي صِفْه بما وصف نفسه وانفِ عنه جميع معاني الخلق، فيكون في ذلك تعظيمه وتكبيره. أو يقول: اعرفه بما ذكر، فإذا عرفت هكذا فقد عظَّمته وكبّرته.

والولد في الشاهد إنما يتخذ ويطلب لوجوه. أحدها للتلهي[٤] به والاستئناس عن وحشة، أو لحاجة تمسّه فيستعين به على قضائها، أو لذل يخافه من عدو له فيستنصر به عليه؛ والله يتعالى عن أن يصيبه شيء من ذلك.

وقوله: **ولم يكن له ولي من الذُّلّ**، أي لم يتخذ الأولياء ليتعزز بهم من الذل، بل إنما اتخذ أولياء رحمة منه وفضلا ليتعززوا هم[٥] بذلك ويكونوا[٦] عظماء. وذكر: **لم يتخذ ولدا**، وقد خلق الأولاد للخلق ليُعلم أن ليس في خلق الشيء ما يصلح أن يتخذ لنفسه.

وقوله: **ولم يكن له شريك في الملك**، ولو كان على ما يقوله[٧] المعتزلة لكان له شريك في الملك على قولهم، لأنهم يقولون: إن الله لم يُرِد لأحد من الكفرة الملك لهم وإنما أراد لأوليائه، فعلى قولهم صار الفراعنة شركاء لهم في الملك حيث لم يكن ما أراد هو وكان[٨] ما أرادوا هم.[٩] ***والله أعلم***.[١٠]

---

[١] ع: يقع.
[٢] ع: في.
[٣] ع م: ويصفون.
[٤] ع م: للتسلي.
[٥] ع: ليستعزز بهم. م: ليتعززوهم.
[٦] جميع النسخ: ويكونون.
[٧] ع: تقوله.
[٨] م: كان.
[٩] م: ما أرادوهم.
[١٠] ك - والله أعلم، + والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله أجمعين على يد أضعف العباد أحمد بن محمد بن يوسف الخالدي الصفدي الحنفي في ليلة يسفر صباحها عن نهار الجمعة المبارك العشرين من شهر ربيع الأول المنور المشرف بمولد سيد البشر عليه الصلاة والسلام حرر تتميم هذه النسخة المباركة طالبا من الله تعالى العفو والمغفرة والصفح عما مضى منه وغبر ومن الإخوان الواقفين عليها الغض عما زل به القلم ولا قوة إلا بالله العلي العظيم؛ ن + والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين؛ ع + والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله.

الفهارس

فهرس الآيات المستشهد بها

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام

فهرس الشعوب والقبائل والأماكن

فهرس الأديان والفرق والمذاهب والجماعات

فهرس الكتب

فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية

فهرس المصطلحات و الأفكار الرئيسية

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- *تفسير الطبري*
... المسمى *جامع البيان في تأويل آي القرآن*؛ تأليف أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

- *تفسير غريب القرآن*؛
تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.

- *تفسير القرطبي*
... المسمى *الجامع لأحكام القرآن*؛ تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، تحقيق أحمد عبد الحليم البردوني، القاهرة ١٩٦٧م.

- *حجة القراءات*؛
تأليف الإمام أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- *روح المعاني*
في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني؛ تأليف أبي الثناء شهاب الدين محمود شكري بن عبد الله بن محمود الآلوسي، بيروت ١٩٨٥م.

- *سنن الترمذي*؛
تصنيف أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- *سنن أبي داود*؛
تصنيف أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- *سنن ابن ماجة*؛
تصنيف أبي عبد الله محمدٌ بن يزيد بن ماجة القزويني، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- *سنن النسائي*؛
تصنيف أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- *سير أعلام النبلاء*؛
تأليف أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط - محمد نعيم العرقسوسي، بيروت ١٤١٣هـ.

– *شرح التأويلات*؛
تأليف أبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي، نسخة مخطوطة بمكتبة سليمانية، قسم حميدية، رقم ١٧٦ [Süleymaniye ktp., Hamidiye nr. 176]؛ ومكتبة طوبقابي سرايي، قسم مدينة، رقم ١٧٩ [Topkapı Sarayı ktp., Medine nr. 179].

– *صحيح البخاري*؛
الجامع الصحيح، تصنيف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

– *صحيح مسلم*؛
تصنيف أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

– *كتاب المصاحف*؛
تأليف أبي بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق Arthur Jeffery، Leiden ١٩٣٧م.

– *كشف الخفاء*
ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس؛ تأليف أبي الفداء إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي العجلوني، تحقيق يوسف بن محمود الحاج أحمد، دمشق ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

– *لسان العرب*؛
تأليف أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري، بيروت ١٤١٤هـ.

– *مجاز القرآن*؛
تأليف أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، تحقيق فؤاد سزكين، بيروت ١٩٨١م.

– *مسند أحمد بن حنبل*؛
تصنيف أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م؛ وتحقيق لجنة من العلماء، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

– *معجم القراءات القرآنية*؛
تأليف الدكتور عبد العال سليم مكرم والدكتور أحمد مختار عمر، الكويت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

– *الموطأ*؛
تصنيف أبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ